اَلْبَصَائِر

لِمُنْکِرِیْ التَّوَسُّل باهل المَقَابِر

من تالیفات

حضرت مولانا حمدالله جان الداجوي حفظه الله

من مشهور الغوی فاضل مظاهرعلوم سهارنپور

ناشر

مظهری کتب خانه

نزد دارالعلوم مظهر العلوم ډاگي صوابی

اسم الكتاب : البصائر لمنكری التوسل باهل المقابر
تالیف : الشیخ حمد الله جان الداجوی حفظه الله من شرور الغوی
المتخرج : جامعة مظاهر العلوم سهارنبور
الاوراق : ٣٨٤
تاريخ الطبع : جمادی الاولی ١٤٣٣ھ بمطابق ابریل ٢٠١٢ء
من منشورات : مظهری کتب خانه
بجوار دار العلوم مظهر العلوم الداجوی صوابی
مطبع : نیازی پرنترز محله جنکی بشاور
باهتمام : مولوی سید محمد حقانی

يطلب ايضاً من

(١) مکتبه رشیدیه اکوره ختك نوشهره [٠٣٤٤_٩٠٨٤٦٩٣]
(٢) مکتبه رشیدیه کوئته
(٣) حاجی عبدالقیوم مزار افغانستان
(٤) قدرت الله کابل
(٥) مکتبه فاروقیه پشاور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا الى الصراط المستقيم و جعلنا متبعين لسالكى الدين القويم.

و الصلوة و السلام على من هو وسيلتنا فى الدارين الذى دفع الله به بلاء الكفر و الشرك و الالحاد فى الدين و على آله و اصحابه الذين هم نجوم الهداية و اليقين و اولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و من تبعهم الى يوم الدين.

اما بعد: فيقول العبد المفتقر الى الله القوى **حمد الله الداجوى** مسكناً الحنفى مذهباً القادرى مشرباً المظاهرى تلمذا ابن فهامة زمانه و علامة أوانه مولانا عبد الحكيم ابن مولانا رحمة الله غفر الله لهما و رحمهما رحمةً واسعةً. لما كان بعض المتشددين ينكر التوسل بالذوات الفاضلة و سماع الموتى و غيرهما من المسائل التى يتعصب فيها و يسيئ الادب فى شأن الصلحاء و العلماء الربانيين و صنف فى ذلك كتاباً سماه بـ(البصائر للمتوسلين بالمقابر)[١]، و افرط فى شأن المتوسلين و شنع عليهم تشنيعاً بليغاً حيث سماهم مشركين، و غير ذلك من الخرافات فى شأن العلماء الصالحين فأردت الذب عنهم غيرة فى دين الله تعالى مع كثرة المشاغل من الدرس و التدريس و العوائق الدنيوية و مع اضطراب الحال و تشتت البال و ذلك بايماء بعض اصدقائى و خلص اخوانى مولانا محمد گل رحيم الاسمارى الديوبندى و فقنى الله تعالى لاتمام الرد على ذلك الكتاب و كتبه الأُخر المخالفة عن المذهب الاطهر و المشرب الاظهر بحرمة النبى المطهرة.

---

(١) مؤلف كتاب «البصائر للمتوسلين بالمقابر» ملا طاهر پنچپيرى المردانى باكستانى رئيس الوهابية فى الهند.

بيت:

أمين أمين لا ارضى بواحدة ٭ حتى اضم اليها آلف أمينا

فجمعت دلائل قاطعة و حججاً واضحة لمن يدعى التوسل الى الله تعالى ببركة الأنبياء و الأولياء المدفونين فى المقابر و يدعى سماع الاموات فى البرزخ جعلها الله وسيلة لهداية المنكرين لهما فى هذا الدوران بجاه النبى الأمين.اللهم احفظنا من اساءة الأدب بأكابر الدين بحرمة الأنبياء و الاولياء سيما سيد الأنبياء و سند الاولياء و رسول الثقلين و سميته بـ(البصائر لمنكر التوسل باهل المقابر) و رتبته على مقدمة و مقاصد اربعة وخاتمة فها انا اشرع مستعينا بالله القوى المتين .

اما المقدمة، ففيها نكات:

النكتة الاولى: فى بيان حقيقة الموت بانه فناء محض و عدم بحت ام انتقال من دار الفناء الى دار البقاء و من دار الغرور الى دار السرور.

فاعلم وفقك الله تعالى للعقائد الصحيحة. ان الموت فيه اختلاف كما قال الامام الغزالى رحمة الله عليه [١] فى كتابه المسمى بـ(احياء العلوم ج:٤، ص:٣٣٢) اعلم انّ للناس فى حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد اخطأوا فيها.

فظنَّ البعض ان الموت هو العدم و ان لا حشر و لا نشر و لا عاقبة للخير و الشر و ان موت الانسان كموت الحيوانات و جفاف النباتات و هذا رأى الملحدين و كل من لا يؤمن بالله و اليوم الآخر. و ظن قوم انه ينعدم بالموت و لا يتألم بعقاب و لا يتلذذ بثواب ما دام فى القبر الى ان يعاد فى وقت الحشر.

و قال الآخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت و انما المثاب و المعاقب هى الأرواح دون الأجساد و ان الأجساد لا تحشر اصلا.

و كل هذه ظنون فاسدة و مائلة عن الحق بل الذى تشهد له طرق الاعتبار و تنطق به الآيات و الاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط و ان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما

(١) ابو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ. [١١١١ م.]

معذبة و اما منعمة و معنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد و تسمع بالاذن و تبصر بالعين و تعلم حقيقة الاشياء بالقلب، والقلب ههنا عبارة عن الروح و الروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة و كذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن و الغم و الكمد و يتنعم بانواع الفرح و السرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء. فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقته و ما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد و لا يبعد ان تعاد الروح الى الجسد فى القبر و لا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث و الله تعالى اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده.

ثم قال [الغزالى] و حقيقة الانسان روحه و نفسه و هى باقية. نعم، تغير حاله من جهتين:

احدهما: انه سلب منه عينه و اذنه و لسانه و يده و رجله و جميع اعضائه و سلب منه اهله و ولده و اقاربه و سائر معارفه و سلب منه خيله و دوابه و غلمانه و دوره و عقاره و سائر املاكه و لا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء منه او يسلب هو من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق و الفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل و تارة بان يسبى الرجل عن الملك و المال، و الألم فى الحالتين واحد.

وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له فى الدنيا شيئ يأنس به و يستريح اليه و يعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت و يصعب شقاؤه فى مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله و جاهه و عقاره حتى الى قميص كان يلبس ذلك القميص مثلا الى ان قال فهذا احد وجهى المخالفة بين حال الموت و حال الحياة.

و الثانى: ان ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له حال الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا له حال النوم **(والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا)**

ثم قال [الغزالى] نعم، لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت مالم يعرف الحياة اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة و معرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح و لم يؤذن

لرسول الله صلى الله عليه و سلم فيه و لا ان يزيد على (**... قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**) الآية. **الاسراء: ٨٥)**

ثم قال [الغزالى] فى الأخير: و يدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح و انعدام ادراكها أيات و اخبار كثيرة قال الله تعالى (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا**) الاية. **آل عمران :١٦٩)** و لما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال (**يا فلان! يا فلان! قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا**) و قيل يا رسول الله اتناديهم و هم اموات؟ فقال صلى الله عليه وسلم (**و الذى نفسى بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يجيبون**) فهذا نص فى بقاء روح الشقى وبقاء ادراكها و الآية نص فى ارواح الشهداء و الميت لا يخلو عن سعادة و شقاوة. قال عليه الصلوة و السلام (**لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور**).

و قال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه، سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم (**ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره**) و غير ذلك من الروايات.

و قد صرح العلامة السيوطى رحمة الله عليه [١] فى صدر كتابه المسمى بـ(بشرى الكئيب) بهامش كتابه المسمى بـ(شرح الصدور فى احوال الموتى و القبور) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**تحفة المؤمن الموت**).

و عن الحسن بن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (**الموت بطانة المؤمن**).

و عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى عليه و سلم (**الموت غنيمة المؤمن**).

و اخرج احمد بن حنبل رحمة الله عليه [٢] فى مسنده عن محمود بن لبيد ان النبى صلى الله عليه و سلم قال (**يكره ابن آدم الموت و الموت خير له من الفتنة**).

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطى الشافعى المتوفى بمصر، سنة: ٩١١ هـ [١٥٠٥ م].
(٢) المتوفى ببغداد سنة ٢٤١ هـ . [٨٥٥ م].

وايضا ذكر العلامة السيوطى رحمة الله عليه فى باب فضل الموت (ص٣) قال العلماء الموت ليس بعدم محض و لا فناء صرف و انما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقة و حيلولة بينهما وتبدل حال و انتقال من دار الى دار و الظاهر ان المراد بانقطاع التعلق المتعارف لا مطلقا بالنظر الى العام لما سنذكره عن على القارى [١] ان للروح تعلقا بالبدن فى المؤمن فلا يرد ما يرد.

و اخرج ابو الشيخ فى تفسيره و ابو نعيم عن بلال بن سعد انه قال فى وعظه: يا اهل الخلود! يا اهل البقاء! انكم لم تخلقوا للفناء و انما خلقتم للخلود و الابد و انكم تنقلون من دار الى دار.

و اخرج الحاكم فى (المستدرك) و الطبرانى فى (الكبير) و ابن المبارك فى (الزهد) والبيهقى فى (شعب الايمان) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (الموت تحفة المؤمن).

و اخرج الطبرانى فى (الكبير) و الحاكم فى (المستدرك) عن عمر بن عبد العزيز [٢] انه قال انما خلقتم للابد و البقاء و لكنكم تنقلون من دار الى دار.

فهذه الروايات كلها تدل على ان الموت ليس بعدم محض و فناء بحت و الفناء عن دار الفناء و الخلود و البقاء فى دار الخلود و البقاء فلا يرد انه ذكر العلامة السيوطى رحمة الله عليه انه قيل لآدم عليه الصلوة و السلام: لد للفناء و ابن للخراب.

و ايضا قال مجاهد ان الرجل يبشر بصلاح ولده فى قبره كما ذكره الحافظ ابن قيم فى (كتاب الروح) و الكلام فى المقام له بسط الا ان فيما ذكرناه كفاية.

النكتة الثانية: ليس المراد بانقطاع تعلق الروح عن البدن انقطاعا كليا بالنظر الى كل الافراد بل فى الجملة.

و يدل على ما ذكرنا ما ذكره على القارى فى (المرقاة) بخلاف روح المؤمن فانها تسير فى ملكوت السموات و الارض و تسرح فى الجنة حيث تشاء و تأوى الى قناديل تحت

---

(١) على بن محمد المروى القارى المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٠١٦ هـ . [١٦٠٧].

(٢) المتوفى سنة ١٠١ هـ . ٧٢٠ م.

العرش و لها تعلق ايضا بجسده تعلقا كليا بحيث يقرأ و يصلى الى ان قال فلا يشكل شيء منها بالآيات (ج:٢، ص:٣٣٥)

و ايضا قال على القارى فى (شرحه للفقه الاكبر) ان تعلقات الروح بالجسد خمسة انواع و ذكر منها التعلق بالبدن حال البرزخ و سيأتى تفصيله فى المقاصد الآتية و كذا ذكر اقسام التعلق الحافظ ابن قيم فى (كتاب الروح)

النكتة الثالثة: ان الحياة البرزخية هل هى خاصة بالشهداء ام عامة.

فنقول الحياة البرزخية غير مختصة بالشهداء بل عامة فى الانبياء و الاولياء على تفاوت مراتبهم كما قال المظهرى [١] فى تفسير قوله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتاً** الاية. آل عمران :١٦٩) و الحق عندى ان هذه الحياة غير مختصة بالشهداء بل موجودة فى الانبياء و الاولياء كما دل عليه الترتيب فى قوله تعالى (... **فَاُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً** النساء: ٦٩)

النكتة الرابعة: فى تفصيل تفاوت الحياة البرزخية فنقول الحياة البرزخية القوية حياة الانبياء حتى لايجوز نكاح ازواجه المطهرات باحاد الأمة و هذا اثر الحياة القوية و كونها امهات المؤمنين وجه اخر لحرمة نكاحهن و لا تنافى بين الوجهين فان الحكم الواحد يثبت بدلائل شتى. صرح بالوجه الاول فى المظهرى. و ورد فى حديث الاسراء (**مررت بموسى فاذا هو يصلى فى قبره**) والصلاة انما تكون بالجسد كما ذكره ايضا خليل احمد فى (**عقائد علماء ديوبند**).

ثم حياة الشهداء على الترتيب حتى ورد تلاوة القرآن من القبر كما فى حديث اخرجه الترمذى و لذا يقولون بلسان القال:

بيت:

مرا زنده پندار چون خويشتن * بجان آمدم گر تو آئى بتن

---

(١) مؤلف هذا التفسير محمد ثناء الله القاضى الپانى پتى الهندى خليفة الشيخ مظهر جان جانان النقشبندى الهندى. المتوفى بپانى پوت سنة: ١٢٢٥ هـ. [١٨١٠م.]

كما ذكره على التهانوى ايضا فى كتابه المسمى بـ(بزم جمشيد) فى واقعة الشاه عبد الرحيم والد الشاه ولى الله رحمهما الله تعالى و الواقعة طويلة فانتظر لعلها تأتيك.

و قد ورد فى شأن الانبياء عليهم السلام. (**ان الله حرّم على الارض اجساد الانبياء ان تأكلها**) و ورد (**فنبىّ الله حى يرزق**) و ورد (**صلوا علىّ فان صلوتكم تبلغنى حيث كنتم**) الى غير ذلك من الروايات كما فى (المشكاة) و غيره.

النكتة الخامسة: ان الموت [١] صفة وجودية او عدمية.

قال المفسر البغدادى الآلوسى فى تفصيل قوله تعالى (**اَلَّذِىْ خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيٰوةَ** الآية :الملك :٢) والموت على ما ذهب اليه الكثير من اهل السنة صفة وجودية تضاد الحياة و استدل على وجوديته بتعلق الخلق به و هولا يتعلق بالعدم لأزلية الاعدام . و اما ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما (انه تعالى خلق الموت فى صورة كبش لايمر بشئ الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء لاتمر بشئ ولايجد رائحته شئ الا حىّ) فهو اشبه كلام بكلام الصوفية لا يعقل ظاهره و قيل هو وارد على منهاج التمثيل و التصوير. و ذهب القدرية و بعض اهل السنة الى انه عدمى و هو عدم الحياة عما من شأنه و هو المتبادر الاقرب. و اجيب عن الاستدلال بالاية الى ان الخلق بمعنى التقدير و هو يتعلق بالعدمى كما يتعلق بالوجودى و ان الموت ليس عدما مطلقا بل عدم شئ مخصوص و مثله يتعلق به الخلق و الايجاد بناء على انه اعطاء الوجود ولو للغير دون اعطاء الوجود فى نفسه و ان الخلق بمعنى الانشاء دون الايجاد و هو بهذا المعنى يجرى فى العدميات، او ان الكلام على تقدير المضاف اى خلق اسباب الموت، او ان المراد بخلق الموت و الحياة خلق زمان و مدة معينة لهما لا يعلمها الا الله تعالى فايجادهما عبارة عن ايجاد زمانهما مجازا و لا يخفى الحال فى هذه الاحتمالات.

و من الغريب ما قيل انه كنى بالموت عن الدنيا اذ هو واقع فيها و بالحياة كنى عن الآخرة من حيث لا موت فيها فكأنه قيل خلق الدنيا و الآخرة و الحق انهما بمعناهما الحقيقى و الموت على ما سمعت والحياة صفة وجودية بلا خلاف.

---

(١) و التفاوت بين كونه عدماً محضاً أو عدمياً ظاهر على ذى لب فلا يرد سؤال التكرار. منه

النكتة السادسة: فى بيان الكرامة:

اعلم ان مطلق الكرامة بمعنى الشرف على غير ذوى العقل عام لكل بنى آدم كما قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ اٰدَمَ الآية. الاسراء :٧٠) فهذه كرامة الآدمية.

و اما الكرامة المصطلحة فهو ظهور امر خارق للعادة على يد مدعى الاسلام غير مدعى النبوة المعرض عن اللذات المنهمك فى الطاعات لان الامر الخارق للعادة اما صدر من مدعى النبوة او غيره:

و الاول لا يخلو اما صدر منه قبل النبوة او بعدها، الاول ارهاص و تسمى معجزة تغليبا و تشبيها. و الثانى معجزة.

و الثاني لا يخلو اما صدر من المؤمن المعرض عن اللذات المستغرق فى الطاعات او لا، الاول الكرامة و الثانى لا يخلو اما ان يكون موافقا لدعواه او لا، و الاول استدراج و الثانى اهانة كما دعا مسيلمة الكذاب لاحد ان تصير عينه العوراء صحيحة فصارت الصحيحة عوراء و قسم آخر تسمى معونة و هو ان يدعو المؤمنون عموما لكشف الكربات فيكشف الله الكربات.

و اذا علمت هذا فاعلم ان كرامة الاولياء حق كما فى (شرح العقائد): كرامات الاولياء حق خلافا للمعتزلة و من يحذو حذوهم و فى القصيدة الامالية

بيت:

كَرَامَاتُ الوَلِيِّ بِدَارِ دُنيَا ٭ لَهَا كَونٌ فَهُمْ اَهلُ النوالِ

و فى (شرح المواقف) المقصد التاسع فى كرامات الاولياء [١] و انها جائزة عندنا خلافا لمن منع جواز الخوارق واقعة خلافاً للاستاذ ابى اسحٰق [٢] و الحليمى [٣] منا و غير ابى الحسين من المعتزلة. قال الامام فى (الاربعين) المعتزلة ينكرون كرامات الاولياء و وافقهم الاستاذ ابو اسحٰق منا و اكثر اصحابنا مثبتوها و به قال ابو الحسين البصرى من المعتزلة.

(١) نعم فرق بين الكرامة و الولاية فان الكرامة لابد لها من الولاية من غير عكس.

(٢) ركن الدين ابراهيم بن محمد الشافعى المتوفى سنة ٤١٨ هـ . [١٠٢٧ م.]

(٣) حسين بن حسن الجرجانى الشافعى الحليمى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ . [١٠١٧ م.]

اما جوازها فظاهر على اصولنا و هى ان وجود الممكنات مستند الى قدرته الشاملة بجميعها فلا يمتنع شيء منها على قدرته و لا يجب فى افعاله تعالى غرض و لا شك ان الكرامة امر ممكن،اذ لا يلزم من فرض وقوعه محال لذاته اما وقوعها فلقصة مريم حيث حبلت بلا ذكر و وجد الرزق عندها بلا سبب و تساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة و جعلت هذه الأمور معجزات لزكريا على نبينا و عليه الصلوة و السلام و ارهاصات لعيسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام مما لا يقدم عليه منصف. و قصة آصف و هى احضاره عرش بلقيس من مسافة بعيدة فى طرفة عين و لم يكن ذلك معجزة للنبى سليمان على نبينا و عليه الصلوة و السلام،اذ لم يظهر على يده مقارنا لدعوى النبوة.

و قصة اصحاب الكهف و هى ان الله تعالى ابقاهم ثلا ثمائة سنة و ازيد نياما احياء بلا أفة و لم يكونوا انبياء اجماعاً. و شيء من هذه الأمور الخارقة الواقعة فى تلك القصص لم تكن معجزة لفقد شرطها كما اشرنا اليه وهى مقارنة الدعوى و التحدى، احتج من لم يجوز الخوارق اصلا بما مر بجوابه انتهى.

قال الآلوسى البغدادى فى تفصيل قوله تعالى(...وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً* الجن:٢٨) اى فردا فردا حال من فاعل (...يَسْلُكُ...* الجن:٢٧) بتقدير قد اى بدونه جيئ به لمزيد الاعتناء بامر علمه تعالى بجميع الاشياء و تفرد سبحانه بذلك على اتم وجه بحيث لا يشاركه سبحانه فى ذلك الملائكة الذين هم وسائط العلم فكأنه قيل لكن المرتضى الرسول يعلمه الله تعالى بواسطة الملائكة بعض الغيوب عما له تعلق برسالته و الحال انه تعالى قد احاط علماً بجميع احوال اولئك الوسائط و علم جل و علا جميع الاشياء بوجه حصرى تفصيلى فاين الوسائط منه تعالى، او حال من فاعل، او جيئ به للاشارة الى ان الرصد انفسهم لم يزيدوا ولم ينقصوا فيما بلغوا كأنه قيل ليعلم الرسول ان قد ابلغ الرصد اليه رسالات ربه فى حال ان الله تعالى قد علم جميع احوالهم و علم كل شيء فلو انهم زادوا او نقصوا لعلم سبحانه فما كان يختارهم الرصدية و الحفظ. هذا ما ظهر لذهنى القاصر ولست على يقين بامره بيد ان الاستدلال بقوله سبحانه وتعالى (... فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً* الجن :٢٦) على نفى كرامة الاولياء بالاطلاع على بعض الغيوب مما

لا يتـم لان قوله تعالى (... فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا* الجن :٢٦) فى قوة قضية سالبة جزئية لـدخـول مـا يـفيد العموم فى حيز السلب و اكثر استعمالاته لسلب العموم و صرح به فى ما ههنا فى (شرح المقاصد) [١] لا لعموم السلب و هو سلب جزئى. فلا ينافى الايجاب الجزئى كـان يـظـهـر بـعـض الغيب على ولى على ما قال بعض اهل السنة فى قوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ* الآية. الانعام : ١٠٣) و لا يـرد ان الاستثناء يقتضى ان يكون المرتضى الرسول مظهر على جميع غيبه تعالى بناء على ان الاستثناء من النفى يقتضى ايجاب نقيضه للمستثنى و نفيض السالبة الجزئية الموجبة الكلية مع انه سبحانه لا يظهر احداً كائنا مـن كـان على جميع ما يعلمه عز و جل من الغيب و ذلك لانقطاع الاستثناء المصرح به ابن عباس رضى الله عنهما وكذا لا يـرد ان الله نـفـى اظـهار شئ من غيبه على احد الا على الرسول. وما ذكر فى (المفصّل) فيلزم ان لا يظهر سبحانه و تعالى من الملائكة على شئ منه لان الرسول ههنا ظاهر فى الرسول البشرى لقوله تعالى (... فَإِنَّهُ يَسْلُكُ* الآية. الجن :٢٧) ا هو ذلك ليس الا فيه. و يلزم ايضا ان لا يظهر احدا من الانبياء الذين ليسوا برسل بناء على ارادة المعنى الخاص من الرسول ههنا و ذلك لما ذكرناه اولاً.

و كـذا لايـرد انـه يـلـزم ان لا يـظـهـر المرتضى الرسول على شئ من الغيوب التى لا تـتـعلق برسالته و لا يخل الاظهار عليها بالحكمة التشريعية اذ لا حصر لبعض المظهر فيما يـتـعـلق بالرسالة وانما اشيز الى المتعلق بها لاقتضاء المقام لذلك و كون كل غيب يظهر عليه الرسول لا يكون الا متعلقا برسالته محل توقف.

و لـلـمفسرين ههنا كلام لابأس بذكره بما له و ما عليه حسب الامكان. ثم الامر بـعـد ذلـك الـيـك فنقول لما كان مذهب اكثر اهل السنة، القول بكرامة الولى بالاطلاع على الغيب و كان ظاهر قوله تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُهُ* الآية ·الجن :٢٦) دالا على نفيها و لـذا قـال الـزمخشرى [٢] ان فى هذا ابطال الكرامات اى فى الجملة لا سلباً كليا و هى ما كـان مـن الاظـهـار على الـغيب لان الذين تضاف اليهم و ان كانوا اولياء مرتضين فليسوا

---

(١) صاحـب هـذا الـكتاب مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازانى الشافعى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ . [١٣٨٩م.]

(٢) هو ابو القاسم محمود جار الله بن عمر المعتزلى الزمخشرى المتوفى سـنة ٥٣٨ هـ . [١١٤٤ م.]

برسل و قد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب و ابطال الكهانة و التنجيم لان اصحابها ابعد شيئ من الارتضاء و ادخله فى السخط انتهى. انجدوا و اتهموا و ايمنوا واشاموا فى تفسير الآية على وجه لا ينافى مذهبهم و لا يتم عليه استدلال المعتزلى على مذهبه فقال الامام ليس فى قوله تعالى (... عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ الآية. الجن :٢٦) صيغة عموم فيكفى في العمل بمقتضاه انه تعالى لايظهر هذا الغيب لاحد فلا تبقى فى الاية دلالة على انه سبحانه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد و يؤكد ذلك وقوع الاية بعد قوله تعالى (... وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ۝ الانبياء:١٠٩) و المراد به وقوع يوم القيامة.

ثم قال فان قيل اذا حملتم الاية على القيامة فكيف قال تعالى (إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ۝ الآية. الجن :٢٧) مع انه لايظهر هذا الغيب لاحد من رسله قلنا بل يظهره عند القرب من اقامة القيامة و كيف لا و قد قال تعالى (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا۝ الفرقان :٢٥) و لا شك ان الملائكة يعلمون فى ذلك الوقت.

و ايضا يحتمل ان يكون هذا الاستثناء منقطعاً كأنه قيل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص و هو قيام القيامة أحدا ثم قيل (إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا۝ الجن :٢٧) حفظة يحفظونه من شر مردة الانس و الجن انتهى. و تعقب بان فى غيبه ما يدل على العموم كما سمعت و السياق لا يأباه، اللهم الا ان يطعن فى ذلك.

و ايضاً ظاهر جوابه الاول عن القيل كون المراد بالرسول فى الاية الرسول الملكى و يأباه ما بعد من قوله تعالى (... فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ۝ الآية. الجن :٢٧) على ان علم الملائكة بوقت الساعة يوم تشقق السماء ليس من الاظهار للغيب. و ابرازه للشهادة كاظهار المطر عند نزول و ما فى الارحام عند وضعه الى غير ذلك.

و ايضا الانقطاع على الوجه الذى ذكره بعيد جدا اذ فيه قطع المناسبة بين السابق و اللاحق بالكلية اللهم الا ان يقال مثله لايضر فى المنقطع. و قيل ان الاظهار على الغيب بمعنى الاطلاع عليه على اتم وجه بحيث يحصل به اعلى مراتب العلم والمراد عموم السلب و لايضر فى ذلك دخول ما يفيد العموم فى خيز النفى لان القاعدة اكثرية لا كلية مطردة لقوله

تعالى (... واللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* الحديد :٢٣) وقوله سبحانه (... واللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ* البقرة:٢٧٦) و قد نص على ذلك العلامة التفتازانى فيكون المعنى فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول فانه سبحانه يظهره على شيءٍ من غيبه بأن يسلك بين اه . و لا يرد كرامة الولى اذ ليست من الاظهار المذكور اذ لا يحصل له اعلى مراتب العلم بالغيب الذى يخبر به و انما يحصل له ظنون صادقة و نحوها و كذا شأن غيره من ارباب الرياضات من الكفرة. و تعقب بان من الصوفية من قال كالشيخ محى الدين [١] قدس سره بنزول الملك على الولى و اخباره اياه ببعض المغيبات احيانا. و يرشد الى نزوله قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا* الآية. فصلت :٣٠) اه . و كون ما يحصل له اذ ذاك ظن او نحوه لا علم كالعلم الحاصل للرسول بواسطة الملك لا يخلو عن بحث بل قد يحصل بواسطة الالهام و النفث فى الروع نحو ما يحصل للرسول.

و ايضا يلزم ان لا يظهر الملك على الغيب اذ الرسول المستثنى رسول البشر على ما هو الظاهر و التزام انه لا يظهر بالمعنى السابق و يظهر بواسطته مما لا وجه له اصلا الى اخر ما قال فعلم ان اثبات الكرامة قول جمهور اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة و استدلالهم على نفيها غير تام كما عرفت من الاجوبة و لورود الاحاديث الصحيحة فى اثبات الكرامات و لذا يذكرون فى كتب الحديث باب الكرامات كما هو الظاهر لمن تتبع كتب الحديث و لذا ما ذكر من الحبل بلا فحل و الرزق بلا سبب و احضار عرش بلقيس فى ارتداد طرف من مسافة بعيدة دليل ظاهر على اثبات الكرامات خلافا لمن خالف. و كذا قصة اصحاب الكهف المذكورة فى القرآن و هى ان الله تعالى ابقاهم ثلاثمائة سنة و ازيد نياما احياء بلا آفة و لم يكونوا انبياء اجماعا و شيء من هذه الامور الخارقة الواقعة فى تلك القصص لم تكن معجزة لفقد شرطها كما اشرنا اليه و مقارنة الدعوى و التحدى فهذا دليل قاطع على اثبات الكرامة.

النكتة السابعة: فى الكرامة بعد الممات بمعنى ان من كان صاحب كرامة و ولاية فى الدنيا هل تبقى كرامته بعد الموت ام تنقطع بالموت.

---

(١) محمد بن على ... محى الدين ابن العربى المتوفى بدمشق سنة ٦٣٨ هـ . [١٢٤٠ م.]

فمذهب اهل الحق انه تبقى الكرامة بعد الموت كما ان النبوة لا تنقطع بالموت و كما ان ايمان المؤمن لا ينقطع بالموت و ذلك لانه عقد الامام ابو داود [١] فى سننه بابا بعنوان (باب ما يرى من النور عند قبر الشهيد) و ذكر فى ذيله حديث عائشة رضى الله عنها كنا نتحدث انه لايزال نور عند قبر النجاشي و هذا ليس الا الكرامة بعد الموت فان ظهور النور عند قبر مسلم بلا سبب ظاهر امر خارق للعادة و ما هذه الا الكرامة.

و ايضا ذكر فى (الطريقة المحمدية)[٢] كرامات الاولياء حق و ذكر فى حاشيتها المسماة بـ[٣] (الحديقة الندية) كرامة الولى لا تنقطع بالموت كما ان رسالة الرسول لا تنقطع بالموت.

و ايضا ذكر المفسر البغدادى الآلوسى فى تفسيره فى الجزء الثلاثين فى تفسير (... فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً۞ النازعات :٥) و قيل إقسام بالنفوس الفاضلة حالة مفارقة الابدان بالموت فانها تنزع من الابدان غرقا اى نزعا شديدا الى ان قال فتصير بشرفها وقوتها من (المدبرات) اى ملحقة بالملائكة او تصلح هى لان تكون مدبرة كما قال الامام انها بعد مفارقة الابدان قد تظهر لها آثار و احوال فى الدنيا فقد يرى المرأ شيخه بعد موته فيرشده لما يهمه.

و قد نقل عن حالينوس انه مرض مرضا عجز عن علاجه الحكماء فوصف له فى منامه علاجا فافاق و فعله فافاق و قد ذكره الغزالى و لذا قيل و ليس بحديث كما توهم (اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا من اصحاب القبور) اى اصحاب النفوس الفاضلة المتوفين و لا شك فى انه يحصل لزائرهم مدد روحانى ببركتهم و كثيرا ما تنحل عقد الامور بانامل التوسل الى الله تعالى بحرمتهم و تفسير (النازعات) بالنفوس مروى عن السُّدِّى، ثم قال نعم لاينبغى التوقف فى ان الله قد يكرم من شاء من اوليائه بعد الموت كما يكرمه قبل الموت بما يشاء فيبرئ سبحانه المريض و ينقذ الغريق و ينصر على العدو و ينزل الغيث و كيت و كيت كرامة و ربما يظهر عز و جل من يشبهه صورة فتفعل ما سئل الله بحرمته مما لا اثم فيه استجابة للسائل و ربما وقع السؤال على وجه محظور شرعاً فيظهر سبحانه و تعالى ذلك مكراً بالسائل و استدراجاً انتهى.

---

(١) ابو داود سليمان بن اشعث السجستانى الحنبلى المتوفى ببصرة سنة ٢٧٥ هـ . [٨٨٨م.]

(٢) مؤلف طريقة المحمدية محمد بن علي البركوي توفي سنة ٩٨١ هـ. [١٥٧٣ م.] في ازمير

(٣) مؤلف الحاشية عبد الغني النابلسي توفي سنة ١١٤٣ هـ. [١٧٣١ م.] في الشام

فقد ظهر من هذه العبارات ان للاولياء بعد الوفاة مدد روحانى و هذا ليس الا الكرامة بعد الموت. و المفسر البغدادى معتمدهم ايضا و لعلهم ما اطلعوا على هذا الموضع و الا لما اظهروا العقيدة عليه كما هو دَيْدَنُهم فانهم لا يتركون من اساءة الادب لا عالما و لا شيخاً و لا مرشدا و لا مفسرا اذا خالفوا لعقيدتهم، اللهم انا نعوذ بك من اساءة الادب فان سيئ الادب محروم من فيضان الرب على ما قال مولانا الرومى.

مصرع:

بى ادب محروم بود از فضل رب

و ايضا ذكر فى التفسير المظهرى فى تفسير قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً * الآية. آل عمران:١٦٩) ان الصوفية العلية، قالوا (ان ارواحنا اجسادنا واجسادنا ارواحنا.)

و قد تواتر عن كثير من الاولياء انهم ينصرون اولياءهم و يدمرون اعداءهم و الظاهر ان النسبة فى قول المفسر مجازية كما فى انبت الربيع البقل و شفى الطبيب المريض. واعتقاد الموحد يجعل دليلا على ذلك على ما ذكر فى كتب البلاغة.

و ايضا ذكر على القارى (شرح المشكاة ج:١، ص:٣٣٥) بخلاف روح المؤمن فانها تسير فى ملكوت السموات و الارض و تسرح فى الجنة حيث تشاء. و تاوى الى قناديل تحت العرش و لها تعلق كلى بجسدها ايضا بحيث تقرأ وتصلى الى ان قال فلا يشكل شيئ منها بالآيات.

و ايضا قال فى ذلك المجلد (ص: ٣٤٢) ولا تباعد من الاولياء حيث طويت لهم الارض وحصل لهم ابدان مكتسبة متعددة و وجدوها فى اماكن مختلفة فى آن واحد.

و ايضا ذكر فى (المشكاة) فى باب فضائل القرآن: تلاوة شهيد (سورة الملك) وسماع صحابى ضرب هناك خباءه و ذكره لرسول الله صلى الله عليه و سلم و تقريره عليه الصلوة و السلام هذا دليل بين على الكرامة بعد الموت و على تعلق الروح بحيث تقرأ.

و ايضا ذكر محمد اشرف على التهانوى الهندى[١] فى (بزم جمشيد) ان والد الشاه ولى

(١) حكيم الامة محمد اشرف علي توفي سنة ١٣٦٢ هـ. [١٩٤٣ م.] في الهند

الله الدهلوى كان يجيء الى مزار قطب الدين بختيار كاكى [١] رحمه الله فخطر فى قلبه يوماً هل يحصل له علم بزيارتى اياه فسمع من القبر شعرا معناه هكذا: احسبنى حيا مثل نفسك ان كنت جئت بجسدك فانى جئتك بالروح، ثم ذكر فى ذلك قصة طويلة لعلى اذكرها فى المقاصد الآتية ان شاء الله تعالى.

فهذه كلها دلائل كرامات الاولياء بعد الوفاة و لهذا المطلب دلائل كثيرة الا انا اكتفينا بهذا القدر فان القليل انموذج الكثير، و الغرفة تنبئ عن البحر الكبير، و العاقل تكفيه الاشارة. و الحال انه ذكر ههنا اقوال المفسرين و المحدثين الذين هم من الاحناف فان الآلوسى البغدادى [٢] و كذا صاحب المظهرى و علىّ القارى ناقد المحدثين و علىّ التهانوى من اكابر الديوبنديين كلهم من الاحناف. الحمد لله فقد ثبت من كلام الاوائل و الاواخر الكرامة بعد الممات.

النكتة الثامنة: فى انه هل يكون قول غير المقلد كالقاضى الشوكانى [٣] و ابن حزم و غيرهما حجة لنا ـ معاشر المقلدين ـ سيما الحنفيون، و هل يكون قول الظاهريين حجة لنا؟

فنقول اعلم ان المقلد يكون تمسكه بقول مجتهده لا بقول الظاهريين و لا بقول الشوكانى لما ذكر فى (المسلم). و اما المقلد فمستنده قول مجتهده لا ظنه و لا ظنه على انه لو كان قول الظاهريين حجة لنا لزم ان نقول بالجهة و الجسمية، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. الا ترى الى ما قال فى (شرح العقائد الجلالى): و اكثر المجسمة المحدثون الظاهريون المتبعون لظاهر الحديث و لابى العباس احمد ابن تيمية ميلٌ عظيم الى الجهة و الجسمية مع علوه كعبا فى العلوم. (ابو العباس تقى الدين احمد ابن تيمية) (الفوائد البهية لعبد الحى بن عبد الحليم المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ.)

وذكر فى (بذل المجهود شرح سنن ابى داود) فى تفسير قوله عليه الصلوة والسلام (لا يبولن احدكم فى الماء الدائم) قال الظاهريون فى الحديث لفظ البول لا الغائط فيجوز

---

(١) المتوفى سنة ٦٣٤ هـ.

(٢) شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسى كان مفتيا شافعيا فى بغداد. و توفى بها سنة ١٢٧٠ هـ. [١٨٥٣ م].

(٣) محمد بن على الشوكانى الزيدى الشيعى المتوفى بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ. [١٨٣٤ م.]

الغائط فهل يجوز لنا ان نتمسك باقوالهم؟ قال فى البذل و هذا جمود ظاهر. و ان قلت ان الشوكانى و امثاله متمسكون بالاحاديث قلنا اليس فى رفع اليدين احاديث و كذا فى التأمين بالجهر و هل يحتمل ان هذه الاحاديث خفيت على الامام ابى حنيفة رحمه الله تعالى؟ كلا، فان زمان الائمة زمان اشتهار الاحاديث.

و العجب من بعض مقلدى زماننا يرفعون ايديهم عند الركوع و يقولون فى السند أ ليست احاديث رفع اليدين مرفوعة؟ فانه قال العلامة الشعرانى رحمة الله تعالى عليه [١] لكل مقلد مع امامه سلسلة فاذا نقصت حلقة انقصت السلسة و لذا حكم الفقهاء بحرمة التلفيق. فيا للأسف.

النكتة التاسعة: هل يكون لزوم الكفر كفرا ام لابد من التزام الكفر؟ و هل فرق بين لزوم الكفر و التزامه؟

فنقول انه فرق بين لزوم الكفر و التزامه فان التزام الكفر كفر و اما لزوم الكفر فليس بكفر كمن سجد بغير وضوء على ظن انه متوضئ فانه ليس ملتزما لكفر فلا يكون كافرا بخلاف ما كان عالما فان السجدة بغير وضوء كفر عند البعض.

قال فى (حاشية الخيالى ص:٧٧) فى بيان مسلكْ النصارى فى الاقانيم الثلاثة حيث قالوا بالاقانيم الثلاثة كما هى مسئلة التثليث، قيل عليه اللزوم غير الالتزام و لا كفر الا بالالتزام و جوابه: ان لزوم الكفر المعلوم كفر ايضا فلذا قال فى (المواقف) من يلزمه الكفر و لا يعلم به فليس بكافر و لا شك ان لزوم الذاتية للانتقال من اجلى البديهيات.

و ذكر المفسر الآلوسى فى (ج:٤، ص:١١٣) انه سئل الشيخ ولى الدين العراقى [٢] هل العلم بكونه عليه الصلوة و السلام بشرا و من العرب شرط فى صحة الايمان او من فروض الكفاية فاجاب بانه شرط فى صحة الايمان فلو قال شخص أُومِنُ برسالته و لا ادرى أ بشر ام جنى ام ملك و لا ادرى أ من العرب أو من العجم فلا شك فى كفره لتكذيبه القرآن و جحده ما تلقته قرون الاسلام خلفاً من سلف و صار معلوما بالضرورة عند الخاص

---

(١) ابو المواهب عبد الوهاب بن احمد الشعرانى الشافعى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ. [١٥٦٥ م.]

(٢) ولى الدين احمد بن عبد الرحيم المصرى الشافعى المتوفى سنة ٨٢٦ هـ. [١٤٢٣ م.]

و العام ولا اعلم فى ذلك خلافاً فلو كان غبياً لايعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحد بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى. فانظر الى العلماء المحققين المحتاطين فى امر التكفير.

و كذا يعلم من الحديث المعروف الذى فيه **(اللهم انت عبدى و انا ربك) فهذه، كلمة كفر لاالتزام فيه. [١]**

النكتة العاشرة: فى تحقيق الايمان و الكفر.

فاعلم ان معرفة الكفر يتوقف على معرفة الايمان لان الكفر عدم الايمان عما من شأنه ان يكون مؤمناً فالتقابل بينهما تقابل العدم و الملكة ولا شك ان معرفة الإعدام تتوقف على معرفة الملكات.

فنقول: الايمان فى اللغة مأخوذ من الامن، كانه اٰمَنَ الْمُؤمِنُ الْمُؤْمَنَ به عن التكذيب و المخالفة.

و فى الاصطلاح: عبارة عن التصديق بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه و سلم و علم كونه من ضروريات الدين اجمالا فيما علم اجمالا و تفصيلا فيما علم تفصيلا و لا يشترك التفصيل على الكمال فان الائمة المجتهدين توقفوا فى بعض المسائل كما نقل عن الامام مالك[٢] رحمة الله عليه انه سئل عن اربعين مسئلة فاجاب عن الاربعة و قال فى الباقية لا ادرى وتوقف ابو حنيفة[٣] رحمة الله عليه فى بعض المسائل مثلا الكلب متى يصير معلّما و وقت الختان و هكذا فعلم ان التفصيل الكلى فى الايمان ليس بضرورى و لذا ورد فى الاثر ان من العلم ان تقول لما لا تعلم لاأعلم.

و اذا عرفت هذا فاعلم ان الكفر عبارة عن التكذيب الذى هو ضد التصديق. غاية ما فى الباب ان الكفر على نوعين: كفر حقيقى بان يكون تكذيب ما جاء به النبى صلى الله عليه و سلم و كفر بالأمارة كشد الزنار و سجدة الصنم و غير ذلك مما عده الشارع علامة التكذيب.

و الشرك اخص من الكفر. والشرك انواع: شرك فى الذات بان يعتقد احد ذاتا واجبا مثل ذات الواجب و شرك فى الصفات مثل ان يعتقد احد شركة الغير للواجب تعالى

---

(١) الحديث (...ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدى و انا ربك اخطأ من شدة الفرح) رواه مسلم.

(٢) الامام مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي توفي سنة ١٧٩ هـ. [٧٩٥ م.] في المدينة المنورة .

(٣) الامام الاعظم ابو حنيفه نعمان بن ثابت توفي سنة ١٥٠ هـ. [٧٦٧ م.] في بغداد

فى الصفات المختصة به تعالى من العلم المحيط و غيره و شرك فى العبادة بان يعبد احد غير الله تعالى عبادة بدنية او مالية او مركبة.

و ههنا قسم رابع الا ان اطلاق الشرك عليه صورة و هو الشرك فى التسمية كما قال الملا على القارى و اما التسمية بعبد النبى فظاهره شرك الا ان يؤول. و كذا الشرك فى الحكم و الامر و الملك و الاسم راجع الى ما ذكرنا. و اما الشرك فى الامر والحكم و الملك فراجع الى ما ذكرنا. و الشرك فى التسمية كالتسمية بعبد النبى و عبد الرسول ظاهره شرك الا ان يؤول بالخادم.

و اما الشرك فى الاستعانة بان يطلب احد العون من الغير فان كان يعتقد ان ذلك الغير مستقل و خالق للعون فهو شرك فى الصفات والا فهو ليس بشرك. و لذا ذكر الخازن[1] (ج:٣، ص:٢١) فى قصة يوسف على نبينا و عليه الصلوة والسلام فى قوله تعالى (وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ اَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ الآيه. يوسف :٤٢) و المعنى ان الشيطان انسى يوسف على نبينا و عليه الصلوة و السلام ذكر ربه عز و جل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله فى دفع الضرر و تلك غفلة[2] عرضت ليوسف على نبينا و عليه الصلوة و السلام فان الاستعانة بالمخلوق فى دفع الضرر جائزة الا انه لما كان مقام يوسف على نبينا و عليه الصلوة و السلام اعلى المقامات و رتبته اشرف المراتب و هى منصب الرسالة والنبوة، لاجرم صار يوسف على نبينا و عليه الصلوة و السلام مؤاخذا بعد القدر فان (حسنات الابرار سيئات المقربين) انتهى.

و قال فى (المدارك)[3] فى تفسير قوله تعالى (... اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ الآية. يوسف: ٤٢) صفنى عند الملك بصفتى و قص عليه قصتى لعله يرحمنى و يخلصنى من هذه الورطه.

و علم منه ايضا ان الاستعانة بالمخلوق فى دفع الضرر او جلب النفع جائز الا ان شأن الانبياء عليهم الصلوة و السلام اعلى و اجلى و لذا ورد انه لما القى ابراهيم على نبينا و عليه الصلوة و السلام فى النار، جاءه جبرئيل فقال له أ لك حاجة؟ فقال ابراهيم على نبينا و عليه الصلوة و السلام اما اليك فلا فقال اذكره عند ربك فقال علمه بحالى يغنينى عن سؤالى. و كذا نقل عن ابى الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى.

---

(١) مؤلف لباب التأويل المشهور بتفسير الخازن علاء الدين علي المتوفى سنة ٧٤١ هـ. [١٣٤١ م.]

(٢) الغفلة ههنا بمعنى الزلة.

(٣) مؤلف تفسير المدارك عبد الله النسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ. [١٣١٠ م.] في بغداد

بيت:

فلو خطرت لى فى سواك ارادة ٥ على خاطرى يوما حكمت بردتى

الا ان هذا طور وراء طورنا و لنعم ما قال العارف:

بيت:

عقل در اسباب ميدارد نظر * عشق ميگويد مسبب را نگر

فتلك النكات عشرة كاملة فانتقشها على صحيفة خاطرك لتكون على بصيرة فى المقاصد الآتية و تكون وسيلة لدرك المقاصد فانما المسائل بالوسائل و الدعاوى بالدلائل و شرف الانسان بالشمائل لا بالحلى و الحلل.

المقصد الاول فى اثبات سماع الموتى

ادلة سماع الموتى كثيرة و لنذكر قدرا ضروريا من ذلك.

منها حديث (قليب بدر) كما ذكره (الصحاح) انه عليه الصلوة والسلام ناداهم باسمائهم [يا ابا جهل! يا فلان! (...قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا* الآية. الاعراف:٤٤)] فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله! أ تكلم اجسادا بلا ارواح؟ فقال عليه الصلوة والسلام (والذى نفسى بيده ما انتم باسمع من هؤلاء ولكن لايجيبون) فهذا الحديث دليل واضح على ان الموتى يسمعون ولكن لايجيبون بل سماعهم اشد من سماع الاحياء ولايلزم من نفى الاجابة و الجواب نفى السماع لانه ليس بينهما عينية و لاملازمة فان الاخرس يسمع و لا يقدر على الجواب و ان قلت انه فى الابتداء،قلنا و ان كان فى الابتداء الا انه سماع الموتى و المقصود فى هذا المقام اثبات نفس سماع الاموات و لا ندعى ان للاموات سماعاً فى كل وقت. و اما انكار عائشة رضى الله عنها فانما هو لاجل تمسكها بظاهر قوله تعالى (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ * الآية. النمل : ٨٠) و (... وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ* فاطر: ٢٢) و قد اجاب العلماء ان فى الاية نفى

الإسماع و لا يلزم منه نفي السماع لا بنفسه و لا على قاعدة المطاوعة على ما سيجيئ في المقاصد الآتية.

و منها قوله عليه الصلوة و السلام (**ان الميت ليسمع خفق نعالهم**) فهذا ايضا دليل على ان الميت يسمع صوتا خفيا و هو صوت خفق النعال و ان قلت انه في اول الوضع، قلنا المقصود في هذا المقام اثبات ان لا منافاة بين الموت و السماع و لا شك انه في اول الوضع ميت و الا لما دفن و لما صلى عليه.

و منها قوله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتاً** ۞ الآية. آل عمران: ١٦٩) و (... **بَلْ اَحْيَاءٌ وَلٰكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ** ۞ البقرة: ١٥٤) قال في (التفسير المظهري ج:٢، ص:١٢١) يعني ان الله يعطي لارواحهم قوة الاجساد فيذهبون من الارض و السماء و الجنة حيث يشاؤون و ينصرون اولياءهم و يدمرون اعداءهم، ان شاء الله تعالى و من اجل ذلك الحياة لا تأكل الارض اجسادهم.

قال البغوي [١] قيل ان ارواحهم تركع و تسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة قال عليه الصلوة و السلام (**ان الشهداء اذا استشهدوا انزل الله جسدا كاحسن جسد ثم يقال لروحه ادخلي فيه فتنظر الى جسده الاول...**) . ثم قال فذهب جماعة من العلماء ان هذه الحياة مختصة بالشهداء و الحق عندي عدم اختصاصها بهم بل حياة الانبياء اقوى منهم و اشد ظهوراً اثاراً في الخارج حتى لا يجوز النكاح بازواج النبي عليه الصلوة و السلام بعد وفاته بخلاف الشهيد . و الصديقون ايضا اعلى درجة من الشهداء و الصالحون يعني ان الاولياء ملحقون بهم كما يدل عليه الترتيب في قوله تعالى (... **فَاُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** ۞ الآية. النساء: ٦٩) و لذا قالت الصوفية العلية: (ارواحنا اجسادنا و اجسادنا ارواحنا) وقد تواتر عن كثير من الاولياء انهم ينصرون اولياءهم و يدمرون اعداءهم و يهدون الى الله تعالى من يشاء الله تعالى.

و قد ذكر المجدد رحمه الله تعالى [٢] ان ارباب كمالات النبوة بالوراثة قلت و هم الصديقون و المقربون في لسان الشرع يعطى لهم من الله تعالى وجوداً موهوباً. و يدل على ان

---

(١) حسين بن مسعود الشهير بمحي السنة البغوي الشافعي المتوفى سنة ٥١٦ هـ . [١١٢٢ م.] .

(٢) يعني الامام الرباني احمد بن عبد الاحد الفاروقي السرهندي المتوفى بسرهند سنة ١٠٣٤ هـ. [١٦٢٤ م.]

اجساد الانبياء و الشهداء و بعض الصلحاء لا يأكلها الارض ما اخرجه الحاكم [١] و ابو داود عن اوس بن اوس. قال قال رسول الله صلى عليه و سلم (ان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء) و اخرج ابن ماجة عن ابى الدرداء نحوه.

و اخرج مالك عن عبد الرحمن بن صعصعة انه بلغه ان عمرو بن الجموح و عبد الله بن جبير الانصارى كان قد حفر السيل قبرهما و كان قبرهما مما يلى السيل و كانا فى قبر واحد ممن استشهد يوم أُحد فحفر ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا، كانهما ماتا بالامس و كان بين حفرهما و غزوة أُحدٍ ستٌّ و اربعون سنة.

و اخرج البيهقى ان معاوية رضى الله عنه اراد ان يجرى كظامة (نهراً)، نادى من له قتيل باحد فليشهد فخرج الناس الى قتليهم فوجدوهم رطابا ينبتون فاصابت المسحات رِجلَ رَجُلٍ منهم فانبعث دماً و لقد كانوا يحفرون التراب فحفروا نثرة من تراب فاح عليهم ريح المسك. هكذا اخرجه الواقدى [٢] عن شيوخه و اخرج ابن ابى شيبة [٣] نحوه.

و اخرج البيهقى عن جابر رضى الله عنه و فيه فاصابت المسحات قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث دماً الى غير ذلك من الروايات التى تدل على سلامة اجسادهم.

و قد صرح على القارى بان روح المؤمن لها تعلق كلى بجسده فثبت من هذا سماع الموتى بان يقال ارواح الانبياء و الشهداء و الاولياء لها تعلق باجسادهم مع سلامة اجسادهم و كل من شأنه هكذا فهو يسمع فالموتى المذكورون يسمعون و ليس مرادنا سماع الموتى على وجه الاستغراق و العموم لكل الاموات فى كل الازمان.

وايضا النصر و التدمير يدلان على ان حياتهم له تعلق بهذا العالم فان نصر الاولياء و تدمير الاعداء يكون فى الدنيا و من لوازم الحياة السماع عند عدم المانع.

و منها ما قال فى (التفسير المظهرى ج:٢ ، ص: ٤٨٩)، و الشهيد لا يبلى فى القبر و لا يأكله الارض و هذا ايضا اثر من آثار حياته.

---

(١) محمد بن عبد الله الشهير بحاكم النيسابورى و هو صاحب كتاب المستدرك المتوفى سنة ٤٠٥ ھ . [١٠١٤م.]

(٢) ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدى المتوفى ببغداد سنة ٢٠٧ ھ . [٨٢٢ م.]

(٣) ابو بكر عبد الله بن محمد الشهير بابن ابى شيبة المتوفى سنة ٢٣٥ ھ . [٨٥٠ م.]

و ايضا ذكر انهم وجدوا والد جابر و يده على جرحه فاميطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت الى مكانها فسكن الدم قال جابر فرأيت ابى كانه نائم و التمرة التى كفن فيها كما هى و الحزمة على رجليه كما هى و بين ذلك ست و اربعون سنة.

قال البغوى، قال عبيد بن عمر مرّ رسول الله صلى الله عليه و سلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير و هو مقتول فوقف عليه و دعا له ثم قرأ (**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ** الآية. الاحزاب: ٢٣) ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة الا فاتوهم و زوروهم و سلموا عليهم فو الذى نفسى بيده لايسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه**) فعلم من رد السلام انهم يسمعون كلام المسلم عليهم و هذا هو سماع الموتى. و (المظهرى) حنفى فعلم ان هذا مذهب الاحناف.

ثم قال (مسئلة): هل يبلغ غير الشهيد درجة الشهيد؟ قلت: نعم، و ما ورد فى فضل الشهداء لا يقتضى نفى الحكم عمن عداهم و ذكر بعده بسطور قال الشيخ الشهيد شيخى و امامى رضى الله عنه و رضى عنى بسره السامى، انه يرى بنظر الكشف تجليات ذاتية على الشهداء كما بذلوا ذواتهم فى سبيل الله.

و منها ما اخرجه احمد و الحاكم حديث عائشة رضى الله عنها (**والذى نفسى بيده ...**) و عن عكرمة قال: يعطى الموتى مصحفا فى القبر يقرأ.

و عن الحسن قال بلغنى ان المؤمن اذا مات و لم يحفظ القرآن امر حفظته ان يعلموه القرآن حتى يبعثه الله يوم القيامة مع اهله كذا فى (شرح الصدور فى احوال الموتى و القبور) للسيوطى (حاشية المظهرى ج: ٤، ص: ٤٨٩)

و منها ما قال السيوطى: الاحاديث و الا ثار تدل على ان الزائر متى جاء الى المزور علم به المزور و سمع كلامه و انس به و رد عليه و هذا عام فى حق الشهداء و غيرهم. و لان رسول الله صلى الله عليه و سلم شرع لامته ان يسلموا على اهل القبور سلام من يخاطبون و من يسمع و يعقل.

و منها ما ذكرّ الشيخ الدهلوى[1] رحمه الله فى ذيل حديث (قليب بدر فى كتاب الجهاد ص: ٣٧٣) اعلم ان هذا الحديث متفق عليه، صريح فى ثبوت سماع الموتى و حصول

(١) الشيخ عبد الحق الدهلوي توفي سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.] في دلهي

علمهم على ما يخاطبون به و كذا فى حديث مسلم من سمع قرع النعال و كذا ورد فى زيارته عليه الصلوة و السلام لاهل بقيع الغرقد انه عليه الصلوة و السلام سلّم عليهم و خاطبهم لان الخطاب مع من لا يفهم قبيح كما قال و من القبيح خطاب من لا يفهم و يعد من العبث.

و كذا خطاب عائشة رضى الله عنها مع اخيها عبد الرحمن كما ذكر فى زيارة القبور.

و ذكر الشيخ ابن الهمام [١] فى (شرح الهداية) ان اكثر الحنفية على ان الميت لا يسمع و صرحوا فى كتاب الايمان انه ان حلف لا اكلم فلانا فكلمه بعد ما مات لا يحنث لان الفهم ليس للميت و اجابوا عن حديث مسلم بانه مخصوص بوقت الوضع فى القبر مقدمة للسؤال و قال الشيخ هذا التخصيص خلاف الظاهر و لا دليل على هذا التخصيص و ظاهر الحديث ان هذا حاصل للميت فى القبر و يجابون عن الحديث المذكور الذى هو نص فى هذا الباب مخالفاً لمذهبهم بان هذا كان مخصوصا به عليه الصلوة و السلام و معجزته و زيادة الحسرة عليهم ولا يخفى ان الحمل على هذا مجرد احتمال و تأويل لابد له من دليل يدل على استحالة سماع الموتى و الله تعالى قادر على هذا و سببه الحواس، عادى بمجرد خلق الله كما تقرر فى كتب المذهب.

و اجابوا تارة بان هذا من قبيل ضرب المثل و حقيقة الكلام غير مراد و هذا ابعد من الجواب الاول و اضعف و مبنى الايمان على العرف. و اقوى وجوه تأويلهم ان عائشة رضى الله عنها لما سمعت هذا الحديث عن عمر رضى الله عنه قالت كيف يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم قولا مخالفاً عن الكتاب كما قال (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ) الآية. النمل: ٨٠) و (... وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) فاطر: ٢٢) كذا قال ابن الهمام.

وقال فى (المواهب اللدنية) ان عائشة رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر العلم فوهم عمر رضى الله عنه فقال مكان علم سمع. [٢]

و بالجملة ان عائشة رضى الله عنها انكرت سماع الموتى متمسكة بهاتين الآيتين و

---

(١) كمال الدين محمد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٨٦١ هـ . [١٤٥٦م.]

(٢) مؤلف المواهب اللدنية أحمد القسطلاني الشافعي توفي سنة ٩٢٣ هـ. [١٥١٧ م.]

لكن العلماء اجابوا عن قولها رضى الله عنها و لم يقبلوا استدلالها بالنص القرآنى و لابد لرد رواية الثقة من نص مثلها و فى الآية نفى الإسماع و لايلزم منه نفى السماع و هو المتنازع فيه.

او المراد بـ(من فى القبور) الكفار و المراد بعدم سماعهم عدم اجابتهم للحق بدليل ان هذه الأية نزلت فى دعوة الكفار الى الايمان و عدم اجابتهم الحق.

او المراد بـ(الموتى) موتى القلوب و المراد بـ(القبور) اجسادهم.

و ذكرنا فى (المواهب اللدنية)انه ذكر فى مغازى محمد بن اسحق [١] باسناد جيد و ذكر الامام احمد ايضا باسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها مثل حديث عمر رضى الله عنه فعلم من هذا رجوع عائشة رضى الله عنها الى كلامهم لان الرواية ثبتت عن الصحابة الكبار و عائشة رضى الله عنها ما حضرت فى تلك القضية.

و قد ذكر فى شروح (البخارى) مثل هذا و تمسك جماعة بقول قتادة [٢] فى اخر الحديث لاثبات سماع الموتى و لاتخصيص فى قول قتادة رضى الله تعالى عنه بالنبى صلى الله عليه و سلم بانه على طريق المعجزة و لا تخصيص بهذه الاموات فان الله تعالى قادر مطلق على ان يوجد فى الاموات كلها.

و ايضا قال الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه ان سلم ان السمع يكون بالسامعة و قد خربت السامعة بخراب البدن فنقول لايلزم من نفى السماع نفى العلم لان العلم بالروح و هو باق فيحصل العلم بالمبصرات و المسموعات لا على وجه الابصار و الاسماع و قد وردت اخبار كثيرة فى علم الاموات باحوال زائرهم حتى ورد ان زيارة يوم الجمعة افضل لانه يعطى العلم للميت فى هذا اليوم اكثر من سائر الايام و احوال الزائرين لهم اكشف.

و ايضا لاشك فى حصول العلم للموتى بالآخرة و البرزخ و بحقيقة دين الاسلام كما قالت عائشة رضى الله عنها و هو متفق عليه فى المراد بالحديث فيمكن العلم باحوال الدنيا و اهلها و لا دليل على زوال علمها و نسيانها مع بقاء الروح.

---

(١) المتوفى سنة ١٥١ هـ . [٧٦٧م.]

(٢) قتادة بن دعامة السدوسى المتوفى سنة ١١٨ هـ . [٧٣٥م.]

و بالجملة الكتاب و السنة مملوءان باخبار و آثار تدل على وجود علم الاموات بالدنيا و اهلها فلا ينكره الا الجاهل بالاخبار و المنكر عن الدين المختار. ثم ذكر بعد ذلك مسئلة الاستمداد باهل القبور و سنذكرها فى مقصد التوسل، ان شاء الله تعالى.

و منها ماذكر فى (شرح الصدور ص: ٨٣) اخرج ابن عساكر [١] فى تاريخه بسنده من طريق الاعمش عن المنهال بن عمرو قال انا و الله رأيت رأس الحسين رضى الله عنه حين حمل وانا بدمشق و بين يدى الرأس رجل يقرأ (سورة الكهف) حتى بلغ قوله تعالى (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۞ الكهف: ٩) قال فانطق الله الرأس بلسان ذرب اى فصيح فقال اعجب من اصحاب الكهف قتلى و حملى انتهى. فعلم من هذا ان رأس الحسين كان يسمع تلاوة (الكهف) و لذا قال كذا مع انه رأس فقط بلا جسد. قلت انه من الخوارق قلنا لا يضرنا فان فيه اثبات الكرامة بعد الممات.

و منها ما اخرجه ابو نعيم [٢] فى (الحلية) من طريق عمر بن واقد عن يونس بن جليس انه كان يمر على المقابر بدمشق ينحر يوم الجمعة فسمع قائلا يقول هذا يونس بن جليس، قد هاجر يحجون و يعتمرون كل شهر و يصلون كل يوم خمس صلوات انتم تعملون ولا تعلمون و نحن نعلم ولا نعمل. قال فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه فقال سبحان الله! اسمع كلامكم و اسلم عليكم ولا تردون على؟ قالوا قد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا و بين الحسنات و السيئات. (شرح الصدور، ص:٨٤).

و منها ما اخرجه ابونعيم عن عمرو بن دينار [٣] قال ما من ميت الا و روحه فى يد ملك ينظر الى جسده، كيف يغسل و كيف يكفن و كيف يمشى به و يقال، و هو على سريره اسمع ثناء الناس عليك. (شرح الصدور ص:٣٧).

---

(١) على بن حسن الشهير بابن عساكر المتوفى ٥٧١ ﻫ . [١١٧٦ م.]

(٢) ابونعيم احمد بن عبد الله الشافعى الاصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠ ﻫ . [١٠٣٩ م.]

(٣) ابو محمد عمرو بن دينار المكى المتوفى سنة ١٢٦ ﻫ . [٧٤٣ م.]

و منها ما اخرج ابو الشيخ من مرسل عبيد بن مرزوق. قال: كانت امرأة تقم المسجد فماتت فلم يعلم بها النبى صلى الله عليه و سلم فمر على قبرها فقال **(ما هذا القبر؟)** قالوا ام محجن قال **(التى تقم المسجد؟)** قالوا نعم فصف الناس فصلى عليها ثم قال **(اى العمل وجدت افضل؟)** قالوا يا رسول الله! أ تسمع قال **(ما انتم باسمع منها)** فذكر انها اجابته **(قم المسجد)** (شرح الصدور، ص:٣٨).

و منها ما ذكر فى (شرح الصدور، ص:٩٤). قيل: الارواح على افنية القبور قال ابن عبد البر [١] وهذا اصح ما قيل قال واحاديث السؤال وعرض المقعد و عذاب القبر و نعيمه و زيارة القبور و السلام عليها و خطابهم مخاطبة الحاضر العاقل دالة على ذلك.

قال ابن القيم: هذا القول ان اريد به الملازمة مع القبور لا تفارقها فهو خطأ يرده الكتاب و السنة و عرض المقعد لادليل على ان الروح فى القبر ولا على فنائه بل على ان لها اتصالا بجسده به، يصح ان يعرض عليه مقعده فان للروح شأنا آخر فتكون فى الرفيق الاعلى و هى متصلة بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على صاحبها يرد عليه السلام و هى فى مكانها هناك و هذا جبرئيل عليه السلام رآه النبى صلى الله عليه و سلم و له ستمائة جناح منها جناحان سد الافق فكان يدنو من النبى صلى الله عليه و سلم حتى يضع ركبتيه على ركبتيه و يديه على فخذيه و قلوب المخلصين تتسع للايمان بان من الممكن انه كان يدنو هذا الدنو وهو فى مستقر من السموات. و فى الحديث فى رؤية جبرئيل عليه السلام: **(فرفعت رأسى فاذا جبرئيل عليه السلام، صاف قدميه بين السماء والارض يقول: يا محمد! انت رسول الله و انا جبرئيل فجعلت لا اصرف بصرى الى ناحية الا رأيته كذلك)** و على هذا يحمل تنزله تعالى الى سماء الدنيا و دنوه عشية عرفة و نحوه فهو منزه عن الحركة و الانتقال و انما يأتى الغلط ههنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام التى اذا اشتغلت مكانا لم يمكن ان تكون فى غيره و هذا غلط محض.

و قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام ليلة الإسراء فى قبره ورآه فى السماء السادسة فالروح هناك كانت فى مثل البدن و لها اتصال

---

(١) جمال الدين ابو عمر يوسف بن عبد الله المالكى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . [١٠٧١ م.].

بالبدن بحيث تصلى فى قبره و ترد على من يسلم عليه وهو فى الرفيق الأعلى و لا تنافى بين الامرين فان شأن الأرواح غير شان الابدان و قد مثل ذلك بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها فى الارض و ان كان غير تام للمطابقة من حيث ان الشعاع انما هو عرض الشمس و اما الروح فهى بنفسها تنزل. و كذلك رؤية النبى صلى الله عليه وسلم الأنبياء فى ليلة الإسراء فى السموات. الصحيح:انه رأى الارواح فى مثال الاجسام مع ورود انهم احياء فى قبورهم يصلون.

و قد قال عليه الصلوة و السلام:(**من صلى عليّ عند قبرى سمعته و من صلى عليّ نائياً ابلغنه**) اخرجه البيهقى فى (الشعب) من حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه و قال (**ان الله تعالى وكل بقبرى ملكاً اعطاه اسماع الخلائق فلا يصلى عليَّ احد الى يوم القيامة الاّ بلغنى باسمه واسم ابيه**) اخرجه البزار [١] و الطبرانى [٢] من حديث عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه مع القطع بانّ روحه فى اعلى عليين مع ارواح الانبياء و هو فى الرفيق الاعلى. فثبت بهذا انه لامنافاةَ بين كون الروح فى عليين او فى الجنة او فى السماء و ان لها تعلقاً بالبدن و اتصالا بحيث تدرك و تسمع و تصلى و تقرأ و انما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوى ليس فيه مايشابه هذا وامور البرزخ و الآخرة على نمط غير هذا المألوف في الدنيا هذا كله كلام ابن القيم.

و قال فى موضع آخر: للروح بالبدن خمسة انواع من التعلق مغايرة **الاول:** فى بطن الام **الثانى:** بعد الولادة **الثالث:** حال النوم فلها به تعلق من وجه و مفارقة من وجه. **الرابع:** فى البرزخ فانها و ان كانت فارقته بالموت فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لم يبق لها اليه التفات.**الخامس:** تعلقها به يوم البعث و هو اكمَل انواع التعلقات ولا نسبة لما قبله اليه اذ لايقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً.

و قال فى موضع آخر: للروح من سرعة الحركة و الانتقال الذى كلمح البصر مايقتضى عروجها من القبر الى السماء فى ادنى لحظة و شاهد ذلك فى روح النائم فقد ثبت

---

(١) احمد بن عمرو البزار العطقى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ. [٩٠٥ م.]

(٢) سليمان بن احمد الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ. [٩٧١ م.]

ان روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق و تسجد لله بين يدى العرش ثم ترد الى جسده فى ايسر ساعة.

ثم حكى ابن القيم بعدذلك بقية الاقوال و انها بالجابية او بئر زمزم و ان ارواح الكفار ببئر بَرْهُوت . و اورد ما اخرجه ابن مندة [١] بسنده من طريق سفيان عن ابان بن ثعلب. قال: قال رجل: بت ليلة بوادى برهوت. فكانما حشرت فيه اصوات الناس وهم يقولون يا دومة! يا دومة! و حدثنا رجل من اهل الكتاب: ان دومة هو الملك الموكل بارواح الكفار.

ثم قال ابن القيم بعد ذلك بسطور ولا يحكم على شئ من هذه الاقوال بعينه بالصحة ولا غيره بالبطلان بل الصحيح ان الارواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ اعظم تفاوتاً ولا تعارض بين الادلة فان كُلاً منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم فى السعادة و الشقاوة.

فمنها ارواح فى اعلى عليين فى الملإ الاعلى وهم الانبياء وهم متفاوتون فى منازلهم كما اراهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

و منها ارواح فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت و هى ارواح بعض الشهداء لا جميعهم فان منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين او لغيره كما فى (المسند) عن محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله! مالى ان قتلت فى سبيل الله؟ قال (الجنة) فلما ولى قال (الا الدين سارّنى به جبرئيل آنفاً).

و منهم من يكون على باب الجنة كما فى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما.

و منهم من يكون محبوساً فى قبره كحديث صاحب الشملة انه تشتعل عليه نار فى قبره.

و منهم من يكون محبوساً فى قبره فى الارض لم تصل روحه الى الملإ الاعلى فانها

---

(١) ابوعبد الله محمد بن اسحاق الشهير بابن مندة المتوفى سنة ٣٩٥ هـ. [١٠٠٥ م.]

كانت روحاً سفلية ارضية فان الانفس الارضية لاتجتمع الانفس السماوية كما انها لاتجامع معهن فى الدنيا فالروح بعد مفارقتها تلحق باشكالها واصحاب عملها. فـ(المرء مع من احبّ).

و منها ارواح تكون فى تنور الزيات و ارواح فى نهر الدم إلى غير ذلك فليس للارواح سعيدها و شقيها مستقر واحد و كلها على اختلاف محالها وتباين مقامها بها اتصال باجسادها فى قبورها ليحصل له من النعيم و العذاب كما كتب له.انتهى كلام ابن القيم كذا فى (شرح الصدور، ص:٩٥-٩٦).

و لعمرى هذا تحقيق انيق و تفصيل عجيب و سيف قاطع على اعناق المنكرين فماذا بعد الحق الاالضلال و ابن قيم[١] ممن يتمسكون باقواله فلذا ذكرت اقواله .

و منها ما قال ابن القيم فى موضع آخر: الاحاديث و الآثار تدل على ان الزائر متى جاء علم به المزور و سمع كلامه و انس به و رد سلامه عليه و هذا عام فى حق الشهداء و غيرهم و انه لا توقيت فى ذلك قال و هو الاصح من اثر الضحاك الدال على التوقيت.

و منها ما ذكر على القارى:ان ما نسب الى الامام الاعظم من انكار سماع الموتى بناء على مسئلة الايمان بان حلف احد لااكلم فلاناًاو لا اضرب فلاناًفكلمه بعد موته و ضربه كذلك لايحنث ليس بصحيح لان مبنى الايمان على العرف ولا شك ان اهل العرف لايعدونه كلاماً لان الكلام فى العرف ما يكون مشافهة و علم المتكلم ان المخاطب يسمع كلامه و كذا المتكلم يسمع جواب المخاطب ولا شك ان هذا مفقود فى الميت لانه لايسمع مطلقاً.

و منها ما ذكر فى (الكبيرى) ان الميت لايزال يسمع الاذان مالم يطين ولا شك ان لفظ (لايزال) يدل على الدوام لان نفى النفى اثبات والاصل فى الثابت ثباته مالم يعلم خلافه.

---

(١) ابوعبد الله حافظ محمد بن ابي بكر الشهير بابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ. [١٣٥٠ م.] وهو من اشهر تلاميذ ابن تيمية.

و منـهـا ما ذكره العلامة محمد انور الشاه الكشميرى [۱] فى (فيض البارى شرح صحيح البخارى) اثبات السماع للموتى بتفصيل شاف كاف واف فيه اثبات قول المحق و ابطال قول المبطل (ج:۲، ص:٤٧) و (ج:۲، ص:٤٦٧) و (ج:۲، ص:٤٨٨).

و كـذا العلامة ابن حجر و المفسر البغدادى الآلوسى (ج:۲، ص:٥٧) و (المظهرى ج:۲، ص:١٥٣) فـعـلـم من هـذه النقول ان سماع الموتى مسلك الاحناف و الشوافع من المحدثين و المفسرين و الاكابر الديوبنديين و غيرهم الذين يعتقدهم المنكرون فكيف تنكر هذه الفرقة المحدثة.

و الادلـة لـسـمـاع الموتى كثيرة ما ذكرت عشرا عشيرا منها.فان القليل انموذج الكثير و الغرفـة تـنـبئ عن البحر الكبير وما لايدرك كله لايترك كله، بل يذكر بعضه و لعل المنصف يكفيه هذا و المتعصب لا يفيده الدفاتر و الاسفار و لنـم ما قال العارف.

بيت:

آنكه اورا نبود از توفيق داد * كى كند تصديق او ناله جماد

فـالـعـجـب من هؤلاء النيام الغافلين الذين احاطت غشاوة التعصب على ابصارهم بل على بـصـائـرهـم (... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ * الحج: ٤٦) اللـهـم اهـدهـم و ارفـع غشاوة التعصب عن ضمائرهم لينطبع دلائل الحق فى طبـائـعـهـم و يـرفـع هذا الفساد و الاختلاف عن الامة المحمدية المرحومة و منشأ كل ذلك الافـراط و التفريط فان الاقتصاد فى هذا الزمان فقيد كالكبريت الاحمر فان الطبائع عموما مائـلـة الى اللّدد و الـعـنـاد الا من شاء الله هدايته وسداده (... وَاللّٰهُ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * البقرة: ٢١٣)

---

(۱) المتوفى سـنـة ١٣٥٢ هـ . [١٩٣٣ م.]

المقصد الثانى

فى اثبات التوسل الى الله تعالى فى الحاجات ببركة الانبياء والاولياء و بحرمتهم و شرفهم و قربهم من الله حين الحياة و بعد الوفاة فانه قد انكر عنه مفرطو زماننا و لنذكر قدراً ضرورياً من ذلك ليصير تبصراً لمن اراد ان يتبصر و تذكراً لمن اراد ان يتذكر والله الهادى الى سواء السبيل و عليه التوكل و التعويل.

فاعلم ان اثبات المسئلة يحتاج الى تحقيق لفظ (الوسيلة و البركة) فان مدار المسئلة نفيا و اثباتاً على هذا و المقاصد مبنية على المبادىء كماان المسائل بالوسائل. ونقدم تحقيق لفظ (الوسيلة) فان التوسل مأخوذ منه.

فالوسيلة معناها الحاجة كما فى قول القائل:

بيت:

ان الرجال لهم اليك وسيلة ★ ان ياخذوك تكحلى و تخضبى

كما ذكر القاضى البغدادى بحوالة ابن الانبارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما.

و ايضاً جاء معناها القرب كما فى قول على كرم الله وجهه:

بيت:

و اذا مررت باية فى ذكرها ★ وصف الوسيلة و النعيم المعجب

فاسئل الملك بالانابة مخلصاً ★ دار الخلود سؤال من يتضرع

و بمعنى ما يتوسل به و يتقرب يقال توسلت اليه تقربت اليه.

و بمعنى الدرجة فى الجنة كما فى حديث (سلوا الله لى الوسيلة) .

و الوسيلة بمعنى ما يتقرب به مصرح فى تفسير (روح المعانى) و كذا فى (تاج اللغة)[١] فانه ذكر فيه التوسل نزديكى جستن و يعدى بالى كما يقال توسلت الى فلان و بالباء كما يقال توسلت به.

و الوسيلة بمعنى الذريعة، لها شواهد كثيرة فى كتب الفن كما فى (التلويح ص:١٣) اذا العمل هو الوسيلة الى نيل الجنات و رفع الدرجات ومثله فى تفسير (البيضاوى)

---

(١) مؤلف هذا الكتاب اسماعيل بن حماد الجوهرى النحوى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ. [١٠٠٧ م.]

و غيره من كتب فنون مختلفة كما فى (خطبة شرح المطالع).

و البركة معناها الزيادة و النماء حسية او عقلية وكثرة الخير و دوامه و نسبتها الى الله عز و جل على المعنى الاول و هو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه جل و علا عما سواه فى ذاته و صفاته و افعاله و صيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك كما فى نظائره مما لايتصور نسبته اليه تعالى كالتكبر و على الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه سبحانه على مخلوقاته من فنون الخيرات و الصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات و ازديادها شيئا فشيئا و آناً فآناً بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها. قيل ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال و انبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولااستعمال غيرها من الصيغ فى حقه تبارك و تعالى.

ثم قال بعد ذلك بسطور فلذا قيل ههنا فى معنى الآية (تعالى وتعاظم بالذات عن كل ماسواه ذاتا و صفة و فعلا الكامل الاحاطة والاستيلاء على كل موجود) وقوله تعالى (... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۞ الملك :١) تكميل لذلك لان القرينة الاولى تدل على التصرف التام فى الموجودات على مقتضى ارادته سبحانه ومشيئته من غير منازع ولامدافع و لامتصرف فيها غيره عز و جل كما يؤذن به تقديم الظرف فى قوله (تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ۞ الملك :١) و هذا قول على القدرة الكاملة الشاملة ولو اقتصر على الاولى لأوهم ان تصرفه تعالى مقصور على تغير احوال الملك كما يشاهد من تصرفات الاملاك المجازى فقرنت بالثانية ليوذن بانه عز سلطانه قادر على التصرف و على الايجاد للاعيان المتصرف فيها و على ايجاد عوارضها الذاتية و غيرها الى آخر ما قال.(روح المعانى فى ج:١، ص:٣٢٩).

و مما جاء البركة بمعنى كثرة الخير قوله (حمٓ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ۞ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ۞ الدخان: ١-٣) قال فى (المدارك) كثيرة النفع والخير فعلم منه ان البركة بهذا المعنى توصف بها الليلة. و كذا قوله تعالى (ونَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا۞ الآية. قٓ:٩) فعلم ان البركة يوصف بها الماء. و كذا قوله تعالى (... مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ۞ الآية. النور:٣٥) فعلم ان البركة توصف بها الشجرة. و كذا قوله تعالى (...

إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى* طٰه :١٢) قال السيوطى فى تفسيره: المطهر او المبارك فعلم ان البركة توصف بها الوادى.

و كذا قوله تعالى حكاية عن عيسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ* الآية. مريم :٣١) فعلم ان البركة توصف بها الذوات الفاضلة.

ولو تتبعت محاورات القرآن و الحديث وجدت البركة يوصف بها الطعام و المال و الاولاد كما فى الدعاء الماثور **(اللهم بارك فى ماله و اولاده و عمره)** و كما فى **(اللهم بارك على محمد ...)** فعليك بالاستقراء فى القرآن و كتب الحديث سيما كتاب الاطعمة. و فيما ذكرنا كفاية للبيب الحنيف. نعم، بين بركة الخالق و المخلوق فرق فان بركة الخالق ذاتى و بركة المخلوق مستعار و كم من فرق بين ما بالذات وما بالعرض و هكذا كل الصفات فان الاشتراك فى الصفات فيما بين الواجب و الممكن اسمى لا حقيقى كما هو مشروح فى كتب الكلام فى بحث الصفات ولذا فسر فى (المدارك) **(تبارك) اى تعاظم عن صفات المخلوقين.**

فالحاصل ان البركة لها معان جمة يراد فى كل مقام ما يناسبه ولذا قال الشيخ فى (اشعة اللمعات) فى معنى قوله عليه الصلوة و السلام **(انكم ترزقون بضعفائكم و فقرائكم)** به بركت فقراء.

و كذا قوله تعالى **(... وبَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا* الاية. فصلت:١٠) قال** صاحب (المدارك) بالماء والزرع والشجر والثمر والضمير فيها راجع الى الارض و قيل بارك فيها و اكثر خيرها. و قال (الخازن ص:٨٦) اى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها و هو ما خلق فيها من البحار و الانهار و الاشجار و الثمار و خلق اصناف الحيوانات و كل ما تحتاج اليه.

و اذا انتقش هذا على صحيفة خاطرك، فاعلم ان التوسل على انواع:

منها التوسل بالاعمال الصالحة و لا ريب فى جوازه لاحد كما فى **قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* المائدة: ٣٥) قال المفسرون فى تفصيله** اى بالاعمال الصالحة.

و كما فى حديث (الغار) المذكور فى (البخارى) فانه ذكر فيه التوسل من كل من الثلاثة بعمله الصالح و هذا مما لا ريب فيه لاحد.

و منها التوسل بالذوات و هو على نوعين قبل الوفاة و بعد الوفاة اما قبل الوفاة فهو ايضاً جائز كما فى واقعة عمر رضى الله تعال عنه عن انس رضى الله تعال عنه ان عمر بن الخطاب رضى الله تعال عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس رضى الله تعال عنه بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا و انا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فسقوا. رواه البخارى (المشكاة ص: ١٢٤) و هذا صريح فى جواز التوسل بالذوات.

تنبيه

استدل المنكرون عن جواز التوسل بالذوات الفاضلة بعد الوفاة بانه لو كان التوسل بعد الوفاة جائزاً لتوسل عمر رضى الله تعالى عنه بالنبى عليه السلام مع انه توسل بعباس رضى الله تعالى عنه و تقريبه بالنظم القياسى هكذا التوسل بعد الوفاة غير جائز لانه لو كان جائزاً لما توسل عمر رضى الله تعالى عنه بالاحياء و التالى باطل فالمقدم مثله.

اقول بتوفيق الله تعالى و توفيقه: هذا استدلال عجيب لانا لانسلم الملازمة بين المقدم و التالى فانه لايلزم من جواز التوسل بعد الوفاة توسل عمر رضى الله تعالى عنه حتى يلزم من بطلان التالى بطلان المقدم فان التوسل كما هو جائز بالاحياء كذلك جائز بالاموات و عمر رضى الله تعالى عنه فعل احد الجائزين و هذا كما يستدل احد بان التوسل بالاعمال الصالحة ليس بجائز و الاّ لما توسل عمر رضى الله عنه بالذات وهذه سفسطة ظاهرة على انه لايدل على عدم بصيرته فى العلوم الآلية فان تخصيص الشئ بالذكر لايدل على نفى ما عداه كما تقرر فى الاصول فى بحث الوجوه الفاسدة ان تخصيص الشئ بالذكر فى النصوص لايدل على نفى ما عداه كما فى قوله عليه الصّلوة و السّلام (الماء من الماء) و لذا نقول الغسل بالاكسال واجب. لان الحديث يعلم منه ان الانزال موجب للغسل و اما ان الاكسال مؤجب ام لا فمسكوت عنه و لم يتعرض له لانفيا ولا اثباتا بل ينظر الى الدليل الآخر. و الحكم لايثبت فى المسكوت لان الحكم الشرعى لابدله من دليل شرعى

— الاكسال - عزل النطفه

ولا دخل للرأى فى اثبات الاحكام (التلويح[1] ص: ٣٤). فكذاههنا التوسل بالاحياء ثبت من فعل عمر رضى الله تعالى عنه. اما التوسل بالاموات فمسكوت فى الدليل المذكور و الحكم لايثبت من الدليل المذكور فى المسكوت عنه فكيف يثبت فيه عدم جواز التوسل بالاموات ولو كان هذا الاستدلال صحيحا كما هو مزعوم المنكرين المعاندين فيستدل المعاند مثلهم بان يقول التوسل بغير العباس رضى الله تعالى عنه لايجوز والا لتوسل عمر رضى الله تعالى عنه بغيره من الصحابة مع كثرة الصحابة و افضلية عمر رضى الله تعالى عنه و هذا مما لاريب فى بطلانه لعاقل فضلا عن فاضل و لله درالاحناف فى الدقة والاحتياط و المعاندون غافلون وفى اودية الحيرة يهيمون (اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون.)

و ايضاً توسل عمر رضى الله تعالى عنه كان فى الحقيقة بالنبى صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله (اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا و انا نتوسل اليك بعم بنينا صلى الله عليه وسلم) فهذه الاضافة دليل على ان المنظور فيه قرابة النبى صلى الله عليه وسلم. و ايضاً يدل عليه دعاء عباس رضى الله تعالى عنه بعد دعاء عمر رضى الله تعالى عنه (اللهم ان القوم توسلوا بى اليك لمكانى من نبيك) كما ذكره حجة الاسلام و الشيخ فى شرحه فانظر الى هذا الاستدلال الركيك.

و من الدلائل بجواز التوسل بالاحياء ما رواه ابو داود ذكر فى (المشكاة[2] فى باب فضل الصدقة) عن ابى جرى جابر بن سليم. قال: اتيت المدينة فرأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا الا صدروا عنه. قلت: من هذا؟ قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم. قال: قلت: عليك السلام يا رسول الله! مرتين قال: **(لا تقل عليك السلام. عليك السلام تحية الميت. قل السلام عليك)** قلت: انت رسول الله؟ قال **(انا رسول الله الذى ان اصابك ضر فدعوته كشفه عنك وان اصابك عام سنة فدعوته انبتها لك او اذا كنت بارض قفرٍ او فلاةٍ فَضَلّتْ راحلتُكَ فدعوته ردها عليك.)** (المشكاة ص: ١٦١).

فعلم منه ان النبى صلى الله عليه وسلم وسيلة الى الله تعالى فى قضاء الحاجات من دفع الضر و انبات النبات و انزال المطر ورد الضالّة.

و اما التوسل بعد الوفاة فهو على نوعين:

---

(١) مؤلف التلويح سعد الدين مسعود الشافعي توفي سنة ٧٩٢ هـ. [١٣٨٩ م.] في سمرقند

(٢) مؤلف المشكاة محمد ولي الدين الشافعي توفي سنة ٧٤٩ هـ. [١٣٤٧ م.]

التوسل الى الله بالانبياء وهو جائز ايضاً خلافاً للمنكرين المعاندين و دليلنا قوله تعالى (... وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ* البقرة :٨٩) قال المحمود الآلوسى فى تفسيره: نزلت فى بنى قريظة كانوا يستفتحون على الأوس و الخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنه و قتادة و المعنى: يطلبون من الله تعالى ان ينصرهم به على المشركين كما روى السدى:انه كان اذا اشتد الحرب بينهم و بين المشركين اخرجوا التوراة و وضعوا ايديهم موضع ذكر النبى صلى الله عليه وسلم و قالوا انا نسئلك بحق نبيك الذى وعدتنا ان تبعث فى آخر الزمان ان تنصرنا على عدونا اليوم فينصرون. فالسين للطلب و الفتح متضمن معنى النصر بواسطة على (روح المعانى ج:١، ص: ٣٢٠) و هكذا ذكر فى غيره من التفاسير الا انه اقتصر على تفسير (القاضى) (الآلوسى) لان المنكرين يظهرون الاعتقاد فى حقه.

فعلم انهم يتوسلون به عليه الصّلوة و السّلام قبل مبعثه بل قبل ولادته و كان هذا توسلا بروحانيته و هذا المعنى لايختلف بعد الوفاة فان الروحانية لا تزول بل تزيد و ان قال المنكر هذا تمسك بفعل اليهود و قولهم. قلت:كلا.فانه تمسك بتقرير الشرع فانه تعالى ذكر استفتاحهم و لم ينكر عليه بل انكر على كفرهم و قال (... فَلَمَّا جَآءَهُمْ* الآية. البقرة : ٨٩). و قد ثبت فى الاصول ان شرائع من قبلنا اذا قص الله و رسوله و لم ينكر عليه كان دليلا على جوازه و تقريره، كما فى كتاب سليمان على نبينا و عليه الصلاة و السّلام (... اِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ و اِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ* النمل: ٣٠) و ايضاً قال تعالى (وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ اَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ و الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ* الاية. المائدة: ٤٥) و ايضاً حكم الاسرائيليات فى كتب الحديث مشهور ان وافق شرائعنا نصدقها و ان خالفها نكذبها و ان لم نعلم لا نصدق و لا نكذب.

و منها ما روى ابو الجوزاء قحط اهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا الى عائشة رضى الله تعالى عنها. فقالت انظروا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاجعلوا فيه كوى إلى السّماء حتى لايكون بينه و بين السماء سقفٌ ففعلوا فمطروا مطرا حتىٰ نبت العشب و سمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق رواه الدارمى. (المشكاة ص: ٥٣٧).

قال صاحب (المرقاة) و قد قيل فى سبب كشف قبر النبى صلى الله عليه و سلم ان السماء لما رأت قبره بكت و سال الوادى من بكائها. قال تعالى(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ و الارْضُ* الآية. الدخان :٢٩) حكاية عن حال الكفار فيكون امرها على خلاف ذلك بالنسبة الى الابرار.

و قيل انه عليه الصلوة و السّلام كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء كما ورد.

مصرع:

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فامرت عائشة رضى الله عنها بكشف قبره مبالغة فى الاستشفاع فلا يبقى بينه و بين السماء حجاب.

و قال الشيخ و هذا فى الحقيقة استشفاع بالذات الشريف و كشف القبر مبالغة فى ذلك فعلم من هذا الحديث و تقرير العلماء الاعلام جواز التوسل به عليه الصّلاة و السّلام بعد الوفاة فضلا عن ان يكون شركاً.

و منها ما ذكر فى (الحصن الحصين[1] فى آداب الدعاء) و ان يتوسل الى الله تعالى بانبيائه والصالحين من عباده وقال فى (حاشية الحرز الثمين) قال المؤلف هو من المندوبات و ذكر حديث عمر رضى الله تعالى عنه فى الاستسقاء و ذكر حديث عثمان بن حنيف فى شأن الاعمى و قال صحيح على شرط الشيخين و الترمذى قال حسن غريب ولحديث ابى امامة الذى ذكرنا فى(المصباح) رواه الطبرانى فى (المعجم الكبير) و (كتاب الدعاء) انتهى.

و قال فى ذيل قوله (الصالحين) اى عموما او خصوصاً وهم ما عدا الانبياء من الصديقين و الشهداء و العلماء و الاولياء اذ الصالح من يقوم بحق الله بكماله ثم بحق عباده و قد سبق التوسل بالاعمال الصالحة (ص:٣)، مع الحاشية و علم منه التوسل بغير الانبياء ايضاً.

و منها ما ذكر فى (الحصن الحصين ص:١٥١): ثم يدعو (اللهم انى اسئلك و

---

(١) مؤلف الحصن الحصين ابن الجزري محمد الشافعي توفي سنة ٨٣٣ هـ. [١٤٢٩ م.] في شيراز

اتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة. يا محمد! انى اتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى. اللهُمَّ فشفعه فىَّ.)

قال فى (الحاشية قوله يا محمد!) التفات اليه و تضرع لديه لتتوجه روحه الى الله تعالى و يغنى السائل عما سواه و عن التوسل الى غير مولاه.

و قال فى (الحاشية) بعد هذا القول بسطور: و اما التوسل بالنبى عليه الصلوة و السلام بعد خلقه فى مدة حياته فمن الاستغاثة به عند القحط و عدم الامطار و كذلك الاستغاثة به من الجوع و نحو ذلك و من ذلك استغاثة ذوى العاهات به و حسبك ما رواه النسائى و الترمذى عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريراً اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافينى. قال فامره ان يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء (اللهم! انى اسئلك و اتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد ! انى اتوجه بك إلى ربى فى قضاء حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فِيَّ) و صححه البيهقى و زاد فقام و قد ابصر.

و اما التوسل به بعد موته فى البرزخ فهو اكثر من ان يحصى و فى كتاب (مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام) للشيخ[1] محمد ابى عبد الله بن موسى بن النعمان طرف من ذلك و لقد حصل لى داء اعيى الاطباء واقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن و العشرين من جمادى الاولى سنة ٦٧٣ ثلث و سبعين و ستمائة بمكة زادها الله شرفا و مَنَّ علىَّ بالعود اليها فى عافية بلا محنة فبينا انا نائم اذا رجل و معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء احمد بن على القسطلانى المالكى المتوفى سنة ست و ثلاثين و ستمائة من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف النبوى ثم استيقظت فلم اجد بى شيئاً مما كنت اجده و حصل لى الشفاء ببركة النبى المصطفى (المواهب اللدنيه فى الفصل الثانى فى زيارة القبر الشريف) و فى شرحه للزرقانى (ج:٨، ص:٣١٨).

و بركته عليه الصلوة و السلام ما نقصت بعد الوصال بل زادت.

و منها ما ذكر فى (الحصن الحصين ص: ٣٢) فى بيان مواضع الاجابة. قال الحسن البصرى [٢] فى رسالته الى اهل مكة ان الدعاء يستجاب هناك فى خمسة عشر موضعاً فى

---

(١) المتوفى سنة ٦٨٣ هـ. [١٢٨٤ م.]

(٢) حسن بن ابى الحسن اليسار البصرى المتوفى ببصرة سنة ١١٠ هـ . [٧٢٨ م.]

الطواف و عند الملتزم و تحت الميزاب و فى البيت و عند زمزم و على الصفا و المروة و فى المسعى وخلف المقام وفى عرفات وفى المزدلفة وفى منى وعند الجمرات الثلاث. قلت: و ان لم يجب الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم اى عند قبره ففى اى موضع يستجاب فعلم من هذا ان الدعاء عند قبره عليه الصّلوة و السلام يستجاب و ما هو الا لبركة النبى صلى الله عليه وسلم.

ومنها ما ذكر فى (الخازن) عن ابى عمران واسمه اسلم. قال: كنا بمدينة الروم فاخرجوا لنا صفاً عظيماً من الرُّوم فخرج اليهم رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس: سبحان الله! يلقى بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى[١] فقال ايها الناس! انكم لتؤولون هذه الاية هذا التأو يل و انما نزلت هذه الآية فينا ـ معاشر الانصار ـ لما اعز الله الاسلام و كثُر ناصروره فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت و ان الله قد اعز الاسلام و كثر ناصروه فلو اقمنا فى اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه عليه الصلوة و السلام يرد علينا ما قلنا (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ‌ﵞ الآية. البقرة :١٩٥) فكانت التهلكة الاقامة على الاموال و اصلاحها و تركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بارض الروم. و قال الترمذى حديث غريب صحيح. مات ابو ايوب رضى الله تعالى عنه فى آخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية و دفن فى اصل سورها فهم يتبركون بقبره و يستسقون به (الخازن ج: ١، ص: ١٢١) فهذا ايضاً دليل على التبرك بالاولياء و التوسل بهم الى الله تعالى بعد الوفاة فهو امر مندوب فضلا عن ان يكون شركا.

و منها ما ذكره العلامة السيوطى فى تفسيره فى دليل قوله تعالى (...تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ‌ﵞ يوسف :١٠١) من ابائى فعاش بعد ذلك اسبوعاً او اكثر و له مائة وعشرون سنة و تشاح المصريون فى قبره فجعلوه فى صندوق مرمر و دفنوه فى اعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لاانقضاء لملكه (الجلالين ص:١٩٩).

قال الخطيب[٢] اى تنازع المصريون و تخاصم اهل مصر فى قبره اى فى المحل الذى يدفن فيه فطلب اهل كل محلة ان يدفن فى محلتهم رجاء لبركته حتى هموا بالقتال فرأوا ان

---

(١) خالد بن زيد ابو ايوب الانصاري توفي سنة ٥٠ هـ. [٦٧٠ م.] في استنبول

(٢) الخطيب البغدادي أحمد الشافعي توفي سنة ٤٦٣ هـ. [١٠٧١ م.]

يجعلوه فى صندوق من مرمر و يدفنوه فى النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجرى عليه الماء و تصل بركته الى جميعهم. قال عكرمة: دفن فى الجانب الايمن من النيل حيث يتفرق الماء بمصر فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر فنقل إلى الجانب الايسر فاخصب ذلك الجانب و اجدب الاخر فدفنوه فى وسطه و قدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان الى ان اخرجه موسى على نبينا و عليه الصلوة و السّلام و دفنه بقرب آبائه بالشام.

فعلم من هذين القولين التوسل بيوسف على نبينا و عليه الصّلوة و السلام بعد **الوفاة** و مثل ما ذكر فى (الخازن ايضاً. ج:٣، ص:٤٥) وكذا فى (المدارك ص:٤٤).

و منها ما ذكر فى (**المشكاة ص:٣٦٦**) عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنها انها اخرجت جبة طيالسية كسروانية لها لبنة ديباج و فرجيها مكفوفين بالديباج و كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها رواه (**مسلم**) فهذا صريح فى التوسل بجبة النبى صلى الله عليه وسلم فى الاستشفاء للمرضى و ما ذلك الا لا تصالها ببدنه الشريف.

و منها ما ذكر فى (**المشكاة**) و عن عثمان بن عبد الله بن موهب: قال ارسلنى اهلى الى ام سلمة بقدح من ماء و كان اذا اصاب الانسان عين او شئ بعث اليها مخضبة فاخرجت من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم و كانت تمسكه فى جلجل من فضة فخضخضته له فشرب منه قال فاطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمراء رواه (**البخارى**) (**المشكاة ص:٣٨٣**) فعلم منه الاستشفاء بشعره عليه الصلوة و السلام و ما ذلك الا التوسل بشعره صلى الله عليه وسلم.

و الحاصل انه علم من كلام الامامين الهمامين البخارى و مسلم التوسل و الاستشفاء بثيابه و شعره عليه الصلوة و السلام و ما ذلك الا للا تصال ببدنه الشريف فما باله عليه الصلوة و السلام بنفسه لكن المعاندين صاروا صماً و عمياً.

و منها ما ذكر فى (بذل المجهود شرح سنن ابى داود) فى ذيل السند الاول حدثنا مسدد بن مسرهد اه. ان هذه رقية العقرب مع البسملة و ما هذا الا التوسل باسامى الصالحين.

و علم من هذا جواز ابقاء آثاره عليه الصّلوة و السلام من الثياب و الشعر و الظفر مثلا و يدل على اهمية التبركات ما ورد فى المتفق عليه عن انس رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى منى فاتى الجمرة فرماها، ثم اتى الى منزله بمنى و نحر نسكه ثم دعا بالحلاق و ناول الحالق شقه الايمن فحلقه ثم دعا ابا طلحة الانصارى فاعطاه اياها ثم ناول الشق الايسر فقال احلق فحلق فاعطاه ابا طلحة فقال اقسمه بين الناس. قال الشيخ الدهلوى و كذا قلم الأظفار و قسمها على الحاضرين و بقيت هذه التبركات الى يومنا. (ج:٢، ص:٢٨١)

فعلم من امره عليه الصلوة و السلام بتقسيمها اهتمام التبركات و النجديون يعدونها شركاً. اعاذنا الله من اساءة الادب.

و منها ما روى عن مصعب بن سعد قال رأى سعد ان له فضلا على من دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(هل تنصرون و ترزقون الآ بضعفائكم) قال الشيخ** ببركة الفقراء (ج:٤، ص:٢١٥).

و منها ما ذكر فى (الطريقة المحمدية) فيا غياث المستغيثين و يا مجيب المضطرين و يا ارحم الراحمين و يا غافر المذنبين بحرمة حبيبك المصطفى و نبيك المجتبى. (ص:٧٢-٢٤).

و منها ما ذكر الآلوسى البغدادى فى تفسيره فى ذيل قوله تعالى **(فَالْمُدَبِّرَاتِ اَمْراً# النازعات :٥)** و قيل إقسام بالنفوس الفاضلة حالة مفارقة الابدان بالموت فانها تنزع من الابدان غرقا اى نزعاً شديداً من اغرق النازع فى النفوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهى الى النصل لعسر مفارقتها اياها حيث الفته و كانت مطمئنة لها لاكتساب الخير و مظنة لازدياده فتنشط شوقاً الى عالم الملكوت و تسبح به فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها. **و قوتها من (المدبرات) اى ملحقة بالملائكة او تصلح هى لان تكون مدبرة كما قال الامام انها بعد المفارقة، قد تظهر لها آثار و احوال فى الدنيا فقد يرى المرء شيخه فيرشده لمايهمه.**

و قد نقل عن جالينوس انه مرض مرضاً شديدا عجز عن علاجه الحكماء فوصف له فى منامه علاجاً فافاق و فعله فافاق. و قد ذكره الغزالى و لذا قيل و ليس بحديث كما توهم (اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا من اصحاب القبور) اى اصحاب النفوس الفاضلة

المتوفين ولاشك انه يحصل لزائرهم مدد روحانى ببركتهم وكثيرا ما تنحل عقد الامور باناملِ التوسل الى الله تعالى بحرمتهم. و تفسير (النازعات) بالنفوس مروى عن السدّى.

ثم قال و كذا فى حملها على النفوس الفاضلة ايهام صحة ما يزعمه سخفة العقول من ان الاولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض و انقاذ الغريق و النصر على الاعداء و غير ذلك مما يكون فى عالم الكون و الفساد على معنى انه تعالى فوض اليهم ذلك و منهم من خصّ ذلك بخمسة من الاولياء و الكل جهل و ان كان الثانى اشد جهلا.نعم، لاينبغى التوقف فى ان الله تعالى قد يكرم من يشاء من اوليائه بعد الموت كما يكرمه بما شاء قبله فيبرئ سبحانه المريض و ينقذ الغريق و ينصر على العدو و ينزل الغيث و كيت و كيت كرامة. و ربما يظهر عز و جل من يشبهه صورة فتفعل ما سأل الله بحرمته مما لااثم فيه و ربما وقع السؤال على وجهٍ محظور شرعاً فيظهر سبحانه ذلك مكرا بالسائل و استدراجاً به. (ج:٣، ص:٢٤-٢٥).

و منها ما ذكر الآلوسى البغدادى فى تفسيره ذيل قوله تعالى (يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَابْتَغُوآ اِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهٖ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* المائدة :٣٥) حيث قال الوسيلة ما يتوسل به الى الله تعالى و يتقرب من فعل الطاعات و ترك المعاصى.من وصل الى كذا تقرب اليه بشئ .

و اخرج ابن الانبارى[١] عن ابن عباس رضى الله عنه ان الوسيلة ، الحاجة:

بيت:

ان الرجال لهم اليك وسيلة * ان ياخذوك تكحلى و تخضبى

و المعنى اطلبوا متوجهين حاجاتكم فان بيده مقاليد السمٰوات و الارض. و فسر بعضهم الوسيلة بدرجةَ فى الجنة و هذا لايناسب المقام.

قال الآلوسى و استدل بعض الناس على هذه الآية باستغاثة الصالحين و جعلهم وسيلة و منهم من يقول لغائب او ميت: يا فلان! ادع الله تعالى ليرزقنى كذا و كذا و يرو ون (اذا اعيتكم الأمور فاستعينوا باهل القبور) او (فعليكم باهل القبور) و كل ذلك بعيد عن الحق. [٢]

---

(١) ابو البركات ابن الانباري عبد الرحمن الشافعي توفي سنة ٥٥٧ هـ. [١١٨١ م.] في بغداد

(٢) هذا الكلام يشير الى ضلالة الآلوسى.

و تحقيق الكلام ان الاستغاثة بمخلوف و جعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه.لاشك فى جوازه ان كان المطلوب منه حياً. وقد يكون الطالب افضل كما قال عليه الصّلوة و السّلام لعمر رضى الله تعالى عنه حين استاذنه للعمرة **(يا اخى لا تنسنا من دعائك)** و كما فى اويس القرنى [١] و اما اذا كان ميتا فلا يستريب عاقل انه غير جائز بل من البدع التى لم يفعلها احد من السلف من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من ضجيعيه.نعم، السّلام و الدُّعاء مشروعان.فاذا كان هذا هو المشروع فى زيارة سيد الخليقة و علة الايجاد. فماذا تبلغ زيارة غيره.

و اما القَسَم على الله بالغير من خلقه مثل **(اللّهُمَّ! انى اقسم عليك او اسألك بفلان الا ما قضيت لى حاجتى)** فعن ابن عبد السّلام جواز ذلك فى النبى عليه الصلوة و السلام دون غيره لان الغير ليس له درجة. و نقله المناوى [٢] فى شرحه الكبير للجامع الصغير و دليله ما رواه الترمذى من رواية عثمان بن حنيف و فيه **(اللّهُمَّ انى اسئلك و اتوجه اليك بنبيّك نبى الرحمة. يا رسول الله! انى اتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى اللّهم فشفعه فىّ.)** و نقل عن احمد مثل ذلك.

قال الآلوسى و من الناس من منع التوسل بالذوات مطلقاً و هو الذى يرشح به كلام ابن تيمية و نقله عن الامام ابى حنيفة رحمه الله تعالى و ابى يوسف رحمه الله تعالى و غيرهما من العلماء الاعلام و اجاب بان فيه حذف المضاف ففيه جعل الدعاء وسيلة و هو جائز مندوب. و قد شنَّع تاج الدين السبكى [٣] كما هو عادته على المجد فقال و يحسن التوسل و الاستغاثة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه و لم ينكر احد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك و ابتدع مالم يقله عالم و صار بين الانام مثلة.و رد قول السبكى المفسر بانه ليس فى الادعية التوسّل بالذوات ولو فرض وجوده فبتقدير المضاف.

---

(١) اويس بن عامر القرنى المتوفى سنة ٣٧ هـ.

(٢) عبد الرؤف بن تاج العارفين المناوى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ. [١٦٢١ م.]

(٣) عبد الوهاب بن على تاج الدين السبكى المتوفى بدمشق سنة ٧٧١ هـ. [١٣٧٠ م.]

و ايضاً كان عمر رضى الله تعالى عنه يتوسل بالعباس ولو كان التوسل به بعد الوفاة جائزاً لما توسل بعباس رضى الله تعالى عنه و ما ذكر من قياس غيره من الارواح المقدسة عليه مع التفاوت فى الكرامة مما لايكاد يسلم. و ما ذكر فى (البخارى) من ان فيه دلالة على الاقسام على النبى صلى الله عليه وسلم حيا و كذا بغيره اما الاول فكتوسل الصحابة (اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا) و اما الثانى فكتوسل عمر رضى الله تعالى عنه بقوله (انا نتوسل اليك بعم نبينا) ففيه ان هذا التوسل ليس من باب الإقسام بل من باب التوسل و الاستشفاع و هو ان يطلب من الشخص الدعاء و الشفاعة و يطلب من الله تعالى ان يقبل دعاءه و شفاعته و يؤيد ذلك ان العباس رضى الله تعالى عنه كان يدعوهم و هم يؤمنون لدعائه حتى سقوا.

و قد ذكر المجد أنّ لفظ التوسل بالشخص و التوجه اليه و به و فيه اجمال و اشتراك بحسب الاصطلاح. فمعناه فى لغة الصحابة ان يطلب منه الدعاء و الشفاعة فيكون التوجه و التوسل فى الحقيقة بدعائه و شفاعته ولا محذور فيه و اما فى لغة كثير من الناس، فمعناه ان يسأل الله بذلك و يقسم به عليه و هذا هو محل النزاع.

قال الآلوسى و ما يذكره بعض العامة اذا كانت لكم الى الله حاجة فاسئلوا الله بجاهى فان جاهى عند الله عظيم لم يروه احد من اهل العلم و لا هو شئ فى كتب اهل الحديث.

قال الآلوسى و ما رواه القشيرى[١] عن معروف الكرخى قدس سره انه قال تلامذته: ان كانت لكم حاجة فاقسموا عليه فانى الواسطة بينكم و بين الله جل جلاله الان لايوجد له سند يعول عليه عند المحدثين [٢]

قال الآلوسى واما ما رواه ابن ماجة[٣] فى دعاء الخارج الى الصلوة **(اللهم انى اسئلك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة و لكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك. ان تنقذنى من النار وان تدخلنى الجنة)** ففى سنده (العوفى) و فيه ضعف و على تقدير ان يكون من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

(١) عبد الكريم القشيري الشافعي توفي سنة ٤٦٥ هـ [١٠٧٢ م.] في نيشابور

(٢) ذلك بحكم الوراثة.

(٣) ابن ماجه محمد توفي في سنة ٢٧٣ هـ. [٨٨٦ م.]

ان حق السائلين ان يجيبهم و حق الماشين فى طاعته ان يثيبهم و الحق بمعنى الوعد الثابت المتحقق الوقوع فضلا لاوجوباً كما فى قوله تعالى (...**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** * **الروم :٤٧**) و فى الصحيح من حديث معاذ (**حق الله على العباد ان يعبدوه و لايشركوا به شيئا وحقهم عليه ان فعلوا ذلك ان لا يعذبه**) فالسؤال حينئذ بالاجابة و الاثابة وهما من صفات الله تعالى الفعلية و السؤال بهما مالا نزاع فيه لاحد فيكون هذا السؤال كالاستعاذة فى قوله (**اللهم انى اعوذ برضائك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك و اعوذ بك منك**) فمتى صحت الاستعاذة بمعافاته صح السؤال باثابته و على نحو ذلك يخرج سؤال الثلاثة لله عز و جل باعمالهم على ان التوسل بالاعمال معناه التسبب بها لحصول المقصود و لاشك ان الاعمال الصالحة سبب لثواب الله تعالى لنا ولا كذلك الذوات و الاشخاص انفسها و الناس قد افرطوا اليوم فى الاقسام على الله تعالى فأقسموا عليه عز شانه بمن ليس فى العير ولا فى النقير و ليس عنده من الجاه قدر القطمير و اعظم عن ذلك انهم يطلبون من اصحاب القبور نحو اشفاء المريض و اغناء الفقير و ردّ الضالّة و تيسير كل عسير و توحى اليهم شياطينهم خبراً اذا اعيتكم الامور وهو حديث مفترى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باجماع العارفين بحديثه ولم يروه احد من العلماء و قد نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد و لعن على ذلك فكيف يتصور منه الامر بالاستغاثة و الطلب من اصحابها. سبحانك هذا بهتان عظيم. و عن ابى يزيد البسطامى [١] قدس سره استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون. و من كلام السجاد ان طلب المحتاج من المحتاج سفه فى رأيه و ضلة فى عقله. و من دعاء موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام (وبك المستغاث) و قال عليه الصّلوة و السلام لابن عباس رضى الله تعالى عنه (**اذا استعنت فاستعن بالله**). و قال تعالى (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** * **فاتحة :٥**) و بعد ذلك لاارى بأساً فى التوسل الى الله بجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيا و ميتاً و يراد من الجاه معنى يرجع الى صفة الله تعالى مثل المحبة التامة المستدعية عدم رده و قبول شفاعته فيكون معنى قول القائل (**الهى اتوسل بجاه نبيك ان تقضى لى حاجتى، الهى اجعل محبتك له وسيلة فى قضاء حاجتى**) و لافرق بين هذا و قولك **الهى اتوسل برحمتك ان تفعل كذا** بل

---

(١) ابو يزيد طيفور بن عيسى الشهير بابايزيد البسطامى المتوفى سنة ٢٦١ هـ . [٨٧٥م.]

لاارى بأسا فى الإقسام على الله بجاهه بهذا المعنى و الكلام فى الحرمة كالكلام فى الجاه و لايجرى ذلك فى التوسل والإقسام على الذات البحت. نعم لم يعهد التوسل بالجاه و الحرمة عن احد من الصحابة و لعل كان ذلك تحاشيا منهم عما يعلق فى اذهان الناس اذ ذاك وهم قريبو عهد بالتوسل بالاصنام. ثم اقتدى بهم من خلفهم من الائمة الطاهرين وقد ترك رسول الله صلى الله عليه و سلم هدم الكعبة و تأسيسها على قواعد ابراهيم على نبينا و عليه الصلوة و السلام لكون القوم حديثى عهد بالكفر كما ثبت ذلك فى الصحيح و هذا الذى ذكرته انما هو لدفع الحرج عن الناس و الفرار عن دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض فى التوسل بجاه عريض الجاه صلى الله عليه و سلم لا للميل الى ان الدعاء كذلك افضل من الادعية المأثورة التى جاء بها الكتاب و السنة فانه لا يستريب عاقل منصف فى ان ما علمه الله و رسوله و درج عليه الصحابة الكرام و تلقاهم من بعدهم بالقبول افضل و اجمع و انفع و اسلم.

بقى ههنا امران: الاول ان التوسل بجاه غير النبى صلى الله عليه و سلم لابأس به ايضاً ان كان المتوسل بجاهه مما علم ان له جاهاً عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه و ولايته و اما من لاقطع بصلاحه فى ذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من الحكم الضمنى على الله تعالى بما لم يعلم تحققه منه عز شأنه و فى ذلك جراءة عظيمة على الله تعالى.

الثانى ان الناس قد اكثروا من دعاء غير الله من الاولياء الاحياء و الاموات و غيرهم مثل (ياسيدى فلان اغثنى) وليس ذلك من التوسل المباح فى شئ والللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك و ان لايحوم حول حماه وقد عده الناس من العلماء شركاً و ان لايكنه فهو قريب و لا ارى احداً ممن يقول ذلك الا و هو يقصد ان المدعو الحى الغائب او الميت المغيب يعلم الغيب و يسمع النداء و يقدر بالذات او بالغير على جلب الخير او دفع الاذى و الا لما دعاه و لافتح فاه (...وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) فالحزم التجنب عن ذلك و عدم الطلب الا من الله القوى الغنى الفعال لما يريد و من وقف على سر ما رواه الطبرانى فى معجمه من انه كان منافق يؤذى المؤمنين فقال قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم من هذا المنافق فجاؤا اليه فقال **(انه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله)** لم

يشك فى ان الاستغاثة باصحاب القبور الذين هم سعداء و اشقياء الهاهم عذابهم و حبسهم فى النيران عن اجابة مناديهم و تقلبهم فى الجنان عن الاصاغة الى ناديهم امر يجب اجتنابه و لايليق بارباب العقول ارتكابه و لايغرنك ان المستغيث بالمخلوق قد تقضى حاجته و تنجح طلبته فان ذلك ابتلاء و فتنة منه عز و جل و قد يتمثل الشيطان للمستغيث فى صورة الذى استغاث به فيظن ان ذلك كرامة له هيهات هيهات انما هو شيطان اضله و اغواه و زين له هواه و ذلك كما يتكلم الشيطان فى الاصنام ليضل بها عبدتها الطعام و بعض الجهلة يقول ان ذلك من تطور الروح او من ظهور ملك بصورته كرامة ولقد ساء ما يحكمون لان التطور و الظهور و ان كانا ممكنين لكن لا فى مثل هذه الصورة و عند ارتكاب هذه الجريرة نسأل الله تعالى باسمائه ان يعصمنا عن ذلك و نتوسل اليه بلطفه ان يسلك بنا و بكم احسن المسالك انتهى كلام القاضى البغدادى (ج:٦، ص:١٢٩) [١]

ولا يخفى انه قد ذكرنا لك سابقا قبيل هذا القول كلام المفسر المذكور حيث قال ولاشك انه يحصل لزائرهم مدد روحانى ببركتهم.

و قوله نعم لاينبغى التوقف الخ. ان المفسر المذكور قائل بالتوسل بروحانيتهم وقائل بحصول المدد بروحانيتهم.

و ايضا قال فى هذا المقام ان التوسل بجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و بجاه غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا علم ان له جاهاً فهذا القول ايضا صريح فى جواز التوسل الى الله تعالى.

و ايضاً ذكر المفسر (اذا تحيرتم فى الامور) اه . انه ليس بحديث حيث قال هناك و لذا قيل وليس بحديث كما توهم (اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا من اصحاب القبور) اى اصحاب النفوس الفاضلة. فعلم ان المفسر انما ذكر الرد على كونه حديثاً لا على نفس مضمونه و الا لما ذكره فى مقام التأييد و ما ذكر هنا انما هو كلام ابن تيمية [٢] و لايخفى انه قيل فيه ما قيل.

منه ما قال الصاوى [٣] فى تفصيل قوله تعالى (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ ه

(١) كلام الآلوسى عندى لا علمىّ. (الفقير حسين حلمى).

(٢) أحمد ابن تيميه الحنبلى توفي سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في الشام

(٣) أحمد بن محمد الصاوي المالكي المتوفى سنة ١٢٤١ هـ. [١٨٢٥ م.]

بَعْدُ﴾ الآية. البقرة :٢٣٠) اى طلقة ثالثة سواء وقع الا ثنان مرة او مرتين و المعنى فان ثبت طلاقها ثلا ثا فى مرة او مرات فلا تحل اه . لما اذا قال لها انت طالق ثلا ثا او البتة و هذا هو المجمع عليه و اما القو، بان الطلاق الثلاث فى مرة واحدة لايقع الا طلقة فلم يعرف الا لابن تيمية من الحنابلة وقد ردّ عليه ائمة مذهبه انه الضال المضل و نسبتها الى الامام الاشهب من المالكية باطلة انتهى. (حاشية الجلالين. ص:٣٥).

و منه ما قال الدوانى [١] فى شرحه على العقائد و اكثر المجسمة هم الظاهريون المتبعون لظاهر الحديث والكتاب و اكثرهم المحدثون و لابن تيمية ابى العباس احمد [٢] و اصحابه ميل عظيم الى اثبات الجهة و مبالغة فى القدح فى نفيها و رايت فى بعض تصانيفه انه لافرق عند بداهة العقل بين ان يقال هو معدوم او يقال طلبته فى جميع الامكنة فلم اجده و نسب النافيين الى التعطل هذا مع علو كعبه فى العلوم العقلية و النقلية كما يشهد به من تتبع تصانيفه(الدوانى على العقائد العضدية ص:٦٧) فكيف يكون قول ابن تيمية حجة علينا.

و ايضاً رد السبكى قول ابن تيمية كما قال المفسر و قد شنع تاج الدين السبكى كما هو عادته فقال و يحسن التوسل و الاستغاثة با لنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه و لم ينكره احد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك و ابتدع مالم يقل عالم و صار بين الانام مثلة. انتهى كلام السبكى. فانظر ايها المنصف الى تشنيع السبكى عليه و نسبة خلاف اجماع السلف و الخلف و نسبة الابتداع اليه فهل لمنصف ان يترك اجماع السلف و الخلف بقول شخص واحدٍ سيما الخلف والسلف القائلون بحسنه وابن تيمية يقول فى التوسل ما يقول فيه فترك اجماع السلف و الخلف بقول رجل واحد بعيد عن الانصاف.

و ما ذكر ان معنى التوسل فى لغة الصحابة ان يطلب منه الدعاء و الشفاعة فيكون التوسل فى الحقيقة بدعائه و شفاعته و لامحذور فيه ولا يخفى انه لا انحصار للتوسل فى هذا المعنى الا ترى إلى قول القائل:

---

(١) جلال الدين محمد اسعد المتوفى سنة ٩٠٨ ﻫ . [١٥٠٢ م.]

(٢) احمد بن عبد الحليم المتوفى سنة ٧٢٨ ﻫ . [١٣٢٨ م.]

بيت:

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فانه لاذكر فيه للدعاء ولاللشفاعة فكيف الانحصار.

و ما قال ان معناه فى لغة كثيرمن الناس ان يسأل بذلك و يقسم به عليه وهو محل النزاع و لايخفى ان معنى التوسل طلب ذريعة اجابة الدعاء الى الله تعالى بالاعمال الصالحة و النفوس الفاضلة فالتوسل بقربهم من الله تعالى و روحانيتهم وما زال ذلك القرب و الروحانية بموتهم.

و ما قال ما رواه القشيرى [١] عن معروف الكرخى [٢] ان كانت لكم حاجة فاقسموا عليه فانى الوسيلة بينكم و بين الله جل جلاله فالآن لا يوجد له سند يعوّل اليه عند المحدثين فلايخفى انه لايستلزم عدم وجود السند الان ان لايكون له سند فى الاصل والمسئلة لا تصادم اصول الدين.

و ما قال فى حديث ابن ماجة ان فى سنده العوفى و فيه الضعف لايخفى ان السلف والخلف لما كانوا قائلين بجواز التوسل كان منجبرا على ان المفسر ايضاً قائل بجواز الإقسام على الله تعالى.

و ما قال ان التوسل بالذوات ليس فى الادعية الماثورة فلا يخفى ان التوسل المذكور مقرر فى الآية و الاحاديث كما نبهناك قبل.

و ما قال ان طلب الدعاء من شخص ان كان المطلوب منه حياً جاز و من الميت لا. فلا يخفى انه اذا كان سماع الموتى ثابتاً كما فى المقصد السابق اى حرج فى دعاء الميت كما فى الحديث (**ان اعمالكم تعرض على فان وجدت خيرا حمدت الله تعالى و ان وجدت غير ذلك استغفرالله لكم**) اليس هذا تصريح بالدعاء و الدعاء من الميت اعجب ام تلاوة سورة تامة كسورة الملك و اداء صلاة كاملة كصلاة موسى على نبينا و عليه الصلوة و

---

(١) عبد الكريم بى هوازن القشيري الشافعي المتوفى سنة ٤٢٥ هـ. [١٧٠٢ م.]

(٢) المتوفى سنة ٢٠٠ هـ. [٨١٥ م.] في بغداد

السلام فهيهات التنبه للرمزة الدقيقة الشان و اللمحة الخفية المكان سيما اذا صرح به العلماء الاعلام منهم المحدث الدهلوی رحمه الله حيث قال فی شرحه المعروف بـ(اشعة اللمعات، ج:۳، ص:۳۷٤).

و بالجمله کتاب و سنت مملو و مشحونند باخبار و آثار که دلالت میکند بر وجود علم مر موتی را بدنیا و اهل آن پس منکر نشود آنرا مگر جاهل باخبار و منکر دین و گفتم من بخدا توفیق: و اما استمداد باهل قبور منکر شده آنرا بعض فقهاء و اگر انکار از جهت آن است که سماع و علم نیست مر ایشان را بزائران و احوال ایشان پس بطلان او ثابت شد. و اگر بسبب آن ست که قدرت نیست مر ایشان را دران موطن تا مدد کنند بلکه محبوس و ممنوع اند و مشغولند بآنچه عارض شده است مر ایشان را از محنت و شدت و آنچه باز داشته شده است از دیگران که این کلیه نمی ماند خصوصاً درشان تیقن که دوستان خدا اند که حاصل شود ارواح ایشان را از قرب در برزخ و منزلت و قدرت بر شفاعت و دعا و طلب حاجات مر زائران را که متوسل بایشان اند چنانچه در روز قیامت خواهد بود و چیست دلیل بر نفی آن الی ان قال لیت شعری چه میخواهند ایشان بامداد و استمداد که این فرقه منکرند آنرا آنچه ما می فهمیم ازان این است که داعی محتاج فقیر الی الله دعا میکند خدا را و طلب میکند حاجت خود را از جناب عزت و غنای وی و توسل میکند بروحانیت این بندهٔ مقرب و مکرم در درگاه عزت وی و میگوید خداوندا ببرکت این بندهٔ مکرم و مقرب که رحمت کردهٔ بروی و اکرام کردهٔ اورا بلطف و کرمی که بوی داری برآورده گردان حاجت مرا که تو معطی، کریمی.

یا ندا میکند این بندهٔ مکرم و مقرب را که ای بندهٔ خدا و ولی وی شفاعت کن مرا و بخواه از خدا که بدهد مسئول و مطلوب را و قضا کند حاجت مرا پس معطی و مسئول و مأمول پروردگاراست تعالی و تقدس. و نیست این بنده درمیان مگر وسیله. و نیست قادر و فاعل و متصرف در وجود مگر حق سبحانه اه.

فعلم من کلام هذا الشیخ الامام الفاضل ان دعاء المیت ایضا ممّا لاینکر و کیف یکون ذلك شرکاً فانه ینجرّ الی امر عظیم و جراءة عظیمة علی اکابر الدین. نعوذ بالله من الاساءة و الجراءة علی اکابر الدین.

و ما ذكر ان ابن تيمية نقل عدم جواز التوسل عن الامام الهمام ابى حنيفة والقاضى ابى يوسف رحمهما الله تعالى رحمة واسعةً كيف يصح ذلك مع نقل القصيدة المشهورة عن الامام ابى حنيفة عند حضور الروضة الشريفة:

شعر:

يا اكرم الثقلين يا كنز الورى ٭ جد لى بجودك و ارضنى برضاك

انا طامع بالجود منك لم يكن ٭ لابى حنيفة فى الانام سواك

و قال زين العابدين:

بيت:

يا رحمة للعالمين ٭ ادرك لزين العابدين

محبوس ايدى الظالمين ٭ فى موكب و المزدحم

فمن نظر فى تلك القصيدة علم من مسلك ابى حنيفة رحمة الله عليه فلا نعتمد على نقل ابن تيمية.نعم لاينبغى ان يعتقد ان ارواح المشائخ حاضرة ناظرة فى كل وقت و كل مكان فان ذلك مما لايقول به عاقل و افعال العوام مما لايتمسك به بل لابد من التعليم باحسن الطرق و اقرب السبل لامثل هذه المتشددين المفرطين فان المعروف لايترك لاجل منكر كما هى القاعدة المتقررة عند الفقهاء بل يجب التعليم على وجه يبقى المعروف و يزول المنكر. الا ترى الى ما قال المفسر البغدادى و هذا الذى ذكرته انما لدفع الحرج عن الناس و الفرار عن دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض فعلم ان دعوى تضليلهم كما يفعله المتشددون امر يجب الفرار عنه.

و ايضا قال المفسر المذكور فى(ج:٤، ص:١١٣)انه سئل الشيخ ولى الدين العراقى رحمة الله عليه هل العلم بكونه عليه الصّلوة و السّلام بشرا و من العرب شرط فى صحة الايمان أو من فروض الكفاية فاجاب بانه شرط فى صحة الايمان.فلو قال شخصٌ أومِنُ برسالته ولا ادرى أبشر او ملك ام جنى او لا ادرى أ من العرب ام من العجم فلا شك فى كفره لتكذيبه القرآن و جحده ما تلقته قرون الاسلام خلفاً عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص و العام ولا اعلم فى ذلك خلافاً فلو كان غبياً لا يعرف ذلك وجب

تعليمه اياه فان جحد بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى كلامه.

و علم منه رد قول من انكر عن بشرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و قال انه نور. نعم اطلاق النور عليه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء فى القرآن و الحديث (... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * المائدة: ١٥) و المراد من النور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه مهتدياً هادياً كما ان النور ظاهر بنفسه مظهر لغيره و قال عليه الصلوة و السلام فى الدعاء المأثور (اللهم اجعل فى قلبى نوراً) الى ان قال (واجعلنى نوراً.) و قال على القارى فى شرحه لانقلابه نوراً لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مستجاب الدعوات. نعم القول بالنور بلا انكار البشرية لايكون كفراً ولا ممنوعاً كما يفعله متشدد و زماننا فانظر الى هذا المفسر كيف احتاط فى التكفير و التضليل.

و من ههنا علم ما ذكرت سابقاً فى النكات ان لزوم الكفر ليس بكفر بل التزام الكفر كفر. هكذا شان المحققين المرتاضين المحتاطين لا كامثال شيوخ هذا الزمان.

و اما ما قال من قول ابى يزيد البسطامى فيذكر الجواب عنه فيما سيأتى بان التوسل ثابت بالادلة القطعية و لكلام الصوفية محامل فان طورهم وراء طور العقل المتوسط و لنعم ما قال السالك:

بيت:

عقل در اسباب ميدارد نظر * عشق ميگويد مسبب را نگر

و هذا كما قال ابو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى:

بيت:

فلو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى يوماً حكمت بردتى

و علم من قول الآلوسى الجواب عن شبهتهم بان السلف ما توسلوا بالذوات بعد الوفاة وهو قوله نعم لم يعهد التوسل بالجاه. اهـ. فعلم ان عدم معهودية التوسل انما كان سداً للباب لا لعدم جوازه. الا ترى الى ما قال الامام الشافعى[1] رحمة الله عليه انى لأتبرك بابى حنيفة رحمة الله عليه واجيئ الى قبره فاذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين و سألت الله عند قبره فتقضى سريعاً. شامى (ج:١، ص:٣٩) فعلم من فعل الامام الشافعى رحمة الله عليه

(١) الامام محمد بن ادريس الشافعي توفي سنة ٢٠٤ هـ. [٨٢٠ م.] في القاهرة

ان جواز التوسل امر ثابت فی زمن الائمة المجتهدین ففعل الامام الشافعی رحمة الله علیه دلیل ظاهر علی جواز التوسل بالاولیاء المدفونین فی المقابر.

و ایضاً علم من ترك القنوت فی صلاة الفجر تادبا علم الاموات باحوال زائرهم و رعایة ادبهم.

و من الدلائل علی جواز التوسل ما ذکر العلامة الشامی [ابن العابدین] **قوله و معروف الکرخی بن فیروز من المشائخ الکبار مجاب الدعوات یستسقی بقبره و هو استاذ السری السقطی رحمة الله علیه** (رد المختار، ج:١، ص:٧٢).

و اما ما ذکر المفسر الآلوسی من حدیث الطبرانی انه **(لایستغاث بی انما یستغاث بالله)** فنقول لما ثبت من الادلة القطعیة جواز التوسل علم انه علیه الصّلوة و السّلام انما نهاهم تواضعاً و هذا کما قال علیه الصّلوة و السّلام **(السیّد الله)** حین قالوا له انت سیدنا فی حدیث مطرف بن عبد الله بن الشخیر قال انطلقت فی وفد بنی عامر الی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فقلنا انت سیدنا فقال **(السید الله)** فقلنا و افضلنا فضلا و اعظمنا طولا فقال **(قولوا قولکم او بعض قولکم ولا یستجرینکم الشیطان)** (المشکاة ص: ٤١٠، باب المفاخرة) فانه یعلم من هذا الحدیث انه لایقال له السید مع انه ورد فی الحدیث **(انا سید ولد آدم ولا فخر)** وکما قال علیه الصّلوة والسّلام **(لا تخیرونی علی یونس بن متی)** مع انه علیه الصّلوة والسّلام خیر الخلیقة و ظاهره یقتضی ان لایقال له السیّد فاذا لایقال للنبی صلی الله علیه وسلم السید فکیف یجوز ان یقال لغیره مع ان المنکر قائل بجواز قول السیّد للنبی صلی الله تعالی علیه وسلم و غیره بل یقول فی المجالس (... **أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ** هود :٧٨) فیقول له بعض متبعیه لبیك یا سیّدنا فانظر بعین الانصاف.

أو المعنی لایستغاث منی لما فی حدیث جبیر بن مطعم رضی الله تعالی عنه فانا نستشفع بك علی الله علیك فقال **(سبحان الله)** الی ان قال **(ویحك انه لایستشفع بالله علی احد)** اهـ. (المشکاة، ص: ٥٠٩، کتاب الفتن) فعلم ان الانکار ما کان علی الاستشفاع برسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم بل علی العکس.

و من الدلائل على جواز التوسل بعد الوفاة ما قال صاحب[1] (الدر المختار) شارح (تنوير الابصار) في خطبته و اتممت نعمتك علينا حيث يسرت ابتداء تبييض هذا الشرح المختصر تجاه منبع الشريعة و الدرر و ضجيعيه الجليلين ابى بكر و عمر بعد الاذن الشريف منه صلى الله تعالى عليه وسلم. قال العلامة الشامى فى ذيله و كان الاذن للشارح حصل منه صلى الله تعالى عليه وسلم صريحاً برؤية المنام او بالالهام و ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فاق هذا الشرح على غيره كما فاق متنه حيث رأى المصنف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقام له مستقبلا واعتنقه عجلا و القمه عليه الصّلاة و السّلام لسانه الشريف كما حكاه فى المنح فكل من المتن و الشرح من آثار بركته عليه الصلوة و السلام. (رد المحتار ج:١، ص:٩).

فعلم ان جواز التوسل امر معروف فى السلف حتى ان المصنفين يبتدؤن تصانيفهم تجاه القبر الشريف فالعجب من هؤلاء المتعصبين الذين حصلت غشاوة التعصب على بصائرهم و بالغوا فى تضليل الناس و نسبتهم الى الشرك اعاذنا الله من سيمائهم هذه.

و منها ما ذكر خليل بن احمد رحمة الله عليه[2] فى كتابه المعروف بـ(عقائد علماء ديوبند) فى (ص:١٢-١٣):

سوال کیا وفات کے بعد جناب رسول اللہ صلے اللہ علیہ وسلم کا توسل لینا دعاؤں میں جائز ہے یا نہیں تمہارے نزدیک سلف صالحین یعنی انبیاء و صدیقین و شہداء و اولیاء کا توسل بھی جائز ہے یا نا جائز؟

جواب ہمارے نزدیک اور ہمارے مشائخ کے نزدیک دعاؤں میں انبیاء و صلحا و اولیاء و شہداء و صدیقین کا توسل جائز ہے ان کے حیات میں ہو یا بعد وفات بایں طور کہ کہے کہ ،، یا اللہ میں بوسیلہ فلاں بزرگ کے تجھ سے دعا کی قبولیت اور حاجت براری چاہتا ہوں. یا اس جیسے اور کلمات کہے۔ چنانچہ اس کی تصریح فرمائی ہے ہمارے شیخ المشائخ مولانا محمد اسحاق صاحب دہلوی ثم المکی نے پھر مولانا رشید احمد صاحب گنگوہی نے بھی اپنے فتاویٰ میں اس کو بیان فرمایا ہے جو چھپا ہوا ہے علماء کے ہاتھ میں موجود ہے۔ پہلی جلد صفحہ ۹۳ پر مذکور ہے فائدہ ہمارے اکابر مرشد العرب والعجم حضرت حاجی امداد اللہ صاحب مہاجر مکی اور شیخ المشائخ قطب العالم حضرت مولانا رشید احمد گنگوہی اور حکیم الامت حضرت مولانا شاہ محمد اشرف علی صاحب نے اپنے بزرگان کے شجرے تصنیف فرمائے ہیں جو ان کے متوسلین کے یہاں شائع اور معمول بہا ہے الى آخر ما قال فعلم من هذا الجواب ان

---

(١) صاحب الدر المختار محمد علاء الدين الحصكفي الحنفي توفي سنة ١٠٨٨ هـ. [١٦٧٦ م.] في الشام

(٢) خليل احمد السهارنبوري توفي سنة ١٣٤٦ هـ. [١٩٢٧ م.] في المدينة المنورة

التوسل بالانبياء والاولياء جائز مطلقا سواء كان حين الحياة او بعد الوفاة. و علم منه جواز التوسل بشخص معين ايضاً فانه ذكر فيه لفظ فلان. و علم ايضا ان هذه طريقتهم سلفاً و خلفاً منقولة عن مشائخ الشريعة و الطر... هم اكابر العلماء الديوبنديين.

و ايضاً مسائل هذا الكتاب مجمع عليها لان فى آخره تصاديق علماء العرب و العجم و فضلاء الحرمين و مشائخ جامع الازهر و فى تلك التصاديق، تصاديق علماء الحنفية و الشافعية و الحنبلية و المالكية.

فعلم من هذا ان التوسل المنكر عند المنكر مجمع عليه، عند علماء العرب من المذاهب الاربعة و علماء العجم فكان جوازه قطعياً بحيث لايبقى فيه ريب فضلا عن ان يكون شركا فهل هذه المشائخ افتوا بجواز الشرك. سبحانك هذا بهتان عظيم فان هؤلاء المنكرين قداتهموا العلماء الديوبنديين. نعوذ بالله من الجراءة و الاساءة بل علماء الديوبند قائلون بجواز الاستفادة من قبور الاكابر كما قال فى (ص:١٨) :

اب رہا مشائخ کی روحانیت سے استفادہ اور اُن کی قبروں اور سینوں سے باطنی فیضان پہنچنا سو بیشک صحیح ہے مگر اس طریقہ سے جو اہل حق اور خواص کو معلوم ہے نہ اس طریق سے جو عوام میں رائج ہے۔

و هذا ايضاً دليل واضح على جواز التوسل على رغم انف المنكرين الناكبين. اللهمّ ثبتنا على العقائد الصحيحة المرضية.

و ايضاً هذه الفرقة انكروا عن ورد (دلائل الخيرات)[1] و قالوا ان فى (دلائل الخيرات) الفاظاً موهمة للشرك مع ان مشائخ الديوبند قاطبة قائلون بثواب قاريه كما قال فى (ص:١٦). ہمارے شیخ مولانا گنگوہی و دیگر مشائخ دلائل خیرات پڑھا کرتے تھے۔ اور مولانا حضرت حاجی امداد اللہ صاحب مہاجر مکی قدس سرہ نے اپنے ارشادات میں تحریر فرمایا ہے اور مریدوں کو امر بھی کیا ہے کہ دلائل خیرات کا ورد کریں۔ اور ہمارے مشائخ ہمیشہ دلائل خیرات روایت کرتے تھے۔ اور مولانا گنگوہی رحمہ اللہ بھی اپنے مریدوں کو اجازت دیتے تھے۔

و ايضا هذه الفرقة انكروا عن الحياة البرزخية. المشائخ المذكورون اثبتوها

---

(١) مؤلف دلائل الخيرات محمد الجزولي المالكي الشاذلي توفي سنة ٨٧٠ هـ. [١٤٦٥ م.]

بالطريق الاكمل كما قال فى (ص:١٤):

ہمارے نزدیک اور ہمارے مشائخ کے نزدیک حضرت صلی اللہ علیہ وسلم اپنی قبر مبارک میں زندہ ہیں اور آپ کی حیات دنیا کی سی ہے بلا مکلف ہونے کے اور یہ حیات مخصوص ہے آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کیساتھ اور تمام انبیاء وشہداکیساتھ یہ حیات برزخی نہیں ہے جو حاصل ہے تمام مسلمانوں کو بلکہ سب آدمیوں کو چنانچہ علامہ سیوطی نے اپنے رسالہ (انباء الاذکیاء بحیوٰۃ الانبیاء) میں بتصریح لکھا ہے چنانچہ فرماتے ہیں کہ علامہ تقی الدین سبکی نے فرمایا ہے کہ انبیاء وشہدا کی حیوٰۃ قبر میں ایسی ہے جیسے دنیا میں تھی اور حضرت موسیٰ علی نبینا وعلیہ الصلوٰۃ والسلام کا اپنی قبر میں نماز پڑھنا اس کی دلیل ہے کیونکہ نماز زندہ جسم کو چاہتی ہے پس ثابت ہوا کہ حیوٰۃ دنیوی ہے اور اس معنی کر برزخی بھی ہے کہ عالم برزخ میں حاصل ہے۔
اور ہمارے شیخ مولانا محمد قاسم[1] صاحب قدس سرہ کا ایک رسالہ بھی نہایت دقیق اور اچھوتے طرز کا بے مثل جو شائع ہو کر لوگوں میں شائع ہے اس کا نام آب حیات ہے۔

فعلم من هذا الكلام ان حياة الانبياء و الشهداء حياة جسدانية ولذا ذكر العلامة السيوطى فى كتابه المسطور المسمى بـ(شرح الصدور فى احوال الموتى و القبور- باب احوال الموتى فى قبورهم و انسهم فيها) فهم يصلون فيها و يقرؤن و يتزاورون و يتنعمون و يلبسون و ذكر فى ذلك الباب ما يناسب المقام.

و ايضاً ذكر فى باب زيارة القبور و علم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم. و اما نتن اجساد الاموات ففى غير الانبياء و من اُلحِقَ بهم و لذا ذكر السيوطى باب نتن الميت و بلاء جسده الا الانبياء و من الحق بهم و ان شئت التفصيل فعليك بـ(شرح الصدور).

و ايضا مسئلة التوسل فى (عقائد علماء ديوبند ص:١٥) :

سوال کیا جائز ہے مسجد نبوی میں دعا کرنے والے کو یہ صورت کہ قبر شریف کیطرف منہ کرکے کھڑا ہو اور حضرت صلی اللہ علیہ وسلم کا واسطہ دیکر حق تعالیٰ سے

فذكر فى جوابٌ هذا السؤال ما حاصله: ان التوجه الى القبر الشريف و القبلة كلاهما جائزان لكن التوجه الى القبر اولى و لذا افتى الامام حين سئل عنه خليفة عن هذه المسئلة و ذكر جواز التوسل ايضا و احال على (زبدة المناسك).

(١) محمد قاسم النانوتوي باني دار العلوم في ديو بند توفي سنة ١٢٩٧ هـ. [١٨٧٩ م.] في الهند

و من الدلائل على جواز التوسل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الوصال ماذكر فى مقدمة (البخارى) و مولانا احمد على السهارنفورى[1] (ص:٤). و روى عن عبد القدوس بن همام،قال:سمعت عدة من المشائخ يقولون:حوّل البخارى تراجم جامعه بين قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و منبره و كان يصلى لكل ترجمة ركعتين.انتهى. ولا يخفى ان هذا الفعل ما كان الا لحصول البركة فى كتابه كما فعله مصنف (الدر المختار) و هذا ليس الا معنى التوسل بعد الوفاة.

فالحاصل ان مسئلة التوسل مما قرره المفسرون و المحدثون قديماً و حديثاً سلفاً و خلفاً و المنكر معاند بل صرح الامام الغزالى رحمة الله عليه فى كتابه (جواز الرحلة الى قبور الانبياء والاولياء) حيث قال:و قد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث اى حديث (لا تشدوا الرحال ...) فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد و قبور العلماء و الصلحاء و ما بيّن لى الامر كذلك بل الزيارة مأمور بها.قال عليه الصّلوة و السّلام (كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها ولا تقولوا هجرا) و الحديث انما ورد فى المساجد و ليس فى معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الا و فيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد اٰخر و اما المشاهد [المقابر] فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل. نعم،لوكان فى موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحل الى موضع فيه مسجد و ينتقل اليه بالكلية ان شاء. ثم ليت شعرى،هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم و موسى و يحيى على نبينا و عليهم الصلوة و السلام و غيرهم فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة فاذا جوز هذا فقبور العلماء و الاولياء و الصلحاء فى معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد.(احياء العلوم:ج:١، ص:١٦٩).

فقد صرح الامام الموصوف بجواز الرحلة الى قبورهم و تعجب من المنكرين و العجب انهم لا ينظرون الى الاستثناء:هل هو متصل و المقدر مسجد فى جانب المستثنى منه فيكون التقدير (لا تشدوا الرحال الى مسجد من المساجد) الحديث-ام المقدر موضع والتقدير: (لا تشدوا الرحال الى موضع من المواضع) فعلى هذا يمنع الرحلة لطلب العلم و التجارة و الحج. و هذا اظهر لزوماً و فساداً فعلم ان المستثنى منه مسجد فلا يدخل فيه مشاهد

١) أحمد علي السهارنفوري الديوبندي توفي سنة ١٢٩٧ هـ. [١٨٧٩ م.]

مشاهد - مقابر

الانبياء و الاولياء وصرح به فى (الفتح) و اما قصد غير المساجد لزيارة صالح او قريب او صاحب او طلب العلم او تجارة او نزهة فلايدخل فيه اى فى النهى،

و من تمسك بالعموم كابن تيمية فقال بتحريم شد الرحال الى قبر سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و سيما قال صاحب (الفتح) وهى من ابشع [اقبح] المسائل المنقولة عن ابن تيمية. (فتح البارى[1]: ج:٣، ص: ٤٢).

و من المتسمين بسمة شيخ القرآن فى السّنة الحاضرة تمسك بانكار ابى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه على ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى خروجه الى الطور و قال:لو ادركتك قبل ان تخرج ما خرجت واستدل بهذا الحديث و لم يدر ذلك الشيخ ان الزيارة كان لمحض الطور لا لزيارة نبى او صالح فكيف الاستدلال و هذا كالمثل المشهور بين الطلبة، الفاء بمعنى الشرط.فاندفع جميع الاعتراضات.

و من الدلائل على التوسل بعد الوفاة:ما قال الامام الشافعى رحمة الله عليه:قبر موسى الكاظم ترياق مجرب لاجابة الدعاء.

و قال الامام الغزالى رحمة الله عليه:من يستمد به فى حياته يستمد به بعد مماته.

و منها ما ذكر فى تفسير (روح البيان):و فيه اشارة إلى أنّ السجدة لآدم على نبينا و عليه الصّلوة و السّلام وهو مقبور كالسجدة له وهو غير مقبور.اذالانبياء عليهم الصّلوة و السّلام احياء عند ربهم و كذا اكمل الاولياء.قدّس الله اسرارهم كما قال الصائب:

بيت:

شو بمرگ ز امداد اهل دل نومید ٭ که خواب مردم آگاه عین بیداریست

و الشيطان الرجيم غفل عن هذا فنكل عن قبول الحق الصريح. و مثله من ينكر الاولياء او زيارة قبورهم و الاستمداد منهم. نسأل الله العصمة و نعوذ بالله من الخذلان. (روح البيان:ج:٢، ص:٩٠)[٢].

و مما يكشف عن عقائد علماء ديوبند فى باب التوسل:ما قيل فى قصيدة مدحية لرشيد احمد الجنجوهى.رحمة الله تعالى عليه.[٣]

---

(١) مؤلف فتح الباري أحمد ابن حجر العسقلاني توفي سنة ٨٥٢ هـ. [١٤٤٨ م.] في القاهرة

(٢) مؤلف روح البيان اسماعيل حقي الصوفي الجلوتي البروسوي توفي سنة ببروسه ١١٣٧ هـ. [١٧٢٥ م.]

(٣) رشيد أحمد الديوبندي توفي سنة ١٣٢٣ هـ. [١٩٠٥ م.]

شعر:

قصوى مرادى قصارى منيتى ابدا ٭ غوثى ملاذى معاذى منتهى املى

كنز العلوم و كهف الناس قاطبة ٭ بحر الفهوم و عون الخلق فى الخيلى

قيل فى تشريح هذا الشعر: كهف الناس لان له عند الله وجاهة و قربة فيرجى قبول دعائه و ايضا ببركة اولياء الله تدفع البلايا عن المخلوق و ان كانوا مستحقين لها. (قصيدة مدحية: ص: ٣).

و من الدلائل على التوسل بعد الوفاة ما قال السيد السند فى تشريح قول (شرح المطالع) فلذلك وقع التوسل بافضل الوسائل. فان قيل: هذا التوسل انما يتصور اذا كانوا متعلقين بابدان و اما اذا تجردوا عنها فلا. اذ لا جهة مقتضية للمناسبة. قلنا يكفيهم انهم كانوا متعلقين بها متوجهين الى تكميل النفوس الناقصة بهمّة عالية فان اثر ذلك باق فيهم و لذلك كانت زيارة مراقدهم عليهم السّلام معدة لفيضان انوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهدهم اصحاب البصائر و يشهدون به. (حاشية شرح المطالع: ص: ٦).

و من الدلائل على التوسل و الافادة و الاستفادة من الاولياء المدفونين، ما ذكره مولانا المحدث الشاه عبد العزيز الدهلوى[1] فى تفسيره بعد بحث دقيق بسيط فى ترجيح الدفن على الاحراق. و توجيه روح بزائرين مستأنسين و مستفيدين به سهولت ميشود كه بسبب تعين مكان بدن گويا مكان روح هم متعين است و آثار اين عالم از صدقات و فاتحها وتلاوت قرآن مجيد چون دران بقعه كه مدفن بدن اوست واقع شود به سهولت واقع ميشود پس سوختن گويا روح را بى مكان كردن است و دفن كردن گويا روح را مكان ساختن است بنا برين كه از اولياى مدفونين و ديگر صلحاى مؤمنين انتفاع و استفاده جارى است و آنها را افاده و اعانت نيز متصور بخلاف مرده هاى سوخته كه اين چيزها اصلا نسبت بآنها در اصل مذهب آنها واقع نيست. تفسير عزيزى سورهٔ عبس (ص: ٥٠).

فعلم من كلام هذا المحدث: الافادة و الاستفادة و الانتفاع و الاعانة من الاولياء المدفونين فى المقابر.

و منها ما قال هذا المحدث فى موضع آخر بعد تفصيل: و اين حالت عوام مردگان

(١) عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي توفي سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٤ م.] في دلهي

است و بعضی از خواص اولیاء الله را که آله جارحه تکمیل و ارشاد بنی نوع خود گردانیده اند درینحالت هم تصرف در دنیا داده است و استغراق آنها بجهت کمال وسعت مدارك آنها مانع توجه باین سمت نمیگردد. و او یسیان تحصیل کمالات باطنی از آنها می نمایند و ارباب حاجات و مطالب حل مشکلات خود از انها می طلبند و می یابند و زبان حال آنها درانوقت هم مترنّم باین مقالات است

مصرع:

من آیم بجان گر تو آئی بتن

(تفسیر عزیزی، سورهٔ انشقت: ص:١١٣) فهذا ایضاً صریح فی ابقاء التصرف لخواص الاولیاء.

و مما یدل علی تصرفات الاولیاء،ما قال ذلك المحقق فی تفسیره فی موضع آخر: چهارم تأثیر اتحادی که شیخ روح خود را که حامل کمالیست بارواح مستفید بقوت تمام متحد سازد تا کمال روح شیخ بارواح مستفید انتقال نماید و این مرتبه اقوی ترین مراتب تأثیر است چه ظاهر است که بحکم اتحاد روحین هر چه در روح شیخ است بروح تلمیذ میرسد و بار بار حاجت استفاده نمی‌ماند در اولیاء الله این قسم تأثیر به ندرت واقع شده از حضرت خواجه باقی بالله قدس سره [١] منقول است که روزی در خانهٔ ایشان چند کس مهمان شدند و مَا حضر موجود نبود اوقات حضرت خواجه در فکر ضیافت مهمانان در تلاش ماحضر شدند اتفاقاً نانوائی متصل بخانهٔ ایشان دکان داشت برین تشویش مطلع شده یك قرص نان پخته بانهاری مکلف مرغن بخدمت ایشان آورد ایشان باین سلوك او بسیار خوش شدند فرمود بخواه هر چه میخواهی او عرض کرد که مرا مثل خود سازید فرمودند که تحمل اینحالت نمیتوانی کرد چیزی دیگر بخواه او بر همین سوال اصرار داشت و خواجه رحمة الله علیه اعراض فرمودند تا که الحاح او بسیار شد ناچار اورا در حجرهٔ بردند تأثیر اتحادی بروی کردند چون از حجره بر آمدند در میان خواجه و در میان نانوائی در صورت و شکل هیچ فرق نمانده بود مردم را امتیاز مشکل افتاد اینقدر بود که حضرت خواجه هشیار بودند آن نانوائی مدهوش و بیخود. آخر بعد از سه روز در همین حالت

(١) محمد بن عبد السلام الباقي بالله المتوفی سنة ١٠١٢ هـ. [١٦٠٣ م.] في دهلی

سکر و بیهوشی قضا کرد رحمة الله علیه (تفسیر عزیزی، بارهٔ عم: ص: ٢٢٥) و هذا التصرف و ان كان من الحى الا انى ذكرته طرداً لانه تصرف و تاثير عظيم، كما قال العارف الرومى فى كتابه المعروف بـ(المثنوى).

بيت: اولیاء را هست قدرت از اله ٭ تیر جسته باز گرداند ز راه

و بعض الحمقاء من المتسمين بسمة التوحيد عد هذا الشعر فى كتابه المسمى بـ(رسالة توحيدية) المملوءة من الخرافات شركاً. فانظر الى هذه الجراءة العظيمة. نعوذ بالله منها. فاذا كانت جراءتهم واصلة إلى هذا الحد فمن انا و انت؟ ولواهب عمرى، لقد تناهت جراءتهم الى حد تقشعر من سماع كلامهم جلود المنصفين وتمجّ كلامهم آذان العاقلين (وَاللّٰهُ يَدْعُوا اِلٰى دَارِ السَّلَامِ وَ يَهْدِى مَنْ يَّشَآءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ٭ يونس: ٢٥) والعجب كل العجب: ان مشائخهم و اساتذتهم يقرون بهذه المسئلة وهم ينكرونها فهذا دليل على عنادهم وانهم عن الصراط لناكبون و كيف ينكرون عن المدد الروحانى و الحال ان اثر هذا المدد قد يوجد فى الخارج و يشاهد.

و من ذلك ما ذكره الحافظ ابن قيم عن (كتاب المنامات) لابن ابى الدنيا[1] عن شيخ من قريش. قال: رأيت رجلا بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه فسالته عن ذلك فقال: قد جعلت لله على ان لايسألنى عن ذلك احد الااخبرته به، كنت شديد الوقيعة فى على ابن ابى طالب رضى الله عنه. فبينا انا نائم ذات ليلة، اذ اتانى آت فى منامى، فقال لى: انت صاحب الوقيعة فىّ فضرب شق وجهى فاصبحت و شق وجهى اسود كما ترى.

و ذكر مسعدة عن هشام بن حسان عن واصل مولى ابن عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفيّة بنت شيبة. قال: كنت عند عائشة رضى الله تعالى عنها فاتتها امرأة مشتملة على يدها فجعلت النساء يولعن لها. فقالت: ما اتيت الا من اجل يدى ان ابى كان رجلا سمحاً وانى رأيت فى المنام حياضا، عليها رجال، معهم آنية، يسقون من اتاهم فرأيت ابى. فقلت: اين امى! فقال: انظرى، فنظرت فاذا امى ليس عليها الا قطعة خرقة! فقال: انها لم تتصدق الا بتلك الخرقة و شحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذابُ و تطرف بها و هى تقول

(١) ابن ابي الدنيا عبد الله توفي سنة ٢٨١ هـ. [٨٩٤ م.] في بغداد

و اعطشاه!قالت:فاخذت اناء من الآنية فسقيتها فنوديت من فوقي:من سقاها،ايبس الله يده فاصبحت يدى كما ترين. (كتاب الروح:ص :٢٩٨).

و من ذلك:ما فى ذلك الكتاب (المائة) ما قد اشترك فى العلم عامة اهل الارض من لقاء ارواح الموتىٰ و سؤالهم لهم و اخبارهم اياهم بأمور خفيت عليهم فرأوها عياناً و هذا اكثر من ان يتكلف ايراده.

و اعجب من هذا الوجه الحادى و المائة:ان ارواح النائم يحصل لها فى المنام أثار فتصبح تراها على البدن اعياناً و هى من تأثر الروح فى الروح كما ذكر القيروانى فى (كتاب البُستان) عن بعض السلف.قال:كان لى جار يشتم ابا بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما فلما كان ذات يوم اكثر من شتمهما فتناولته و تناولنى فانصرفت الى منزلى و انا مغموم حزين فنمت و تركت العشاء فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.فقلت:يا رسول الله!فلان يسب اصحابك.قال (من اصحابى؟) قلت:ابو بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما.فقال (خذ هذه المدينة.فاذبحه بها) فاخذتها فاضجعته و ذبحته و رأيت كانت يدى اصابت من دمه.فالقيت المدية و اهويت بيدى الى الارض لامسحها فانتبهت و انا اسمع الصراخ من نحو داره.فقلت:ما هذا الصراخ؟ قالوا:فلان مات فجأة فلما اصبحنا جئت، فنظرت اليه فاذا خط موضع الذبح. (كتاب الروح:ص:٢٩٧). فانظر الى هذا المدد الروحانى و التصرف،كيف بقى اثره فى الخارج الا ان من فى قلبه زيغ و يشكك فى امثال هذه و يوقع الاحتمالات الركيكة المشككة.

و من ذلك:ما ذكر فى ذلك الكتاب و كان نافع القارئ اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيل له:كلما قعدت تتطيب.فقال ما امسّ طيبا ولا اقربه و لكن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام وهويقرأ فى فمى فمن ذلك الوقت،يشم من فىّ هذه الرائحة.

و ذكر مسعدة فى (كتاب الرؤيا) عن ربيع بن زيد الرقاشى.قال اتانى رجلان فاغتابا رجلا فنهيتهما فاتانى احدهما بعد.فقال:انى رأيت فى المنام:كأنّ زنجيا اتانى بطبق، عليه جنب خنزير،لم ير قط لحم اسمن منه.فقال لى:كُلْ.فقلت:آكل لحم الخنزير؟فتهددنى. فاكلت،فاصبحت و قد تغير فمى،فلم يزل يجد الريح فى فمه شهرين.

و ذكر ابن ابى الدنيا عن ابى حاتم الرازى عن محمد بن على.قال:كنا بمكة فى المسجد الحرام قعودا.فقال رجل،نصف وجهه اسود و نصفه ابيض.فقال:ايها الناس!اعتبروا بى فانى كنت اتناول الشيخين و اشتمهما فبينما انا نائم ذات ليلة،اذ اتى بى آتٍ فرفع فلطم وجهى و قال لى:يا عدو الله!يا فاسق!ألست تسِب ابا بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما فاصبحت و انا على هذه الحالة.

و قال محمد بن عبد الله المهلبى:رأيت فى المنام كأنى فى رحبة بنى فلان و اذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على اكمة و معه ابو بكر رضى الله تعالى عنه و عمر رضى الله تعالى عنه واقفان قدامه صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضى الله تعالى عنه:يا رسول الله!ان هذا يشتمني و يشتم ابا بكر رضى الله تعالى عنه فقال (جئ به،يا ابا حفص) فاتى برجل فاذا هو العمان و كان مشهورا بسبهما فقال النبى عليه الصلوة و السلام (اضجعه) فاضجعه ثم قال (اذبحه) فَذَبَحَهُ.قال:فما نبهنى الا صياحة.فقلت:مالى،لا اخبره، عسى ان يتوب فلما تقربت من داره سمعت بكاء شديدا فقلت ما هذا البكاء؟فقالوا: العمان،ذبح البارحة على سريره فدنوت من عنقه،فاذا من اذنه الى طريقة حمراء كالدم المحصور (ص: ٣٠٠).

و قال القيروانى:اخبرنى شيخ لنا من اهل الفضل.قال اخبرنى ابو الحسن المطلبى امام مسجد النبى صلى الله عليه و سلم:قال:رأيت بالمدينة عجباً كان رجل يسب ابا بكر و عمر رضى الله عنهما فبينا نحن يوماً من الايام بعد صلاة الصبح،اذ اقبل رجل و قد خرجت عيناه و سالتا على خديه فسألناه:ما قصتك؟ فقال:رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه و سلم و على رضى الله عنه بين يديه و معه ابو بكر و عمر رضى الله عنهما.فقالا:يا رسول الله!هذا الذى يوذينا و يسبنا.فقال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم:(من امرك بهذا يا ابا قيس؟) فقلت له عَلِيٌّ رضى الله تعالى عنه و اشرت اليه.فاقبل عَلَيَّ عَلِيٌّ رضى الله عنه بوجهه و يده و قد ضم اصابعه و بسط السبابة و الوسطى و قصد بها الى عينى.فقال ان كنت كذبت ففقأ الله عينيك و ادخل اصبعيه فى عينى.فانتبهت من نومى و انا على هذه الحال فكان يبكى يخبر الناس و اعلن بالتوبة.

و قال القيروانى:اخبرنى شيخ من اهل الفضل.قال:اخبرنى فقيه.قال:كان عندنا

ادخلت الجهنم - ص ١١٢ ، ١١١ - الصواعق المحرقة ، ٢

رجل يكثر الصوم و يسرده، ر لكنه كان يؤخر الفطر.فرأى فى المنام كأن اسودين آخذين بضبعيه و ثيابه الى تنور محمى ليلقاه فيه.فقلت لهما على ماذا؟ قالا:على خلافك لسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه امر بتعجيل الفطر و انت تؤخره.قال:فاصبح و وجهه قد اسود من وهج النار فكان يمشى متبرقعاً فى الناس. و اعجب من هذا، الرجل يرى فى المنام وهو شديد العطش و الجوع و الالم ان غيره قد سقاه و اطعمه او داواه بدواء فيستيقظ و قد زال عنه ذلك كله وقد رأى الناس من هذا اعجب.

و قد ذكر مالك عن ابى الرجال عن عمرة عن عائشة:ان جارية لها سحرتها و ان سيدها دخل عليها وهى مريضة. فقال: انك سحرت؟قالت: و من سحرنى؟ قال:جارية فى حجرها صبى قد بال عليها.فدعت جاريتها فقالت حتى اغسل بولا فى ثوبى فقالت: اسحرتنى؟قالت:نعم.قالت:و من دعاكِ الى هذا؟ قالت:اردت تعجيل العتق فامرت اخاها ان يبيعها من الاعراب ممن يسيئ ملكها فباعها ثم ان عائشة رضى الله تعالى عنها رأت فى منامها ان اغتسلى من ثلاثة ابار يمد بعضها بعضاً فاستسقى لها فاغتسلت فبرأت.

و كان سماك بن حرب،قد ذهب بصره فرأى ابراهيم الخليل على نبينا و عليه الصلوة و السلام فمسح على عينيه و قال:اذهب الى الفرات فانغمس فيها ثلاثا.ففعل فابصر.

وكان اسماعيل بن بلال الحضرمى،قد عمى فاتى فى المنام فقيل له:قل:يا قريب! يا مجيب! يا سميع الدعاء! يا لطيف بمن شاء!رد على بصرى.فقال الليث بن سعد [١] رأيته قد عمى ثم ابصر.

وقال عبيدالله بن ابى جعفر اشتكيت شكوى فجهدت منها فكنت اقرأ (آية الكرسى) فنمت فاذا رجلان قائمان بين يدى.فقال احدهما لصاحبه انه يقرأ آية فيها ثلاثمائة وستين رحمة:أفلا يصيب هذا المسكين فيها رحمة واحدة؟ فاستيقظت و وجدت خفة.

و قال ابن الخراز:كنت اعالج رجلا ممعوداً فغاب عنى ثم لقيته فسألته عن حاله. فقال:رأيت فى المنام انساناً زى ناسك متوكأً على عصاً وقف علىّ و قال:انت رجل ممعود؟ فقلت، نعم، فقال عليك بالكباء و الجلنجبين فاصبحت فسألت عنهما فقيل

(١) المتوفى سنة ١٧٥ هـ . [٧٩١ م.] وهومن اصحاب الامام مالك رحمه الله.

الكباء: المصطكى والجلنجبين:الورد المربا بالعسل.فاستعملتهما اياما فبرأت.فقلت له:ذلك جالينوس. والوقائع فى هذا الباب اكثر من ان تذكر.

قال بعض الناس:اصل الطب من المنامات ولا ريب ان كثيرا من اصوله مستندة الى الرؤيا و بعضها من التجارب والالهام و القياس.من اراد الوقوف فلينظر فى تاريخ الاطباء و (كتاب البستان) للقيرواني و غير ذلك (ص: ٣٠٠ الى ص:٣٠٣).

و بعد ما انتقش هذا على صحيفة خاطرك ايها المنصف الاارك شاكاً فى هذه المسئلة لما علمت من كلام المفسرين و المحدثين و الفقهاء و العلماء الديوبنديين سلفاً و خلفاً ثم نذكر فى باب التوسل اقوال الصوفية قدس الله اسرارهم تبركاً باقوالهم.رزقنا الله اتباعهم و محبّتهم.

فمن كلام الامام الربانى المجدد للالف الثانى احمد الفاروقى السرهندى قدس سره فى الرسالة المسماة بـ(معارف لدنية) حيث قال:و هذا المقام هو اتم مقامات الدعوة الى الحق سبحانه و لكل منازل التكميل و الارشاد الائمة المناسبة الى الخلق للفيضة لكمال الافادة والاستفادة (... ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ۞ الحديد :٢١) و كل من الاحوال المذكورة و الكمالات المسطورة حصل لى بطفيل افضل الانبياء و اكمل البشر عليه و عليهم من الصلوات افضلها و من التسليمات اكملها.اللهم!ثبتنا على متابعته و احشرنا فى زمرته عليه الصلوة و التسليمات و على آله الطيبين و يرحم الله عبدا قال آمينا (ص:٥١).

و العجب من منكرى التوسل،كيف ينكرون التوسل مع هذه الدلائل الواضحة و الحجج القاطعة ؟ و لنعم ما قال الشيخ المجدد الفاروقى السرهندى فى هذه الرسالة (ص:٥٣).

بيت: نماند بعصيان كسى در گرو ٭ كه دارد چنين سيّدى پيشرو

وقال العارف الشيرازى[1] رحمة الله عليه مشيرا إلى مسئلة التوسل:

---

(١) الحافظ محمد الشيرازي توفي سنة ٧٩١ هـ. [١٣٨٩ م.] في شيراز

بیت:

مور مسکین هوسی داشت که بر کعبه رسد * دست بر پای کبوتر زد و ناگاه رسید

و ایضاً قال فی موضع آخر.

بیت: خدا یا بحقِ بنی فاطمه * که بر قول ایمان کنم خاتمه

و مما یدل علی جواز التوسل،ما ذکره مولانا عبد الغفور[1] العباسی، القرشی النقشبندی رحمة الله علیه متع الله الناس بطول بقائه فی کتابه المعروف بـ(الدعوات الفضیلة) نقلا عن (المشکاة) و کان علیه الصلوة و السّلام یستفتح بصعالیك المهاجرین. و ذکر الموصوف المذکور بعد هذا فائدة حیث قال:

اہل سلوک میں مقبولان الٰہی کے توسل سے دُعا کرنا بکثرت شائع ہے اس حدیث سے اس کا اثبات ہوتا ہے۔ لو شجرہ پڑھنا جو اہلِ سلوک کے یہاں معمول ہے اس کی بھی یہی حقیقت اور غرض ہے۔ ثم ذکر حدیث ابی داود وقال (ابغونی فی ضعفائکم فانما ترزقون او تنصرون بضعفائکم) (دعوات فضلیة: ص: ١٣٠)

و قال فی موضع آخر:الهی!افیض تجلیات صفات ثبوتیه که از لطیفهٔ مبارك آن سرور دو عالم صلی الله تعالی علیه وسلم در لطیفهٔ روح حضرت نوح و حضرت ابراهیم علیهما الصلوة و السلام افاضه فرمودة بحرمت پیران کبار در لطیفهٔ روح مَنْ القا کن.

و ذکر فی مواضع متعددة بحرمت پیران کبار و بوسیلهٔ پیران عظام و طفیل پیران عظام کما فی (ص:١٥٤-١٥٥-١٥٦)

ثم ذکر فی خاتمة الکتاب المذکور السلسلة الشریفة بلسان عربی مبین،**ابتداؤها:**

(الهی!بحرمة شفیع المذنبین الذی أرسلته رحمة للعالمین،سیدنا و مولانا محمد رسول الله صلی الله تعالی علیه و علی آله وسلم) و انتهاؤها بقوله:(الهی!بحرمة سیدنا و مولانا محمد فضل علی القرشی رحمة الله تعالی علیه، ارحم الحقیر الفقیر احقر الدراویش عبد الغفور العباس النقشبندی المجددی و ارزقه کمالا فی القرب و الاحسان.

---

(١) عبد الغفور القرشي مرشده محمد فضل علي مرشده محمد سراج الدين مرشده محمد عثمان الداماني مرشده دوست محمد القندهاري مرشده أحمد سعيد الفاروقي المجددي قدس الله تعالى اسرارهم العزيز أحمد سعيد المجددي الدهلوي توفي سنة ١٢٧٧ هـ. [١٨٦١ م.] في المدينة المنورة. دوست محمد توفي سنة ١٢٨٤ هـ. [١٨٦٧ م.] محمد عثمان توفي سنة ١٣١٤ هـ. [١٨٩٦ م.] في موسى زئي. سراج الدين توفي سنة ١٣٣٣ هـ. [١٩١٥ م.] فضل علي توفي سنة ١٣٥٤ هـ. [١٩٣٥ م.]

و من ههنا علم جهل بعض المتسمين بسمة الشيخوخة فى العهد القريب و لا ادرى فى اى فن تلك الشيخوخة؟ فان للشيخوخة انواعاً حيث قال فى كتاب صنفه عن قريب و سماه (جواهر التوحيد) الصادق عليه مثل البلاغة (ان من لايعرف الفقه، قد صنف فيه كتابا) بلکہ بعض گدی نشینوں نے اپنے مریدوں کے لئے جو اوراد و وظائف تصنیف کی ہیں ان میں باقاعدہ تلاوت اور روزانہ ورد کے لئے اولیاء کرام اور مشائخ عظام کے اسماء گرامی کی فہرست لکھ دی ہے مشرکین عرب بھی عباد الصلحین کے ناموں کی تلاوت اس لئے کرتے تھے کہ ہماری حاجات پوری ہو جاویں اور تبرک حاصل ہو جاوے - اور زمانہ حال کے اولیاء پرست بھی اس غرض سے پڑھتے ہیں ورنہ اس میں اور کیا غرض ہو سکتی ہے!

فانظر الى هذا الاحمق حيث سوى بين المشركين القائلين (...مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللّٰهِ الآية. الزمر:٣) و القائلين (... هٰٓؤُلَآءِ شُفَعَآؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ الآية. يونس :١٨) و بين الصالحين القارئين للسلاسل بقصد التوسل.فكم من فرق فان ذكر السلاسل له اصل كما مر.

ثم انظر الى لفظ اوليا پرست فان لفظ پرست معناه من پرستش و هى العبادة فاى شخص من المريدين يعبد شيخه؟ هل هذا الا بهتان عظيم، على ان تلاوة السلاسل امر ثابت من اكابر ديو بند كامداد الله الديو بندى و اشرف على التهانوى و غيرهما.

و ايضا قد عرفت ان تلاوة سند. اول لابى داود رقية العقرب و اى شرك فيها فان السؤال انما يكون من الله بحرمة مشائخ السلسلة و هذا امر معروف سلفاً و خلفاً، كيف يكون شركاً؟

على ان رقية السم و السميات باسامى المشائخ معمولة لمولانا و اولانا شيخ الحديث استاد الاساتذة حضرة نصير الدين الفرغشتوى -اطال الله فيوضه- حيث قال: كان مرشده يقول لرقية السم و السميات: الٰهى! بحرمة الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمة الله عليه الٰهى! بحرمة يوسف محمد القندهارى رحمة الله عليه وهى معمولة له.

و العجب كل العجب انهم لا ينظرون الى ما يصدر من افواههم و يكتبون باقلامهم و ليس هذا الا اثر الماضى على الاصاغر.فافهم و تامل الحال، و تذكر الماضى.

و هذا كلام معترض فى البين فان القلم ما رفع لرد هذا الشيخ بل لشيخ أخر و هذا العبد الضعيف كان يتعجب من جراءته بمثل هذه الخرافات الواهيات،لكن بعد الاطلاع على احواله الماضية زال ذلك التعجب الماضى فى الاستقبال الاضافى.

و من الدلائل على التوسل:ما ذكر الصاوى فى تفصيل قوله تعالى (...وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اَشَدُّ حُبًّا لِّلّٰهِ البقرة: ١٦٥) اى فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله تعالى و اما محبة مثل الانبياء و الاولياء فمن المحبة لله تعالى.

ان قلت:ان الكفار كذلك يحبون الانداد ليقربوهم الى الله زلفى فيقتضى انها ايضاً من المحبة لله.

اجيب بانهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة و العبادة فلا يعبد الا الله لا غيره بخلاف المحبة من اجل كون ذلك المحبوب مثلا مقرباً من الله تعالى كالانبياء و الاولياء و من عبدهم كفر. (الصاوى:ج:١،ص:٦٨).

فعلم من هذا:جواب المنكرين حيث يقيسون حال متوسلى زماننا على حال المشركين حيث قال:و هكذا حال [illegible] هذا الزمان،يتوسلون باهل المقابر.

فانظر الى هذا القياس الفاسد كما يعلم من كلام الصاوى الظاهر فى الفرق بين المحبة و العبادة فان العبادة كما يعلم من جد النجديين فى (كتاب التوحيد) العبادة: التذلل غاية التذلل بخلاف المحبة فهذا قياس من غير علة مشتركة بل مع الفارق و لقد غلب على طبعهم مثل هذا القياس الفاسد.

و العجب:انهم ينكرون عن التوسل بالنبى صلى الله عليه و سلم بعد الوفاة و الحال انه عليه الصلوة و السلام واسطة لكل موجود كما ذكره الصاوى فى(ص:١٧٦)و فى ذلك اشارة الى انه عليه الصلوة و السلام واسطة لكل موجود حتى لابيه أدم على نبينا و عليه الصلوة و السلام.

و منها ما ذكره الصاوى فى تفسير قوله تعالى (... اَرْبَابًا الآية. آل عمران : ٨٠) اى بل نحبهم و نعتقدهم:انهم عبيد مكرمون،لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون، لا يضرون و لا ينفعون،فنتوسل بهم الى الله لذلك لا لكونهم اربابا.(الصاوى:ج:١

ص: ١٤٦). فعلم ان المالك للنفع والضرر هو الله تعالى والانبياء والاولياء وسائط و وسائل. فاى شرك فيه؟

و منها ماذكره فى تفصيل قوله تعالى (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا* الآية. المائدة: ٥٦) و المعنى يختار الله، يعبده و يلتجئ اليه و يختار رسوله وليًّا بان يؤمن به و يتوسل به و يعظمه و يوقره و يختار الذين آمنوا اولياء بان يعينهم و ينصرهم و يوقرهم اذا حضروا و يحفظهم اذا غابوا. (ص: ٢٥٣).

و منها ما ذكره فى تفصيل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ* الآية. المائدة: ٣٥) قوله (ما يقربكم الى الله) اى يوصلكم اليه و قوله (من طاعة) بيان لـ(ما) سواء كان فرضاً او نفلا كما فى الحديث القدسى (ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به) الحديث. فالتقوى ههنا: ترك المخالفات و ابتغاء الوسيلة: فعل المأمورات و يصح ان المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة و ترك المنهيات المحرمة و الوسيلة ما يقرب به اليه مطلقاً. و من جملة ذلك محبة انبياء الله تعالى و اوليائه و الصدقات و زيارة احباب الله و كثرة الدعاء و صلة الرحم و كثرة الذكر و غير ذلك. فالمعنى: كل ما يقربكم الى الله تعالى فالزموه و اتركوا ما يبعدكم عنه.

اذا علمت ذلك فمن الضلال البين و الخسران الظاهر: تكفير المسلمين بزيارة اولياء الله تعالى زاعمين ان زيارتهم من عبادة غير الله. كلا بل هى من جملة المحبة فى الله التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم (الا لا ايمان لمن لا محبة له) (ص: ٢٤٥)؛

فا لحاصل ان التوسل فى المحبة و المحبة من افضل القربات و كيف لانحبّ و ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو لنا فى البرزخ كما ذكره الصاوى فى تفصيل قوله تعالى (... إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ* الآية. التوبة: ١٠٣) هذا فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و اما بعد وفاته فدعاء الخليفة يقوم مقام دعائه.

و ايضاً الاعمال تعرض عليه صباحاً و مساء فان رأى خيراً حمد الله تعالى و ان رأى غير ذلك استغفر لنا، كما ورد فى الحديث (حياتى خير لكم و مماتي خير لكم، تعرض علىّ اعمالكم صباحاً ومساء فان وجدت خيرا حمدت الله و ان وجدت سوءاً استغفرت لكم)

فدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته و مماته ولا عبرة بمن ضل و زاغ عن الحق و خالف عن ذلك. الصاوى (ج:٢، ص:١٤٢).

و بالجملة كاشف الضر ليس الا الله تعالى و نسبة النفع و الضرر الى غير الله تعالى باعتبار ان الله تعالى اجرى ذلك بيده. كما قال الصاوى فى تفصيل قوله تعالى (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ* الآية. يونس:١٠٧) اى لادافع ولامانع له حقيقة الا الله فنسبة النفع و الضرر لغير الله تعالى باعتبار انَّ الله تعالى اجرى ذلك على ايديهم لاباعتبار انهم الخالقون فان نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر. (الصاوى:ج:٢، ص:١٧٥).

فعلم من التفاصيل المذكورة ان زيارة الصالحين احياء و امواتاً امر مرغوب، نعم، زيارة الصالح الحي افضل من زيارة الصالح الميت، كما قال (الصاوى:ج:٢، ص:٢٨١) و من ههنا زيارة الصالح الحى افضل من زيارة الصالح الميت فالحاصل ان مسئلة التوسل مما لايستريب فيه بعد هذه الدلائل الواضحة. الا ترى الى قول العاشق الصادق.

بيت:

يا اكرم الخلق ما لى من الوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

و النجديون يعدون هذا الشعر شركاً.

و الشيخ النانوتوى مولانا محمد قاسم بانى دار العلوم الديوبندية قال فى ترجمة هذا:

شعر: مدد کرلے کرم احمد کہ تیرے سوا نہیں ہے قاسم بیکس کا کوئی حامیٔ کار
جو تو ہی ہمکو نہ پوچھے تو کون پوچھیگا بنے گا کون ہمارا تیرے سوا غمخوار

كما ذكره مولانا السيد حسين احمد المدنى[1] رحمة الله تعالى عليه رحمة واسعة فى (الشهاب الثاقب فى الرجم على المفترى الكاذب:ص:٧١).

و ايضاً ذكر مولانا الموصوف المذكور فى ذلك الكتاب (ص:٥٥-٥٦) ان مولانا

(١) حسين أحمد المدني الديوبندي توفي سنة ١٣٧٧ هـ. [١٩٥٧ م.]

الجلجوهی رحمة الله عليه قد خلط تراب الحجرة المباركة النبوية بالكحل وكان يكتحل به.

و كانت عنده قطعة من الغلاف المتبرك فكان يريها المريدين و كان يقبّلها و يضعها على العينين.

و ذكر فی (ص:٥٧) ان بعض معتقديه ارسل اليه الزيت المحرق فی الحجرة المطهرة النبوية فشربه من فرط المحبة. فانظر الی اكابر ديوبند، كيف قائلون بالتوسل و التبركات و المدد الروحانی و النجديون يعدونها شركا.

و ايضاً ذكر علی القاری فی (نزهة الخاطر الفاتر) فی ترجمة الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه. من استغاث بی فی كربة كشفت عنه و من توسل بی فی حاجة قضيت عنه و ذكر بعد ذلك اشعارا

بيت:

أ يدركنی ضيم و انت ذخيرتی ٭ و اظلم فی الدنيا و انت نصيری

(نزهة الخاطر ص: ٦١) قال علی القاری: و قد جرب ذلك مرارا فصح.

ومن ذلك ماذكر فی (الحصن الحصين: ص:١٢٧) **(واذا انفلتت دابة فليناد اعينوا يا عباد الله)** رحمكم الله. قال ملا علی القاری فی (الحرز الثمين) و روى ابن السنی عن ابن مسعود مرفوعاً (اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله اجيبوا فان لله عباداً تحبسه) . قلت: حكى بعض شيوخنا الكبار فی العلم انفلتت له دابة اظنها بغلة و كان يعرف هذا الحديث فقال له حبسها الله عليهم فی الحال.

و كنت انا مرة مع جماعة فانفلتت بهيمة و عجزوا عنها فقلته فوقفت فی الحال بغير سبب سوى هذا الكلام. ذكره النووی فی (الاذكار)

و قال فی (الحصن الحصين) و ان اراد عوناً فليقل (**يا عباد الله اعينونی يا عباد الله اعينونی)** قال فی (الحرز الثمين) ای رواه الطبرانی عن زيد بن علی عن عقبة بن غزوان عن النبی صلی الله تعالى عليه وسلم انه قال (اذا ضل احدكم شيئا و اراد عوناً وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينونی، يا عباد الله اعينونی، فان لله عبادا لا نراهم.) قال المؤلف

و قد جرب ذلك. قال على القارى و هذا حديث يحتاج اليه المسافرون و انه مجرب.

و قال فى (الحصن الحصين) و اذا خدرت رجله فليذكر احب الناس اليه و فى حاشيته. خدرت مرة رجل عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا محمد عليه الصلوة و السّلام فكانما نشط من عقال.

و عن مجاهد: قال: خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال له اذكر احب الناس اليك فقال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب عنه.

و اذا بَلَّ الانسان بريقة اظافير اليد و الرجل خدرت زال عنه ذلك مائة الفوائد (الحصن الحصين مع حاشيته: ص: ١٧٤). فانظر الى هذه الروايات تمسك بها العلماء المحققون المحدثون فالمنكر عن التوسل ليس الا معاند او مكابر. كيف يتمشى انكاره مع الذى انتقش على صحيفة خاطره.

و العجب انهم لا ينظرون الى الدلائل المذكورة فكيف يصح ان تهمل هذه الدلائل بكلام صدر عن ابن تيمية و قد قيل فيه ما قيل.

بيت:

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة ٭ و ان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

و من الدلائل على جواز التوسل ما ذكره الشيخ احمد الصاوى فى (سورة الكهف) قال بعضهم علّموا اولادكم اسماء اهل الكهف فانها لو كتبت على باب داركم لم تحرق و على متاع لم يسرق و على مركب لم تغرق.

و قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: خواص اسماء اهل الكهف تنفع تسعة اشياء: للطلب و الهرب، و اطفاء الحريق تكتب على خرقة و ترمى فى وسط النار تطفئ باذن الله، و لبكاء الاطفال، و حمى المثلثة، و الصداع تشد على العضد الايمن، و لام الصبيان، و للركوب فى البحر و البر، و لحفظ المال، و لنماء العقل، و نجاة الاشهق (ص: ٩).

و من هذا: ظهر ايضا بطلان قول الشيخ الجديد فى (جواهر التوحيد) كما ذكر سابقاً.

و منها ما ذكره ذلك الشيخ فى تفصيل قوله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن

حبذا لبس

دُونِ اللهِ اَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ الآية. العنكبوت: ٤١) حيث قال وحمل المفسرون الاولياء على الاصنام مخرج للأولياء بمعنى المتولين فى خدمة الرب فان اتخاذهم بمعنى التبرك بهم و الالتجاء اليهم و التعلق باذيالهم مأمور به وهم اسباب عادية تنزل الرحمات و البركات عندهم لا بهم خلافاً لمن جهل و عاند وزعم ان التبرك بهم شرك (ج:٣، ص:١٩٧) .

و ايضاً قال فى (ص:٧). و بهذا تعلم ان حب الصالحين و التعلق بهم يورث الخير العظيم و الفوز بجنات النعيم.

و منها ماذكر فى (الجزء الرابع ص:٦٠). حيث قال فالكفر هو العبادة بان يقترب الى غيره كما يتقرب اليه واما زيارة الصالحين و الانبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هى من باب التسبب فى نفع الغير لان الترضى عن الاولياء و الصلوة و السلام على الانبياء دعاء المغير بذلك ولا شك ان ذلك الغير ينتفع به و المتسبب له مثله لما ورد ان الملك يقول له و لك مثل ذلك.فآل الامر الى ان زيارة الصالحين و التوسل بهم من جملة طاعات الله تعالى و صاحبها محبوب الله تعالى لان احب عباد الله الى الله انفعهم لعباده و صدق عليهم انهم يصلون ما امرالله به ان يوصل فليست معصية فضلا عن كونه شركا كما اعتقده ذووا الجهل المركب و العقيدة الزائغة انتهى. و اصحاب العقيدة الزائغة ههنا الفرقة المسماة بالوهابية كما ذكره الشيخ فى الجزء الثالث (ص:٢٥٥). حيث قال و قيل هذه الاية نزلت فى الخوارج الذين يحرّفون تأويل الكتاب و السنة، و يستحل بذلك دماء المسلمين و اموالهم هو مشاهد الآن فى نظائرهم وهم فرقة بارض الحجاز يقال لهم الوهابية (...وَ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ عَلٰى شَيْءٍ اَلَآ اِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝ اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَاَنْسٰهُمْ ذِكْرَ اللهِ اُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ اَلَآ اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ۝ المجادلة :١٨-١٩) نسأل الله الكريم ان يقطع دابرهم.

اقول و هكذا حال من يدعى التوحيد فى زماننا و ينسبون من خالف عقيدتهم الزائغة الى الشرك اعاذنا الله من عقائدهم الزائغة و دمرالله عليهم (اللهم آمين).

و منها ما ذكره ذلك الشيخ فى تفسير قوله تعالى (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ اِلٰهاً اٰخَرَ۝ الآية. (القصص:٨٨) قوله (تدع) اشار بذلك الى ان المراد بالدعاء العبادة و حينئذ فليس فى الآية

دليل على ما زعمه الخوارج من ان الطلب من الغير حيًا او ميتاً شرك فانه جهل مركب لأن سؤال الغير من حيث اجراء الله النفع والضرر على يده قد يكون واجباً لانه من التمسك بالأسباب و لاينكر الأسباب الا جحود او جهول (ج:٣، ص: ١٩٠)

و علم من هذا الكلام ان التوسل من قبيل التمسك بالاسباب لا انه فوق الاسباب كما يقوله المنكرون و منشأ ذلك الاخذ بظواهر النصوص مع انه قال الشيخ احمد الصاوى **(فالخارج عن المذاهب الاربعة ضال ومضل)** و ربما اداه ذلك الى الكفر لان الأخذ بظواهر الكتاب و السنة من اصول الكفر (ج:٣، ص:٩).

و منها ما قال ذلك الشيخ فى سورة (الشورى) **فى تفسير قوله تعالى (... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ* الآية. الزمر:٣) قوله اى الاصنام تفسير للمفعول الاول فهو** محذوف، و الثانى هو قوله اولياء. و المعنى و الذين اتخذوا الاصنام آلهة معبودة قائلين (... **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى* الآية. الزمر:٣)** تدل عليه الآية الاخرى. و اما الاولياء بمعنى المتولين فى خدمة ربهم و تولاهم بمحبته و معرفته فمحبتهم و التعلق بهم من جملة طاعات الله تعالى لانهم الوسيلة لنا الى الله تعالى و رسوله. و ليست محبتنا و توسلنا بهم شركاً الا اذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلا. فاعتقاد انهم يؤثرون بالذات فى نفعهم و ضررهم خلافا للخوارج الضالين المضلين حيث زعموا ان كل احد توسل الى الله باحد فهو مشرك (ج:٤، ص:٢٧).

و منها ما ذكره ذلك الشيخ فى (ج:٣،ص:٢٥). و بتفسير الاولياء بالارباب اندفعت شبهة الخوارج ان محبة الاولياء و زيارتهم اشراك. و استدلوا بمثل هذه الآية فيقال ان كان اعتقاد الاولياء على سبيل انهم عباد اختاروا خدمة ربهم و عبادته فاختارهم و احبهم فهذا الاعتقاد منج من المهالك و مورث للفوز بصحبتهم و مرافقتهم فى دار السّلام لما ورد **(المرء مع من احب)** انتهى.

ولا يخفى انه ان كان المراد من الشرك فى الذات فظاهر ان احدا من المتوسلين لايعتقدون الأنبياء و الاولياء واجبة بالذات.

و ان كان المراد الشرك فى الصفات فظاهر ان احدا لايعتقد ان الانبياء و الأولياء مستقلون فى النصر و الضرر لا فى الحياة الدنيوية ولا فى الحياة البرزخية.

و ان كان الشرك فى العبادة فليس فى التوسل معنى العبادة فان عبادة الغير مطلقاً باطلة حيًا و ميتا فلا تخصيص فى الأموات.

و ان كان الشرك فى الاستعانة فلا يعتقدون لهم الاستقلال.

و ان كان الشرك فى التسمية فليس له احتمال ههنا.

و ان كان فى الامر والحكم و الملك فهو راجع الى هذه الاقسام و اذا انتفى الشرك بحذافيره، فما معنى الشرك؟

و ان كان الشرك فى اصطلاحهم فلهم ان يصطلحوا على ما شاؤوا ولا يكونون ملزمين علينا كما لايخفى على ذوى البصائر.

و بعد هذا فنقول قد قرب نصاب الدلائل فى مسئلة التوسل الى التكميل و علم ان التوسل بالانبياء و الاولياء فى الحياة الدنيوية و البرزخية كليهما جائزان بل التوسل بآثارهم وثيابهم ايضاً ثابت كما علمت مما مضى، بل اشرف على التهانوى: نقل فى رسالته (الشفاء بنعل المصطفى) من كتاب (فتح المتعال فى مدح[1] خير النعال) للعلامة الحافظ المحدث التلمسانى رحمة الله عليه ان توسل احد بنقش نعل سيد الاحرار و العبيد فهو ايضاً جائز.

و كذا نقله من رسالة (الاستبراك بنعل سيد الاحرار و العبيد) و ذكر ههنا طريق التوسل و من نفع بالتوسل به و ذكر اشعارا ذوقية.

شعر:

يا طالباً تمثال نعل نبيه * ها قد وجدت الى اللقاء سبيلا
فاجعله فوق الراس و اخضعن له * وتفال و اوله التقبيلا
من يدعى الحب الصحيح فانه * يثبت على ما يدعيه دليلا

و ذكر له اثارا عجيبة الا ان العوام لما زاد غلوهم فيه حيث كتبوا الآيات القرآنية على نقش النعل المبارك فخالف فيه مولانا المفتى كفاية الله الدهلوى رحمه الله فبعد بحث طويل حكم اشرف على التهانوى المذكور بضبط الرسالة لأجل الغلو لا لأن ذلك التوسل غير جائز كما يدل عليه كلام اشرف على التهانوى الى مولانا الدهلوى فى آخر كلامه.

(١) مؤلف فتح المتعال أحمد المغربي المقري توفي سنة ١٠٤١ هـ. [١٦٣١ م.]

بیت:

ندانی که مارا سر جنگ نیست * و گر نه مجال سخن تنگ نیست

فانظر الی هؤلاء العلماء الاعلام اصحاب الشريعة و الطريقة و الفقه و التصوف فانهم قائلون بالتوسل بنقش نعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لان نقش نعله صلى الله تعالى عليه وسلم و شعره المبارك كما ذكر فيما سبق من الاحاديث الصحيحة و ليكن هذا آخر ما كتبنا فى مسئلة التوسل الذى هو مقصد ثان و جزء ثالث من اجزاء الكتاب.

بیت:

من آنچه شرط بلاغ است باتو در گفتم * تو خواه از سخنم پند گیر و خواه ملال

و لنشرع فى المقصد الثالث فنقول:

المقصد الثالث فى التنقيد على ما ذكر فى بحث الانكار من سماع الموتى فى كتاب البصائر

فنقول سماع الموتى حق كما ثبت بالادلة الواضحة فى المقصد الأول الذى سيق لاثبات سماع الموتى.

و ما ذكر من الاستدلال فى (ص:٨) بقوله تعالى **(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾** الآية. النمل: ٨٠) و(**...وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ فاطر: ٢٢)**

فنقول قد ذكر فى المقصد الاول ان هذا التقريب غير تام لان الدعوى نفى السماع و الدليل يدل على نفى الإسماع.

و ان قلت ان نفى الإسماع مستلزم لنفى السماع بناء على قاعدة المطاوعة.

فنقول قد ذكرنا ان الإسماع مطلق و مطاوعه مطلق السماع و قد نفى ههنا إسماع النبى صلى الله تعالى عليه و سلم كما يدل عليه الخطاب مع النبى صلى الله تعالى

عليه و سلم فى كلا الآيتين و نفى الخاص لايستلزم نفى العام فكيف يثبت نفى السماع المطلق و الا فلم يقيده المفسر سماع افهام و قبول و كيف التطبيق مع الاحاديث الدالة على السماع كما فى حديث (قليب بدر) و كما فى حديث (انه ليسمع قرع نعالهم) .

و ان قلت انه فى اول الوضع.

قلنا اولا لاتخصيص فى الحديث و لئن سلم فنقول الميت فى اول الوضع ايضاً ميت و لذا قال عمر رضى الله تعالى عنه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ناداهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (أ تكلم أجساداً بلا ارواح) فاذا كان فى اول الوضع ميتاً فعلم انه ايضاً مخالف لعموم النص فلابد من التوفيق و هو ان يكون المراد بالسماع السماع المتعارف الذى يترتب عليه الجواب. و الا فالشيخ الدهلوى و الحافظ ابن القيم كيف قالا بسماع الموتى.

اما كانت الآيتان معلومتين لهما وكذا لغيرهما من العلماء القائلين بسماع الموتى و اما التشبيه فهو دليل لنا لان الموتى ان كانوا لايسمعون مطلقاً كما قلتم فكيف التشبيه فان الكفار يسمعون و ان كانوا لايسمعون سماعاً يترتب عليه القبول و الجواب فهو مطلوبنا.

و ما قال (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ الآية. فاطر:٢٢)

فنقول لايلزم من سماع الموتى مساواة الموتى مع الأحياء و ان كان هذا قولا بالمساواة لزم القول بنفى ادراك العذاب و الثواب و الا يلزم المساواة مع انهم قالوا بادراك الميت العذاب و الثواب فكما ان نفس ادراك الثواب و العذاب من الميت لايستلزم المساواة فكذا نفس السماع ايضاً لايستلزم المساواة فان بين الأحياء و الأموات تفاوتا من وجوه:

و ما ذكر من قول الامام الرازى فى (ص:٩) ان الاحياء لايساوون الاموات.

فنقول بموجبه و دعوى السماع لايلزم المساواة.

و ما ذكر من قول الامام الرازى رحمة الله عليه ان الميت لا يدرك شيئا.

ان كان على عمومه الظاهر من وقوع النكرة فى سياق النفى لزم عدم ادراك العذاب و الثواب و التالى باطل فالمقدم مثله فلا بد من التقييد.

و ما ذكر فى (ص:١٠) ان عدم سماع الموتى موافق لاصول الحنفية رحمة الله عليهم

فنقول أصول الحنفية انما هى مسائل الأيمان بان حلف احد لا يكلم فلانا و لا يضربه فكلّمه و ضربه بعد الموت لايحنث لان الميت لا يسمع و لايتألم. فنقول اجاب عنه صاحب (المرقاة) فى (شرح المشكاة) ان مبنى الأيمان على العرف فالمراد نفى الآلم المتعارف والسماع المتعارف فهذه المسائل مبنيّة على اصول الحنفية ان مبنى الأيمان على العرف لا على إن الميت لايسمع و لايتألم مطلقاً لانه قد ورد (كسر عظام الميت ككسرها حياً) و من لزومه الايلام كما ذكر سابقاً مفصلا.

و ما قال فى (ص:١١) ان نفى الاصل يستلزم نفى الفرع.

فقد ذكر الجواب عنه آنفا و سماع الموتى لايكون الا باسماع الله تعالى كما قال (... إِنَّ اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَآءُ۝ الآية. الفاطر :٢٢)

و ما قال ان مشئية الله لاسماع الموتى غير معلومة لنا.

فنقول اذا كانت الدلائل دالة كيف لايكون معلوماً و لذا قال الحافظ ابن عبد البر ثبت عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (ما من مسلم يَمُرُّ على قبر اخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رَدَّ الله عليه روحه حتى يردّ عليه السَّلام) فهذا نص فى انه يعرفه و يردّ عليه السَّلام نقله الحافظ ابن القيم (فى كتاب الروح ص:٤). و كذا قال الحافظ قد شرع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على الاموات والخطاب معهم و لولا ذلك لكان الخطاب بمنزلة الخطاب مع المعدوم و الجماد و السلف مجمعون على هذا. و قد تواترت الآثار عنهم بان الميت يعرف زيارة الحى و يستبشر به و لذا انعقد ابن ابى الدنيا فى (كتاب القبور) باباً سماه باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء ثم ذكر الحافظ ابن قيم فى هذا روايات كثيرة من (ص:٥، الى ص:١٣).

و ما ذكر فى (البصائر ص:١٣) فيكون الميت هناك بعد سؤال الملكين ميتاً بلاروح.

فنقول ان كان المراد بلا تعلق روح اصلا فممنوع لما ثبت ان للروح تعلقاً بالروح و لذا يقرأ . يصلى و يتفاوت ذلك المتعلق بحسب تفاوت المراتب كما نقلت سابقاً من

(المرقاة) و (المظهرى) و ان كان بلا تعلق روح كـ لحياة الدنيوية فذلك لا يضرنا.

و ما قال فى (ص:١٥) ان اخبار الآحاد لا يخص النص.

فنقول ان كان الانكار عن سماع الموتى مطلقا سواء كان فى اول الوضع او فى بقاء الوضع فذلك مردود عليه برواية (قليب بدر) كما فى حديث الصحيحين (وان الميت يسمع قرع نعالهم) كما فى (صحيح مسلم) وان كان الانكار عن سماع الموتى بقاء و الاقرار به ابتداء فنقول قد سلم تخصيص العام و ان كان ابتداء و العام اذا خص اولا يخص ثانياً بدليل ظنى كما ثبت فى كتب الاصول فى بحث العام فعلم ان هذا موافق لأصول الأحناف لا مخالف. نعم مخالف لاصولك و لا تلزمنا.

و ما قال فى (ص:١٦) ان اكثر الروايات فى سماع الموتى فيهم الوضاعون و ما ثبت فقد ردتها عائشة رضى الله تعالى عنها.

قلنا قد ذكرنا ان انكار عائشة رضى الله تعالى عنها كان مستندا الى النص لكون الحديث مخالفاً للكتاب و قد ذكرنا انه لا مخالفة، على ان الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه صرح برجوع عائشة رضى الله تعالى عنها كما نقله من (المواهب اللدنية) و العجب انه ينظر انكار عائشة رضى الله تعالى عنها و لا ينظر الى اقرار غيرها. أما كان الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه عالما بالمذهب كما ذكر فى السابق.

و ما ذكر فى (ص:١٥) ان احاديث القراءة خلف الامام تبلغ حد الشهرة مع ان الامام رحمة الله عليه لا يخص النص بل يطلق على العموم فماذا لهذا المثبت للسماع بترك اصول مذهبه.

قلنا الاحاديث فى باب القراءة خلف الامام معارضة لاحاديث أُخر من قوله عليه الصلوة والسلام (من كان له امام فقراءة الامام قراءة له) و قوله عليه الصّلوة و السّلام (انما جعل الامام ليؤتم به) و قوله عليه الصلوة و السلام (ما لى أنازع فى القرآن) الى غير ذلك من الاحاديث و الآثار وكذا قوله تعالى (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۝ الاعراف: ٢٠٤) فلذا قال الامام بعدم القراءة خلف الامام مع ان فى بعض الآثار الوعيد على القراءة خلف الامام لا ان عند الامام الاعظم العام يخص بالخبر المشهور فان علماء الاصول صرحوا بان الخبر المتواتر يجوز به نسخ القران اصلا و وصفاً. و الخبر المشهور يجوز به

النسخ وصفاً اى نسخ العموم و الاطلاق لا اصلا، و الخبر الواحد لا يجوز به النسخ اصلا، لا اصلا ولا وصفاً وهذا مما لايخفى على من له ادنى مس بكتب الأصول. الا ترى ان الأحناف يقيدون قوله تعالى (حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ* البقرة : ٢٣٠) بالدخول بنكاح صحيح بحديث الوسيلة لان العلماء تلقته بالقبول. و العجب انهم كيف يتمسكون لدعاو يهم بلوازم بعيدة.

و ما قال ان معنى السماع، العلم.

فنقول سياق حديث (قليب بدر) يأبى هذا التأويل لانه عليه الصلوة و السّلام قال فى جواب عمر رضى الله تعالى عنه (والذى نفسى بيده ما انتم باسمع من هؤلاء ولكن لايجيبون) فانه عليه الصّلوة و السّلام لما قال (ما انتم باسمع) و الظاهر انهم كانوا يسمعون قوله عليه الصّلوة و السّلام فكذا الموتى. و انكار عائشة رضى الله تعالى عنها انما هو عن تلك الرواية و هذا على تقدير عدم الرجوع و قد نقلنا سابقاً عن الشيخ ان فى مغازى[١] محمد بن إسحاق باسناد جيّدٍ و من الامام احمد باسناد حسن روى حديث عمر رضى الله عنه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ايضاً فهذا دليل على رجوعها. (اشعة اللمعات ج:٣، ص :٣٧٤) على انه ان سلم العلم للموتى و العلم بالمسموعات ايضاً داخل فى العلم كالعلم بالمبصرات الا انه لايكون على وجه الإسماع و الابصار و هذا على تقدير خراب البدن على ان خراب بدن الكل بطريق الايجاب الكلى فى حيز المنع كما مَرَّ مِنَ (المظهرى) وغيره سلامة اجسام الانبياء عليهم الصلوٰة و السلام و الملحقين بهم.

و ما قال انها تأولت بالعلم اى يعلمون بالعذاب لا انهم يسمعون بالاذن.

فهذا التأويل جدير بان يضحك به لان انكار عمر رضى الله تعالى عنه هل كان عن العلم بالعذاب ام عن السّماع حيث قال يا رسول الله اتكلم اجسادا بلا ارواح. فانكاره كان عن التكلم حيث قال انهم لايسمعون كلامك فاى فائدة فيه فالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر له انهم يسمعون بطريق ابلغ. و الظاهر ان هذه الواقعة كانت عند حضور اشخاص كثيرة لانها واقعة (غزوة بدر). و ما انكر على عمر رضى الله تعالى عنه فى رواية الحديث احد غير عائشة رضى الله تعالى عنها و انها ما حضرت تلك الواقعة فالعجب من هذه التأويلات المستبشعة و اذا كان سماع الموتى أمراً مخالفاً عن مذهب الاحناف

---

(١) محمد بن اسحاق امام الائمة توفي سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في نيشابور

كيف قال الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه.

و بالجملة الكتاب و السنة مملوءان بالاخبار و الآثار الدالة على العلم للميت فلا ينكره الا جاهل او منكر عن الدين. (ج:٣،ص:٣٧٤) أ ينسب الجهل و الانكار عن الدين الى الاحناف قاطبة كلا و حاشا.

و ما قال فى (ص:١٧) انه عليه الصّلوة و السّلام نهى ان يسب قتلى بدر من المشركين و قال (**لا تسبوا هؤلاء فانه لايخلص اليهم شئ مما تقولون، تؤذون الاحياء.**) وضم الشيخ معه الضميمة بان هذه الرواية تدل على انهم لايسمعون.

فنقول اولا ان هذا حديث مرسل و حديث عمر رضى الله تعالى عنه الدال على السماع مرفوع.

و ثانياً انه لايعلم ان ذلك السب كان عند قتلى بدر قريبًا و الظاهر ان هذا كان بعيداً أذ فى صورة القرب قال عليه الصلوة والسّلام (**ما انتم بأسمع من هؤلاء**) و لاندعى السماع من اى مكان.

و ثالثاً انه عليه الصّلوة و السلام قال (**لا يخلص اليهم**) اى لا ضرر لهم بسبكم لانهم فى عذاب عظيم لا انهم لايسمعون.

و ما قال انه نزل قوله تعالى (**إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتٰى* الآية. النمل: ٨٠**) فى خطاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقتلى بدر بانهم لايسمعون كلامك.

فاعجب العجاب اذ فى المتفق عليه (**ما انتم باسمع من هؤلاء**) بل كان من الضروريات ان ينبه عليه ليثبت الرجوع عن الكلام السابق.

و ايضاً لا معنى لبحث عائشة رضى الله تعالى عنها بل تقول رأساً ان الآية نزلت فى رد كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الكفار فالعجب كل العجب.

على ان علىّ القارى صرح فى (ج:٣،ص:٣٣٥) بخلاف روح المؤمن فانها تسير فى ملكوت السمٰوات و الارض و تسرح فى الجنة حيث شاء و تأوى الى قناديل تحت العرش و لها تعلق ايضاً بجسده تعلقا كليا بحيث يقرأ و يصلى الى ان قال فلا يشكل شئ منها بالآيات بل صرح العلامة القارى بانه لا تباعد من الاولياء حيث طويت لهم الارض و حصل لهم ابدان مكتسبة و وجدوها فى اماكن مختلفة فى آن واحد اهـ. مرقاة (ج:٢،ص:

٣٤٢) فبعد هذا لا استبعاد فى سماع الموتى.

على انا نقول ان كان المراد من نفى السماع السلب الكلى لدخل فيه الانبياء عليهم الصلوة و السلام و التالى باطل لما ورد (**ان نبي الله حيٌّ يرزق**) و كما قال عليه الصّلوة و السلام (**صلوا عليّ فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم.**) و ورد (**ان كان بعيدا ابلغته و ان كان قريبا سمعته**) الى غير ذلك و اذ قد ثبت صلاة موسى على نبينا و عليه الصّلوة و السّلام فى القبر كما فى (حديث المعراج). و تلاوة (سورة الملك) من القبر كما فى حديث رواه الترمذى. و ذكره صاحب (المشكاة).

و اذا ثبت ذلك فى الانبياء عليهم الصّلوة و السلام فالاولياء ملحقون بهم كما قال الامام الغزالى رحمة الله عليه من انكر طور الولاية انكر طور النبوة.

و كما دل عليه الترتيب فى قوله تعالى (... فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنۡعَمَ اللّٰهُ عَلَيۡهِمۡ مِنَ النَّبِيّٖنَ و الصِّدِّيۡقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ اُولٰٓئِكَ رَفِيقاً ۞ النساء :٦٩) كما ذكر سابقا من (المظهرى) مفصّلا.

و ان كان السلب الجزئى فذلك لايضرنا فانا لاندعى ان الاموات بقضهم و قضيضهم يسمع فى كل وقتٍ فوجب قول من قال ان الميّت لايسمع بقيد سماع كلى او متعارف و الا فما يفعل بالروايات و المشاهدات و الآثار و الاخبار.

و ما ذكر فى (ص:١٨) من شهادة هشام بن العاص و وقوعه على ثلمة و آباء المسلمين ان يطأ جثّته بالخيل و قال عمرو بن العاص انه استشهد و رفع روحه و انما هى جثّة فوطأها ثم اوطأه و تبعه الناس حتى قطعوه نقله من (شرح الصدور).

فنقول اولا كيف يتمسك بما ذكر فى (شرح الصدور) فان امثال هذا الشيخ لايعبأون بقول السيوطى سيما فى (شرح الصدور).

و ثانيا ان كان قوله فى (شرح الصدور) قابلا للتمسك فلعله ما رأى فى شرح الصدور (باب احوال الموتى فى قبورهم و انسهم فيها فهم يصلون فيها و يقرؤون و يتزاورون و يتنعمون و يلبسون) (ص:٧٤).

و لعله ما رأى قوله فى شرح الصدور (باب زيارة القبور و علم الموتى بزوارهم و

رؤیتهم لهم) فلعل بصره ما وقع فی (شرح الصدور) علی تلک الابواب و غیرها بل وقع بصره علی واقعة هشام بن العاص حیث وطأت جثته بالخیل و المثل المشهور کیف انتلبق ههنا علی الشیخ ان صاحب الغرض و یحرق الطین و کما قیل فی البلاغة تشبیه اظهار المطلوب کما یقول الجائع (وجه زید کالرغیف).

و ثالثا ان هذه حکایة حال لاعموم لها فکیف یتمسک بها فی العمومات.

و رابعاً انه کان هناک ضرورة عامة حیث کان سببا لسد المؤمنین و (الضرورات تبیح المحظورات).

و خامساً هل یعتقد الشیخ ان وطأ جسد المؤمن سیما الشهید بالخیل جائز فان کان یعتقد جوازه فهذه عقیدة تلیق به و کشفت عقیدته من حیث لا یدری و لا تلیق هذه العقیده بشان جاهل فضلا عن فاضل مثل هذا الفاضل.

شعر: انت بما عندک و نحن بما عن ⋆ دنا راض و الرأی مختلف

و ان کان لایعتقد جواز ذلک فکیف یتمسک فی المواقع العامة.

و سادساً انه ما یفعل بقوله علیه الصلوة و السلام (کسر عظام المیت ککسرها حیًا) قال الطیبی[1] اشارة الی انه لایهان المیت قال ابن الملک: و الی انه یتألم المیت. قال ابن حجر: و من لوازمه انه یتلذذ.

و سابعاً المیت اهل الادراک کما فی حدیث عائشة رضی الله تعالی عنها حیاء من عمر رضی الله تعالی عنه قال الشیخ الدهلوی رحمة الله علیه، فیه دلیل واضح علی ادراک المیت و اذا کان اهل الادراک کیف یجوز وطؤه بالخیل.

و ثامنا ورد (ولا تؤذ صاحب هذا القبر) قال علیه الصلوة و السلام عند اتکاء احد الی القبر (ولاشک ان ایذاء وطئ الخیل اکثر من الاتکاء الی القبر) فعلم ان فعل عمرو بن العاص کان لاجل الضرورة و لایصیر تمسّکا عاما کما یتمسک به الزائغون.

فعلم ان ما یدل علی نفی الافهام والایلام و الاسماع فالمراد منه ما یکون متعارفا لا مطلقاً لینطبق الدلائل فان الاصل فی الدلائل الاعمال دون الالغاء و الاهمال.

و ما ذکر من حدیث عبد الرحمن بن کعب من اهداء ام بشر السلام لاحد حین کان کعب محتضرا حیث ذکر فیه ان ارواح المؤمنین فی حواصل طیور خضر و ذکر معه

(۱) شرف الدین حسین الطیبي توفي سنة ۷۴۳ هـ. [۱۳۴۲ م.]

الشيخ الضميمة كما هو دأبه ان هذا الحديث يدل على ان ارواحهم فى حواصل طيور معلقة بشجر فكيف يسمع.

قلنا فى اهداء السلام لاحد بذريعة المحتضر دليل لنا ان الموتى يلاقون تلاقيا روحانياً كما ذكر العلامة السيوطى فى (شرح الصدور) و ذكر سابقا و تعلقه بشجر الجنة ليس دائما بل ذكر القارى ان ارواح المؤمنين تسير فى ملكوت السمٰوات و الارض. كيف ورد اتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز كما ذكره العلامة السيوطى فى (شرح الصدور) من اراد الاطلاع فليطالع ثمة.

و ايضا ذكر اشرف على التهانوى فى كتابه (بزم جمشيد) ان جده استشهد فى غزوة و كان يأتى جدته بعد الوفاة و يعطيها شيئا للصبيان و يقول لها لا تخبرى احدا فعلم انهم يجيؤون الى الارض و الدار فكيف يتم استدلال الشيخ المنكر.

و ايضاً قد ذكر العلامة السيوطى باب معرفة الميت من يغسله و يجهزه و سماعه ما يقول فيه و ما يقال له و الجنازة مارة.

و ايضا ذكر الامام البخارى رحمة الله عليه ان الميت ان كان من اهل السعادة فيقول (قدمونى قدمونى) وان كان غير ذلك يقول (يا ويلها اين تذهبون بى) يسمعه كل شئ الا الثقلين.فعلم ان الروح ما انقطع تعلقها بالكلية حتى يتم* استدلاله.

و ما ذكر فى (ص:١٨) ان الجسم يفنى و ياكله التراب.

فنقول لانسلم هذا على طريق العموم فان اجساد الانبياء عليهم الصّلوة و السلام محرمة على الارض ان تاكلها كما فى الحديث و كذلك اجساد الشهداء كما نقل سابقا عن (المظهرى) فكيف يصح هذا على سبيل الاستغراق.

و ايضاً ذكر الحافظ ابن قيم فى (كتاب الروح ص:٥) وقد شرع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على اهل القبور سلام من يخاطبونهم فيقول (السلام عليكم دار قوم مؤمنين.) و هذا خطاب لمن يسمع و يعقل ولو لا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم و الجماد و السلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بان الميت يعرف زيارة الحى له و يستبشر به فان الحافظ ادعى التواتر و الاجماع فى ذلك فكيف سبيل الانكار و كذا قول الامام الغزالى رحمة الله عليه تسلب منه اعضائه اه .

وما ذكر من التمسك بقول الخازن فى (ص:١٩): فغريب غاية الغرابة لان الخازن صوفى وهم يقولون فى شأن الصوفية ما يقولون حيث يقولون هم اكذب عباد الله. على انه ما وقع بصره على قول الخازن فى تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ الآية. الحجرات :٣) قال انس رضى الله تعالى عنه فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشى بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابتٌ من المسلمين بعض انكسار و انهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة رضى الله تعالى عنه ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا ثم ثبتا و قاتلا حتى قتلا و استشهد ثابت و عليه درع فرآه رجلٌ من الصحابة بعد موته فى المنام و انه قال له اعلم ان فلاناً رجلا من المسلمين نزع درعى فذهب به وهو فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طبله وقد وضع على درعى برمته فأتِ خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعى وأتِ ابا بكر رضى الله تعالى عنه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ان علىَّ ديناً حتى يقضيه عنى و فلان من رقيقى عتيق فاخبر الرجل خالداً فوجد الدرع و الفرس على ما وصفه فاسترد الدرع و اخبر خالد ابا بكر رضى الله تعالى عنه بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر رضى الله تعالى عنه وصيته. قال مالك بن انس رضى الله تعالى عنه لااعلم وصية اجيزت بعد موته الا هذه.(خازن ج:٤، ص:١٦٥). فان هذه كرامة بعد الممات فلم لايسلم الكرامة بعد الممات.

و مثل ذلك ذكر الحافظ ابن قيم فى (كتاب الروح) وأقعات كثيرة و قد ذكرت نبذ منه سابقا، من اراد التفصيل فليراجع الى (كتاب الروح).

و ما ذكر من الاقوال المختلفة فى الروح فى (ص:٢٠ و ص:٢١).

فنقول على كل تقدير للروح فى البرزخ تعلق بالجسد كما ذكر مراراً و صرح به الحافظ ابن قيم و على القارى و لذا يقرأ و يصلى كما فى الاحاديث الصحيحة.

و اما قوله فى (ص:٢٢) فهل ينزلون الى الدنيا و خساستها و الى السجن الذى تفارقت منها اهـ.

فنقول اذا ثبت من الروايات رجوع الروح الى الدنيا فاى استبعاد فيه وقد نقلنا سابقاً عن الحافظ ابن قيم ان للروح حركة سريعة ترجع فى لحظة واحدة. و قد ذكر الحافظ

فى (ص:١٠) فهذا علم باتكائه و بصلاته و هكذا آثار كثيرة و هذا ليس اثباتا بالرؤيا فقط بالحجج وقد ثبت فى الصحيح ان الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه كما ورد فى حديث مسلم طويل حتى استأنس بكم و لذا ورد القراءة فى القبور (ص:١٢-١٣).

و ما ذكر من الرد على ما استدل به على سماع الموتى حيث قال ان المستدلين لسماع الموتى ينسبون الى كتب الاحاديث التى لم يشترطوا الصحة و الثبوت فيما يرون و قال ان مجرد روايتهم الحديث ليس تصحيحاً له لا توثيقا اهـ.

فنقول ان مجرد الرواية و ان لم يكن توثيقا الا انه لما كان الراوى من الأئمة المتقنين كما قال صاحب (المشكاة) فى خطبته كما رواه الائمة المتقنون و الثقات الراسخون و عد بعضهم فكيف لايكون ذلك توثيقاً فان نقل الثقة كالاسناد كما قال صاحب (المشكاة) فى خطبته و ان كان نقله وانه من الثقات كالاسناد وقد قال الحافظ ابن عبد البر ثبت عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (ما من مسلم يمر على قبر اخيه و كان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام). (كتاب الروح ص:٤) فانظر الى كلام الحافظ عبد البر انه قال ثبت و هذا ليس الا تسديدا و توثيقا.

و ما قال فى (ص:٢٥) ان حديث (قليب بدر) غير ثابت من حيث المعنى حيث روته عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله تعالى (اِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتٰى الآية. النمل :٨٠) و (...وَمَا اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ فاطر:٢٢).

فنقول اولا الحديث مذكور فى الصحاح و راويه عمر رضى الله عنه و ردّ عائشة رضى الله تعالى عنها انما كان لاجل انه مخالف للقرآن و قد علم انه لامخالفة فان الإسماع غير السماع و ان كان مجرد المخالفة بحسب الظاهر موجبا لعدم الثبوت من حيث المعنى فهذا افتتاح باب عظيم.الا ترى ان حديث (لاصلوة الا بفاتحة الكتاب) مخالف ظاهرا لعموم قوله تعالى (... فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْاٰنِ الآية. المزمل :٢٠) و امثال هذا كثيرة.

و اما ثانياً فقد ذكرنا سابقاً عن (المواهب اللدنية) ان عائشة رضى الله تعالى عنها روت حديث عمر رضى الله تعالى عنه باسناد جيّد فعلم رجوعها فاين ردها فان الاعتبار للقول الاخير فكيف عدم ثبوت الرواية من حيث المعنى كما قاله المنكر.

و اما ما قال انه قال على سبيل الموعظة للاحياء لا لافهام الموتى.

فنقول كيف يصح هذا التاويل مع سؤال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله أ تكلم اجساداً بلا ارواح؟ فقال عليه الصلوة والسلام فى جوابه(**والذى نفسى بيده ما انتم باسمع من هؤلاء ولكن لايجيبون**) فهذا نص فى ان الخطاب كان للافهام و الاّ لقال عليه الصّلوة و السّلام قلت موعظة للاحياء مع ان الخطاب للاموات بطريق الموعظة للاحياء لا استبعاد فيه فكيف استبعاد عمر رضى الله تعالى عنه فهذا ليس الا اخراجاً للحديث عن مفاده بل هو تحريف معنى.

و اما القياس على قول على رضى الله تعالى عنه للاموات دياركم سكنت اهـ.

فنقول النزاع فى المقيس كالنزاع فى المقيس عليه فان الخطاب انما هو للافهام على ما مر من الحافظ ابن قيم ولذا ورد فى طريق (**فاخبرونا، ايها الصامتون**). وايضاً فى لفظ (هذا خبركم عندنا فما خبرنا عندكم) فى قول على رضى الله تعالى عنه و لفظ(**ما انتم باسمع من هؤلاء ولكن لايجيبون**) فى قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فارق بين فقياس احدهما على الآخر قياس مع الفارق و الا فنقول بطريق القلب، الخطاب فى قوله عليه الصّلوة و السّلام للإفهام فيكون فى قول على رضى الله تعالى عنه ايضاً للافهام.

و اما ما قال بانه مخصوص،

فقد رده الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه بانه لادليل على التخصيص و اى باعث على التخصيص.

و ما قال انه تعالى احياهم.

فنقول هذا ايضاً يخالف لجوابه عليه الصّلوة و السّلام و الا لقال عليه الصّلوة و السلام لعمر رضى الله تعالى عنه ما هذه اجسام بلا ارواح بل ردت الارواح و ايضا مع رد الروح لااستبعاد ولذا قال بهامش (فتح القدير) بعد ما قال و كان هذا على سبيل الوعظ للأحياء لا على سبيل الخطاب للموتى والجمادات و فيه بحث لانه يرده تتمة القصة لو صحت فعلم ان ما ذكره مبحوث فيه انتهى. (حاشية فتح القديرج:٤، ص:٦٢).

و ما ذكر فى (ص:٢٦) انه كانت وقت المسئلة و وقتها اعادة الروح و حديث عائشة رضى الله تعالى عنها محمول على غير وقت المسئلة فبهذا يتفق الخبران.

فنقول اعادة الروح الى الجسد وقت السؤال ليست بمتفق عليها بل فيها قولان: احدهما انه باعادة الروح و ثانيهما لا، على انه على تقدير اعادة الروح يلزم المنافاة مع قوله تعالى (...رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ* الآية. المؤمن :١١) كما يعترض الشيخ فى مقام و لعله ذهل عن ذلك.

و ما قال فى (ص:٢٧) ان فى الفاظ الحديث (انهم الآن يسمعون ما اقول لهم) و ايد بقول السيد الشريف الجرجانى ان ازدياد التقييد يوجب ازدياد الخصوص.

فنقول تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على النفى عما عداه فى النصوص، نعم، يدل فى الروايات. الا ترى ان ذلك ذكر فى الوجوه الفاسدة، نعم يفهم من الحديث انهم يسمعون الآن و غير الآن مسكوت عنه لا تعرض له لا نفيا و لا ثبوتا و لذا نقول بالغسل بالإكسال مع ورود قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الماء من الماء) فانظر كيف اغمض عن قواعد الاحناف.

ثم لا ادرى ما معنى قوله (يسمعون ما اقول لهم) قضية مهملة فى قوة الجزئية فان الجمع ظاهر فى العموم و ما ايضا من الفاظ العموم فلا ادرى بمعنى المهملة فى قوة الجزئية ههنا على انه ورد (ما انتم باسمع من هؤلاء) فانها جملة اسمية، تدل على الدوام و الثبات كما تقرر فى موضعه و المضارع ايضا يدل على الاستمرار التجددى كما فى قول الشاعر:

بيت:

او كما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

و ما قال فى (ص:٢٨) ان النص قطعى الدلالة على نفى السماع و الحديث ظنى الدلالة فكيف يخص النص.

فنقول ان الآية دالة على نفى الإسماع لا على نفى السماع و من الحديث يعلم نفس السماع فلا دلالة للاية على نفى السماع فضلا عن ان يكون قطعى الدلالة و الجواب عن المطاوعة قد مرّ.

و ما قال ان النفع فرع للسماع لا لعدم السماع فالظاهر انه سهو و اصل العبارة هكذا و عدم النفع فرع لعدم سماع الموتى و هذا ايضاً فاسد فانه لا لزوم لعدم النفع مع عدم

السماع، الا ترى ان الكفار يسمعون ولا ينتفعون ناين اللزوم و الفرعية؟

و ما قال ان الضمير فى (لاينتفعون بمسموعهم) فى عبارة المدارك راجع الى الكفار والمستدلون يرجعونه الى الموتى فهذا ارجاع الى غير مرجعه.

فنقول الظاهر ان الضمير راجع الى الموتى لان ارجاع الضمير إلى القريب اولى من البعيد و لا شك ان الموتى قريب لان عبارته هكذا: شبه الكفار بالموتى حيث لاينتفعون بمسموعهم فان الموتى اقرب من الكفار الى المرجع و لئن سلم ان ضمير لاينتفعون راجع الى الكفار فيكون المعنى ان الكفار يسمعون و لكن لاينتفعون. فيكون الموتى كذلك اى يسمعون و لكن لاينتفعون بمسموعهم.

و ما قال فى (التنقيد) على حديث (ما من رجل يمر على قبر اخيه) انتهى ان فيه ابن سمعان وهو كذاب.

فنقول انه قد مر ان الحافظ ابن قيم ذكر فى (كتاب الروح) ان الحافظ ابن عبد البر قال ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم (ما من رجل يمر على قبر اخيه) فلو كان مدار الحديث على ابن سمعان فقط لما قال الحافظ بن عبد البر رحمة الله عليه ثبت عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع كون ابن سمعان كذابا فعلم ان للحديث طرفاً.

و ما قال من المنام (ص:٢٩).

فنقول كيف ثبت كذب الراوى بالنوم فان النوم لايثبت عنده شيئا سيما كذب الراوى فهذا مخالف عن اصله.

و ما قال فى (ص:٣٢) ان حديث (خفق النعال) مختص باول الوضع.

فنقول التخصيص قد رده الشيخ الدهلوى رحمه الله القوى و قال اى داع إلى التخصيص و اى مانع من التعميم و لئن سلم التخصيص مرة باول الوضع فنقول ان الميت اول الوضع ايضاً ميت فعلم تخصيصه من (انك لا تسمع الموتى) و قد ثبت فى الاصول ان العام اذا خص مرة فيخص ثانيا بدليل ظنى لصيرورته ظنيا.

اقول علم منه جواب قوله ان المسئلة من الاعتقاديات لايكفى فيه الدليل الظنى لان سماع الموتى كما انه من الاعتقاديات يقتضى دليلا كذلك عدم سماع الموتى ايضاً من

الاعـتـقـاديـات لايثبت بدليل ظنى و العام المخصوص البعض ظنى فتأمل و تبصر، لعل الله يحدث بعد ذلك امراً.

و ما قال ان (سمع خفق النعال) كناية عن سرعة اتيان الملك.

فنقول سلمنا انه كناية الا انه لامانع فى الكناية عن ارادة المعنى الحقيقى بخلاف المجاز و هذا هو الفرق بين الكناية و المجاز فان المجاز فيه قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقى بخلاف الكناية كما فى (رأيت اسدا يرمى) فانه مجاز و (زيد طويل النجاد) فانه كناية و لذا قالوا الكناية كالمركب و المجاز كالمفرد فان قلت كما لامانع من ارادة المعنى الحقيقى كذلك لاباعث فكيف يثبت سماع الموتى، قلنا الباعث هو النظر الى الدلائل الاخرى كما عرفت.

و ما قال فى (ص:٣٣) ان حديث عائشة رضى الله تعالى عنها حياء من عمر رضى الله تعالى عنه رواه الحاكم وهو رجل شيعى و مجرد رواية الحاكم لاينهض للاستدلال.

فنقول ان الحديث ما رواه الحاكم فقط بل رواه احمد رحمة الله عليه ايضاً كما فى (المشكاة) فاذا رواه من هو جبل فى الحديث كيف لا ينهض حجة.

و ايضاً على تقدير كون الحاكم شيعياً كيف يرد روايته فانه ذكر فى اصول الحديث ثم البدعة اما ان تكون بمكفر او بمفسق فالاول لايقبل صاحبها الجمهور و قيل يقبل مطلقاً و قيل ان كان لايعتقد حل الكذب لنصرة مقالته قبل و التحقيق انه لايرد كل مكفر ببدعة لان كل فرقة تدعى ان مخالفيها مبتدعة و قد تبالغ فتكفر مخالفيها فلو اخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم ذلك تكفير جميع الطوائف فالمعتمد ان الذى ترد روايته من انكر امرا متواترا من الشرع معلوما من الدين بالضرورة و كذا من اعتقد عكسه فاما من لم يكن بهذه الصفة وانضم الى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه و تقواه فلا مانع من قبوله. (نزهة النظر ص:٧١-٧٢) فانظر الى احتياط المحدثين كيف حكموا بعدم رد رواية صاحب بدعة مالم يكن فيه انكاراً من ضروريات الدين و اى انكار من ضروريات الدين لو ثبت علم الميت او سماعه كما لايخفى.

و ما قال ثانيا فى (ص:٣٤) ان هذا الحديث خلاف ماروى عن عائشة رضى الله

تعالی عنها فانها انکرت سماع الموتی کما روی (البخاری فی کتاب المغازی).

فنقول هذا دلیل رجوع عائشة رضی الله تعالی عنها عن الانکار کما ان روایة حدیث عمر رضی الله تعالی عنه دلیل الرجوع بل حدیث انکار عائشة رضی الله تعالی عنها عن سماع الموتی مخالف عن هذا الحدیث لما ان فی هذا الحدیث علم المیت و الحدیث للامام احمد رضی الله تعالی عنه الذی هو جبل فی الحدیث و من شیوخ البخاری.

و ما قال ان الستر من اقارب عمر رضی الله تعالی عنه لو کانوا هناك للزیارة لان لهم حق ان یأتوا حینئذ لا ان عمر رضی الله تعالی عنه یری من تحت الارض و یسد نظره بثوب رقیق.

فلا یخفی ما فیه من الخزازة فان سیاق الحدیث یأباه حیث قالت کنت ادخل بیتی الذی فیه رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم و انی واضع ثوبی و اقول انما هو زوجی و ابی فلما دفن عمر رضی الله تعالی عنه فوالله ما دخلت الا و انا مشدودة علی ثیابی حیاء من عمر رضی الله تعالی عنه فانه نصّ علی ان المراد منه الحیاء من نفس عمر رضی الله تعالی عنه لا من اقاربه کیف والحیاء من اقارب عمر رضی الله تعالی عنه لا تخصیص له بهذا المقام بل عام علی ان لاقارب عمر رضی الله تعالی عنه حق الدخول فی الروضة المبارکة بعد دفن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم ایضاً لان زیارته علیه الصّلوة و السلام افضل القربات لکل مؤمن فیه حق و لذا ورد الوعید فی حق تارك الزیارة مطلقاً.

و اما قوله ان عمر رضی الله تعالی عنه یراها من تحت تراب و لا یراها من تحت ثیاب رقیقة.

فنقول: هذا ناش من الوهم لان فیه انکارا عن الکشف و الکرامات، الا تری ان ساریة رضی الله تعالی عنه رآه عمر رضی الله تعالی عنه فی جبل نهاوند بمسافة طویلة اما کانت البنیان و الجبال مانعة له فان قلت ان ذلك کان حین الحیاة و کلامنا بعد الممات قلنا هذا راجع الی الانکار عن الکرامة بعد الممات و قد ذکرنا فی (النکات) و عن قریب ایضا بحوالة الخازن والستر لازم بقدر الامکان. ألا تری ان الصفوف المتأخرة یراها النبی صلی الله تعالی علیه وسلم من المقدم کما قال (انی اراکم من خلفی) فلزم ان لایستروا

انفسهم بالثياب. فانظر الى هذه التوهمات المستبشعة و التكلفات البارِدة الركيكة لمثل هذا الشيخ.

و ما قال فى (ص:٣٥) ان الستر كانت كما يستر الجنازة للمرأة ان الميت لايجب عليه الستر و انما يجب الستر على الاحياء فالاحياء يسترون جثة المرأة المتوفاة فكذلك عائشة رضى الله تعالى عنها كانت تعامل مثل ذلك مع عمر رضى الله تعالى عنه لا ان عمر رضى الله تعالى عنه كان يراها.

و لا يخفى ما فيه من التكلف و القياس مع الفارق فان الستر انما يجب فى صورة الجنازة لئلا يراها احدٌ فما معنى الستر و ما معنى الحياء من عمر رضى الله تعالى عنه فعلم ان الستر انما كان لاجل انه يراها عمر رضى الله تعالى عنه.

و ما قال ان ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها كانت تستر من الاعمى.

فنقول انما كانت تستر من الاعمى لانها كانت تراه و ان كان هو لا يراها كما يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام (أ فعميا و ان انتما...) واذا كان عمر رضى الله تعالى عنه لا يراها كما هو مزعوم المنكر و عائشة رضى الله تعالى عنها ايضاً لا تراه لكونه فى القبر فما معنى الستر و الحياء.

و ما قال ان المراد من الستر انها كانت تعامل مع عمر رضى الله تعالى عنه مثل معاملة الاحياء فيما بينهم احتراماً و حياء.

فلا يخفى ان الاحترام و الحياء لايكون مع الجمادات و الا لكانت تستر من الجمادات على زعم المنكر و التالى باطل فالمقدم مثله.

و ما ذكر ان هذا كان مثل عدم الدخول من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قصر عمر رضى الله تعالى عنه لاجل غيرة عمر رضى الله تعالى عنه.

فلا يخفى ان الغيرة له دخل فى دخول حريم احد سواء كان هو فى حريمه او لا بخلاف الحياء فانه لابد فيه من الحضور لمن يستحيي و لمن يُستحيى منه فكيف هذا القياس.

و ما ذكر ان هذا مثل ما يكره الاستقبال فى البول و الغائط نحو القبلة لا ان القبلة يرى ذلك.

فالعجب كل العجب من هذا القياس لان الاستقبال بالبول و الغائط ينافى احترام القبلة الواجب لان فيه اساءة الادب بخلاف استقبال عائشة رضى الله عنها لعمر رضى الله عنه فانه لا يكون فيه اساءة الادب بل لو لم يكن المانع للردية لكان هذا عين الادب. و ايضا القبلة لا احتمال فيه ان ترى احداً، على انه لم يرد فى عدم الاستقبال الى القبلة و عدم الاستدبار اليها حياء من القبلة بل ورد (لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها و لكن شرقوا او غربوا) فانظر الى هذا القياس الموحش و لواهب عمرى ان القياس مع الفارق مركوز فى عقل الشيخ المسخر للوهم كما ان قياس الغائب على الشاهد مركوز فى عقول المعتزلة.

و ما قال ان المراد حياء من عمر رضى الله عنه لو كان هناك.

فحاله ظاهر من توجيه اقارب عمر رضى الله عنه لو كانوا هناك لو لم يذكره لكان اولى اذ لا فائدة فيه الا التطويل و تسويد القرطاس و اتعاب الكاتب كما لا يخفى.

تنبيه

قد نقلت عبارات الشيخ للرد كما هى إنْ غلطاً فغلطٌ و ان صحيحاً فصحيح ليكون النقل مطابقا للاصل و الا فبعض المواضع غير صحيحة من حيث العربية كما فى قوله (المرأة المتوفاة) وقوله (لا ان القبلة يرى) وامثالهما ولعله يصدق عليه المثل السائر ان من لا يعرف الفقه قد صنف فيه كتابا و يدل ذلك اما على قلة التفات الشيخ الى قواعد العربية او عدم ممارسته اياها.

و ما قال ان المراد من الحياة فى قوله تعالى (... بَلْ اَحْيَآءٌ وَّلٰكِنْ لَّا تَشْعُرُوْنَ۞ البقرة : ١٥٤) النضرة و السرور لا الحياة الدنيوية كما فى قوله تعالى (... وَيُحْيِى الاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا۞ الآية. الروم :١٩) و (... لا يَمُوتُ فِيهَا ولا يَحْيٰى۞ طه:٧٤) فكذلك الشهداء يتنعمون عند ربهم.

فنقول ان التنعم و السرور ان كان بدون الحياة فذلك باطل قطعاً اذ الجماد لايتنعّم و ان كان مع الحياة فذلك مرادنا. و الحياة الدنيوية للسماع ليست بضرورية على ان الانبياء عليهم الصّلوة و السّلام لهم حياة جسدانية مثل حياة الدنيا كما صرح به مولانا

خليل احمد رحمة الله عليه فى (عقائد علماء الديوبند) على ان قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ۞ آل عمران :١٦٩-١٧٠) فهذه الاية تدل على الحياة اذ الرزق و الاستبشار لايكون بدون الحياة.

و ايضا هذا التوجيه مخالف عما ذكره المفسرون فى شأن نزولها، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله ارواحهم فى حواصل طيور خضر ترد انهار الجنة) الى ان (قالوا ياليت قومنا رأوا ما نحن فيه من النعمة و ما صنع الله بنا كى يرغبوا فى الجهاد ولا يتكلوا عنه فقال الله تعالى انا مخبر عنكم مبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك و استبشروا) فانزل الله هذه الآية الكريمة. (التفسير المظهرى ج:٢، ص:٤٧٨).

فانظر فى شان نزول الآية و نظم الآية كيف يصح ان تكون النصرة بدون الحياة. والكلام فى حديث (ما من مسلم يمر بقبر اخيه) قد مرّ.

و ما قال ان الخطاب لم يوضع فى الاصل ليوجه الى من يسمع دون من لايسمع او الى الحاضر دون الغائب او الى الحى دون من مات.

فنقول قد مر عن قريب عن الحافظ ابن قيم ان الخطاب مع المعدوم و الجماد لايعقل فكيف يصح ان الخطاب لم بوضع فى الاصل الخ.

و ما ذكر ان الخطاب وجد فى الاشعار و النثر مع الجمادات كالمنازل وبالاطلال و غيرها.

فنقول ان ذلك بناء على تخيل شعرى و اما فى (... يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي۞ الآية. هود :٤٤) فالله تعالى قادر على الإفهام اليها.

و ما قال فى (ص:٣٨) ان هذا كما يقول المصلى فى التشهد (السلام عليكم ايها النبى و رحمة الله وبركاته) و قد قيل و يقال ذلك فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فى كل مكان و بعده فى كل مكان وحين و ليس من ذلك انه عليه الصلوة و السلام يسمعه.

اقول لفظ (عليكم) لعله سهو بل (عليك) وكذا يعلم انه ترك لفظ (يلزم) بعد قوله و

ليس) وهذه مناقشات لفظية و بعد ذلك نقول ان الفقهاء صرحوا بانه يقصد الانشاء بقوله (السَّلام عليك ايها النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم لا الاخبار عما فى ليلة المعراج. و قد ورد فى الحديث ان الصلوة ان كانت قريبة يسمعها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و ان كانت بعيدة تبلغ اليه كما فى حديث باب فضل الصّلوة.

وما قال ان سلام الاحياء على الاموات لايقتضى رداً.

فنقول و ان كان لايقتضى رداً لكن لا ينافى الرد سيما و قد ورد انه يرد السلام الاَوْفَى كما نقل سابقاً من (المظهرى).

و ما قال ان سلام الاموات دعاء لا خطاب.

لايخفى ركاكته فان الدعاء لاينافى الخطاب.

وما قال ان ابراهيم عليه السلام خاطب الاصنام حيث قال أ لا تأكلون.

فنقول ان المقصود منه التعريض لاتمام الحجة لا للخطاب فان معنى الخطاب القاء الكلام الى المخاطب و لذا قال (... **فَسْئَلُوهُمْ اِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ۞ الانبياء :٦٣**) و كذا قول عمر رضى الله تعالى عنه للحجر الاسود (انك حجر لا تضر و لا تنفع) فالمقصود منه ايضاً اتمام الحجة لئلا يتوهم من امر الجاهلية من عبادة الاحجار.

و ايضا سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوة لا يخلو اما ان يكون من القريب او من البعيد فان كان الاول فلا ينكر عنه مصدق الكلام النبوى صلىٰ الله تعالى عليه وسلم و ان كان الثانى فلا يخلو اما بلا واسطة او بواسطة فان كان الاول فلا ندعيه و ان كان الثانى فلا ينكرعنه فانه ذكر الشيخ [١] فى (شرح المشكاة ص:٣٦٢) انه يسمع سلام الزائرين بنفسه و من البعيد بواسطة الملك و هذا التفصيل بعينه ورد فى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعاً **(من صلّى عند قبرى سمعته و من صلّى على نائيا ابلغته)**

و ما قال ان النداء وجد الى المنازل والاشجار والظبيات و انها لا تفهم فعلم ان الميت لايفهم.

فنبه ما اقول بتوفيق الله تعالى و توفيقه ان النداء يجيئ لمعان كثيرة كالتحسر و

---

(١) يعنى عبد الحق بن سيف الدين الشهير بالمحدث الدهلوى المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ . [١٦٤٢ م.]

التوجع و طلب الفعل من المنادى والتخصيص و غيرها و فى امثال التوجع و التحسر كما فى قول الخنساء.

بيت:

ايا شجر الخابور مالك مورقا ٭ كانك لم تجزع على ابن طريف

على ان ذلك قياس مع الفارق فان الاشجار و الاحجار لا علم لها و الميت له علم و الا فيلزم ان يكون الاموات كالاحجار والجمادات و هذا شنيع فأنه مسلك الاعتزال و هذا لايليق بنا بل يليق بأمثال هذا الشيخ على ان النداء ہٰذہ الاشياء تنزيلى اى تنزيلها منزلة من له صلاحية النداء لا تحقيقى كما لايخفى على من له ادنى ممارسة بكتب النحو فعلم ان امثال هذا الشيخ ذاهلون عن العلوم الآلية و الا لما قالوا ما قالوا.

و ما قال فى (ص:۳۹) ان السَّلام على الميت لو كان للتحية لوجب الرد ولو رد الميت السلام لاستحق الاجر وقد انقطع عمله.

فنقول هذا حديث بديع اذا انضم معه الكبرى بان يقال الميت لايرد السلام لانه لايستحق الاجر و كل من لايستحق الاجر فهو لايرد السلام فالميت لايرد السّلام. او يكون على طريق القياس الاستثنائى لو رد الميت السلام لاستحق الاجر و التالى باطل فالمقدم مثله. فان هذا منقوض اجمالا بالقراءة و الصلاة بان يقال الميت لا يقرأ و لايصلى لانه لايستحق الاجر و كل من شانه كذا فهو لا يقرأ ولايصلى فالميت لا يقرأ و لايصلى مع انه ثبت قراءة (سورة الملك) كما فى رواية الترمذى وصلاة موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام كما فى حديث صحيح. و كذا صلاة ابراهيم على نبينا و عليه الصلوة و السلام كما فى حديث المعراج رواه مسلم. (المشكاة ص:۵۲۲).

و ان قيل اذا مات ابن آدم انقطع عمله فكيف الصلاة و القراءة فنقول ما اشتد غفلة المعترض فان على القارى بان صرح بان معناه انقطع وجوب العمل و الا فموسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام ابن آدم عليه الصلوة و السلام وكذا الشهداء ابناء آدم صرح بذلك القيد الشراح كصاحب (اشعة اللمعات) بهامش (المشكاة ص:۵۲۲).

وكذا منقوض تفصيلا بان يقال لا نسلم كلية الكبرى فان الملائكة يردون السلام

و مع ذلك لا يستحقون الاجر و كذا يصلون و يسبحون من غير تكليف على الملائكة حتى يستحق الاجر بل كل هذه تلذذ. و اذا لم يكن عليهم واجباً ما معنى الاجر، على انه ما معنى وجوب رد السلام على الميت فان التكليف رفع عن الميت و ورد فى الحديث انه يرد السلام الاَوْلىٰ بل نقول بطريق المعارضة اذا ثبتت اهلية بعض الموتى للقراءة و الصلوة فما المانع من رد السلام سيما اذا ورد انه يرد السلام فلا يرد ان جواز الشيء و عدم المانع لا يستلزم الوجود فان الممكنة اعم من المطلقة و الاعم لا يستلزم الاخصّ و الا لكان بحضرتنا جبال شاهقة لا نراها و انها سفسطة. وجه عدم الورود ان عدم المانع عند وجود دليل داع مستلزم للوجود كما ان عذاب القبر و غيره من احوال البرزخ امور ممكنة اخبر بها الشارع عليه الصلوة و السلام كما ذكر، تقريب هذا فى كتب الكلام هكذا.

وما ذكر ان حديث ابى زرين ذكر من غير اسناد.

فنقول: غاية ما فى الباب انه مرسل و لا يخفى ان الاحتجاج بالمراسيل مسلكنا.

و ما ذكر ان فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه راو ضعيف.

فنقول جرحه ليس بمتفق عليه فان بعضهم قال ليس بشيء و قال بعضهم متروك الحديث و بعضهم قال لا ارى به بأسا. و بعضهم قال انه مدلس و لا يخفى ان رواية المدلس فيها تفصيل يطلب من رواية الحديث حيث قال الشيخ الدهلوى فى (مقدمة المشكاة) و قد اختلف العلماء فى قبول رواية المدلس فذهب فريق من اهل الحديث و الفقه الى ان التدليس جرح و ان من عرف به لا يقبل حديثه مطلقاً و قيل يقبل و ذهب الجمهور الى قبول تدليس من عرف انه لا يدلس الا عن ثقة كابن عيينة [١] و الى رد من كان يدلس عن الضعفاء اه . (مقدمة المشكاة ص:٢) فعلم ان التدليس مطلقاً ليس جرحاً قادحاً.

و ما قال فى (ص:٣٩) نقلا عن (الشامى) و غيره ان الميت ليس اهلا للسلام.

فنقول ان كان المراد انه ليس اهلا للسلام مطلقاً فهو باطل كيف و قد ورد السلام على الميت فى الروايات و ان كان المراد انه ليس اهلا للسلام الذى هو لقطع الصلاة فذلك مسلم لا يضرنا لانه ينوى فى التسليمة الاولى من عن يمينه و فى الثانية من عن

---

(١) هو ابو محمد سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـ . [٨١٣ م.]

شماله كما نقله من (سراج الوهاج) و لا شك ان الاموات ليست من عنده.

و ما قال فى (ص: ٤٠) نقلا عن (شرح المقاصد) قد اتفقوا على ان الله تعالى لم يخلق فى الميت القدرة و الافعال الاختيارية.

قلنا لم نقل بالافعال الاختيارية فانه فى الحديث **(ما انتم باسمع من هؤلآء ولكن لا يجيبون)** على ان عدم القدرة ليس كليا و الا فقد يجيبون و يقولون.

بيت

مرا زنده پندار چون خويشتن ٭ من آيم بجان ار تو آئى بتن

كما فى واقعة الشاه عبد الرحيم رحمه الله على ما ذكر اشرف على التهانوى الديوبندى فى كتابه (بزم جمشيد).

و كاتيان الشهيد و اعطاء شئ حلو و اتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه.

و كما فى اعطاء الشعرتين المباركتين من الجناب النبوى لوالد الشاه ولى الله رحمة الله عليه و بقائهما كذلك فى اليقظة.

و كما فى ذبح ساب الشيخين الى غير ذلك من الواقعات.

و ما قال فى (ص:٤١) ان القراءة لكونه للاستئناس لا ان الميت يستأنس.

فنقول هذا عجيب ايضاً فان القراءة لما كانت للاستئناس علم ان الاستئناس يحصل به كما ان الضرب يكون للتأديب فان التأديب يحصل به و ايضا ورد فى رواية مسلم (كى استأنس بكم)

و ما ذكر من قول الشاه [۱] عبد العزيز رحمة الله عليه آنچه تعلق به أمور غيب دارد ادراك دران زياده است و آنچه تعلق بدنيا وارد كم.

فنقول قد صرح الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه ان اصل الادراك مساو الا ان الفرق بقلة التوجه و كثرة التوجه.

و ما قال فى (ص:٤٣) و لذا يسألون عن احوال اقاربهم لانه ليس لهم علم بحالهم.

---

(۱) عبد العزيز بن احمد الفاروقى الدهلوى المتوفى بدهلى سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٤ م.]

فنقول هذا دليلنا اذ علم ان معهم فكر اقاربهم و العلم بكون الاقارب اقارب الاموات ايضا نوع من العلم فقد اقر بثبوت العلم من حيث لايدرى و العلم باحوال الاقارب كليا لاندعيه و جزئيا مما لاينكر.

قوله فى (ص:٤٥) و كل ما ينسبون الى العلماء من المشائخ الحنفية اما كذب.

فنقول كيف يكون كذبا و الحال ان الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه و صاحب (المظهرى) من الاحناف.

و ما قال ان التلقين الى الاموات لا فائدة فيه لانه ان مات كافرا لا يفيده و ان مات مؤمنا لاحاجة اليه.

قلنا ان هذا جارٍ فى تلقين المحتضر ايضاً.

و ما قال من مسئلة اليمين بان يحلف لا أكلم زيدا فكلمه بعد الوفاة لايحنث.

قلنا: على القارى صرح بان هذا لاجل ان مبنى الايمان على العرف والا فما معنى حياء عائشة رضى الله تعالى عنها من عمر رضى الله تعالى عنه.

و ما قال ان هذا الحديث رواه الحاكم وهو رجل شيعى.

قلنا اولا حديث عائشة رضى الله تعالى عنها رواه احمد كما فى (المشكاة) و ثانياً انه ما ثبت القدح فى هذا الحديث بعينه ومع ذلك الامام قال بان الحاكم ابو عبد الله الحافظ امام صدوق و لكنه يصحح فى مستدركه احاديث ساقطة و ان كان هذا قدحاً فى مطلق احاديثه لكان فيه فتح باب عظيم لان المحدثين يروون احاديث الحاكم فى كتبهم. فاذا ذكرها الثقات يكون ذلك توثيقاً لها وان كانت فى ريب مما ذكرنا فارجع الى (ديباجة المشكاة) فلو ثبت قدح فى هذا الحديث بعينه لصح ما ذكر و دونه خرط القتاد.

و ما ذكر ان للحاكم احاديث موضوعة.

قلنا قد ذكرها المحدثون بخصوصها انها موضوعة و لا يلزم منه ان يكون جميع ما رواه الحاكم موضوعة كيف و مثل ذلك يجرى فى سائر كتب الاحاديث كـ(ابن ماجة) فان بعض الاحاديث فيه على ما قال المحدثون موضوع كما يقولون فى حديث. سرت ورد فى قصة سلمان الفارسى بل تكون جميع اسفار الكتب من الاحاديث و التفاسير كذلك بسبب رواية واحدة مخدوشة و قلما يخلو عن ذلك كتاب. و هذا التقييد يحتاج الى تفصيل كثير الا

ان العاقل تكفيه الاشارة.

و ما قال ان فى رواية مخاطبة عائشة رضى الله تعالى عنها مع اخيها عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه ابن جريج و له احاديث موضوعة.

قلنا انما هو فى الاحاديث المرسلة لامطلقاً الا ترى الى قول الامام احمد رحمة الله عليه الاحاديث التى يرسلها ابن جريج احاديث موضوعة.

و ما قال ان الاستدلال بقول عائشة رضى الله تعالى عنها علام تنصون موتاكم ليس بتام لانه ليس فى ذلك سماع الموتى.

قلنا و ان لم يدل على سماع الموتى الا انه يدل على ايذاء الميت و هذا ايضا منكر عندك.

و ما قال ان احوال البرزخ لا تعلق لها بهذ العالم.

قلنا لا نسلم ان احوال البرزخ لا تعلق لها بهذا العالم كيف و قد ظهر اماراته فى هذا العالم. الا ترى الى ما ذكره الشاه ولى الله الدهلوى رحمة الله عليه فى (الدر الثمين فى مبشرات النبى الامين ص:٥٩). الثالث عشر لم اتعش ليلة من الليالى فالهم بعض اصحابنا ان يهدى الى اناء من اللبن فشربته ثم نمت على الوضوء فرأيت روح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأومأتْ الى انا الذى ارسلت اللبن و القيت الخاطر فى قلب الرجل.

و كذا ذكر فى هذا الكتاب (ص:٥١) الخامس عشر اخبرنى والدى انه كان مريضا فرأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى النوم فقال كيف حالك يا بنىّ ثم بشره بالشفاء و اعطاه شعرتين من شعور لحيته المباركة فتعافى من المرض فى الحال و بقيت الشعرتان عنده فى اليقظة فاعطانى احدهما فهى عندى.

و كما سمع صحابى رضى الله تعالى عنهم تلاوة (سورة الملك) من القبر.

و كما فى سماع الشاه عبد الرحيم رحمة الله عليه من قبر خواجه قطب الدين[١] بختيار كاكى رحمة الله عليه

بيت:

مرا زنده پندار چون خويشتن ٭ من آيم بجان ار تو آئى بتن

كما ذكره اشرف على التهانوى ايضا فى كتابه المسمى بـ(بزم جمشيد) بتفصيل فان فى

(١) قطب الدين بختيار الجشتي الاوشي توفي سنة ٦٣٤ هـ. [١٢٣٦ م.] في دلهي

هذه الوقائع كان الصحابى رضى الله تعالى عنه و والد الشاه و لى الله، **والشاه ولى الله** رحمهما الله كلهم فى هذه الدار دار الدنيا.

وكذا ذكر العلامة السيوطى واقعات كثيرة فى (شرح الصدور) **من اتيان الشهداء** لجنازة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه و غيرها.

و ان قلت هذه اكاذيب كلها، فهذه جسارة عظيمة تليق بك، **و كيف يليق ان** العلامة السيوطى رحمة الله عليه جمع اكاذيب كثيرة و دوّنه بصورة الكتاب و سماه باسم للاشاعة لان هذا الذى ذكر لا ينبغى ظنه بادنى صالح فضلا عن مثل هذا الشيخ.

و ايضا ذكر العلامة فى كتابه [١] عن العلامة السيوطى رحمة الله عليه **قال رأيت** النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهة فى اليقظة بضعا و سبعين مرة. **و الّف كتابا سماه** (تنوير الحلك بامكان رؤية النبى و الملك).

و ايضا ذكر بعض بابا بعنوان (باب من تكلم بعد الموت و سمعه من كان فى هذا العالم).

و قد ذكرنا من (كتاب الروح) ذبح سابّ الشيخين فى النوم و **بقاءه كذلك فى** اليقظة فاى معنى للتعلق بهذا العالم، على انه ذكر فى كتب اصول الفقه **كالمولوى على** الحسامى يؤذى الميت ما يؤذى فى اهله و هذا تعلق بهذا العالم. **ألا ترى انّ من الكرامة** بعد الممات ما ذكر فى تفصيل قوله تعالى (... **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا الآية. الكهف :٨٢**) و قد بنى خضر على نبينا و عليه الصّلوة و السّلام الجدار لليتيمين **و كان بينهما سبعة** آباء فما معنى التعلق بهذا العالم.

و العجب انهم اذا ذكر لهم واقعة النوم فى التأييد، **فيقولون النوم لايثبت الاحكام** و يذكرون لاثبات كذب الراوى واقعة المنام حيث قال **عليه الصّلوة و السلام لوليد بن** مسلم (قل لابن سمعان اتق الله و لا تكذب علّى.) **و العجب اذا نقلناه لا يكون مؤيدا.** وأذا ذكروه لاثبات امر قطعى يكون سنداً و هذا ابعد عن الانصاف. **و هكذا حال الكل** فانهم يستدلون باقوال الشاه ولى الله والشاه عبد العزيز و غيرهما **المرحومين و اذا ذكرنا** اقوالهم فلا يسلمونهما.

---

(١) اليواقيت و الجواهر (ص: ١٦٤).

(٢) على حسام الرازي الفقيه الحنفي توفي سنة ٥٩٨ هـ. [١٢٠١ م.]

و قد وقع ذلك عند مذاكرتي مع بعض اخواني من الفضلاء حيث جئت لزيارة استاذنا المرحوم في طواف الاستئناس فلما ذكرت له قول الشاه ولى الله الدهلوى رحمة الله عليه قال من اية بلدة هو فتحيرت و تعجبت فقلت هو الشاه ولى الله الدهلوى رحمة الله عليه فخر المحدثين و سند المفسرين.

و ايضاً قوله نم كنومة العروس اه ، دليل واضح على ان الميت ليس كالجماد.

و ما قال ان من تعنتهم ارجاع الضمير لا الى مرجعه كما يقولون ان الملا على القارى قال النفى منتصب على نفع السماع لا على مطلق السماع و هذا عين ما نقول ان النفع فرع سماع الموتى.

قلنا لانسلم ذلك فان الكفار يسمعون و لا ينتفعون.

و ما قال من انعكاس الضمير فى (المدارك).

فنقول المشبه الكفار و المشبه به الموتى و وجه الشبه عدم الانتفاع بمسموعهم و لا يخفى ان وجه الشبه مشترك بين الطرفين فان التشبيه مشاركة امر لامر فى وصف خاص بادوات التشبيه و اذا لم يكن وجه الشبه مشتركاً بين الطرفين لايكون التشبيه تاماً و هكذا حال عبارة (روح البيان) فانه ذكر فيه كما انه لا يسمع الموتى و لا يجيبون كذلك الكفار لا يسمعون و لا يقبلون الحق فانه لا يخفى انه اذا كان المراد ان الموتى لا يسمعون اصلا كما ان الكفار لا يسمعون اصلا فهذا باطل فان سماع الموتى و ان كان متنازعاً فيه بيننا و بينكم الا ان سماع الكفار الاحياء امر لا ينكره عاقل بل مجنون. فعلم ان المراد ان الكفار لا يسمعون بقيد الاجابة و النفى فى الكلام اذا توجه الى المقيد بقيد يفيد نفى القيد كما نص الشيخ عبد القاهر فى (دلائل الاعجاز) و نقله علماء البلاغة كما يقال ما صليت فى المسجد فانه يفيد نفى الصلوة فى المسجد لا مطلقا و الا لكان ذكر القيد لغواً.

و يدل على ما ذكرنا ما ذكر فى (حاشية الجلالين فى سورة النمل ص:٣٢٤) فى تفصيل هذه الاية (**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ۞ الآية. النمل :٨٠**) هذه الآية واردة فى حق الكفار و قطع طمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هدايتهم فانهم كالموتى فكونهم كالموتى موجب لقطع الطمع و انما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بما يتلى عليهم من الايات الى ان

قال و لا دلالة فى هذه الاية على عدم سماع الأموات. كلام الاحياء كما استدل به بعض الجهلة و الاحاديث الصحيحة واردة فى باب سماع الموتى و لا نذكرها خوفا للاطناب.

و ايضا ذكر فى (حاشية الجلالين) فى (سورة الروم) ذيل قوله تعالى (**فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ** الاية. الروم:٥٢) تطبيق ابن همام بين الاية والحديث بان ذلك مخصوص باول الوضع و ذكر انكار عائشة رضى الله تعالى عنها و ذكر انكار التلقين بعد الدفن. قال هذا العبد و قد كثرت الاحاديث فى سماع الموتى و معرفتهم زوارهم و قد اغنانا عن ايرادها جدنا الشيخ الاجل الدهلوى رحمه الله القوى فى (شرح المشكاة) و غيره. و معنى الآية كما عليه جماعة من المفسرين انه مجاز و ان المراد من الموتى و من فى القبور الكفار شبهوا بالموتى وهم احياء من حيث انهم لا ينتفعون بمسموعهم كما لا تنفع الاموات بعد موتهم و صيرورتهم الى القبور وهم كفار بالهداية والدعوة. و يحتمل ان يكون المعنى لا تسمعهم سماعاً يترتب عليه اثره وهو التكلم كمالين (حاشية الجلالين سورة الروم ص:٣٤٥). و ظهر منه حال كلامه السابق فى انعكاس الضمير و قد ذكرت نبذا من الجواب هناك وهذه زيادة.

و ايضاً ذكر فى (سورة فاطر) فى تفسير آية (... **إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ** الآية. فاطر:٢٢) اى هدايته فيجيبه بالايمان (... **وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** فاطر:٢٢) اى الكفار شبههم بالموتى فلا يجيبون. (الجلالين ص: ٣٦٦). قال فى (الحاشية) شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم. و هذا ايضاً ظاهر فى السماع الذى يترتب عليه الا ثار و الاجابة. فانظر الى تحملات الشيخ المعدوم نظيره.

و ايضاً قال الشيخ الدهلوى رحمه الله القوى ان الكفار موتى القلوب و ان القبور اجسادهم. فانظر كيف ثبت فى الاية احتمالات ناشئة عن دليل و لاهل المناظرة اصل موضوع اذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.

و ايضاً قال فى (الخازن ج:٣، ص:٩٩) فى تفسير قوله تعالى (... **وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** الآية. فاطر:٢٢) يعنى الكفار شبههم بالموتى فى القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا.

و قال فى (المدارك) شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم ان كان الضمير راجعاً الى الموتى فاستدلالنا ظاهر و الا فوجه الشبه مشترك فيه.

و ايضاً قال فى (المدارك ج:٣، ص:٣٧) فى تفسير قوله تعالى (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴿ الآية. الروم :٥٢) اى موتى القلوب اى هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك فهذا التشبيه مع تفسير المفسرين لايثبت مطلوب المنكر و لا شك ان الايات الدالة على عدم سماع الموتى ذكرت فى القرآن فى ثلاثة مواضع فى (سورة النمل) (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴿ الآية.النمل: ٨٠) و فى (سورة الروم) (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴿ الآية الروم:٥٢) و فى (سورة الفاطر) (...وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴿الآية. فاطر:٢٢) وقد ذكرت اقوال المفسرين فيها فى الجملة و فيها كفاية فان العاقل تكفيه الاشارة. و الكلام و ان افضى الى التطويل لكنه لا يخلو عن التحصيل.

و ما قال ان الآية فى نفى سماع الموتى قطعى الدلالة و الثبوت والحديث ظنى الثبوت فكيف يخصص النص.

قلنا لاشك ان الآية بعمومها شاملة للانبياء و الشهداء فان زعمت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لا يسمع فذلك يليق بك لانه قد ثبت فيما مر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع الصّلوة ولا تخصيص فيه باول الوضع. و ان قلت انه عليه الصلّوة و السلام يسمع فقد صار مخصوصاً من البعض و العام المخصوص منه البعض ظنى و قد ثبت فى الاصول ان العام اذا خص مرة فيجوز ان يخص ثانيا بدليل ظنى.

و ما ذكر من الحوالة على الطحطاوى.[1]

فنقول ذكر فى (نور الايضاح) فى زيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الحج و الشيخين السلام عليكما يا ضجيعى رسول الله و وزيريه و مشيريه و المعاونين له فى امر الدين نتوسل بكما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و الطحطاوى ما انكر عليه و لا رده.

و ما قال ان فى رواية البخارى فانهم الان يسمعون و احال على الفاضل الجلبى ان ازدياد القيد يوجب ازدياد الفائدة.

قلنا، نعم، ان ازدياد القيد يوجب ازدياد الفائدة لان الكلام كلما زاد قيودا زاد غرابة و كلما زاد غرابة زاد افادة الا انه لايعلم منه انهم لايسمعون بعد الان لانّ تخصيص

(١) أحمد الطحطاوي الحنفي توفي سنة ١٢٣١ هـ. [١٨١٥ م.] في القاهرة

الشئ بالذكر لايدل على النفى عما عداه و كذا التقييد بالشرط و الوصف كما فى قوله تعالى (وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً اَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ* الآية. النساء :٢٥) اهـ . وهذا مصرح فى اصول الحنفية فان زيادة الفائدة لا كلام فيه الا انه لا ينفى الحكم عما عداه.

و الحاصل ان سماع الموتى فى ذلك الوقت ثبت فى ذلك الحديث و فى وقت آخر من الاحاديث الاخر، نعم، تخصيص الشئ بالذكر يدل على نفى الحكم عما عداه عند الشوافع فعليك باعمال قواعد الاحناف رحمة الله عليهم على ان فى الرواية المشهورة (ما انتم باسمع من هؤلاء) يعنى هم اسمع و هى جملة اسمية لا تدل على زمان معين.

و ما قال ان المهملة فى قوة الجزئية.

فغير مسلم مطلقا فان مهملات العلوم ليست فى حكم الجزئيات بل فى حكم الكليات كما لا يخفى على من له ادنى مهارة بالعلوم الآلية فيا لضيعة العلوم الالية.

و ما ذكر ان الامام البخارى رحمة الله عليه ألف كتابه من ستمائة حديث.

فليس معناه ان ما وراءه ليس بصحيح لانه قال الامام البخارى ما وضعت فى البخارى الا حديثا صحيحا و لقد تركت كثيرا من الصحاح فالحاصل ان الحصر من جانب البخارى رحمة الله عليه فى الصحيح لا من جانب الصحيح فى البخارى كما لا يخفى على من له دراية بدراية الحديث و روايته.

و ما ذكر من الاقوال فى الارواح.

فليس معناه انهم محبوسون فى تلك المواضع فان الحبس فى موضع ينافى الحبس فى موضع آخر و ايضاً ينافى الاكرام بل ثبت ان ارواح المؤمنين تسير فى ملكوت السموات و الارض حيث شاءت كما نقل سابقاً عن (المرقاة).

و اما التمسك باقوال ابن حزم.[١]

فلا يخفى ان الاختلاف فى الفروع عنده ضلال كما قال المفسر البغدادى الآلوسى فى تفسيره فى بيان اقسام الاختلاف و الثالث فى الفروع و هل هو ضلال فكلام ابن حزم يدل على انه ضلال لانه يمنع التقليد و اما نحن فنُجَوِّز التقليد للجاهل انتهى. فكيف يكون حجة لنا و علينا فالعجب ممن يدعى التقليد و يتمسك باقواله و الا فعلى

---

(١) ابن حزم علي الاندلسي توفي سنة ٤٥٦ هـ. [١٠٦٤ م.]

قاعدة ابن حزم المنكر ايضا فى الضلال ان كان مقلدا.

و ما قال عن الشيخ العثمانى رحمة الله عليه فى (فتح الملهم شرح صحيح مسلم من كلام قاسم العلوم) ينبغى ان يفهم ان سماع الموتى كلام الاحياء ليس ذلك داخلا فى دائرة الاسباب العادية الطبعية و ليس لنا قدرة على اسماعهم و لكن الله تعالى قادر على ان يخرق العادة او ينشئ اسباباً خفية مجهولة فيسمعهم بعض اصواتنا فيسمعون سماع الاحياء بل ازيد منهم و لعل لهذه الدقيقة نفى القرآن الاسماع من العباد.

فلا يخفى انه قول بسماع الموتى كالاحياء او ازيد.

و ما قال ان قدرة الله تعالى غير معلوم لنا.

قلنا فلا نسلم عدم العلم بالقدرة بل نحن مصدقون بان الله تعالى على كل شئ قدير. فمن كان شاكّاً فى قدرة الله تعالى او منكرا منها فليكن. و علم ان سماع الموتى لاجزم فيه بكونه ما فوق الاسباب بل صرح الشيخ بانه يجوز ان تكون هناك اسباب خفيّة.

و ما قال ان الميت بعد السؤال بلا روح.

قلنا ان كان المراد انه بلا تعلق روح اصلا فذلك ممنوع كيف و تعلق الروح على ما ذكر على القارى فى (شرح الفقه الاكبر) و الحافظ ابن قيم فى (كتاب الروح) خمسة انواع منها فى حال البرزخ.

و ما قال ان المراد اما بجسد فقط بلا روح او الموضوع له الميت فيمكن عند المثبت سماع الجبل اه .

قلنا لا يلزم منه سماع الجبل لان الجبل لا شعور له و لا معه تعلق الروح بخلاف الميت اذ معه تعلق الروح و الظاهر ان لفظ الجبل او الحبل سهو من الكاتب بل الظاهر الجسد. و الجواب ان المراد من الجسد ان كان بلا تعلق روح فلا ندعيه و ان كان مع التعلق فلا استبعاد فيه.

و ما قال ان الله تعالى يسمع الاحجار و الاشجار كما فى قوله تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ* الآية. الاحزاب : ٧٢)

قلنا لا يخفى ان عرض الامانة انما كان بخلق الفهم و قابلية الخطاب و لا شك ان بعد خلق الفهم فى الجبال هى اهل الفهم كما فى قوله تعالى (لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلٰى

جَبَلٍ﴾ الآية. الحشر: ٢١) اهـ . و لا شك ان الميت اهل الفهم و الادراك.

و ما قال ان اسماع الله تعالى غير معلوم لنا.

قلنا ان كان بطريق السلب الكلى فقد اثبتنا الايجاب الجزئى بروايات ذكرت و هو يناقض السلب الكلى و ان كان بطريق السلب الجزئى فلا يضرنا لانا لا ندعى السماع فى كل مكان فى كل زمان لكلّ مسموع.

و ما قال ان هذه مصرحة و وجه الشبه فيه اقوى. قلنا عدم الاجابة فى الاموات اقوى.

و ما قال متمسكا باقوال المفسرين و المتكلمين.

فنقول اجمالا ان الآيات و اقوال المفسرين فى بيان حال الاموات عموما اكثريا بالنظر الى المتعارف لانه ان كانت محمولة على الاموات بعمومها كلية و قاطبة لتعارضت مع الروايات الدالة على ايذاء الميّت و ادراكه و استئناسه وصلاته و تلاوته و ندائه من القبر. فعلم ان المراد الحكم الاكثرى بالنظر الى المتعارف.

و قول الامام الرازى ظاهر فى ذلك حيث قال و الموتى سامعون من الله تعالى و الاسماع الى الصخرة الصماء انما يكون بطريق خلق قابلية الفهم و الخطاب كما فى الجبال حين عرض الامانة و كما فى علم الذر عند اخذ الميثاق و لا شك ان الاسماع الى الموتى لا يكون بدون الفهم.

و ما قال ان الميت لا يدرك شيئا.

معارض بما فى (المرقاة) وكذا بغيره من الروايات ان للروح بالجسد تعلقا كليا بحيث تقرأ و تصلى و تسير فى ملكوت السموات و الارض فلا يشكل شئ منها بالآيات.

و ما ذكر ان المثبتين لسماع الموتى يستدلون باقوال ضعيفة و الكشف و المنام و يذكرون ذلك من الكتب التى لم يلتزم اصحابها الصحة ك(كتاب ابن ابى الدنيا) و (المعجم) للطبرانى و (كتاب العاقبة) لبعد الحق رحمة الله عليه و (تاريخ دمشق) لابن عساكر و هذه الكتب ذكرها السيوطى فى (شرح الصدور) ثم انهم يتركون النسبة الى (شرح الصدور) يذكرون تلك الكتب من غير ان رأوها فهذه خيانة عظيمة و قد جرح العلامة السيوطى على بعض رواياته.

فلا يخفى ان العلامة لما نقل تلك الروايات عن الكتب التى تلك الروايات فيها جاز لنا ان نسندها الى تلك الكتب وان لم نرها. الا ترى ان صاحب (المشكاة) لما ذكر الروايات عن الكتب التى فيها تلك الروايات جاز لنا ان نسندها الى تلك الكتب و جاز لنا الاعتماد على الثقة و ان لم نر الكتب المنقولة عنها و مثل هذه كثيرة فى كتب الفقه فانه كثيرا ما ينقل اصحاب الفتاوى من (الجامعين) و (السيرين) و (المبسوط) و (الزيادات) مع انا لم نرها فكيف، يقال انها خيانة؟ نعم، من كان سيئ الظن باكابر الدين فهذه خيانة عظيمة عنده و سوء الظن باكابر الدين جسارة عظيمة.

و اما جرح العلامة السيوطى لما كان سندا عنده كان تعديله و سكوته اولى ان يكون سنداً ومع هذا فقد تمسك بحديث الطبرانى فى نفى التوسل بقوله انه لايستغاث بى.

و ما ذكر من الكذب على السلف الصالحين.

فلا يخفى ان اشاعة الكذب من سيماء شيعته و وصاهم به كما نرى من المشاهدات اليومية و لنعم ما قيل فى المثل: (يرى احدكم خزعاً فى عين اخيه ولا يرى جذعاً فى عينه)

و ما ذكر فى الرد على قول العلامة الشامى [١] فى قصة السيد احمد بن علوان[٢] بان يقول ان لم ترد على ضالتى نزعتك عن ديوان الاولياء ان هذا افتراء اليهود.

فنقول الحكم بكونه افتراء لا يخلو اما لاجل النداء الى غير الله تعالى أو لاجل نسبة الرد اليه او لاجل نزعه من ديوان الاولياء او لاجل تلاوة الآيات و اهداء الثواب الى السّيد احمد بن علوان و كل هذه لا يصلح ان يكون سبباً لكونه افتراء.

اما الاول فلان النداء الى الغير وقع كثيرا كما فى يا سارية الجبل و كما فى كلام العشاق

شعر:

يا اكرم الخلق ما لى من الوذ به

و كما فى قول امام الائمة

---

(١) يعنى محمد امين بن عمر الشهير بابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ . [١٨٣٦ م.]

(٢) أحمد بن علوان الصوفي اليمني توفي سنة ٦٦٥ هـ. [١٢٦٦ م.]

شعر:

يا اكرم الخلق يا كنز الورى

و كما فى كلام الصوفية كما فى قول معين الدين الاجميرى [١] رحمة الله عليه.

بيت:

يا رسول الله شفاعت از تو ميدارم اميد * با وجود صد هزاران جرم در روز جزا

و الحسن السنجرى رحمة الله عليه

بيت:

كعبۀ دل قبلۀ جان يا رسول الله توئى * سجدۀ مسكين حسن هر لحظه بادا خلف تو ✓

و كما فى واعمراه قول الجندى و قول عمر رضى الله تعالى عنه فى جوابه وا لبيكاه. على ان النداء يجئ لسبعة معان كما فى كتب البلاغة.

و اما الثانى فلان نسبة الرد اليه مجاز كما فى (انبت الربيع البقل)

بيت:

اشاب الصغير و افنى الكبير * كرالغداة و مر العشى

و كما فى قول ابراهيم على نبينا و عليه الصلوة و السلام (**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ**۞ الآية. ابراهيم :٣٦) و كما فى قوله تعالى (...**لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً**۞ مريم :١٩) و قوله تعالى (...**وأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ**۞ الآية. آل عمران :٤٩) و كما فى قوله عليه الصلوة و السلام (**انا الماحى الذى يمحوالله بى الكفر فان المبرىء والمحيى و الماحى فى الحقيقة هو الله تعالى.**).

و من ههنا علم ان ما قال الشيخ فى بعض تقريراته ان فى درود التاج الفاظاً شركية من قوله دافع البلاء من سوء التامل فانه لا بلاء اعظم من الكفر فمعنى ماحى الكفر و دافع البلاء واحد و الاذن بمرادف اذن بمرادف أخر و ايضا لا مرض اعظم من الشرك فمعنى دافع الوباء و ماحى الكفر واحد وقد قال امام الائمة امامنا الاعظم رحمه الله فى قصيدته المنقولة عنه المطبوعة حين حضوره الروضة المباركة.

---

(١) حسن بن غياث الدين حسين چشتى المتوفى سنة ٦٣٤ هـ. [١٢٣٦ م.]

شعر:

و شفيت ذا العاهات

و ايضاً شفي الطبيب المريض شائع و هذا معنى دافع الالم.

و الحاصل ان نسبة الفعل الى الآلة و الذريعة شائعة فى محاورات القرآن و الحديث و كلام العلماء و كلام الائمة بل فى كلام العوام و اى شرك فيه مع وجود معنى صحيح شائع ذائع و العجب منهم حيث عميت ابصارهم و بصائرهم.

و اما الثالث فلأن النزع من ديوان الاولياء معناه كانك عندى لست بولى و لست فى ديوان الاولياء و ان كنت من الاولياء فى نفس الامر كما يقال ان لم تجبنى فى المسئلة الفلانية نزعتك من ديوان العلماء،كانك عندى لست بعالم و ان كنت عالماً فى نفس الأمر.

و اما الرابع و هو اهداء الثواب فهو امر شائع فى الشرع و ههنا امر خامس لعله يكون شركا عندهم و هو انه يعتقد قائل هذه الكلمات ان احمد بن علوان يعلم بذلك فنقول هذا ايضاً ليس بشرك باعلام الله تعالى بحيث لا يعتقده حاضرا ناظرا لانه لاشك انه يحصل ثواب التلاوة و يحصل علما للمهدى اليه باعلام الله تعالى فى البرزخ فاى فساد فيه ليكون من اقوال اليهود.

و ما قال فى نسخة اخرى لم توجد هذه العبارة.

فنقول لعل هذا من تصرفات اخوانه النجديين فما هو جوابك فهو جوابنا.

و اما افتراء الاحاديث فان نقاد الاحاديث قد نقدوها.

و ما قال ان حذف الاسناد من سيماء الروافض.

فنقول كيف يكون ذلك سيماء الروافض فان صاحب (المشكاة) اكتفى بذكر الراوى و المخرج. الا ترى الى الروايات المرسلة فى الكتب بل المسارعة بطريق الاسناد و الانتساب فى زمن السلف قليلة كما فى واقعة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

و ما قال من المخالفة لظاهر القرآن و الحديث.

فنقول ان العمل بالظاهر شأن الظاهرية و لذا نسب ابن تيمية الى المجسمة كما

قال المحقق فى (شرح العقائد الجلالى)[1] بعد ذكر مذاهب المجسمة و اكثرهم المحدثون الظاهريون المتبعون لظاهر الحديث و لابن تيمية ابى العباس ميل عظيم الى اثبات الجهة والجسمية حيث قال لا فرق عندى فى ان يقول احد طلبت الله فى جميع الامكنة فلم اجده و بين قوله هو معدوم. الا ترى الى قوله تعالى (الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى * طٰهٰ:٥) و (...يَدُ اللّٰهِ فَوْقَ اَيْدِيهِمْ * الاية. الفتح : ١٠) و (خلق الله آدم على صورته) و اين الله قال فى السماء الى غير ذلك.

و قد ذكر فى (بذل المجهود شرح ابى داود) فى ذيل (لايبولنّ احدكم فى الماء الدائم) قالتِ الظاهرية فى الحديث لفظ البول فيجوز الغائط و هذا جمود ظاهر. و قد نقل فى العمل بظاهر النصوص فيما سبق ما نقل بل لابد من النظر فى العلة و هى النجاسة. و هذا مثل ان يستدل احد بجواز ضرب الوالدين و يقول ان الله تعالى قال (...فَلَا تَقُلْ لَهُمَآ اُفٍّ * الاية. الاسراء: ٢٣) و لم يقل و لا تضربهما و لا تشتمهما و لا تخرجهما من البيوت فيجوز ضربهما و ما يماثله. فالعجب هؤلاء يضربون والداتهم و يخرجونها من البيوت و يزجرونها و يفتخرون بذلك فى المجامع و يقولون نحن متبعون للسنة وعاملون بالقرآن و لا يستحيون من الله و لا من الناس و قال النبى صلى الله عليه و سلم (اذا فاتك الحياء فافعل ما شئت) و قال الله تعالى (...لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ اَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * الصف: ٢-٣)

و اما ذكر الرؤيا.

ان لم تكن فيها مخالفة عن ضروريات الدين فليس فيها حرج لحديث لم يبق من النبوة الا المبشرات و الا فلم ذكر التمسك لكذب ابن سمعان بالنوم و قد صنّف الشاه ولى الله الدهلوى رحمة الله عليه كتابا مسمّى بـ (الدر الثمين فى مبشرات النبى الامين).

و اما ان المسئلة من ضروريات الدين. لا بد فيها من دليل قطعى.

و ما ذكر اخبار آحاد.

فنقول افراد هذه الروايات و ان كانت آحاداً الا ان القدر المشترك ما لا يخفى حكمه على ان التمسك بمثل تلك الروايات ثبت ممن هو اعلى كعباً منه و لا يبلغ المنكر الى ساقهم بل كعبهم كالشيخ الدهلوى رحمة الله عليه و العلامة السيوطى رحمة الله عليه و ابن

(١) جلال الدين محمد اسعد الدواني توفي سنة ٩٠٨ هـ. [١٥٠٢ م.] في شيراز

قيم و من يحذو حذوهم و كثيرا ما هم. فهل تمسكوا بالاستدلالات الباطنة او الضعيفة و هذا مما لا يظنه احد بمثل هذه الائمة القدوة فى الدين على ان الامة تلقتها بالقبول. الا يرى المنكر المعاند، كيف يتمسك المتكلمون فى الكتب الكلامية على العقائد الاسلامية باخبار الآحاد التى تلقتها الامة بالقبول. فعلينا بالانقياد و القبول و الافلم اوّل العلماء الآيات المشعرة بالجسمية والجهة بالتأويلات لابمثل هذا للشيخ المقتدى بمن يعمل بظاهر النصوص فعليك بالتأمل الفائق و لا تكن من المسرعين فى الرد و القبول. و ما ذكرنا كلام اجمالى. فلنرجع الى ما نحن بصدده من الرد تفصيلا.

فنقول ما ذكر فى (ص: ٤٢) انّ الملا على القارى و ابن عابدين ذكرا فى آداب الزيارة انه ياتى الزائر من قبل رجلى المتوفى لامن رأسه لانه اتعب البصر بخلاف الاول لانه يكون مقابل بصره. اقول من هذا يثبت سماع الجسد و رؤيته و لم يقل به احد.

قلنا ان كان المراد من سماع الجسد بلا تعلق الروح فلا نقول به و ان كان بتعلق الروح فذلك مما لا ينكر فكيف لم يقل به احد. و قد ذكرنا ناقلا عن (المرقاة) ان للروح بالجسد تعلقا بحيث يقرأ و يصلى اه . فتذكر.

و ما قال ان هذه الروايات مدسوسة.

فنقول هذا فتح باب عظيم لان كل ما يخالف مسلكه يقول هذا مدسوس بل كل ما يخالف مسلك الآخر يقول هذا مدسوس على ان ذلك لا يصادم شيئا من اصول الدين فكيف تكون مدسوسة.

و ما قال ان هذه الطريقة لم ينقل من النبى عليه الصّلوة و السّلام ولا من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولا من الأئمة رحمة الله عليهم. اقول كيف لم تنقل و الحال ان دليل السماع الخطاب و وجد فى الروايات على ما ذكرت من الحافظ ابن قيم و غيره. و ايضا واقعة الامام الشافعى رحمة الله عليه فى زيارة ابى حنيفة رحمة الله عليه دليل ظاهر ان هذه الطريقة منقولة عن الائمة لان قول الامام الشافعى رحمة الله عليه تأدبا دليل ظاهر على ان الادراك للجسد بتعلق الروح والا فارواح الصديقين فى عليين لا فى القبر فقط.

و ما قال ان المزور قبره لا الميت.

فنقول ان كان المزور قبره من حيث هو قبره بلا لحاظ المقبور فذلك باطل ظاهرا

لان زيارة القبر فقط ممنوعة شرعاً لورود (من زار قبرا بلا مقبور فكانما عبد الصنم.) و ان كان بلحاظ ان المقبور فيه فعلم ان للمقبور دخلا فى الزيارة على انه ورد فى الحديث (من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى) فهذا يدل على ان المزور هو لاقبره.

و ما ذكر من زيارة القبور، فيحتمل ان المراد زيارة اهل القبور.

و ما قال ان سائر الفقهاء قالوا ان الزيارة للقبور لا للميت. فنقول قد ذكرنا من الحافظ ان الزيارة انما تكون اذا علم المزور و جعل هذا دليلا لعلم الميت فعلم ان المزور الميت على مسلكه.

و ما قال مجيباً عن الاستدلال بقول الشاه ولى الله رحمة الله عليه حيث قال انهم اذا انتقلوا الى البرزخ كانت تلك الاوضاع و العادات و العلوم معهم و كذا عن الاستدلال بقول الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه فى (ص:٤٣) ان هذه الادراك لعالم البرزخ لا لاهل الدنيا.

اقول العبارة الصحيحة ان هذا الادراك لعالم البرزخ و بعد المناقشة اللفظية نقول كلا منهما صريح فى بقاء العلم. و صرح الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه ان ادراك البرزخ اجلى و اوضح. و القلة انما تكون لقلة التوجه و ايضاً الادراك لعالم البرزخ لاينا فى الادراك لعالم الدنيا سيما اذا دل الدليل.

وما قال فى (ص: ٤٤) نقلا عن (مجمع الانهر) ان الايلام لايتحقق فى الميت اه.

فنقول ان كان المراد نفى مطلق الايلام فذلك باطل و ان حديث (كسر عظام الميت ككسرها حيا) دليل ظاهر على ادراك الميت و المه خصوصاً مع تفصيل (الطيبى) و (ابن ملك)[1] و (ابن حجر) على مامر.

و ما قال نقلا عن ابن كثير ان هذه الآية تدل على عذاب الارواح فى البرزخ و لا يلزم من ذلك ان يتصل فى الاجساد.

فنقول ان هذا معارض بما ذكره علماء الكلام فى عذاب القبر انه تعذب الروح متصلا بالجسد و الجسد متصلا بالروح فعلم ان العذاب لهما، و لذا يبين للروح و الجسد حين منازعتهما فى المحشر مثال الاعمى و الزمن البصير دخلا بستان واحد واكلا الثمار.

---

(١) عبد اللطيف ابن ملك توفي سنة ٨٠١ هـ. [١٣٩٩ م.] في ازمير

فان الاعمال انما تكون بواسطة كليهما.

و ما قال فى (ص:٤٥) ان ارواحهم تأوى الى قناديل معلقة فى العرش.

فنقول قد ذكرنا من (المرقاة) ان روح المؤمن تسير فى ملكوت السموات و الارض. اهـ. فعلم انها لا تكون تحت العرش دائما بل تسير فى الارض فتسمع كلام الزوّار.

و ما قال ان كل ماينسبون الى المشائخ الحنفية اما كذب ليس فى كتبهم.

فنقول قد ذكرنا من كتب الأحناف كصاحب (المرقاة) و (المظهرى) و غيرهما.

و ما قال ان المذكورين ليسوا من مشائخنا الحنفية حتى ينهض اقوالهم حجة علينا.

فنقول ان ابن تيمية و ابن حزم ايضا ليسا من الأحناف فكيف ينهض قولهما حجة علينا. و ابن تيمية من الحنابلة و ابن حزم الاختلاف فى الفروع عنده ضلال على ما نقل سابقاً بـ (حوالة روح المعانى).

و ما قال ان السلام الدعاء و الرحمة قال تعالى (سَلامٌ عَلىٰ مُوسٰى وَهٰرُونَ* الصافات: ١٢٠)

فنقول كونه دعاء لاينافى كونه خطاباً سيما و قد ورد رد السلام.

و ما قال ان ابن قيم فى ذلك اكثر من الاقوال فكلها مستند الى الكشف و المنامات.

فنقول قد صرح الحافظ بان هذا ليس تمسكا بالمنامات حيث قال فى (ص:١٢) على انا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج و غيرها و قد ثبت فى الصحيح ان الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه. (كتاب الروح) و العجب ان المنكر ان نظر الى المنامات فلم ينظر الى الحجج و ذكر المنامات للتأييد لاينافيه. و الا فالمنكر ايضا يذكر المنامات.

و ما ذكر من تقسيم التلقين فى (ص:٤٦) حيث قال نقلا عن الطحطاوى ان التلقين على ثلاثة اوجه: ففى المحتضر لا خلاف فى حسنه و ما بعد انقضاء الدفن لا خلاف فى عدم حسنه و الثالث اختلفوا فيه و هو ما اذا لم يتم الدفن اهـ.

فنقول قال الحافظ فى (كتاب الروح ص:١٧) و يدل على هذا ايضا ما جرى عليه

عمل الناس قديماً، و الى الآن من تلقين الميت فى قبره ولولا انه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة و كان عبثاً و قد سئل عنه الامام احمد رحمة الله عليه فاستحسنه و احتج عليه بالعمل و يروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبرانى فى (معجمه) من حديث ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمكم الله ولكنكم لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا من شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله و انك رضيت بالله ربا وبالاسلام ديناً و بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً و بالقرآن اماماً فان منكراً و نكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا و لقن حجته ويكون الله و رسوله حجيجه دونهما) فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف امه قال (ينسبه الى امه حواء) فهذا الحديث و ان لم يثبت باتصال العمل به فى سائر الامصار و الاعصار و من غير انكار يكفى فى العمل به و ما جرى الله العادة قط بان امة طبقت مشارق الارض و مغاربها وهى اكمل الامم عقولا و اوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع و لا يعقل. و تستحسن ذلك لا ينكر منها منكر بل سنة الاول للآخر و يقتدى فيه الاول بالاخر فلولا ان المخاطب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب و الخشب و الحجر و المعدوم و هذا و ان استحسنه واحد فالعلماء قاطبة اتفقوا عليه لا يصح استقباحه و استهجانه الى آخر ما قال.

فعلم من هذا الكلام ان التلقين بعد الدفن و تسوية التراب عمل الناس قديماً و حديثاً و سنة الاوائل و الاواخر سيما و فيه حديث ضعيف الجبر ضعفه بعمل الناس قاطبة. سيما اذا استحسنه من هو جبل فى الحديث وقد جعله الحافظ دليلا على سماع الموتى.

و ما قال فى (ص: ٥٠) انه ليس لاحد قول فى سماع الموتى.

قلنا كيف و قد ذكر الاحاديث و اقوال العلماء الحنفية رضى الله عنهم.

و ما قال انهم قائلون بمواضع مخصوصة و ذلك قليل منهم.

قلنا اولا لا نسلم انه قليل و لئن سلم فالقليل ايضاً انما هو فى صورة الموتى فرد مطلو بكم من السلب الكلى.

و ما قلنا فى (ص: ٥١) و ان الاستشفاع الذى يثبت المبتدعون لذلك لم يقل بها

احد من ائمة الاسلام بل من الامور المحدثة.

فنقول قد ذكرنا فى مقصد التوسل ما فيه كفاية. و ان هذا طريق العلماء سلفاً و خلفاً خلافا لابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب النجدى و ذرياتهما. الا ترى الى ما قال تاج الدين السبكى مشنعا على مرشد المنكر و يحسن الاستغاثة و التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك و عدل عن الصراط المستقيم وابتدع مالم عالم يقل و صار بين الانام مثلة كما ذكره المنكر فى كتابه المقصود بالرد ههنا فى (ص:٩٣) فعلم من كلام السبكى ان التوسل معمول السلف و الخلف و الحال ان العمل العام حجة كما مر آنفا من قول امام احمد رحمة الله عليه و لفظ السلف و الخلف شامل للكل فكان بمنزلة الاجماع فالمنكر لاينكر الا الاجماع.

و علم ايضاً من قول السبكى ان المنكر من التوسل مبتدع لان المقر مبتدع بل هو متبع لامر ثابت من السلف و الخلف. و انعكس انتساب الابتداع إلى قائله. و لنعم ما قيل (من حفر بئرا لاخيه وقع فيه) على ان قول الامام الشافعى رحمه الله انى لا تبرك بابى حنيفية رحمه الله و اجئ الى قبره. و قصيدة الامام الاعظم عند الروضة المباركة و شق سقف الروضة بامر عائشة رضى الله تعالى عنها بعد المطالبة دليل ظاهر على انه كان امرا متوارثاً فكيف ينكر و ينسب الابتداع الى قائله و هل هذا الا تعصب ظاهر.

و عدم اشتهار التوسل فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم مر وجهه من كلام (روح المعانى) على ما ذكر سابقاً مفصلا.

و اما الاستدلال بتوسل عمر رضى الله عنه. فقد مر جوابه مفصلا.

و ما قال من الاستدلال بقوله تعالى (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ النحل : ٢١).

فنقول لم يقل احد بان الموتى يشعرون ايان يبعثون حتى يتم استدلال المنكر بل نقول ان الاحياء لا يشعرون ايان يبعثون لان علم الساعة من مفاتيح الغيب فلو كان عدم الشعور بالبعث فى وقت معين دليلا على عدم السماع لزم منه عدم سماع الاحياء لان ذلك العلم ليس عند الاحياء، و المراد من قوله يدعون يعبدون كما صرح به السيوطى غير مرة فى كتابه و ان قال البعض بخلافه.

و قوله تعالی (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ الاية. الاعراف: ۱۹٤) بيان الاصنام فان الحياة البرزخية يوجد فيها السمع و البصر و غير ذلك فافهم. و هذا اوان الفراغ من المقصد الثالث و لنشرع فی المقصد الرابع لتكميل المقاصد و تربيعها فنقول:

المقصد الرابع فی التنقید علی ما ذکر فی بحث الانکار عن التوسل بالانبیاء علیهم السلام و الأولیاء الکرام المدفونین فی المقابر

اعلم ان التوسل قد ذکرنا دلائله والرد علی المنکر اجمالا فلنشرع فیه تفصیلا فنقول.

و ما قال فی (ص:٥٢) من تشبیه المتوسلین الی الله بالانبیاء و الاولیاء بعبّاد الاصنام.

فتعسّف ظاهر لان عباد الاصنام یعبدون الاصنام کما حکی الله عنهم (...مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللهِ زُلْفَى الاية. الزمر: ۳) و الموحدون المتوسلون بالانبياء عليهم الصّلوة و السّلام و الاولياء الكرام المدفونين ما يعبدونهم. و فعل العوام لا يكون سندا بل لا بد من التعليم بالتی هی احسن. فسبحان الله من الغلو. فاين التوسل من العبادة فانه يستوی فيه الحی و الميت.

و ما قال ان بعض العلماء یدرسون الحدیث فی المشاهد و یرون المنکرات وهم عنها ساکتون، صامتون الی آخر ما قال.

فنقول ای عالم لم ینکر علی المنکرات بالتقریر او التحریر علی ما هو وسعهم، نعم،

للتبليغ مراتب كما اشير اليها فى الحديث (**من رآى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه و ان لم يستطع فبقلبه و ذلك اضعف الايمان**).

و اما شد الرحال لقبور الانبياء عليهم الصّلوة و السلام و الاولياء الكرام خالياً عن المنكرات كيف ينكر منه كما نقل من الاحياء للغزالى رحمة الله عليه. و مجيب الدعوات و كاشف الضر ليس الاالله وهم وسائل فى البين.

و ما قال فى (ص:٥٥) نقلا عن ابن تيمية ان الشرك فى بنى آدم من تعظيم قبور الصالحين اهـ.

فنقول لا يخفى ان تعظيم القبر ليس الا لاجل المقبور و قدنهى الجلوس على القبر و الا تكاء اليه كما ورد انه ايذاء له كما فى (لا توذ صاحب القبر) نعم ان كان التعظيم على وجه العبادة فهويكون اصل الشرك و اذ ليس فليس. الا ترى انه يراعى فى الزيارة أدب المزور و هذا هو التعظيم فانه كما يجب تعظيم الصالح حين كونه حياً فكذلك حين كونه ميتاً.الا ترى ما قال ابن الملك فى قوله عليه الصّلوة و السّلام (**كسر عظام الميت ككسرها حيًّا**) فيه اشارة الى انه لا يهان الميّت. و هل يكون مطلق التعظيم شركاً مع ان العلماء رحمة الله عليهم صرحوا بجواز تقبيل يد العالم كما نقل عن الامام المسلم انه قبّل يدالامام البخارى رحمة الله عليه و ايضا ابا بكر رضى‌الله تعالى عنه قبّل جبهة النبى صلى الله تعال عليه وسلم حين الوفاة. و هل يقول احد ان هذا التعظيم من اصول الشرك (...**سُبْحَانَكَ هٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ*** النور:١٦).

و ما قال فى (ص:٥٦) ان هؤلآء كانوا قوماً صالحين الخ.

فنقول ان كفر قوم نوح على نبينا و عليه الصّلوة و السلام ما كان لاجل تعظيم الصلحاء بل لاجل عبادتهم اياهم كما قال المفسرون فى تفسير قوله تعالى (**وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ اٰلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً** * الاية. نوح: ٢٣) قال الخازن يعنى القادة للإ تباع لا تتركن عبادتها (ج:٤،ص: ٣١٣.) فعلم ان وصية القادة للا تباع انما كان بالعبادة لابنفس التعظيم.

و ما قال من انكار الفيضان من روح المقبور (ص: ٥٨).

فنقول قد نقلنا عن عقائد علماء ديو بند ان الاستفادة من ارواح المشائخ رحمة الله

علیہم ثابتة. و كذا صرّح الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه كما نقل سابقاً من تفسيره فكيف يكون شركاً. و الآلوسى البغدادى ايضا قال بالمدد الروحانى.

و ما قال فى (ص: ٥٨) و هكذا المشركون فى زماننا الذين يدعون غيرالله كالشيوخ الغائبين و الموتى تتصور لهم الشياطين فى صور الشيوخ اه.

فنقول ان التوسل اذا كان بطريق شرعى و حصل له التصور بصورة الشيخ فاى دليل على ان هذا شيطان. كيف و قد قال الآلوسى البغدادى انه قد يرى المرء شيخه فيرشده لما يهمه كما سبق ذكره مفصّلا. و التعجب من جسارتهم انهم يحكمون مطلقاً ان الشيطان تصور بصورهم.

و ما قال فى (ص:٥٩) ان الشيطان كثيراً يتصور بصورة الانس فى اليقظة و المنام و قد يأتى لمن لايعرف فيقول انا الشيخ فلان و العالم فلان و ربما قال انا ابو بكر رضى الله تعالى عنه و عمر رضى الله تعالى عنه و ربما قال انا المسيح عيسى عليه السلام، انا موسى عليه السلام و انا محمد عليه الصلوة و السلام اهـ.

فنقول كيف يتصور فى شأن النبى صلى الله تعال عليه وسلم مع انه عليه الصّلوة و السّلام قال (من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لايستطيع ان يتمثل بى). او كما قال.

و ايضاً الشاه ولى الله رحمة الله عليه ذكر واقعات كثيرة فى بعضها استفادة روحانية و فى بعضها ارسال اللبن و فى بعضها ارشاد طريق الصوفية كما ذكر فى (الدر الثمين فى مبشرات النبى الأمين.)

الحديث الرابع عشر اخبرنى والدى رحمة الله عليه انه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام فبايعه و لقنه النفى و الا ثبات على طريقة الصوفية فبايعنى كما بايعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و لقننى كما لقنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ص:٥٩).

و مثل هذا كثير كما ذكر فى الحديث السابع عشر اخبرنى السيد الوالد قال اخبرنى شيخى السيد عبدالله القارى رحمة الله عليه قال حفظت القران على قارئ زاهدٍ كان يسكن فى البرية فبينا نحن نتدارس القرآن اذ جاء قوم من العرب يقدمهم سيدهم فاستمع قراءة القارئ و قال بارك الله اديت حق القرآن ثم رجع و جاء رجل آخر بذلك الزى فاخبر ان

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرهم البارحة انه سيذهب الى البرية الفلانية لاستماع قراءة القارئ هناك فعلمنا السيد الذى كان يقدمهم هو النبى صلى الله تعال عليه وسلم قال و قد رأيته بعينى هاتين.

الحديث الثامن عشر اخبرني السيد الوالد انه اراد فى ابتداء طلبه ان يلتزم دوام الصيام ثم تردد فى ذلك لاختلاف العلماء فتوجه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرآه فى النوم كأنه اعطانى رغيفا فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه الهدايا مشتركة فقدمته اليه فاخذ منه كسرة ثم قال عمر رضى الله تعالى عنه الهدايا مشتركة فقدمته اليه فاخذ منه كسرة ثم قال عثمان الهدايا مشتركة فقلت ان قسمتم الرغيف بينكم فاى شئ يبقى لهذا الفقير فامسك (ص :٦٠).

الحديث التاسع عشر اخبرني و الدى انه ركب فى رمضان إلى مكان فاصابه الحر و التعب فنعس فى تلك الحالة فرأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاه طعاما لذيذا متخذا من الارز و الحلاوة و الزعفران و السمن فأكل حتى شبع و اعطاه ماء باردا فشرب حتى روى ثم استيقظ و لا جوع و لا عطش و فى يده ريح الزعفران (ص:٦٠).

الحديث الخامس و العشرون اخبرنى سيدى الوالد قال رأيت فى المنام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جالساً مراقباً فى مسجد من ياقوت شفافاً فارى ظاهره من باطنه و الصحابة و الاولياء جالسون متحلقون عنده فلما وصلت الباب قام سيدى عبد القادر الجيلى رحمه الله و الشيخ بهاء الدين النقشبدى رحمة الله عليه فخرجا إلىّ و تذكرافقال سيدى عبد القادر الجيلى رحمه الله انا اولى به لانه تربى بروحانية جده ابى امه و كان اخذ بطريقتى. ثم اصطلحا على ان يتولانى اولاً الشيخ بهاء الدين رحمة الله عليه و يفيد لى بعد ذلك سيدى عبد القادر رحمه الله بما شاء ثم ادخلنى الشيخ بهاء الدين رحمة الله عليه المسجد و اجلسنى بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فتح بصره كنت اول من وقع بصره عليه (ص:٦٢).

الحديث الحادى و الثلاثون اخبرنى الشيخ ابو الطاهر عن القشاشى[١] انه كتب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا فى بعض حاجاته صورته: يارسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك انت اقرب إلىّ منى ام هذا فبحق قربك منى و ان بعدت الا ما شفعت

---

(١) أحمد القشاشي البدري توفي سنة ١٠٧١ هـ. [١٦٦٠ م.] في البقيع

فيَّ و فى قضاء حاجتى كلها الدنيوية و الاخروية لى و من احب امين فلما كان بعد هذا بستة اشهر رأى السيد محمد بن علوى[1] النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له سلم على احمد القشاشى و بشره بالشفاعة ثم رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الليلة الآتية و قال سلم على احمد القشاشى و قل له انه جليسى فى الفردوس (ص:٦٣)

و اذا عرفت هذا فلا أدرى ما يقول المنكرون فى هذه الاستفادة الروحانية و كتاب (الدر الثمين) مملؤمن واقعات مثل هذه. من شاء المزيد يطالعه و فيما ذكرنا كفاية للبيب المنصف. فان الشاه الدهلوى لما ذكر هذه الواقعات فى كتابه علم ان ذلك لا يصادم الدين كما يقول هذا المنكر المفرط.

و ما قال فى (ص:٦٠) ان الصحابة قد تنازعوا فهلا سألوا النبى صلى الله عليه و سلم فاجابهم.

فنقول اختلاف الصحابة و بقاؤه كذلك فيه سر الهى و هى الوسعة للأمة. و لذا قال عليه الصلوة و السلام (اصحابى كالنجوم بايهم اقتدينم اهتديتم) لا ان الاستفادة من النبى صلى الله عليه و سلم لا يمكن فان اولياء الله يسألون النبى صلى الله عليه و سلم فانه ذكر فى (الدر الثمين) الحديث العشرون اخبرنى سيدى الوالد بلغنى ان النبى صلى الله عليه و سلم قال (انا املح و اخى يوسف اصبح) فتحيرت فى معناه لان الملاحة توجب قلق العشاق اكثر من الصباحة و قد روى فى قصة سيدنا يوسف عليه الصلوة و السلام ان النساء قطعن ايديهن حين رأينه و ان الناس عند رؤيته و لم يرو عن النبى صلى الله عليه و سلم فى هذا الباب شيء فرأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام فسألته عن ذلك فقال جمالى مستور عن اعين الناس غيرة من الله عز و جل و لو ظهر لفعل الناس اكثر مما فعلوا حين رأوا يوسف عليه الصلوة و السلام (ص:٦٠). فانظر كيف حصل له اشكال و حصل رفعه من الحضرة النبوية. أتقول مثل ما تقول من الخرافات فى هذا ايضاً.

و ما قال فى بيان الزيارة المبتدعة او يطلب منه ان يطلب من الله تعالى اما ان يقسم على الله به (ص:٦٢).

فنقول قد ذكرنا عن المحدث الدهلوى رحمة الله عليه ان الطلب منه بان يقول هناك (يا ولى الله ادع لى من الله) جائز فان المسؤول و المعطى هو الله تعالى و هو واسطة فى

---

(١) محمد بن علوي السقاف توفي سنة ١٠٧١ هـ. [١٦٦٠ م.] في مكة المكرمة

البين و كذا صرح الآلوسى البغدادى بجواز الإقسام على الله باحد ممن له خطر و شرف كما نقل سابقاً فى مسئلة التوسل فكيف قال ان شرك هؤلآء و كفرهم اعظم من شرك مشركى العرب.

و ما قال فى (ص:٦٣)، فان المشرك الذى يدعو غير الله و يرجوه و يخافه اما ان يجعله مالكاً او شريكاً او ظهيراً او شفيعاً. فنقول اى شرك فى الشفاعة فان شفاعة الابرار ثابتة و ان كان هذا شركاً فكيف الشفاعة فتأمل.

و ما قال فى (ص:٦٤) نقلا عن (مجمع البحار) فان منهم قصد بزيارة قبور الانبياء و الصلحاء ان يصلى عند قبورهم و يدعو عندها و يسألهم الحوائج و هذا لا يجوز عند احد من علماء المسلمين فان العبادة و طلب الحوائج و الاستعانة حق الله تعالى وحده.

فنقول زيارة القبور انما يكون للدعاء و التبرك بالانبياء و الصلحاء و التوسل بهم الى الله تعالى فى قضاء حاجاتهم و هذا جائز كما نقل عن فعل الامام الشافعى رحمة الله عليه و غير ذلك فالمسؤول المستعان هو الله تعالى.

و الصلاة فى المقبرة منهى مطلقا لا تخصيص فيه بقبور الانبياء عليهم الصلوة و السلام والصلحاء، نعم، لو كان هناك مسجد او موضع معد للصلوة فاى حرج فى الصلوة اذالم يقابل المصلى قبرا.

و اما الدعاء عند القبور فلا شك ان الدعاء برقة القلب اقرب الى الاجابة ولا شك ان زيارة القبور ترقق القلوب كما فى حديث (انى نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترقق القلوب وتذكر الموت) او كما قال و لا شك ان لرقة القلب تأثيرا فى اجابة الدعاء. الا ترى الى بكاء عثمان رضى الله تعالى عنه عند حضوره المقبرة.

وما قال فى (ص:٦٥) من كلام الامام الرازى رحمة الله عليه فى قول المشركين الا انا نعبد هذه الاصنام فانها شفعائنا عند الله اهـ .

فنقول لا يخفى ان المشركين كانوا يعبدون الاصنام و لا شك ان عبادة الصنم شرك كما حكى الله تعالى عنهم (...مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقَرِّبُوْنَآ اِلَى اللهِ زُلْفٰى ۞ الاية. الزمر: ٣) فالفرق بين التوسل بالانبياء عليهم الصلوة و السلام و الاولياء الى الله تعالى فى قضاء الحاجات و بين عبادة المشركين الاصنام و جعلها و سيلة الى الله تعالى ظاهر فان الاول امر

مندوب و الثانى شرك منهى. و كذا قوله تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ* الاية. يونس: ١٨) دليل ظاهر على هذا الفرق فكيف يصح انتساب الشرك الى المتوسلين فضلا عن ان يكون شرك المشركين اقل من شركهم كما قال.

و ما قال فى (ص:٦٦) و اما الانكار عن بشرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

فقد ذكرنا عن المحقق ان اعتقاد بشرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و كونه عربيا من فروض الايمان، نعم، من كان غبياً لابد من تعليمه و ان اصر بعد ذلك حكم بكفره كما ذكر سابقاً عن المفسر البغدادى مفصّلا لامثل هذا التشدد.

و ما قال فى (ص:٦٨) انه قلما تجد بلدة الا و لها ألهة كثيرة اعتقدوا فيهم انهم متصرفون الخ.

فنقول اذا اعتقد احد ان الله تعالى قاضى الحاجات و منزل البركات و الشافى للمرضى و المغنى للفقراء و النفوس الفاضلة وسائل فيضان البركات و منازل الرحمات فما معنى الشرك فيه؟

و النذر لغير الله حرام و اما التصدق لايصال ثواب الى ولى و صالح مثلا فهو امر ثابت كما فى واقعة ام سعد رضى الله عنها حيث حفر بئرا و قال هذه لام سعد رضى الله تعالى عنها كما فى (المشكاة) وكذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يضحى عن الامة ممن لم يضحّ عن امته و كذا كان على رضى الله تعالى عنه يضحى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته عليه الصّلوة و السّلام.

و ما قال ان ليس المراد من الدعاء العبادة كما قال بعض المفسرين بل هو الاستعانة.

فنقول الدعاء بمعنى العبادة امر ثابت قال الله تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ* المؤمن: ٦٠) و فى الحديث (الدّعاء مخّ العبادة) فكيف يصح الرد على بعض المفسرين.

و ما قال هكذا مشركوا زماننا المرتسمون بسمة المسلمين يدعون فى الحوائج.

فنقول لا يخفى ما فيه من التعسف فان انتساب الشرك إلى غير اهله، انما يرجع الى قائله كما فى الحديث الطويل.

و اما اخذ التراب. فمشهور من قبر الامام البخارى رحمة الله عليه البارئ.

و اما شد الرحال الى المواضع المتبركة.

فقد ذكرنا ان الاستثناء متصل فى الحديث اى **(لا تشدّ الرحال الى مسجد من المساجد الا الى ثلاثة مساجد)** الخ. كما صرح به الامام حجة الاسلام الغزالى رحمة الله عليه.

و اما تلاوة اسماء الصالحين.

فله اصل كما فى حديث كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين و ايضاً قراءة السلاسل امر متداول بين السلف و الخلف كما ذكرنا سابقاً بتفصيل اتم.

و اما الاعتقاد بآثار الصّالحين.

فأمر ثابت. الا ترى الى تقسيم شعره المبارك فى حجة الوداع و كذا الاستشفاء بجبته و شعره عليه الصّلوة و السّلام دليل ظاهر على آثار الصّالحين تحفظ للتبرك و قد ذكر مستوفى.

و اما ما ذكر فى (ص:٧٠)، ان الكل مقرون بالخالق الواحد اه .

فنقول ان الكل و ان كانوا مقرون بالخالق الا انهم يشركون فى العبادة و هذا ايضا شرك بخلاف المتوسلين و الاستدلال بقول الشوكانى غير تام و لا ملزم علينا، نعم، السؤال من الميت باعتقاد انه مالك النفع و الضرر امر ممنوع بل شرك و ان كان حديث شد الرحال على عمومه فيدخل فيه زيارة النبى صلى الله عليه وسلم.

و ما قال ان زيارة النبى عليه السلام مخصوص.

فنقول قد خالف المقتدى امامه فان إمامه صرح بان شد الرحال الى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قصداً ممنوع. و لذا قال العلامة ابن حجر فى (فتح البارى) و هذا مما يشفع به عليه.

و ما قال فى (ص:٧٤) من ان عمر رضى الله تعالى عنه قطع الشجرة.

فنقول على تقدير ثبوت القطع لا يلزم منه سدّ باب التبركات و آثار الصالحين.

الا ترى تقسيم الشعر المبارك و ابقاء جبّته عليه الصّلوة و السّلام بل المقصود منه قطع الغلو.

و ما قال من الاستقبال وقت الدعاء الى القبلة لا الى القبر.

فنقول صرح ايضاً خليل احمد رحمة الله عليه نقلا عن الملا على القارى بان الاستقبال وقت الزيارة يكون الى القبر و قال على هذا عملنا و عمل مشائخنا و هكذا حكم الدّعاء كما نقل عن الامام مالك رحمة الله عليه حين سأل عنه خليفته فى هذه المسئلة و صرح به مولانا الجنجوهى رحمة الله عليه فى (زبدة المناسك عقائد علماء ديوبند)

فعلم ان الاولى عند الزيارة و السلام و الدعاء ان يستقبل القبر فكيف قال ان الاستقبال الى القبلة وقت الدعاء مما لا نزاع فيه و انما النزاع وقت السّلام فانك علمت من النقل المذكور ان الاستقبال الى القبر اولى مطلقا عند ابى حنيفة رحمة الله عليه و ان كان له تردد فى الاول لكن الاستقرار فى الاخير على ما ذكر.

و ما قال فى (ص:٧٥) لا يستقبل القبر حتى لايكون الدعاء عند القبر فان الدعاء عبادة.

فنقول قد مر آنفا تغليط بعض المفسرين حيث فسّر الدعاء بالعبادة على ان السّلام على اهل القبور ايضا عنده دعاء حيث قال فيما مضى ان سلام الميت دعاء لاتحية فكيف التوفيق؟

و ما قال ان الميت انقطع عمله.

فنقول قد مر ان المراد انقطاع وجوب العمل لا مطلقاً. الا ترى الى صلاة موسى على نبينا وعليه الصّلوة والسلام فى القبر و تلاوة (سورة الملك) من القبر واتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فان كلا من المذكور عمل صرح بذلك القيد على القارى.

و ما قال فى (ص:٧٥) و هذا كله من الدعاء عند القبور فلو كان هذا جائزا لكان منقولا من الصحابة رضى الله تعالى عنهم.

فنقول الدعاء عند القبور لاهل القبور و لانفسهم امر متوارث منصوص كما فى الدعاء المأثور (السلام عليكم يا اهل القبور انتم لنا سلف و نحن لكم تبع ان شاء الله بكم لاحقون نسأ الله العافية لنا و لكم يرحم الله علينا و عليكم) و غير ذلك.

و ما قال ان الدعاء عند قبر النبى صلى الله تعال عليه وسلم بدعة.

فنقول ان للدعاء مواضع الاجابة:منها عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وَسلم و ان لم تكن الاجابة فى هذا المقام ففى اى موضع كما نقل سابقاً.

و ما قال ان الميت لا يملك الضرر و النفع. فنقول لا يعتقد احد انه يملك النفع و الضرر فانتساب مالكية الضرر و النفع للموتى الى المتوسلين افتراء محض و بهتان بحت.

و ما قال فى (ص:٧٨)، ان الصحابة لم يقبلوا قول صحابى واحد. فنقول يلزم على هذا سد باب قبول اخبار الآحاد مع ان المشهور و المتواتر فى غاية القلة على ان التمسك باخبار الآحاد بشروط ثمانية ترى اربعة فى المخبر الراوى و اربعة فى الخبر المروى امر مستقر عند العلماء رحمهم الله تعالى عليهم.

و ما قال من الاستدلال بالرؤيا فى (ص:٧٩)

فنقول الرؤيا انما تذكر للتأييد لا للاثبات. الا ترى الى ما قال ابن قيم و هذا ليس اثباتا للحكم بالرؤيا بل بالحجج القاطعة كما نقل سابقاً من (كتاب الروح)

و ما قال فى (ص:٨٠) من المذمة للقياس فى امور الدين.

فنقول الرأى انما يذم اذا كان فى مقابلة النص و الا فهو من الاعتبار المأمور بقوله تعالى (...فَاعْتَبِرُوا يَآ اُولِى الْاَبْصَارِ* الحشر: ٢) و ايضاً كان ابو بكر رضى الله تعالى عنه يسأل عن جماعة سماهم اهل الرأى يقول ما قولكم يا اهل الرأى.

و ما قال فى (ص:٨٥) فالوسيلة مثل سائر الطاعات المرضية و العبادات الشرعية لابد فيها من اتباع الشارع.

فنقول قد ذكرنا فى مقصد التوسل الدلائل الدالة على مندوبية التوسل الخالى عن المنكرات مع التوارث عن السلف الى الخلف كما ذكره تاج الدين السبكى رحمة الله عليه و قد جعل الامام احمد رحمة الله عليه التوارث دليلا على مشروعية التلقين كما مر.

و ما قال ان التوسل المذكور من افعال المشركين.

فنقول شركهم انما كان عبادة الاصنام لاالتوسل الى الله تعالى بعبادالله الصالحين كما قال الله تعالى حكاية عنهم (... ما نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ اِلَى اللهِ زُلْفَى* الآية

الزمر:٣) والاستثناء من النفى اثبات اى ما نعبدهم الا نعبدهم ليقربونا و لا شك عبادة غيرالله شرك فاين التوسل من العبادة حتى يكون شركاً.

و ما قال فى (ص:٨٦) من الآيات الدالة على ان الدعاء لا يكون الا من الله تعالى مثل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ * الاية. البقرة: ١٨٦) و امثال ذلك.

لايرد فان التضرع و الدعاء فى صورة التوسل يكون الى الله تعالى الا انه بواسطة الذوات الفاضلة. الا ترى ان الصحابة كانوا يطلبون الدعاء من النبى صلى الله عليه وسلم و كان صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوهم فهل هذا ينافى كون الله مجيب الداعين و كاشف الضرمن المضطرين و هل انكرعليهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين طلب الدعاء منه صلى الله تعالى عليه وسلم بان تدعومن الله تعالى فانه قريب مجيب الداعين بل قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث مفصل (انا رسول الله ان اصابك سنة فدعوت الله) اهـ . و التوسل الى الله تعالى بالذوات الفاضلة هو الدعاء من الله تعالى و التوسل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مذكور فى قوله تعالى (...وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا* الاية. البقرة: ٨٩) و الانكار انما هوعلى كفرهم لا على التوسل بل ثبت فيما مضى التوسل بذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و بثيابه و بشعوره بل بنعله عليه الصلوة و السلام فتذكر.

و ما قال فى (ص:٨٧) ان حديث فاسئلوا الله بجاهى موضوع.

فنقول على تقدير الوضع قد صرح الآلوسى البغدادى ان التوسل بجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل بجاه غيره ممن له جاه جائز كما مر بتفصيل اتم و هو معتقدهم.

و ما قال ان حديث الاعمى فيه توسل بالدعاء منه عليه الصلوة و السلام.

فنقول تعليم ذلك الطريق بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمن امير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه دليل ظاهر بل انه توجه الى الله و توسل اليه تعالى بحرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما يدل عليه سياق الحديث (يا محمد انى اتوجه بك الى ربى). و ايضاً قال الآلوسى البغدادى فى تفسيره و انا اقول سبحان الله و بحمده استغفر الله تعالى و اتوب اليه و أسأله ان يجعل لى من كل هم فرجاً و من كل ضيق مخرجاً

بحرمة كتابه و سيد احبابه صلى الله تعالى عليه وسلم) (روح المعانى ج:۳، ص:۲۵). فعلم ان التوسل المذكور امر شائع بين العلماء الاعلام.

و ما قال ان حديث اذا اعيتكم الامور فعليكم باصحاب القبور موضوع.

فنقول قد ذكرنا من الآلوسى البغدادى فى تفصيل (فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾ الاية. النازعات: ۵) ان للاولياء مددا روحانياً فقد ياتى الشيخ مريده فيرشده لما يهمه و لذا قيل و ليس بحديث كما توهم اذا اعيتكم الامور فعلم ان الرد انما هو على كونه حديثاً لا مطلقاً و الا لما ذكر فى التأييد.

و قد ذكر مولانا عبد الحى[1] رحمة الله عليه فى فتاواه لهذا القول معان صحيحة فضلا عن ان يكون شركاً. و تفصيل هذا القول على ما قال مولانا عبد الحىّ الكنوى نوّرالله مرقده فى الجلد الاول من فتاواه (ص:۱٤۱، ۱٤۲) ان القول المذكور اى اذا تحيرتم فى الامور. اهـ . ليس بحديث بل مقولة. و توجيهه انه اذا وقعتم فى شبهة من الحكم بانه حلال ام حرام فاستعينوا من اقوال القدماء الذين هم فى القبور ولا تعملوا برأيكم.

او المعنى اذا تحيرتم فى الامور الدنيوية فانظروا الى اصحاب القبور حيث تركوا الدنيا و اختاروا سفر الآخرة او المعنى اذا عجزتم فى تحصيل مقاصدكم فاسئلوا الله بوسيلة اصحاب القبور لتقبل ببركتهم دعاؤكم لا ان تزعموهم حلالين للمشكلات او مشاركين لله تعالى فى تدابير العالم لانه شرك ظاهر.

فعلم من كلام هذا الحبر المحقق مشاق الفتيا، ان هذه مقولة و ليس بحديث و لها معان صحيحة و باعتبار المعنى الاخير دليل التوسل بالاموات الفاضلة فضلا عن ان يكون شركا كما لا يخفى على ذى لب.

و ما قال ان حديث الكوة من القبر للمطر و الافضاء بقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه العارم اختلط فى آخر عمره.

قلنا حديث الكوة اخرجه الدارمى و ذكره صاحب (المشكاة) و قرره صاحب (المرقاة) و ذلك مؤيد بالروايات الاخر.

و ما قال فى (ص:۸۸) ان الاستفتاح كان فعل اليهود فكيف يكون دليلا.

(۱) عبد الحي اللكنوي الهندي توفي سنة ١٣٠٤ هـ. [١٨٨٦ م.]

قلنا الاستدلال انما هوبتقرير الله تعالى حيث انكر على كفرهم لا على استفتاحهم فكان دليلا كما مر مفصلاً.

و ما قال ان قوله تعالى (...أَنْ أَغْنٰهُمُ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهٗ* الاية. التوبة: ٧٤) انه تحت الاسباب الظاهرة.

قلنا هذا نجعله دليلا على المجاز بان الاغناء فى الحقيقة فعل الله تعالى و نسب الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكذا لونسب الفعل الى الوسيلة لا شرك فيه و ذلك مثل قوله تعالى حكاية (رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ* الاية. ابراهيم: ٣٦) و الضمير للاصنام و لا شك ان الاصنام سبب الضلال و الحاصل ان نسبة الفعل الى الوسيلة شائع فضلا عن ان يكون شركاً.

و ما قال ان توسل عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس رضى الله تعالى عنه دليل لنا لان هذا توسل بدعاء الحى و لا شك فى جوازه.

قلنا هذا توسل بقرابة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل فى دعاء العباس رضى الله تعالى عنه.اللهمّ ان القوم توسلوا بى اليك لمكانى من نبيك فاسقهم فكان توسلا بقرابة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحقيقة فكان دليلا لنا كما لايخفى على أُولى الالباب و الابصار.

و ما قال ان مالكا قال لمنصور انه وسيلتك غيرثابت و رواية الشفاء لا تقبل لان فيها احاديث مكذوبة.

قلنا كيف يقبل الجرح المبهم مع هذا التشديد سيما اذا ايدت بالروايات الأُخر.

و ما قال ان توسل الشافعى باهل البيت ليس بثابت ولو صح فالمعني التقرب بحبهم.

قلنا توسل الامام الشافعى رحمة الله عليه بأبى حنيفة رحمة الله عليه ثابت كما ذكره العلامة الشامى رحمة الله عليه فالتوسل باهل البيت أولى بالثبوت و اية حاجة الى التقدير اذا كان التوسل بالذوات الفاضلة جائزا.

و ما ذكر ان حديث خدر الرجل فيه انتذكير للتسكين و ذلك من عادات العرب.

قلنا ذلك للاستشفاء و التوسل كما يدل عليه ما ذكر فى (حاشية الحصن الحصين ص:١٧٤) خدرت رجل عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهمافقال (يا محمد عليه الصلوة و السلام) فكانما نشط من عقال فعلم ان هذا كان للاستشفاء و التوسل.

و عن مجاهد خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله تعالى عنه فقال اذكر احب الناس اليك فقال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب عنه فهذا ايضا دليل على انه كان للاستشفاء.

و كذا لا حاجة الى التقدير فى السؤال بحق الانبياء و بحق السائلين.

و كون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجاءنا فى الحياة لاينافى كونه رجاءنا حين الوفاة.

و ما قال فى (ص:٩٠) انه لوفتح تأويل المجاز لما يصح الشرك و حكم الكفر على احد.

قلنا اعتقاد الموحد دليل المجاز. الا ترى الى ما قال علماء البلاغة فى بيان القرائن و كصدوره عن الموحد مثل.

بيت:

اشاب الصغير و افنى الكبير * كر الغداة و مر العشى.

الا ترى الى حمل على رضى الله تعالى عنه كلام رجل قال فى عهد عمر رضى الله تعالى عنه انى اكره الحق و احب الفتنة و اشهد على الغيب على محمل صحيح من ان الحق سكرات الموت كما فى قوله تعالى (وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ* الاية. قٓ: ١٩) و الفتنة المال و الأولاد (اِنَّمَآ اَمْوَالُكُمْ وَاَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ* الاية. التغابن: ١٥) و الغيب واقعات البرزخ و القيامة فانظر كيف حمل كلامه على محمل صحيح.

و ايضا لما سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن جارية اراد المولى عتقها اين الله؟ قالت فى السماء قال من انا؟ قالت انت رسول الله صلى الله عليه و سلم قال اعتقها فانها مؤمنة كيف حمل قولها (فى السماء) على محمل صحيح و الا فظاهره يدل على اعتقاد الجهة و الجسمية.

و اما فرعون فكفره منصوص ظاهر يضرب فى الأمثال فكيف يأوّل قوله (...أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات: ٢٤) على المجاز.

و ما قال ان عبّاد القبور لا يدرون المجاز.

قلنا اطلاق عباد القبور على المتوسلين من تعنته و ايضا بعض المجازات تعرفها الكافة كما فى اقدمنى بلدك حق لى عليك.

و ما قال انهم يعتقدون فى اهل القبور اهل التصرف و الاعطاء.

فنقول القول بالتصرف صدر عن الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه و كذا الشاه ولى الله الدهلوى رحمة الله عليه حيث ذكروا واقعة ارسال اللبن و اعطاء الشعرتين المباركتين لوالده و كذا الحافظ ابن قيم حيث ذكر واقعات كثيرة فى (كتاب الروح) فكيف يكون هذا شركا مع صدور القول المذكور عن العلماء الاعلام كما عرفت.

و اما اطلاق الغوث والقطب فاصطلاحات الصوفية كما ذكره صاحب (المرقاة فى باب اليمن و الشام) ذيل حديث (ياتى اليه ابدال الشام)

و اما اعتقاد اصابة الضرر لاجل عدم الوفاء بنذور الاولياء. فشأن العوام و العوام ليسوا من اهل التمسك بافعالهم.

و ما قال فى (ص: ٩١) (انما ندعوهم ليقربونا) فنقول كفرهم لاجل العبادة فان الاية (...مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ الآية. الزمر: ٣) اهـ .

و اما توسل عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس رضى الله تعالى عنه فلا يدل على التخصيص بل هو احد الجائزين كما مر مفصّلا.

و اما مسئلة استقبال القبر عند الدعاء و السلام فقد ذكرت سابقا ان الاولى استقبال القبر عند الامام الاعظم رحمة الله عليه.

و ما قال فى (ص:٩٢) من منع الإقسام على الله باحد عند ابن تيمية.

فنقول قد ذكرنا مفصّلا فى مقصد التوسل عن الآلوسى البغدادى ان السؤال بجاه عظيم الجاه و بجاه النبى صلى الله عليه و سلم بل بجاه غير النبى صلى الله تعالى عليه و سلم ممن له جاه جائز فلا اثر لمنع ابن تيمية على ان قول السبكى رحمة الله عليه: و يحسن

التوسل و الاستغاثة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه و لم ينكر ذلك احد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك و عدل عن الصراط المستقيم و ابتدع مالم يقل عالم و صار بين الانام مثلة فالظاهر ان التوسل مندوب عن السلف و الخلف و الانكار عنه عدول عن الصراط المستقيم و ابتداع لا ان القول به كذلك و اية حاجة الى تقدير المضاف فيما جاء فيه التوسل بالذوات.

و ما قال فى (ص:٩٤) ان تساوى حالتى حياته و مماته عليه الصلوة و السلام محتاج الى نص.

قلنا النصوص الدالة على حياة الانبياء عليهم الصلوة و السلام كثيرة كما ذكرنا نبذا منه.

وما قال ان مذهب الاحناف رحمة الله عليهم الاستقبال الى القبلة.

قلنا معارض سابقا بما ذكرنا سابقاً عن عقائد علماء ديوبند و لا نسلم ان منع التوسل بالذوات مذهب ابى حنيفة رحمة الله عليه كيف و القصيدة المنقولة عنه فى (الدر المختار) عند حضوره الروضة المباركة يدل على خلاف ذلك حيث قال.

شعر:

انت الذى لما توسل آدم	★	من ذلة بك فاز و هو اباك
وكذلك موسى لم يزل متوسلا	★	بك فى القيامة يحتمى بحماك
يا اكرم الخلق يا كنز الورى	★	جد لى بجودك و ارضنى برضاك
انا طامع بالجود منك لم يكن	★	لابى حنيفة فى الانام سواك

و اصحاب المذاهب اعرف بمذهب امامهم فان كان التوسل بالذوات ممنوعاً عند الامام الاعظم رحمة الله عليه لما قال به مقلدوه كما قال فى (نور الايضاح)[1] نتوسل بكما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و لما افتى علماء الهند و الحرمين و الشام و مصر و غيرهم بل علماء المذاهب الاربعة رحمهم الله بجواز التوسل لكونه خلافا عن مذهب امامهم على ذلك التقدير و اللازم باطل فالملزوم مثله و اعمال الغير تكون ذريعة الى قربه من الله و حرمته عند الله تعالى و الى بركته. و هذا مما يتوسل به و الكفار كانوا يعبدون غير الله و هو

(١) مؤلف نور الايضاح و حاشيته حسن الشرنبلالي الحنفي توفي سنة ١٠٦٩ هـ. [١٦٥٨ م.] في مصر

شرك و ان كانوا يقرون بخالق فان المنكرين عن الخالق انما هم الدهريون.

و اما ما ذكر فى (ص:٩٦) من تلبية الجاهلية. ففيه تصريح نسبة الشريك الى الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، حيث قيل الا شريكاً تملكه و ما ملك ففيه تصريح بنسبة الشريك.

و اما ذكر قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلوة و السلام (...وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الاية. آل عمران: ٤٩)

فالمقصود منه ايضاً بيان ان النسبة المجازية الى الوسائل شائعة فان المحيى للموتى و الشافى للمرضى و المبرئ للأكمه و الأبرص هو الله تعالى فكيف قال ان هذه الاضافة حقيقة لا مجاز فهل يجوز لاحد ان يقول نسبة الاحياء الى عيسى عليه الصلوة و السلام حقيقة فان الاحياء من الصفات الفعلية لله تعالى كالترزيق و التخليق قال الله تعالى (...قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الاية. يٰس :٧٨-٧٩) فعلم ان الاحياء صفة خاصة لله تعالى. قال ابراهيم عليه الصلوة و السلام فى نمرود (...رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ﴾ الاية. البقرة: ٢٥٨)

و ما قال ان معجزات الانبياء عليهم الصلوة و السلام حقيقة.

ليس معناه ان يكون محييا حقيقة و الا فذلك شرك بيّن و اذا ثبت ان نسبة الاحياء الى عيسى عليه الصلوة و السلام ليست حقيقة بل مجازا بان يكون معناه انا ادعو لاحياء احد و اقول قم باذن الله فيحييه الله بسبب دعائى و لا شك ان سماع الجزئيات لايشترط فى المجاز، نعم، يجب سماع انواعها فثبت المصحح للمجاز.

و التوسل بالانبياء عليهم الصلوة و السلام و الاولياء جائز حين الحياة و بعد الوفاة و الغلو امر آخر فان لكل شئ حد و ميزان و لذا قيل.

بيت:

فللامور مواقيت مقدرة * و كل شئ له حد و ميزان

و اما حديث اصابة القحط فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه.

و ان كان فى الرواية مجهولا الا انه ليس فيه مخالفة عن اصول الدين بل الدلائل

دالة على جواز التوسل سيما بالانبياء عليهم الصلوة و السلام خصوصاً بسيد الانبياء عليه الصلوة و السلام فلو ذكر مثل هذه الروايات فى درجة التأييد اى حرج فيه فان التوسل بعد الوفاة لو كان توسلا شركيا كما زعم المنكر لما ذكره العلماء الاعلام فى كتبهم. الا ترى الى ما ذكر فى (المدارك ج:١، ص:٣٦٨) فى تفسير قول تعالى (...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا* النساء: ٦٤) قيل جاء اعرابى بعد دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه و قال يا رسول الله قلت فسمعنا و كان فيما انزل اليك (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ* النساء: ٦٤) و قد ظلمت نفسى و جئتك استغفرالله من ذنبى فاستغفرلى من ربى فنودى من قبره قد غفر لك.

فانا اذا نظرنا الى هذه الرواية مع قطع النظر عن كون الاعرابى صحابياً او غيره لو كان التوسل المذكور ممنوعا فضلا عن كونه شركا لما ذكر صاحب (المدارك) هذه فى كتابه و لو ذكرها لردها و لكن لما ذكر و سكت عليها كان تقريراً و تقرير العلماء حجة فهل يظن احد بمثل هذا العالم ان يذكر فى تفسيره فعلا شركيا عن مجهول او معلوم و يسكت عليه هل هذا الا بهتان عظيم.

و كيف لم يروَ التوسل عن السلف و قد قال تاج الدين السبكى رحمه الله تعالى ان السلف كانوا قائلين بجواز التوسل حتى جاء ابن تيمية و ابتدع و السلف شامل للكل. فعلم ان الانكار عن التوسل غير منقول عن السلف و الانكار عنه بدعة فانعكس الامر بل السلف قائلون بان الدفن بقرب الصالحين فى مواضع متبركة امر مندوب كما ذكر فى (الخازن ج:١، ص:٤٤٧)

و اما سؤال موسى عليه الصلوة و السلام الادناء من الارض المقدسة فلشرفها و فضلها و فضل من بها من المدفونين من الانبياء عليهم الصلوة و السلام و غيرهم و فيه دليل على استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة و المواطن المباركة و القرب من الصالحين.

و قال بعض العلماء و انما سأل موسى عليه الصلوة و السلام الادناء و لم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا بها فيفتتن به الناس فلما كان الدفن

بقرب الصالحين امرا مندوبا مطلوبا علم منه ان اثر الفيض من الصلحاء له دخل.

و من ههنا علم ان امر عمر رضى الله تعالىٰ عنه باخفاء قبر دانيال عليه الصلوة و السلام حين فتح (تستر) و استسقاء الناس بقبره انما كان لاجل خوف الافتتان لا لان التوسل كان ممنوعاً و الا لقال لهم عمر رضى الله تعالى عنه صراحة ان هذا ممنوع او شرك فانه كان لايخاف فى الله لومة لائم.

و كذا قطع الشجرة لا لاجل ان التبرك بآثار الصالحين امر ممنوع. الا ترى الى تقسيم شعره صلى الله تعالى عليه و سلم فى حجة الوداع.

و ايضا الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا اذا توضأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كادوا يقتتلون على وضوئه و لذا قال عروة والله ان رأيت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمّدا صلى الله تعالى عليه و سلم و الله ما تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه و جلده كما ذكره (الخازن، ج:٤، ص:١٥٦) فلو كان هذا التبرك ممنوعاً لمنعهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما لايخفى و الرسول عليه الصلوة و السلام كان مبعوثاً لمحق الشرك و الكفر و الرجوع الى الله لاينافى ان يدعو احد عند قبر نبى او صالح كما ان الرجوع الى موضع آخر من مواضع الاجابة لاينافى ذلك. و الله تعالى و ان لم يرغب الى ذهاب القبر عند القحوط و الشدائد الا ان الاستفتاح بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر متقرر فى القرآن و استسقاء عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس رضى الله تعالى عنه دليل على ان الرجوع الى الله تعالى لاينافى ذلك و الا لم فعله عمر رضى الله تعالى عنه لانه تعالى لم يأمر بالتوسل بالاحياء عند القحط بل قال يا قوم استغفروا ربكم اهـ. على ما قال المنكر فلنا ان نعارض بالمثل و سماع الموتى قد ثبت فيما مضى و انقطاع العمل قد مر جوابه و هذا ترديد ما فى (ج: ١، ص:١٠٢) فكن على بصيرة.

الدعاء للميت تذكر الآخرة.

و ان ذكرا فى حكمة مشروعية زيارة القبور والا ان ترقيق القلوب ايضاً من فوائد زيارة القبور كما فى الحديث فانها ترقق القلوب وترقيق القلوب له دخل فى اجابة الدعاء

فان الله تعالى لا يقبل الدعاء عن قلب لاهٍ سيما اذا كان التوسل فى آداب الدعاء كما مر.

و اما التوسل بجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى (ص: ١٠٤) فقد نقلنا من (روح المعانى): ان التوسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم بل بجاه غير النبى صلى الله عليه وسلم ممن له جاه ثابت فتذكر ما مر.

و ما قال فى حديث الاعمى انه منقول عن طرق مختلفة فنقول مآل الكل الى التوسل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

و ما قال ان هذا كان توسلا بدعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا من التوسل بالذات.

فنقول لو كان التوسل بمجرد الدعاء لدعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و الحال انه عليه الصلوة و السلام امره بالوضوء و قال له قل (اللهم انى اسئلك و اتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربى...) و فى بعض الطرق (اتوسل بك الى ربى) فعلم ان المقصود تعليم الدعاء مع بعض آدابه و هو التوسل و اذا ثبت فى الانبياء عليهم الصلوة و السلام ثبت فيمن يلحق بهم.

و ما قال ان شرط ثبوت الحكم فى المقيس عليه المماثلة لا المخالفة.

فنقول ان التوجه و التوسل الى الله تعالى بالنبى صلى الله تعالى عليه و سلم كما ثبت من الحديث و ما ذلك الا لاجل قربه من الله تعالى و شرفه و هذه العلة موجودة فيمن عداه صلى الله تعالى عليه وسلم على تفاوت المراتب و القياس تعدية الحكم من الاصل المقيس عليه الى الفرع المقيس بعلة مشتركة على ان اثبات المسئلة ليس بنفس القياس كما عرفت.

و ما قال من الكلام على حديث الاعمى.

فنقول حديث الاعمى اخرجه الترمذى و احمد و ابن ماجة و البيهقى و الحاكم و له طرق مآل الكل الى التوسل و هؤلاء الاجلة من المحدثين اخرجوه و هذا هو التوثيق لهذ الحديث فان تقرير الثقات وتوثيقهم يكون سندا كما فى (خطبة المشكاة) و عدم نقل هذه المعجزة الباهرة بالشهرة لايكون دليلا لعدم مقبوليته.

و ما قال فى اختلاف الفاظه.

فذلك لايضرنا فان فى بعض الطرق ما تفرقنا و لأطال بنا المجلس و فى بعض الطرق (توضأ) و فى بعض الطرق لا يذكر ذلك و التوفيق ظاهر فان الوضوء لا يحتاج الى زمان طويل حتى يكون ذكر (توضأ) منافيا لعدم طول المجلس و عدم التفرق م ايضاً الاختصار فى الروايات باب واسع. الا ترى الى حديث ماعز رضى الله تعالى عنه كيف وجد فيه تعدد الطرق فى بعضها الاختصار و فى بعضها التطويل و الواقعة واحدة و لم يجعل احد من المحدثين ذلك جرحاً فى الحديث و عدم الشهرة لا يكون دليلا لعدم مقبوليته. الا ترى الى رد العين التى سالت على خد صحابى فى الجهاد معجزة باهرة حتى قيل مشيرا الى تلك المعجزة.

شعر:

ابونا الذى سالت على الخد عينه ٭ فردت بكفى المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاحسن من عين ٭ فياحسن ما كف و يا حسن ما خد

و هكذا معجزات كثيرة لا يشترط نقلها بالشهرة و كيف يصح الحكم بكونه خبرا باطلا و اما التوسل بالجاه فقد مر تفصيله.

و ما ذكر فى (ص:١١٦) و لو كان كل اعمى دعا بدعاء ذلك الاعمى و فعل ما فعل من الوضوء و الصلوة بعد موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى زماننا هذا لم يوجد على وجه الارض اعمى.

اقول هذا استدلال عجيب فان الدعاء لاجابتها شروط معروفة فعدم اجابة دعاء الاعمى اليوم لايدل على عدم صحة الحديث فانه لو كان الامر كذلك لبطلت روايات كتاب الدعوات اذ فيها احاديث وعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاء ببعضها و دفع البلاء ببعضها و اداء الدين ببعضها فلو دعا مريض او مبتلى او مديون و لم تقض حاجته هل يصير ذلك سببا لرد تلك الروايات؟ الا ترى الى حديث عثمان بن ابان حيث ذكر دعاء دفع البلاء و قد اصابه الفالج فلما بين الحديث نظر اليه بعض الحاضرين فقال عثمان بن ابان اما ان الحديث كذلك لكن نسيت الدعاء لامضاء القدر.

و ما قال ان فيه طلب الدعاء من الحاضر.

فنقول قد مرّ ان المقصود منه التوسل و لذا امره بالوضوء و بيّن له طريق التوسل و الا فاية ضرورة فى دعائه عليه الصلوة و السلام لوضوء السّائل و لما وجد العمل به بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و هذا كما ترى و مجرد الرواية و ان لم يكن دليلا لكن رواية الثقات دليل.

و ما قال انّا لا نقول بعصمتهم اى الصحابة و انها لو تصح تصح من اجتهاد صحابى.

فنقول هذا ليس محض الاجتهاد بل وجد له دليل صحيح.

و اما انكار ابى بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما خبر الواحد فلم يكن لاجل ان خبر الواحد ليس بدليل و الاّ ففيه فتح باب عظيم فان احكام الدين مبنية على الآحاد.

و اما حديث الاعرابى، فقد ذكره صاحب (المدارك فى ج:١، ص:٣٦٨) و قد مر تفصيله سابقا.

و ما ذكر ان الاعراب ليسوا حججاً فى دين الله تعالى فنقول حجتنا تقرير العلماء فانهم لايقررون الحرام سيما اذا كان شركا عند المنكر.

و ما قال ان هذه واقعة المنام فنقول فى (المدارك) ذكر واقعة اليقظة حيث ذكر فيه فنودى من القبر ان غفر لك.

و ما ذكر من الدعاء، فمعناه العبادة كما مرّ فى (لا تدع) اى لا تعبد.

و ما ذكر من الآيات ففى عبدة الاصنام الذين لا يسمعون و لا حياة لهن بخلاف الانبياء عليهم الصلوة و السلام و الشهداء و الاولياء فان لهم حياة برزخية. و اما انقطاع الحج و الصلوة و الصوم فالوجوب عنهم ساقط لخروجهم عن دائرة التكليف لاعن اهلية الخطاب.

و اما عدم سؤال السوط الذى سقط. فانما هو شان بعض الصحابة الذين غلب عليهم الزهد لا لان سؤال رفع السوط ممنوع. الا ترى ان مسلك ابى ذر الغفارى رضى الله تعال عنه ان جمع المال سواء ادت زكاته ام لا كان ممنوعاً و لذا قال للمتمولين من الصحابة (... وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

أليم﴾ التوبة : ٣٤) و لذا قال له عثمان رضي‌الله تعالى عنه في خلافته، اسكن في الربذ
فلما توفى عثمان رضي الله تعالى عنه قيل له في الانتقال ألى المدينة قال لااعصيه حيا
ميتا فعلم ان خلاف امر الخليفة بعد الوفاة ايضاً عده عصيانا. و ذلك لان الموت ليس عدم
محضاً. الا ترى الى واقعة ابراهيم على نبينا و عليه الصلوة و السلام حين القى فى النار و ق
له جبريل عليه الصلوة و السلام ا لك حاجة؟ فقال اما اليك فلا فقال اذكره عند ربي
فقال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي فهل يصير هذا دليلا على ان لا يسال مطلقاً.

و ان كان مطلق السؤال عند الشيخ مذموماً فلم يخبر الطلبة على السؤال حين
يقول لهم اذا لم تجمعوا الف درهم لاشرع الترجمة وهم يمشون فى الاسواق و يسئلون الناس
فهل علق احد من السلف شروع التدريس على الف درهم و هل اقتدى فى ذلك بسير
ذلك الصحابي كلا و حاشا او احد من العلماء الاعلام.

و اما السؤال عند قبر نبي او ولي، فاية شناعة فيه بل هو موضع الاجابة الا ترى
الى ما قال قاضي خان فى (فتاواه ص:١٤٩) و اذا اتى المدينة يستعد لزيارة قبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيها بالسكينة و الوقار و الهيبة و الجلال لانه محل رسول ا
صلى الله تعالى عليه وسلم و مهبط الوحي و نزول الملائكة الى ان قال فصلى ركعتين يقف
القبر على سكينة و وقار وفراغ قلب من امور الدنيا و يذهب الى موضع من وجهة القبر و
ذلك الموضع رخامة بيضاء مركبة من حائط القبر فيكون فوق رأسه قنديل كبير معلق فاذ
وقف هناك فقد وقف عند وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يقول: (السلام
عليك يا نبي الله و رحمة الله و بركاته اشهد انك رسول الله قد بلغت الرسالة و اديت الامانة
و نصحت الامة و جاهدت فى امر الله تعالى حتى قبضك الله حميدا محمودا فجزاك عن
صغيرنا و كبيرنا خير الجزاء و صلى الله تعالى عليك افضل الصلوة و ازكاها اللهم اجعل
نبينا يوم القيامة اقرب النبيين ...) الى ان قال و يدعو لصاحبيه ابي بكر و عمر رضي الله
تعالى عنهما فيقول: (السلام عليكما) و يسأل حاجته و ما ذكرنا من الادعية بعضها
مروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بعضها عن الصحابة و التابعين رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين. فالتبرك بها يكون اقرب الى القبول.

فعلم ان السؤال عند قبور الصلحاء سيما سيّد الانبياء صلى الله عليه وسلم و

صاحبيه امر ثابت متوارث و هذا ليس سؤالا من القبر اى من صاحبه. بل سؤال عند القبر الذى هو منزل الرحمة و البركة و كذا الدعاء عند باقى مواضع الاجابة كما قال قاضى خان [١] فى (فتاواه ص:١٤٧) و كلما يمر فى الطواف بالركن اليمانى يقول: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة وقنا عذا النار). و يقول عند الركن العراقى (رب اغفرلى و ارحم و تجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم نجنى من حرّ جهنم) و يقول تحت الميزاب (اللهم اظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك لاآله غيرك يا ارحم الراحمين) و عند الركن الشامى (اللهم اجعله حجا مبرورا و ذنبا مغفورا و سعيا مشكورا و تجارة لن تبور برحمتك يا عزيز يا غفور) الى آخر ما قال. فانظر الى تخصيص الدعوات فى هذه المواضع لانها مواضع الاجابة و منازل الرحمة فالقبول هناك ارجى فكذلك قبور الصلحاء من الانبياء و الاولياء. و العجب من هؤلاء المعاندين ما يقول فى الدعاء فى هذه الاماكن.

و ايضاً نقل قاضى خان فى (فتاواه ص:١٣٩) عن ابى يوسف انه كان يقول (اللهم هذا جمع اسئلك ان ترزقنى جوامع الخير كله فانه لايعطى ذلك غيرك، اللهم رب المشعر الحرام و رب الشهر الحرام ورب الحلال و الحرام ورب الخيرات العظام ان تبلغ روح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منا افضل السلام اللهم انت خير مرغوب و خير مطلوب) و غير ذلك من الادعية المأثورة فى الأمكنة المخصوصة.

و علم ايضاً من العبارة السابقة الاستقبال الى القبر كما مر منا لا كما ذكر المنكر و علم ان تبليغ السّلام و اهداء السّلام الى روحه صلى الله تعالى عليه وسلم امر ثابت.

و ما قال المنكر فى (ص:١٣٥) و اما قولهم يا رسول الله خطاب و ذا لا يكون الا لمن يسمع فهذا خلاف اللغة و العرف فان الخطاب بيا معروف للاحياء و الاموات و الحيوانات و الجبال و البحار.

فانظر الى هذا الزائغ كيف انكر عن حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و سوى خطابه لخطاب الجمادات و الحيوانات و هل هذا الا تفريط فان النداء للاحجار و الاشجار انما يكون للتعريض او التحسر و غير ذلك كما فى

---

(١) هو حسن بن منصور الفرغانى المتوفى سنة ٥٩٢ هـ. [١١٩٦ م.]

بيت:

ايا شجر الخابور مالك مورقا ٭ كانك لم تجزع على ابن طريف

بخلاف النداء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه للخطاب و الفهم فان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم حى يرزق و ليت شعرى ما يقولون فى القعدة الصّلاتية هل يقولون (السّلام عليك ايها النبى و رحمة الله وبركاته) فان لم يقولوا فهم بذلك و ان قالوا و (ايها النبى) منادى بتقدير حرف النداء اى يا ايها النبى فما الفرق بين يا رسول و يا ايها النبى وان قالوا انها حكاية عما فى ليلة المعراج قلنا قد ذكرنا عن (الدر المختار) انه انشاء على ان العلامة الشامى رحمة الله عليه صرح ايضا به حيث قال ذيل قول الماتن و الشارح و يقصد بالفاظ التشهد معاينها مرادة على وجه الانشاء كأنه يحيّى الله تعالى و يسلم على نبيه و على نفسه و اوليائه لا الاخبار عن ذلك. هذه عبارة المتن و الشرح ثم قال العلامة الشامى رحمة الله عليه اى لا يقصد الاخبار و الحكاية عما وقع فى المعراج منه صلى الله تعالى عليه وسلم و من ربه و من الملئكة. (الشامى ج:١، ص:٣٥٨).

و ايضاً قال العلامة (الشامى فى ج:١، ص:٢٧٩)، تتمة: يستحب ان يقال عند سماع الاول من الشهادة (صلى الله تعالى عليك يا رسول الله) و عند الثانية (جعلت قرة عينى بك يا رسول الله) فانظر الى هذا النداء.

و ما قال فى حديث الكوة اى حكمة فى فتح الفرجة و اى اصل من اصول الدين؟

قلنا هذا اعتراض على ام المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها حيث امرت بفتح الكوة على ان الحكمة فيه بين العلماء كصاحب (اللمعات)[١] و (المرقاة) كما ذكرنا حيث قال وقد قيل فى سبب كشف قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان السماء لما رأت قبره بكت و سال الوادى من بكائها قال تعالى (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ ٭ الآية. الدخان :٢٩) حكاية عن حال الكفار فيكون امرها على خلاف ذلك بالنسبة الى الابرار و قيل انه عليه الصلوة و السلام كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء فامرت عائشة رضى الله تعالى عنها بكشف قبره صلى الله تعالى عليه وسلم مبالغة فى الاستشفاع فلا يبقى بينه و بين

(١) مؤلف اشعة اللمعات عبد الحق الدهلوي توفي سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.] في دلهي

السماء حجاب قال الشيخ رحمة الله عليه و هذا فى الحقيقة استشفاع بالذات الشريف و كشف القبر مبالغة فى ذلك. فالحكمة ما ذكر و كان رمزا الى اصل من اصول الدين فما بكت عليهم السماء اه .

و ما قال ان كشف القبر لو كان سببا للرحمة لترك الصحابة قبره و قبر ضجيعيه مكشوفين.

قلنا عدم الكشف لايكون دليلا لعدم سببية الرحمة بل وجود الكشف دليل على انه سبب الرحمة.

و ما قال ان القحط نزل فى اوان كثيرة فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم و من بعدهم فلم لم يكشفوا قبره صلى الله تعالى عليه وسلم.

قلنا قد ذكر ان تعين طريق فى التوسل ليس بلازم فالتوسل فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان تارة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و تارة بالعباس رضى الله تعالى عنه و تارة بقبره صلى الله تعالى عليه وسلم فهل لاحد ان يقول لم لم يتوسل الصحابة رضى الله تعالى عنهم بالعباس رضى الله تعالى عنه بعد توسل عمر رضى الله تعالى عنه.

و ما قال لو ثبت هذا فيكون سنة الصحابة ان يبرزوا باجسامهم و اشخاصهم الى السماء.

قلنا دوام المباشرة فى سبب معين ليس بلازم و ايضا الاشتشفاع بكشف قبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا مطلقاً.

و ما قال انه لو ثبت هذا يكون خلافا لما ذهب اليه المبتدعون من بناء القباب.

قلنا بناء القبة لاينافى كشف الكوة كما فى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و ايضاً ذكر العلامة الشامى[1] فى المجلد الخامس فى كتاب اللقطة ان البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع كبناء القباب على قبور الاولياء تعظيما لهم فى اعين الزائرين.

و ما قال هل يثبت به دعاء الاموات و الاستغاثة بهم.

قلنا قد ذكرنا آنفاً ان هذا توسل بالذات الشريف.

و ما قال من الكلام على قوله و يستفتحون على الذين كفروا.

---

(١) العلامة الشامي محمد أمين ابن عابدين توفي سنة ١٢٥٢ هـ. [١٨٣٦ م.] في الشام

فنقول هذا و ان كان فعل اليهود لكنا نستدل بتقرير الشرع و ايضاً معنى الاستفتاح كما ذكرنا قد ذكر الآلوسى البغدادى فى تفسيره و ليس فيه ذكر الحق الا ان معناه ههنا بحرمته و بركته و فى بعض الطرق.اللهمّ انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان.

و ما قال الفقهاء من منع الدعاء بحق احد.

فانما يقولون بكراهته لايكونه شركا كما يقوله اهل الزيغ و الدلائل المثبتة للتوسل كثيرة كما ذكر فى السابق لا انها بهذا الدليل فقط.

و ما قال من نسبة الشرك اليه اى المتوسل و نسبة الضلال.

فانما يرجع الى قائل ذلك القول اذا لم يكن المقول له اهلا لذلك ولاشك ان مسئلة التوسل مما قال العلماء بها قاطبة سوى المنكرين الزائغين و عن الحق ناكبين.

و ما قال من حديث الطبراني قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

فقد مر تحقيقه على معنى ان الانكار كان على توسل بالله الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ان ذلك لو كان محمولا على نفى التوسل لكان التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم ممنوعاً حين الحياة و المنكر لا ينكر ذلك كما اعترف به.

و ما قال من قول بايزيد البسطامى رحمه الله استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المجنون بالمجنون.

و الظاهر ان العبارة الصحيحة كاستغاثة المسجون بالمسجون فقد مر الجواب اجمالا بانه لو كان هذا الكلام محمولا على الظاهر لكان التوسل بالاحياء ايضا ممنوعاً اذ المخلوق يدخل فيه الميت و الحى و النبى و الولى على ان الاستغاثة فى القيامة ايضاً استغاثة و توسل كما فى حديث طويل للشفاعة حيث (يقول اهل المحشر ربنا ارحمنا ولو الى النار ثم يجيئون الى آدم) عليه الصّلوة و السّلام الى اخر الحديث على انه لكلام الصوفية محامل كما فى قول ابى الحسن الشاذلى رحمة الله عليه.

بيت:

فلو خطرت لى فى سواك ارادة ★ على خاطرى يوماً حكمت بردتى

و لنعم ما قيل:

بيت:

عقل دراسباب میدارد نظر * عشق میگوید مسبب را نگر

و قد ذكرنا واقعة ابراهيم على نبينا و عليه الصّلوة و السلام حين القى فى النار حيث منع السؤال و قد سال فى موضع آخر (رَبَّنَآ اِنِّی اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ* الآية. ابراهيم :٣٧) الى آخر ما قال.

و كذا دعا بعد الفراغ من بناء البيت و المرتبة الاخيرة اولى من المرتبة الاولى كما صرح به العلماء فان الاولى فى اصطلاح الصوفية مرتبة الفناء و الثانية مرتبة البقاء و الفرق بينهما مالا يخفى على اولى النهى.

و ما ذكر فى (ص:١٤٩) ان احاديث الشفاعة فيها دعاء من الحاضرين.

فنقول و ان كان من الحاضرين الا ان هذا ايضاً استغاثة المخلوق بالمخلوق. و العجب كل العجب اذا ذكرنا قول الصوفية للتأييد يقولون هم اكذب عباد الله ولاسند لهذا القول ولا الاسناد ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء و اذا ذكروا لا ثبات دعواهم فهم اصدق عباد الله و يذكرون اقوالهم بلاسند و لا تكون حينئذٍ للسند ضرورة و هذا تعسف ظاهر و تعصب باهر فعليك بالانصاف و التجنب عن الاعتساف.

و التوسل لاينافى (اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* الفاتحة :٥) فان المسئول و المستعان هو الله تعالى و الانبياء و الاولياء وسائل بين السائل و المسئول و المستعين و المستعان و هذا بعينه معنى (اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.)

و الحاصل انه فرق بين الاستعانة من الشيء و بين الاستعانة بالشيء ولو كان التوسل منافياً لـ (اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ اِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) كما قال المنكر لما كان الفرق بين الحى و الميت و الحال ان التوسل بالاحياء مما لاينكرونه.

و ما قال ان هذا تحت الاسباب و ذلك فوق الاسباب.

فنقول قد ذكرنا سابقا ان الانكار مطلقاً سواء كان التوسل بالاحياء او بالاموات انكار عن الاسباب ولاينكره الا جحود او ظلوم فان الذوات الفاضلة منازل الرحمة و قبول الدعاء فى منازل الرحمة ارجى كما فى سائر مواضع الاجابة. فان الذوات الفاضلة يصدر

منهم افعال لها اثر فى دار الاسباب كما ذكره الشاه ولى الله رحمة الله عليه فى (حجة الله البالغة ج:١، ص:١٤٧)، فاذا مات انقطعت العلاقات و رجع الى مزاجه فلحق بالملكة و صار منهم و الهم كالهامهم و سعى فيما يسعون فيه.

و فى الحديث (رأيت جعفر ابن ابى طالب لما كان يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين) و ربما اشتغل هؤلاء باعلاء كلمة الله و نصر حزب الله و ربما كان لهم لمة خير بابن آدم و ربما فتح بابا من المثال و اختلطت قوة منه بالنسمة الهوائية وصار كالجسد النورانى، و ربما اشتاق بعضهم الى مطعوم عنده فامد فيما اشتهى قضاء لشهوته و اليه الاشارة فى قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ * الآية. آل عمران: ١٦٩-١٧٠) الى ان قال الامام ولى الله رحمه الله فلا يكون الموت انفكاكاً لنفوسهم بالكلية بل تنفك تدبيراً ولا تنفك وهما فتعلم علما من كذا بحيث لا يخطر عندها امكان مخالفة انها عين الجسد حتى لو قطع الجسد او وطئ لايقنت انه فعل ذلك بها وعلامتهم انهم يقولون من جذر قلوبهم ارواحهم عين اجسادهم.

وقال فى (نعمة الله السابغة) و ذلك انه حين وقع جهاد الترك مع الروس فرآى كثيرا من اولياء الله فى المسجد وقت التهجد ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و اصحابه يرمون السهام نصرا لاهل الاسلام فغلب عسكر الاسلام فى ذلك الصبح اهـ. فانظر الى هذه الواقعة حيث ظهر النصر مع اهل الاسلام فى دار الدنيا حتى غلب عسكر المسلمين و رأى تلك الواقعة اهل الكشف. فثبت منها الكشف و ان ذلك لاينافى عالم الاسباب.

و ايضاً ذكر العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسن القمى النيسابورى[1] فى تفسير (غرائب القران ورغائب الفرقان ج:٤، ص:١٤١)، قد ذكرنا ان النفس له نوع تعلق ببدنها فالان نقول ان روح الشهيد مخصوصة بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على اذاقة مرارة الفراق عن الدنيا و لهذا لا تبلى اجساد كثير منهم و تبقى غضة طرية و كانهم هم الشهداء فى الحقيقة و هكذا اجساد الكاملين من النبيين و الصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيف الرياضات و مطارف الاذكار و اسنة السنة الطاعنين و تجرع هموم مخالفات النفس و

(١) حسن النيسابوري توفي سنة ٤٠٦ هـ. [١٠١٥ م.]

مكابدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة و حيوا بالطبعية الى ان قال و يكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى تحركه و يطير حيث شاء من السماء و الارض و الى الجنة باذن الله تعالى فعلم انه لامانع من اتيانهم الى الارض باذن الله تعالى كما استاذنوا لجنازة عمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليه كما فى (شرح الصدور) و لا تخصيص فيها بالشهداء.

و ما قال فى (ص:١٤٩) فما لهؤلاء المبتدعين يطرحون انفسهم الى كل جدث وميت و يدعون كل ضريح حتى لايحصر المتهم.

اقول فما لهؤلاء الزائغين يسيئون الادب بالذوات الفاضلة و لا يتركون حياً و ميتاً عن بهتانه حتى لاتحصر اساءة ادبهم فسبحان من نهى الفحشاء و البهتان.

و ما قال فى (ص:١٥٠) ان الجنة و النار خلقتا عدلا من الله تعالى.

قلنا لامنافاة بين خلقه عدلا و بين خلقه لاجل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فان العدل لا يخلو اما ان يكون علة حقيقية او غرضاً و هو باطل فان افعال الله تعالى غير معللة بالاغراض و ان كان من قبيل المصلحة و الحكمة فيكون لشئ واحد مصالح شتى.

وما قال ان الجنة و النار اذا خلقتا لاجل محمد صلى الله تعالى عليه و سلم فلماذا خلق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؟

قلنا خلق ليكون رحمة للناس قال (وَمَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ*الانبياء :١٠٧) و للهداية (...وَاِنَّكَ لَتَهْدِىٓ اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* الشورى : ٥٢) و للتبليغ (يَآ اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ* الآيه. المائدة: ٦٧) و للبشارة و الانذار قال تعالى (... اِنَّآ اَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً*وَدَاعِياً اِلَى اللهِ بِاِذْنِهٖ وَسِرَاجاً مُنِيراً*الاحزاب :٤٥-٤٦) فالعجب كيف خفى على الشيخ و ذلك كما فى الحديث انه يأتى الشيطان فيقول من خلق هذا من خلق هذا حتى يقول فمن خلق الله؟

وما قال ان الله سبحانه جعله رحمة للعالمين فتعذيب الكفار من فرعون و ابى جهل يكون لاجله و هذا خلاف الرحمة فيصير الحديث بهذا المعنى من شر الاقاو يل.

ولا يخفى ان هذا اعتراض و جراءة على آيات الله تعالى فان الله تعالى قال (وَمَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ * الأنبياء: ١٠٧) على انه لامنافاة بين تعذيب ابى جهل وكونه عليه الصّلوة و السلام رحمة للعلمين فانه عليه الصّلوة و السلام رحمة مهداة لو روعى قدره و

رفع اليه احد راسه واما ابو جهل واضرابه فلم يراعوا حقه ولم يرفعوا رؤوسهم و هذا لايضر كونه رحمة.

و ايضا كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة في حق الكفار ايضا ظاهر لعدم الخسف و المسخ العام. و هذا كما ان القرآن هدى للناس و شفاء للناس مع انه لايزيد الظالمين الا خسارا فهل هذا يضر كونه شفاء و هدى و كما ان الشمس ضياء للناس فمن بقى فى البيت المظلم و لم يخرج الى ضياء الشمس او كان اعمى هل يضر ذلك كونه ضياء و لنعم ماقيل:

بيت:

الخيبة كل الخيبة لمن بقى فى الظلمة و البدر ظاهر
و الخيبة كل الخيبة لمن بقى فى العطش و البحر زاخر

و ايضاً

بيت:

الشمس شمس و ان لم يرها الضرير * و العسل عسل و ان لم يجد طعمه فاه المرير

فانظر الى هذه التكلفات الركيكة و الجوابات الواهية الضعيفة التى يغتر بها من ليس له مهارة فى الرواية و لا فى الدراية و يغتر من لابصيرة له بقوله اما ثانيا و اماثالثا و هكذا و لايدرى انه ما ذكر فى الاول و الثانى والثالث و هذا لايليق بشان ادنى عاقل فضلا عن مثل هذا المدعى الفاضل.

وما قال ان الصديق كان اقل سؤالا و كذا كبار الصحابة لكن الاعراب يسالونه.

فلا ادرى ما معنى السؤال منه صلى الله تعالى عليه وسلم ا سؤال الاحكام او سؤال الاموال فان كان الاول فهذا منصب الصحابة كلهم و لذا قال تعالى (... فَسْئَلُوٓا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ* الانبياء :٧) وقال عليه الصلوة و السلام (انما شفاء العىّ السؤال و ان كان سؤال الاموال) فلا يخفى ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يسالونه صلى الله تعالى عليه وسلم حقوقهم و هو يعطيهم و لذا قال (انما انا قاسم والله يعطى). و ان كان

سؤال الدعاء فالصحابة يأتون الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهويدعو لهم بل كانوا يأتون بصبيانهم للتبرك والتحنيك.الا ترى الى ما ذكر فى (المشكاة) عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنهما انها حملت بعبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما بمكة فولدت بقباء ثم اتت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوضعته فى حجره عليه الصّلوة و السلام ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه ثم حنكه ثم دعا له و برك عليه و كان اول مولود فى الاسلام (متفق عليه) (المشكاة ص:٣٥٤) وقال عمر رضى الله عنه لا خير فيكم مالم تسالوا بل الذهاب لحاجته الى سيد القوم و اميرهم طريقة جارية.الا ترى الى ما ذكر فى (المشكاة ص:٣١٦) عن عمر بن مرة رضى الله تعالى عنه انه قال لمعاو ية رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (من ولاه شيئا من امر للمسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره) فجعل معاو ية رضى الله تعالى عنه رجلا على حوائج الناس رواه ابو داود و الترمذى فلا ادرى ما معنى السؤال نعم السؤال مما لا ينبغى لايليق. قال عليه الصلوة و السلام (مِنْ حُسْنِ اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) و قال تعالى (...لَا تَسْئَلُوا عَنْ اَشْيَآءَ اِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ * الآية. المائدة :١٠١)

و ايضا قال عمر رضى الله تعالى عنه لعماله لا تركبوا برذونا و لا تأكلون نقيا و لا تلبسوا رقيقاً و لا تغلقوا ابوابكم دون حوائجهم فان فعلت شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم رواه البيهقى فى شعب الايمان (المشكاة ص:٣١٢) فلذا ندب صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاستشفاع.

وما قال فى (ص:١٥١) انهم يقولون الشهداء احياء عند ربهم فندعوهم لان الله تعالى قال فى حقهم (... بَلْ اَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ * آل عمران: ١٦٩) فالجواب ان الاية رد عليهم لان الله تعالى قال (عند ربهم) لاعندهم اهـ.

فنقول كونهم احياء عند ربهم لا ينافى كونهم احياء عندنا لان الله تعالى نهانا ان نقول لهم امواتا حيث قال (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتٌ * الآية. البقرة: ١٥٤) فعلم انا لا نقول لهم امواتا بل نعتقدهم احياء يرزقون فرحين و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم. ولاادرى ما معنى كونهم احياء عندالله لاعندنا. الا ترى الى ما فى الحديث (لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من المسك) فهل يجوز لاحد ان يقول انه اطيب عند الله و

اخبث عندنا و هل هذه الا سَفْسَطَةٌ ظاهرةٌ.

وما قال من نكاح ازواجهم.

فنقول حياتهم برزخية لها مراتب متفاوتة و لهذا حرم نكاح ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على آحاد الامة كما ذكرنا سابقا نقلا عن (التفسير المظهرى) على ان مجيئهم الى الدنيا بارواحهم دليلٌ بين على حياتهم كما ذكرنا من (كتاب الروح) للحافظ ابن قيم و من عقائد علماء ديوبند و غيرهم و كفاك بهم قدوة لانك تدعى الانتساب الى الديو بند.

وما قال انه تعالى قال (...يُحْيِي الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا* الاية.الروم:١٩) فهل الارض تبصر او تسمع.

فنقول هذا مما لا يقضى منه العجب فان حياة الارض وموتها و حياة الانسان و موته لايخفى من الفرق بينهما على انه تعالى ما قال فى شان الارض ما قال فى شان الشهداء من الفرح والاستبشار و الرزق ولم يرد شئ من ذلك فى الارض.

و ما قال ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم ما زالوا يخاطبون حين كان بينهم ولم يثبت انهم خاطبوه بعد الوفاة.

فنقول هذا اعجب العجاب فان الصحابة رضى الله تعالى عنهم و التابعين و تبعهم الى يومنا يخاطبونه صلى الله تعالى عليه وسلم و يخاطبون ابا بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما و غيرهم حيث يقولون (السلام عليك يا رسول الله، السّلام عليكما يا صاحبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)

و لعل المنكر ما قرأ فى صلا ته (السلام عليك ايها النبي و رحمة الله وبركاته) فانه متوارث من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا.

و قال فى (الدر المختار، ص:٦٥). و يقصد بالفاظ التشهد معانيها مرادة له على وجه الانشاء كانه يحيّى الله تعالى و يسلم على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم و على نفسه و اوليائه لا الاخبار عن ذلك ذكره فى (المجتبى)

و لا شك ان (ايها النبى) منادىً بتقدير حرف النداء فلعلهم لا يقرؤون ذلك فى

صلواتهم و كيف كذب ذلك المنكر انه لم يثبت انهم خاطبوه بعد الوفاة، الايرى الى خطاب ابى بكر رضى الله تعالى عنه فى اول الوفاة بعد تقبيله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى كتب الحديث و ما زال التخاطب معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى النثر والنظم:

يا اكرم الخلق مالى من الوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسى الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

و من ذلك ما ذكر العلامة الشامى (ج:١، ص:٢٧٩) و يستحب ان يقول عند سماع الاول من الشهادة (**صلى الله تعالى عليك يا رسول الله**) و عند الثانية (**قرة عينى بك يا رسول الله**) كما مرّ عن قريب الى غير ذلك من الخطابات. و كما ذكر فى قول فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها، يا ابتاه الى جبرائيل ننعاه، يا ابتاه الى جنت الفردوس ماواه.

و ما ذكر من امر مالك المنصور[١] ان يتوسل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و فيه هو وسيلتك و ابيك آدم الى الله يوم القيامة و فى بعض الطرق استقبله و استشفع به.

فنقول اختلاف الطرق لا يضرنا فان مآل الكل الى التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم.

وما قال ان ظن السبكى رحمه الله تعالى لا يعتمد عليه.

فنقول ظن ابن تيمية كيف يعتمد عليه و سيجئ تفصيله فى التذنيب فى بيان احوال ابن تيمية.

وماقال ان هذا كذب على مالك لان مالكاً لا يقول باستقبال القبر وقت الدعاء.

فنقول اولا ان الخلاف فى الاستقبال الى القبر او القبلة اختلاف فى الاولوية لا فى الوجوب و الحرمة حتى يعتمد عليه الكذب على ان الظاهر انه استقبال القبر عند التوسل به عليه الصلوة و السلام لا نفس الدعاء.

وما ذكر من الاستقبال الى القبلة عن ابى حنيفة رحمة الله عليه.

(١) ابوجعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين توفي سنة ١٥٨ هـ. [٧٧٥ م.] في مكة المكرمة

فقد ذكرنا سابقا ولاحقا عن علي القاري و(الفتاوى) لقاضي خان ما يرشدك الى افتراء الشيخ على الاحناف.

وما قال فى (ص:٥٦) من ركاكة اللفظ حيث قال المناسب استشفع به فيشفعه الله لا ان يقال استشفع به فيشفعك الله فان المستشفع بالرسول ليس شافعاً والذى يشفع له هو الشافع لا المشفوع له يقيناً.

فنقول كيف يبنى هذا الامر العظيم و هو الكذب على الامام مالك رحمه الله بهذا اللفظ الذى يصح بادنى توجيه فان معناه: اطلب الشفاعة برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبل الله شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجلك والذى يشفع له و ان كان هو الشافع لا المشفوع الا انه لما كان طالباً للشفاعة به صلى الله تعالى عليه وسلم فقبول الشفاعة للشافع كانه قبول لطالب الشفاعة كما لا يخفى على اولى النهى.

وما قال ان (قوله وسيلتك و وسيلة ابيك آدم عليه الصلوة والسلام يوم القيامة) يدل على ما هو المرغوب عندنا هو الشفاعة الكبرى لا التوسل فى الدنيا.

فنقول امر مالك رحمة الله عليه له استشفع به ظاهر فى التوسل فى الدنيا اذ لا فائدة للامر فى الدنيا لطلب الشفاعة يوم القيامة و الاستشفاع منقول عن السلف و الخلف كما لوحناك.

وما قال فى (ص: ١٥) انه لم ينقل لفظ الزيارة عنهم بل كره مالك ان يقول زرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم.

فنقول قال الحافظ بن حجر رحمة الله عليه فى (شرح البخارى فى ج:٣، ص:٤٣) و الحاصل انهم الزموا ابن تيمية بتحريم شد الرحال الى زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و انكرنا صورة ذلك و فى شرح ذلك من الطرفين طول و هى من اشبع المسائل المنقولة عن ابن تيمية.

و من جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الاجماع على مشروعية زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ما نقل عن مالك رحمة الله عليه انه كره ان يقول زرت قبر النبى صلى الله عليه وسلم و قد اجاب عنه المحققون من اصحابه انه كره اللفظ ادباً لا اصل

الزيارة فانها من افضل الاعمال و اجل القربات الموصلة الى الله ذى الجلال و ان مشروعيتها محل الاجماع بلا نزاع و الله الهادى الى الصواب فعلم ان كراهة اللفظ ادبا على انه ورد (كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها) الحديث فانه ظاهر فى هذا الاطلاق. و قال بعد ذلك بسطور قال بعض المحققين قوله (الا الى ثلثة مساجد) المستثنى منه محذوف فاما ان يقدر عاماً فيصير (لا تشد الرحال) الى مكان فى اى امر كان الا الى الثلاثة او اخص من ذلك لا سبيل الى الاول لافضائه الى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم و طلب العلم و غيرها فتعين الثانى و الاولى ما هو اكثر مناسبة و هو لا تشد الرحال الى مسجد الصلاة فيه الا الى الثلاثة فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال الى زيارة القبر الشريف و غيره من قبور الصالحين و الله اعلم.

و قال السبكى رحمه الله ليست فى الارض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال اليها غير البلاد الثلاثة و مرادى بالفضل ما شهد الشرع باعتباره ورتب عليه حكماً شرعياً و اما غيرها من البلاد فلا تشد اليها لذاتها بل لزيارة او جهاد او علم او نحو ذلك من المندوبات او المباحات. قال و قد التبس ذلك على بعضهم فزعم ان شد الرحال الى الزيارة لمن فى غير الثلاثة داخل فى المنع و هو خطأ لان الاستثناء انما يكون من جنس المستثنى منه.

فمعنى الحديث لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد او الى مكان من الامكنة لاجل ذلك المكان الا الى الثلاثة المذكورة و شد الرحال الى زيارة او طلب علم ليس الى المكان بل الى من فى ذلك المكان انتهى. (فتح البارى ج:٢، ص:٤٣) و علم منه تفصيل مسئلة شد الرحال.

وما قال ان مالكاً نزهه الله تعالى عن البدعة ونهى المؤذن عن التنحنح عند الاذان و نهى من قال له احرم عند القبر و قال له لا تفعل فاني اخشى عليك الفتنة.

فنقول ان نزاهة مالك رحمة الله عليه عن البدعة لايدل على عدم جواز التوسل حتى يدل على كذب الواقعة بلوازم بعيدة بقياس موصول بان يقال الإمام مالك رحمه الله تعالى منزه عن البدعة فكل من هو منزه عن البدعة فهو لا يقول بالتوسل فمالك لا يقول بالتوسل

و نجعل هذه صغرى لقياس آخر و مالك رحمه الله لا يقول بالتوسل و كل من لا يقول بالتوسل لا يامر الغير بالتوسل فمالك رحمه الله تعالى لايأمر الغير بالتوسل. و نجعل هذه صغرى و نقول مالك رحمة الله عليه لايأمر الغير بالتوسل و كل من لايأمر الغير بالتوسل فنسبة الامر اليه كذب. فنسبة الامر بالتوسل الى مالك للمنصور كذب و ذلك دعوى الشيخ فقيد المثال. فانظر الى اثبات الدعوى بهذه الطريقة البعيدة فان التوسل لما لم تكن بدعة بل معمول السلف و الخلف كيف لا يصح انتسابه الى مالك رحمة الله عليه.الا ترى الى ملازمة الامام المدينة المنورة حتى لم يخرج الا لفريضة الحج فما ذلك الا للتبرك بالمدينة وحبّه جوار النبى صلى الله عليه وسلم. و ايضا السلف كانوا يحبون الدفن بقرب الصالحين. الا ترى الى استئذان عمر رضى الله عنه عند قرب الشهادة من عائشة رضى الله تعالى عنها ان يدفن فى الروضة و قالت انى اريده لنفسي فلأُثرتُه اليوم على نفسى.

قال ابن حجر رحمة الله عليه فى (فتح البارى شرح البخارى،ج:٣، ص:١٦٦) فى ذيل هذا الحديث و فيه الحرص على مجاورة الصالحين فى القبور طمعاً فى اصابة الرحمة اذا نزلت عليهم و فى دعاء من يزورهم من اهل الخير فعلم من هذا اهتمام عائشة رضى الله عنها و عمر رضى الله تعالى عنه حيث قالت كنت اريده لنفسى فلأُثرته على نفسى و الايثار انما يكون فى امر مطلوب مرغوب و يدل على حرص عمر رضى الله تعالى عنه. على هذا الامر ما ذكر فى ذلك الكتاب بُعيد هذا. و فيه أن من بعث رسولا فى حاجة مهمّة ان له ان يسأل الرسول قبل وصوله اليه و لا يعد ذلك من قلة الصبر بل من الحرص على الخير انتهى. و لا يخفى ان هذا ايضاً راجع الى التوسل و ان قبور الصالحين منازل الرحمة (... وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * المطففين :٢٦)

و ايضاً قال الكرمانى [١] و انما كان ابن عمر رضى الله تعالى عنه يصلى فى تلك المواضع على وجه التبرك بها ولم يزل الناس يتبركون بمواضع الصلحاء. و ما روى ان عمر رضى الله تعالى عنه كره ذلك فلانه خشى ان يلتزم الصّلاة فى تلك المواضع وكذا ينبغى للعالم اذا رأى الناس يلتزمون بالنوافل التزاما شديداً ان يرخص فيها فى بعض المرات.

---

(١) ركن الدين ابوبكر محمد بن عبد الرشيد الحنفى المتوفى سنة ٥٦٥ ﻫ . [١١٦٩ م.]

(حاشية البخارى ص: ٧١).

و ايضا ذكر مولانا عبد الحى رحمة الله عليه و فى (فتاواه،ج:٣، ص:١٧٨) نقلا عن (اللمعات) و هذا الحديث اصل فى البركة بآثار الصالحين و لباسهم والمراد من الحديث هوقول ام عطية رضى الله تعالى عنها انها قالت فالقى حقوة فقالت اسعرنها اياه.

و ايضا ذكر القاضى عياض رحمة الله عليه [١] فى (الشفاء) و من اعظامه اعظام جميع اسبابه و اكرام مشاهده و امكنته من مكة و المدينة و معابده ومالمسه و ذكرَ واقعة قلنسوة خالد بن وليد رضى الله تعالى عنه فيها شعرات من شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

فعلم من هذا التفصيل مسئلة التبركات و ان هذا من قبيل المحبة و المحبه مع اهل الله محبة مع الله.الا ترى الى ما قال الشيخ عبد القادر الجيلانى نور الله مرقده و افاض علينا من بركاته فى (فتوح الغيب،فى المقالة الثانية و الثلاثين):

اعلم ان محبة غيرالله شرك يعنى ينبغى ان تكون المحبة الحقيقية مع الله تعالى فاذا كان لغير الله فيها نفوذ فهو اذدراء بتوحيد الله تعالى و تحقيرله. ثم قال فى المقالة الثالثة و الثلاثين: انى اخبرتك ان محبة غير الله شرك ومحبة الله اساس التوحيد فالآن لَوصحّكِ ان محبة الله تعالى لايحصل الا بمحبة اهل الله و صحبته فان ولى الله الموحد المخلص حليفة الله تعالى فى الارض ثم قال بعد تعريف ولى الله، لهذا اقول لك بالتاكيد ان الزم صحبة ولى الله و محبته واستفض من فيوضاته الباطنة و البركات لان ذلك الشخص يطهر قلبك و دماغك عن الكدورات و ينوّرهما بنور التوحيد و العشق الالهى اهـ.

فعلم من كلام سيد الاولياء ان محبة اولياء الله محبة مع الله و الاستفاضة منهم غنيمة. وقد ذكرنا ان الاستفاضة لا تختص بالحى و لهذا قال السالك.

شعر:

ز من گو صوفيان با صفا را ٭ غلام همت آن حق پرستم
خدا جو يان معنى آشنا را ٭ كه با نور خدا بيند خدارا

(١) عياض بن موسى السّبتى المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ [١١٥٠ م.]

و الحاصل انه لابد مع العلم من اصلاح الباطن و الروحانية و لهذا قال ابو بكر الوراق الترمذی: [١] من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد تزندق و من اكتفى بالفقه دون الورع تفسق (كشف المحجوب، ص:٤٧) [٢].

و قال شيخ المشائخ يحيى بن معاذ الرازی [٣] اجتنب صحبة ثلاثة اصناف من الناس العلماء الغافلين و الفقراء الكاهلين و المتصوفة الجاهلين. و مثل ذلك منقول عن الامام مالك رحمه الله تعالى من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق و من تفقه و لم يتصوف فقد تفسق. و من جمع بينهما فقد تحقق.

وما قال ان آدم عليه السلام مخلوق لاجل العبادة لا لاجل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. فقد مر الكلام فيه.

و قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتخيرونی على يونس ابن متى) عليه السلام محمول على التواضع او قبل ان اعطاه الله العلم بافضليته او معناه تخيرا يلزم منه تنقيص نبى آخر و الا فهو عليه الصلوة و السلام افضل الرسل و سيدهم و خاتم النبيين و سيد ولد آدم عليه الصلوة و السلام كما فى الاحاديث.

وما قال (ص:١٦١) ان غفران آدم عليه السلام بكلمات لابتوسل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

فنقول تلك الكلمات كانت توبة ولا منافاة بين التوبة بكلمات و التوسل بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

و اما الدعاء بحق احد و ان صرح الفقهاء بكراهتها لكن لم يقولوا بكونها شركا على ان فى حديث معاذ رضى الله تعالى عنه (ما حق الله على العبد وما حق العبد على الله) صريح فى ان للعبد حقاً و ان كان حقاً تفضيليا سيما اذا كان الحق بمعنى الحرمة.

---

(١) محمد بن عمر الوراق الترمذی المتوفى بترمذ سنة ٢٨٠ هـ . [٨٩٣ م.]

(٢) صاحب هذا الكتاب على بن عثمان الجلابی الهجويری الشهير بـ(داتا گنج بخش) المتوفى بلاهور سنة ٤٦٥ هـ.[١٠٧٢ م.]

(٣) ابو زكريا يحيى بن معاذ الرازی المتوفى بنيسابور سنة ٢٥٨ هـ. [٨٧٢ م.]

وما ذكر من نفى الحق. فهو الحق الاستحقاقى لاالتفضيلى و الا فينافيه حديث معاذ رضى الله تعالى عنه.

وما ذكر فى (ص: ١٦٤) فالذين يزعمون ان التوسل بالذات يدنى من الله تعالى كاذبون على الله سبحانه و ليس لهم دليل لا من الكتاب ولا من السنة و لا من الصحابة و لا من السلف الصالحين.

فنقول قد ثبت سابقاً و لاحقا مندوبية التوسل من الكتاب و السنة و السلف الصالحين و الخلف، نعم، لم يثبت عن ابن تيمية و ذرياته.

وما قال فى نفى التوسل نقلا عن (روح المعانى) فنقول قد ذكرنا سابقا فى مقصد التوسل كلام الآلوسى البغدادى بتمامها و فيها تصريح بجواز التوسل بجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل بجاه غيره ممن له جاه و كذا بجواز الإقسام على الله تعالى باحد و قد صرح بالمدد الروحانى بعد الوفاة و كذا بالبركة والعجب انه لم ينقل عبارة المحقق بتمامها و هذه من المنكر خيانة عظيمة و هذه شِنْشِنَة الشيخ فى غير موضع فسبحان من الشيخ الفاخر.

و اما الدعاء بان يقول ادع الله ان يرزقنى. اه . فقد صرح الشيخ الدهلوى رحمة الله تعالى عليه بجوازه كما نقلناه سابقاً. و ايضا ذكر الآلوسى البغدادى فى الاخير وجه عدم تعارف التوسل فى زمن الصحابة و صرح الآلوسى مراراً بالتوسل بالقرآن و النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقلناه عنه فى سورة (إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ* الآية. نصر:١)

وما ذكر من تلخيص الاجوبة. قد ذكر الكلام عليها فيما سبق فلا حاجة الى التكرار، نعم، بعض المواضع نشير اليها فانه قد ذكر ان لامخالفة بين الاية (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُونِ* الزاريات :٥٦) و الحديث (خلق آدم لاجل محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم و خلق شئ لاجل شئ لا يقتضى الملاقاة بين الشيئين فما قال ان آدم على نبينا و عليه الصلاة و السلام لم يلق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم و لم يقاتل معه و لم يدفع عنه فما معنى قوله (خلق لاجل محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم و هو استدلال عجيب و جواب غريب.

و ايضا لامنافاة بين (... رَبَّنَا ظَلَمْنَا* الآية. الاعراف :٢٣) و بين توسل آدم عليه

السلام بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

وما ذكر ان التوبة بكلمات ثابت من انس قطعي وما فى الحديث (رفعت رأسي فرأيت مكتوبا...) اخذها آدم تلقاء نفسه.

و اما اخذها آدم من تلقاء نفسه.

فمكابرة ظاهرة اذ ثبت ان لامنافاة بين الآية و الحديث على ان آدم عليه الصلوة والسلام اذا وجده مكتوبا على العرش فما معنى الاخذ من تلقاء نفسه؟ هل الاخذ من مكتوب العرش او اللوح او الكتاب اخذ من نفسه؟ و هذا تعصب بين.

و حديث خدر الرجل قد ذكرنا سابقا.

و التوسل فى (يا عبادالله اعينونى) قد مر سابقا.

وما قال ان الصحابة اولى بذلك. فنقول قد ذكرنا التوسل بصعاليك المهاجرين. والتوسل بضجيعيه و الخطاب معهما و النداء لهما كما نقل من كتب الفقه (السلام عليكما ياضجيعي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومشيريه ووزيريه والمعاونين فى أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم! نتوسل بكما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم).

و كذا خطاب الصحابة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معروف.الا ترى الى ما ذكر البخارى باب الدخول على الميت بعد الموت اذا ادرج فى اكفانه. ان عائشة رضى الله تعالى عنها قالت اقبل ابوبكر رضى الله تعالى عنه على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل على المسجد فلم يتكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم اى قصد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهومسحى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله ثم بكى فقال بابى انت و امى يا نبى الله! لايجمع الله عليك موتتين اما الموتة التى كتبت عليك فقدمتها. قال ابن حجر رحمة الله تعالى عليه فى كتابه المعروف (ص:٧٤)،و فى هذه الاحاديث جواز تقبيل الميت تعظيما و تبركاً وجواز التفدية بالاباء و الامهات و قد قيل هى لفظة اعتادها العرب بان تقول و لا تقصد معناها الحقيقية اذ حقيقة التفدية بعد الموت لايتصور و جواز البكاء على الميت وسيأتى مبسوطاً. انتهى.

فعلم من هذا الحديث مخاطبة الخليفة الاول مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

بعد الوفاة و تعظيمه عليه الصلوة و السلام بالتقبيل والتفدية وجواز البكاء على الميت.

و العجب من شيوخ هذا الزمان حيث يضربون امهاتهم و يخرجونها من بيتهم بسبب البكاء بفوت صبى ثم يتفاخرون بذلك فى التقريرات فى المجامع. فهل هذا اتباع السنة و الحال انه تعالى قال فى كتابه المجيد (...فَلَا تَقُلْ لَهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا۝ الاسراء: ٢٣-٢٤) و (... وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا۝ الآيه. لقمان: ١٥)

و فى السنة (هما جنتك ونارك) الى غير ذلك من النصوص. فيا اسفى على جراءتهم فان توحيدهم اساءة الادب باكابر الدين و اتباع سنتهم اخراج الامهات من البيوت بسبب البكاء على الصبى فهل يوجد له نظير فى ممرالدهور و لهذا كان فقيد المثال.

و كان درسه درس خاه عديم النظير وما سمعت بمدرسة و لا درس اسمها هكذا ، هذا اول بدعة ابتدعها.

و توسل عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس رضى الله تعالى عنه لا يدل على الانحصار كما مر مفصّلا.

واما اذهاب الدواب الى المقابر لاجل ان تسمع صياح بعض الاموات فتسكن.

فلا حرج فيه فانه ورد فى المتفق عليه (فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) و فى رواية احمد وابى داود (يسمعها ما بين المشرق و المغرب).

وما قال فى (ص: ١٨٤)، ان الشياطين يقضون حاجاتهم و يطيرونهم فى الهواء و يذهبون به من مكة الى المدينة و ربما ينشق القبر و يخرج منه الميت فيعانقه و يصافحه و يكلمه الى آخر ما قال.

فنقول قد اثبت للشيطان تأثيرا قويا و قدرة كاملة حتى ان العلماء المتقين ذوى الفراسة ابتلوا بذلك. الا ترى الى ما ذكر اشرف على التهانوى فى كتابه (بزم جمشيد. ص: ١٧):

حضرت قطب صاحب کا ایک واقعہ حضرت شاہ ولی اللہ صاحب کے والد شاہ عبدالرحیم صاحب کیساتھ لکھا ہے کہ وہ قطب صاحب کے مزار پر فاتحہ پڑھنے جایا کرتے تھے ایک مرتبہ یہ وسوسہ ہوا کہ نہ معلوم ان کو میرے آنے کی خبر بھی ہوتی ہے یا نہیں؟

ذرا نیہرے آواز آئی ؎ مرا زنده پندار چون خویشتن * بجان آمدم گر تو آئی بتن - اس کے بعد ایک مرتبہ شاہ صاحب حاضر مزار تھے اُن پر قطب صاحب کی روحانیت کا انکشاف ہوا. اسوقت شاہ صاحب نے عرض کیا کہ سماع کی نسبت آپکی کیا تحقیق ہے؟ فرمایا کہ شعر کے متعلق تمہارا کیا خیال ہے؟ شاہ صاحب نے عرض کیا کہ الشعر کلام موزون حسنہ حسنٌ وقبیحہ قبیحٌ اور فرمایا کہ صوت حسن کے متعلق کیا کہتے ہو عرض کیا کہ یزید فی الخلق ما یشاء بعض علماء نے اس آیت کی تفسیر میں یہی کہا ہے کہ اس سے مراد صوت حسن ہے فرمایا کہ اگر دونوں جمع ہوجاوے اسوقت کیا کہوگے؟ عرض کیا کہ نورٌ علی نور یھدی اللہ لنورہٖ من یشاء فرمایا بس ہمارا سماع یہی تھا. اس کے بعد انہوں نے دیکھا کہ آسمان کی طرف سے ایک تخت نازل ہوا جس پر ایک بزرگ رونق افروز تھے حضرت قطب صاحب اُن کی تعظیم کے لئے کھڑے ہوگئے تھوڑی دیر کے بعد وہ تخت پھر آسمان پر اُٹھ گیا. تو شاہ صاحب نے حضرت صاحب سے عرض کیا کہ یہ بزرگ کون تھے؟ فرمایا یہ خواجہ بہاءالدین نقشبند تھے. شاہ صاحب نے عرض کیا کہ یہ تو سماع کے منکر تھے آپنے اس کے سامنے اپنی تحقیق کو کیوں بیان نہیں کیا. فرمایا ادب کے خلاف تھا. یہ حضرات عالم برزخ میں بھی ایک دوسرے کا ادب کرتے تھے.

[۱]
شاه ولی الله صاحب رحمة الله تعالی علیه از والد بزرگوار خود حکایت میکند که ایشان میفرمودند که بزیارت مرقد منور خواجه قطب الدین قدس سره رفته بودم نزدیك مزار ایشان چبوتره است آنجا بدید قصور وملاحظهٔ آنکه این وجود ملوث را بدان مقام پاك نباید برد. بایستادم دران محل روح ایشان ظاهر شد فرمودند بیشتر بیا دو سه قدم بیشتر رفتم دران وقت دیدم که چار فرشته تختی از آسمان نزدیك قبر ایشان فرود آوردند معلوم شد که بران تخت خواجه نقشبند رحمة الله علیه بودند هر دو شیخ باهم رازها در میان آوردند که مسموع نه گشت بعد ازان تخت را فرشتگان برداشته بردند خواجه قطب الدین بمن متوجه شدند که بیشتر بیا دو سه قدم دیگر پیش رفتم و همچنین میگفتند و قدری میرفتم تا آنکه نهایت قرب متحقق شد. آنگاه فرمودند چه میگوئید در حق شعر گفتم کلام حسنه حسن و قبیحه قبیح فرمودند بارك الله چه میگوئید در حق صوت حسن گفتم (... ذٰلِكَ فَضۡلُ اللّٰهِ يُؤۡتِيۡهِ مَنۡ يَّشَآءُ* الآية. الحدید: ۲۱) گفتند بارك الله چون هر دو جمع شوند دران چه میگوئید گفتم (... نُوۡرٌ عَلٰى نُوۡرٍ يَهۡدِى اللّٰهُ لِنُوۡرِهٖ مَنۡ يَّشَآءُ* الآية. النور: ۳۵) گفتند بارك الله آنچه ما میکردیم بیش ازین نبوده است شما هم گله گاهی یك نو

---

(۱) در وقت کتابت بار دو یم این کتاب. انفاس العارفین حضرت شاه ولی الله رح زیر مطالعه بود این حکایت آنجا دیدم برای زیادت فایده باجازت مصنف مد ظله درینجا اضافه نمودم ۱۲ محمد گل رحیم اسماری.

بیتی شنیده باشید گفتم در حضور خواجه نقشبند حضرت این را چرا نه فرموده اند یکی ازین دو لفظ فرمودند ادب نبود یا مصلحت نبود میفرمودند این واقعه را مدتی بر آمده تعیین لفظ از خاطر رفته (انفاس العارفین، ص: ٤٣.)

فانظر الی هذه الواقعة کیف تثبت منها الکرامة بعد الممات و کیف یثبت منها علم الاولیاء وکیف تثبت منها الافادة و الاستفادة.ا هذه الافادة کانت من الشیطان؟ سبحانك هذا بهتان عظیم. فهل یظن ذو عقل ان هذه الواقعة کانت کما قال مسیئ الادب و یقولون ما لا یتفوه به عاقل و تمجها الاذان و تترأ منها الالسن و تنکرها القلوب و تقشعر منها جلود السامعین فهل یحبون ما یظنون فی حقهم مما لا اتفوه به و لا افتی بجوازه فی الایات القرانیة و مثل هذه الواقعات کثیرة فی کتابه المسمی بـ(الدر الثمین فی مبشرات النبی الامین) علی ما نقلنا سابقا نبذا فهل هذا ایضا مما دسه الیهود؟

(و کذا قال فی ذلك الکتاب ص: ٤١): فرمایا کہ میرے پردادا صاحب کا نام فرید زبانوں پر مشہور تھا اور بعض پرانے کاغذات میں غلام فرید دیکھا گیا۔ ایک بار رات کیساتھ کیرانہ جا رہے تھے راستہ میں ڈاکوں نے گھیر لیا پردادا صاحب اچھے تیر انداز تھے بہلی میں بیٹھے بیٹھے تیر چلا رہے تھے کسی نے ان کو دیکھ لیا۔ اور شہید کیا۔ رات کو میری پردادی صاحبہ جسوقت وہ جاگ رہی تھی تشریف لائے اور باتیں کی۔ اور جاتے وقت کچھ مٹھائی اور پھل دیگئے کہ بچوں کو دیدیں بھوکے ہیں اور فرمایا اس کو کسیکو اطلاع نہ کریں چونکہ اس زمانہ کے لحاظ سے ایک بیوہ کے پاس مٹھائی کا آنا عرفا برا تھا۔ اس لئے پردادی صاحبہ نے اس کو اظہار کیا۔ اس کے بعد وہ کبھی تشریف نہ لائے۔

فانظر الی هذه الواقعة کیف علم منها اتیان الشهید و اعطاء شیئ و فکر جوع العیال و قد ذکرها اشرف علی التهانوی فی مقام التبلیغ فعلم هذا مما لا یصادم اصول الدین و لا ینکرون عن امثال هؤلاء العلماء الدیوبندیون.

و هذا مثل ما ذکر العلامة السیوطی رحمة الله تعالی علیه فی کتابه اتیان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزیز و العجب انهم یثبتون للشیاطین قدرة و تأثیرا عظیماً. و ذلك قریب الی واقعة عمرو بن عبید المعتزلی حیث قال ما الزمنی احد مثل ما الزمنی مجوسی کان معی فی السفینة فقلت له لم لا تسلم؟ فقال لان الله لم یرد اسلامی فاذا اراد اسلامی اسلمت فقلت ان الله تعالی اراد اسلامك لکن الشیطان لا یترکك فقال فاذا اکون مع

الشريك الاغلب فسكتَّ و ذكر البعض ان ذلك صار سببا لرجوعه عن مذهب الاعتزال فان المعتزلة يقولون ان الله تعالى لا يريد القبائح واهل الحق يقولون بان الله تعالى مريد الخير و الشر القبيح ولكن ليس يرضى بالمحال.

وما نقل من الحافظ ابن قيم من التمسك بروحانية الكواكب.

فنقول التوسل بروحانية الذوات الفاضلة و بروحانية الكواكب بينهما فرق ظاهر فكيف يقاس احدهما على الآخر حتى يلزم من كون احدهما شركاً كون الآخر كذلك.

وما قال فى (ص:١٨٦) ان الاستعانة باى نهج كان شركاً.

اقول:الاستعانة بالشئ كيف يكون شركاً والا فهذا سند الوسائل و ان المسائل بالوسائل.

وما قال ان من قال للعوام ان الفيض يحصل من قبور الاولياء فقد فتح لهم بابا من الشرك.

فنقول القول بالاستفاضة من قبور اهل الله صرح به فى(عقائدعلماءديوبند) فكيف يكون شركاً.

وما قال كره الزيارة للمواضع المتبركة و قبور الاولياء.

فنقول قد نقلنا آنفا ان ذلك لا يدخل فى شد الرجال المنهى و اذا كانت الزيارة خالية عن المنكرات فلا معنى للمنع سيما و المعروف لا يترك لاجل منكر و صرح بذلك الامام الغزالى رحمة الله تعالى عليه و ابن حجر رحمة الله تعالى عليه كما ذكرنا و قال العلامة الشامى فى(ج:٢، ص: ٦٣٠) و بزيارة القبور اى لا بأس بها بل تندب كما فى(البحر)[١] ان قال الا ان الافضل يوم الجمعة و السبت والا ثنين و الخميس فقد قال محمد بن واسع[٢] رحمه الله تعالى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة و يوما قبله و يوما بعده فتحصل ان يوم الجمعة افضل الى ان قال قلت: استفيد منه ندب الزيارة و إن بعُد محلها و هل تندب الرحلة لها كما اعتيد من الزيارة الى خليل الرحمن و اهله و اولاده و زيارة السيد البدوى [٣]

(١) مؤلف بحر الرائق شرح كنز الدقائق ابن نجيم زين العابدين الحنفي المصري توفي سنة ٩٧٠ هـ. [١٥٦٢ م.]

(٢) محمد بن واسع توفي سنة ١١٢ هـ. [٧٣٠ م.]

(٣) احمد بن على البدوى المصرى المتوفى بمصر سنة ٦٧٥ هـ . [١٢٧٦ م.]

و غيره من الاكابر الكرام رحمهم الله لم أرَ من صرح به من ائمتنا و منع منه بعض ائمة الشافعية رحمة الله تعالى عليه الا لزيارته عليه الصلوة و السلام قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة وَرَدَّهُ الغزالى رحمة الله تعالى عليه لوضوح الفرق فان ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية فى الفضل فلا فائدة فى الرحلة اليها. و اما الاولياء فانهم متفاوتون فى القرب الى الله تعالى و نفع الزائرين بحسب معارفهم و اسرارهم.

قال:ابن حجر رحمة الله تعالى عليه فى (فتاواه) و لا تترك لما يحصل عندها من منكرات و مفاسد كاختلاط الرجال بالنساء و غيرذلك لان القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الانسان فعلها و انكار البدع بل و ازالتها ان امكن. قلت و يؤيده ما مر من عدم ترك اتباع الجنازة و ان كان معها نساء نائحات ثم ذكر العلامة آداب الزيارة فقال ثم من آداب الزيارة ما قالوا من انه ياتى الزائر من قبل رجلى المتوفى لا من راسه لا نه اتعب لبصره بخلاف الاول.

وما قال من الاستفتاء فى المسائل.

فقد ذكرنا الاستفادة فى بحث السماع انفا من واقعة الشاه عبد الرحيم المرحوم و واقعات الشاه ولى الله رحمة الله عليه سابقا على ان كتب الشريعة موجودة على انه ذكر فى (الميزان ص:٤٧ مطبوع المصر) فسمعت سيدى على الخواص رحمة الله عليه يقول: ايد ائمة المذاهب مذاهبهم بالمشى على قواعد الحقيقة مع الشريعة اعلاما لأتباعهم بانهم كانوا علماء بالطريقين و كان يقول لايصح خروج قول من اقوال المجتهدين عن الشريعة ابدا عند اهل الكشف قاطبة و كيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد اقوالهم من الكتاب و السنة و اقوال الصحابة و مع الكشف الصحيح و اجتماعهم بروح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و سؤالهم عن كل شئ توقفوا فيه من الادلة هل من قولك يا رسول الله ام لا يقظة و مشافهة بالشروط المعروفة بين اهل الكشف وكذلك كانوا يسئلونه عليه الصلوة و السلام عن كل شئ فهموه عن الكتاب و السنة قبل ان يدونوه فى الكتاب و يدينوا لله تعالى به و يقولون يا رسول الله! قد فهمنا كذا من آية كذا و فهمنا كذا من قولك فى الحديث الفلانى كذا فهل ترتضيه ام لا ؟ و يعملون بمقتضى قوله صلى الله عليه.

وسلم و اشارته و من توقف فيما ذكرناه من كشف الائمة المجتهدين و من اجتماعهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث الارواح.قلنا له:هذا من جلة كرامات الاولياء بيقين وان لم تكن ائمة المجتهدين اولياء فما على وجه الارض ولى ابداً وقد اشتهرعن كثيرمن الاولياء الذين هم دون الائمة المجتهدين بمقام بيقين انهم كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا و يصدقهم اهل عصرهم على ذلك الى آخر ما قال. فانظر ايها المنصف أليس هذا صريحاً في الاستعانة و لا يخالف هذا عن اصول الدين كما لا يخفى.

و ما قال: هل ينعقدون النكاح و هل يؤمون للصلاة في الجماعات فلو يفعلون ذلك ينبغى ان يؤم بهم في جنازتهم حين كانوا على السرير وجاه القبلة. فلا يخفى ان الاضاحيك المذكورة لا تليق بحال عاقل فضلا عن الفاضل فقيد المثال فان هذه احكام تكليفية و قد انقطع التكليف. نعم على طريق خرق العادة يثبت كما في صلاة موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام في قبره و كما ذكر بعض الواقعات العلامة السيوطى رحمة الله تعالى عليه في كتابه (شرح الصدور) و كما في تلاوة (سورة الملك) من رواية الترمذي.

و ما قال ان الامام الربانى رحمة الله تعالى عليه قال: كرامات الاولياء بمعنى خرق العادة تسلب بعد مماتهم هذا بهتان عظيم بل قال الامام الربانى رحمة الله تعالى عليه: و يجعل روحانية بعض الاكابر و سائل طريقه و دليله في قطع منازل السلوك فانّ توسط روحانيات المشائخ في قطع طريق السلوك لازم بطريق جرى عادة الله سبحانه (ج: ١ مكتوب ٢٨٦) و قال ايضا الأُويسى شخص يكون للروحانيين مدخل فى تربيته ألا ترى انّ الخواجه احرار قدس سره لما وجد الامداد من روحانية الخواجه النقشبند قدس سره قيل له مع وجود شيخه الظاهر أُويسيا و كذلك الخواجه النقشبند لما نال الامداد من روحانية الخواجه عبد الخالق الغجدوانى قدس سرهما كان مع وجود شيخه الظاهر أُوَيسيا (ج: ٣ مكتوب ١٢١) و قال ايضا و كذا ارباب الحاجات يستمدون من الأعزّة الاحياء و الاموات فى المخاوف و المهالك و يرون أن صور هؤلاء الأعزّة قد حضرت و دفعت عنهم البلية (ج: ٢ مكتوب ٥٨). و قول المجدد رحمة الله تعالى عليه لا نعتمد على نقل الشيخ فان

التحريف من دَيدَنه و مما دسه ذووا العقيدة الزائغة و الا فمعين الدين الاجميرى رحمة الله تعالى عليه صرح بالاستفاضة من الولى المعروف داتا المرحوم كما نقل من خواجه معين الدين الاجميرى رحمة الله تعالى عليه بعد ختم الرياضة عند مزار (داتا) المرحوم و حصول المكاشفات ذكر ذلك فى كتاب (كشف المحجوب).

و يجوز التوسل الى الله تعالى و الاستغاثة بالانبياء و الصالحين بعد موتهم لان المعجزة و الكرامة لا تنقطع بموتهم و عن امام الحرمين و لا ينكر الكرامة و لو بعد الموت الا رافضى. و عن الاجهورى [١] الولى فى الدنيا كالسيف فى غمده فاذا مات تجرد عنه فيكون اقوى فى التصرف كذا نقل عن (نور الهداية) لابى على السنجى (البريقة المحمودية فى شرح الطريقة المحمدية لأبى سعيد محمد بن مصطفى المفتى الخادمى القونوى المتوفى سنة ١١٧٦ هـ. [١٧٦٣ م.] ج: ١، ص: ٢٧٠).

و المقصود من جعل مرض العبد مرض نفسه و جعل جوعه جوع نفسه كما فى الحديث بيان اعزاز العبد و الكرامة و لم يقل احد من العقلاء ان هذه الافعال قائمة بالله تعالى.

و اما البناء على القبر فقد عقد الامام البخارى رحمة الله تعالى عليه (باب بناء المسجد على القبر) قال ابن حجر رحمة الله تعالى عليه فى (فتح البارى ج: ٣، ص: ١٣٥) اورد فيه حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فى لعن من بنى على القبر مسجدا و قد تقدم الكلام عليه قبل ثمانية ابواب قال الزين ابن المنير : كانه قصد بالترجمة الاولى اتخاذ المساجد فى المقبرة لاجل القبور بحيث لو لا يجد القبر ما اتخذ المسجد و يؤيده بناء المسجد فى المقبرة على حدة لئلا يحتاج الى الصلاة فيوجد مكان يصلى فيه سوى القبر فلذلك نحا به منحى الجواز انتهى. و قد تقدم ان المنع من ذلك انما هو حال خشية ان يصنع بالقبر كما صنع اولئك الذين لعنوا و اما اذا أمن ذلك فلا امتناع و قد يقول بالمنع مطلقا من سد الذريعة و هو ههنا.

و قد ذكر المحدث الدهلوى رحمة الله تعالى عليه فى بناء امرأة الحسن بن الحسن بن

---

(١) على بن محمد الاجهورى المالكى المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ . [١٦٥٦ م.]

على قبة على قبر زوجه و اقامتها سنة.ان الظاهر ان ذلك كان للذكر و التلاوة و لا يحسن حمل فعل اهل البيت على العبث.

وما ذكر انه لايجوز بقاء مواضع الشرك و الطواغيت.

فنقول مزارات الاولياء مواضع نزول الرحمة و البركة.الا ترى الى ما ذكر من استحباب الدفن فى قرب الصالحين و الارض المباركة.

قال العلامة الطحطاوى فى (شرح المراقى، ص: ٣٤٠) و يقصدون بزيارتها وجه الله و اصلاح القلب و نفع الميت بما يتلى عنده من القرآن ولايمس القبر ولا يقبله فانه من عادة اهل الكتاب و لم يعهد الاستسلام الا للحجر الاسود و الركن اليمانى خاصة و تمامه فى (الحلبى) قوله قيل تحرم للنساء وسئل القاضى عن جواز خروج النساء الى المقابر. فقال: لا تسأل عن الجواز و الفساد فى هذا. انما تسئل عن مقدار ما يلحقها من اللعن فيه و اعلم بانها كلما قصدت الخروج كانت فى لعنة الله تعالى و ملئكته و اذا خرجت تحفها الشياطين من كل جانب و اذا اتت القبور تلعنها روح الميت و اذا رجعت كانت فى لعنة الله. كذا فى الشرح عن (التتارخانية) قال البدر العينى[1] فى (شرح البخارى) و حاصل الكلام انها تكره للنساء بل تحرم فى هذا الزمان لا سيما نساء مصر لان خروجهن على وجه فيه فساد و فتنة اهـ.

و فى (السراج) و اما النساء اذا اردن زيارة القبور ان كان ذلك لتجديد الحزن و البكاء و الندب كما جرت به عادتهن فلا تجوز لهن الزيارة و عليه يحمل الحديث الصحيح (لعن الله زائرات القبور) و ان كان للاعتبار و الترحم و التبرك بزيارة الصالحين من غير ما يخالف الشرع فلا بأس به اذا كن عجائز و كره ذلك للشابات كحضورهن فى المساجد للجماعات:اه .

و حاصله ان محل الرخصة لهن اذا كانت الزيارة على وجه ليس فيه فتنة و الاصح ان الرخصة ثابتة للرجال و النساء لان سيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت تزور قبر حمزة رضى الله تعالى عنه كل جمعة و كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تزور قبر

---

(١) محمود العينى الحنفى توفي سنة ٨٥٥ هـ. [١٤٥١ م.] في القاهرة

اخيها عبد الرحمن بمكة.كذا ذكره بدر الدين العينى رحمه الله تعالى فى (شرح البخارى) و السنة زيارتها قائما قال فى (شرح المشكاة) ينبغى ان يدنو من القبر قائما او قاعدا بحسب ما كان يصنع لزواره فى حياته و كذا ذكره غيره. و فى (القهستانى) و يقوم بحذاء وجهه قربا و بعداً مثل ما فى الحياة.

قال فى (الاحياء) و المستحب فى زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا وجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى.كذا فى (شرح الشرعة).

قال فى (شرح المشكاة) بعد كلام و حديث ما نصه:فيه دلالة على ان المستحب فى حال السلام على الميت ان يكون لوجهه و ان يستمر كذلك فى الدعاء ايضاً و عليه عمل عامة المسلمين خلافا لما قاله ابن حجر رحمة الله تعالى عليه.

و اخرج ابن عبد البر فى (الاستذكار) و (التمهيد) بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام)** انتهى.

فعلم ان الواجب فى زيارة القبور الاجتناب عن المنكرات و ان يستقبل الميت لا كما قال المنكر وان الزيارة تكون للتبرك ايضاً لا كما زعم المنكر و ان الميت يعرف المسلم و يرد عليه.

و اما المنكرات فيجب انكارها فان المنكر منكر و المعروف معروف و المعروف لا يترك لاجل منكر كما ذكرنا من الضابعلة.الا ترى الى ان زيارة القبور مستحبة فى نفسها من غير نظر الى العوارض للنساء ايضاً.

قال العلامة الشامى فى قول الشارح و بزيارة القبور ولو للنساء و قيل تحرم عليهن و الاصح ان الرخصة ثابتة لهن(البحر) و جزم فى (شرح المنية) بالكراهة لما مر فى اتباعهن الجنازة. و قال الخير الرملى[1] ان كان ذلك لتجديد الحزن و البكاء و الندب على ما جرت به عادتهن فلا تجوز و عليه حمل حديث **(لعن الله زائرات القبور)** و ان كان للاعتبار و الترحم

---

(١) خير الدين الرملي الحنفي توفي سنة ١٠٨١ هـ. [١٦٧٠ م.] في رملة

من غير بكاء و التبرك بزيارة قبور الصالحين فلا بأس اذا كن عجائز و يكره اذا كن شواب كحضورهن الجماعة فى المساجد و هو توفيق حسنٌ (الشامى، ج:١، ص:٦٣١).

فعلم ان الزيارة للتبرك بزيارة الصالحين امر مندوب و مرغوب ولو للنساء لو كن عجائز و قال العلامة الشامى رحمه الله تعالى فى(ص: ٦٣٠) قلت: استفيد منه ندب الزيارة و ان بعد محلها و اى بدعة فى ذلك ان كان التوسل به بدعة فذلك امر ثابت فى الدين و ان كان لاجل سماع الموتى فنقول قد ثبت من الادلة سماع الموتى. و قال الامام البخارى رحمة الله عليه فى باب قول الميت وهو على السرير: قدمونى.قال ابن حجر رحمة الله عليه و ظاهره ان قائل ذلك هو الجسد المحمول على الاعناق.

قال ابن بطال[1] رحمة الله عليه انما يقول ذلك الروح و رد ابن المنير بانه لامانع من ان يرد الله الروح الى الجسد فى تلك الحال ليكون ذلك زيادة فى بشرى المؤمن و بؤس الكافر و كذا قال غيره و زاد و يكون ذلك مجازاً باعتبار ما يؤول اليه الحال بعد ادخال القبر و سؤال الملكين.قلت و هو بعيد و لاحاجة الى دعوى اعادة الروح الى الجسد قبل الدفن لانه يحتاج الى دليل فمن الجائز ان يحدث الله النطق فى الميت اذا شاء و كلام ابن بطال فيما يظهر لى اصوب. و قال ابن بزيزة قوله فى آخر الحديث يسمع صوتها كل شئ دال على انه بلسان القال لابلسان الحال (فتح البارى: ج:٣، ص:١٢٠) ولذا قال تعالى (...إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ۔ الآية. فاطر:٢٢)

و ذكر على القارى ان المشهور من نسبة عدم سماع الموتى الى الاحناف ليس له اصل من الائمة بل اخذ من مسئلة فى باب الأيمان انه اذا حلف لايتكلم مع فلان فمات الرجل فتكلم معه على قبره ميتا لايحنث.

اقول ان وجه عدم الحنث ان مبنى الأيمان على العرف و اهل العرف لايسمونه كلاما ولا يعلمون ان الموتى تسمع و المحقق ان ابا حنيفة رحمة الله عليه لا ينكر سماع الموتى وان خالف ابن الهمام و قال الموتى لا تسمع لان ذخيرة الحديث تدل على سماع الموتى فلو قلنا بسماع الموتى فلا اشكال لانه ثبت بقدر مشترك تواتر فى الحديث ولا تتعرض الى التخصيصات المتكلفة و سيما اذا لم يرد الانكار عن ائمتنا الثلاثة واما الايات

(١) ابو الحسن ابن بطال القرطبي توفي سنة ٤٤٤ هـ. [١٠٥٢ م.]

المشيرة الى عدم السماع فلها محامل حسنة (عرف الشذى:ص:٣٨٦)، فعلم من كلام الشيخ انور شاه المرحوم صدر المدرسين بدار العلوم الديوبند:ان نسبة عدم سماع الموتى الى الاحناف ليست بصحيحة و ان كانت مشهورة.

و كذا صرح بسماع الموتى مولانا عبد الحى رحمة الله عليه فى (عمدة الرعاية ج:٢، ص:٢٢٤) فى مسئلة الضرب و الكسوة و الكلام حيث قال و بالجملة لم يدل دليل قوى على نفي سماع الموتى و ادراكه و فهمه و تامله لا من الكتاب ولا من السنة بل السنن الصحيحة الصريحة دالة على ثبوتها له و الحق فى هذا المقام ان هذا كله من تقريرات المشائخ و توجيهاتهم و تكلفاتهم ولا عبرة بها حين مخالفتها للاحاديث الصحيحة و اثار الصحابة الصريحة و اما ائمتنا فهم بريئون عن انكار هذه الامور ثم ذكر جواباً عن مسئلة اليمين بان مبنى الأيمان على العرف.

و ايضاً ذكر العلامة ابن حجر رحمة الله عليه فى كتابه: قوله يقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار القائل يقول هو عروة يريد ان يبين مراد عائشة رضى الله تعالى عنها فاشار الى ان اطلاق النفى فى قوله تعالى (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ الآية.الروم :٥٢) مقيد باستقرارهم فى النار و على هذا فلا معارضة بين انكار عائشة رضى الله تعالى عنها و اثبات ابن عمر رضى الله عنهما كما تقدم توضيحه فى الجنائز لكن الرواية التى بعد هذه تدل على ان عائشة رضى الله تعالى عنها تنكر ذلك مطلقاً لقولها ان الحديث انما هو بلفظ (انهم ليعلمون) و ان ابن عمر[١] رضى الله تعالى عنهما وهم فى قوله (ليسمعون) قال البيهقى العلم لايمنع من السماع و الجواب عن الاية الكريمة انه لايسمعهم وهم موتى و لكن الله احياهم حتى سمعوا كما قال قتادة[٢] رضى الله تعالى عنه ولم ينفرد عمر رضى الله تعالى عنه ولا انه بحكاية ذلك بل وافقهما ابو طلحة رضى الله تعالى عنه كما تقدم و للطبرانى رحمة الله عليه من حديث ابن مسعود[٣] رضى الله تعالى عنه مثله باسناد صحيح و من حديث عبد الله بن سيدان مثله و فيه قالوا يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل يسمعون؟ قال (يسمعون كما تسمعون و لكن لايجيبون) و فى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (ولكنهم اليوم لا يجيبون).

---

(١) عبد الله بن عمر توفي سنة ٧٣ هـ. [٦٩٢ م.] في مكة المكرمة
(٢) ابو قتاده توفي سنة ٤٥ هـ. [٦٦٥ م.] في المدينة المنورة
(٣) عبد الله ابن مسعود توفي سنة ٣٢ هـ. [٦٥٢ م.] في المدينة المنورة

و من الغريب ان فى (المغازى) لابن اسحاق رواية يونس بن بكير رحمة الله عليه باسناد جيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها مثل حديث ابى طلحة رضى الله تعالى عنه و فيه (ما انتم باسمع لما اقول منهم) و اخرجه احمد رحمة الله عليه باسناد حسن فان كان محفوظاً فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة. قال الاسماعيلى كان عند عائشة رضى الله تعالى عنها من الفهم والذكاء و كثرة الرواية و الغوص على غوامض العلم ما لايزيد عليه لكن لا سبيل الى رد دراية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالته فكيف والجمع بين الذى انكرته عائشة رضى الله تعالى عنها واثبته غيرها ممكن لان قوله تعالى (فَاِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتٰى ۞ الآية. الروم: ٥٢) لاينافى قوله عليه الصلوة والسلام (انهم الآن يسمعون) لان الإسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع فى اذن السامع فالله تعالى هو الذى اسمعهم بان ابلغهم صوت نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك و اما جوابها بانه انما قال (انهم ليعلمون) فان كانت سمعت ذلك فلا ينافى رواية (يسمعون) بل يؤيده.

قال السهيلى[٢] ما محصله ان فى نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم تخاطب قوما قد اجيفوا فاجابهم قال و اذا جاز ان يكونوا عالمين فى هذه الحالة جاز ان يكونوا سامعين و ذلك اما باذان رؤسهم على قول الاكثر او بأذان قلوبهم. ثم قال بعد سطور: اختلف اهل التأويل فى المراد بـ(الموتى) فى قوله تعالى (اِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتٰى ۞ النمل: ٨٠) و كذلك المراد بـ(من فى القبور) فحملته عائشة رضى الله تعالى عنها على الحقيقة و جعلته اصلا احتاجت معه الى تأويل قوله (ما انتم باسمع لما اقول منهم) و هذا، قول الاكثر و قيل هو مجاز و المراد بـ(الموتى) و بـ(من فى القبور) الكفار شبهوا بالموتى وهم احياء و المعنى منهم فى حال الموتى او فى حال من سكن القبر و على هذا لا يبقى فى الآية دليل على ما نفته عائشة رضى الله تعالى عنها و الله اعلم. (فتح البارى ج: ٧، ص: ٢١٥).

و الحاصل انه وجدت احتمالات كثيرة فى الاستدلال بالنص و اذا جاء الاحتمال بطل استدلال المنكرين سيما اذا جعل مدار الشرك فانه لابد فيه من دليل

(١) محمد بن اسحاق توفي سنة ١٥١ هـ. [٧٦٨ م.] في بغداد
(٢) عبد الرحمن السُّهيلي توفي سنة ٥٨١ هـ. [١١٨٥ م.]

قطعی الثبوت و قطعی الدلالة و لایثبت الکفر بالکلام المحتمل علی زعمهم.

و ایضاً علم ان السماع بالاذن ایضاً قول بعض العلماء و هذا یکفی للرد علی المنکر الزائغ.

و ایضاً قال المحدث الکشمیری رحمة الله علیه فی (فیض الباری: ج:۲، ص:٤٦) ان المحقق عندی ان لا تعطل فی القبور بل فیها قراءة القرآن والصلاة و الاذان و غیرها من العبادات و لیراجع الی (شرح الصدور) للسیوطی رحمة الله علیه و الافعال الاخر ایضا ثابتة عند اهل الکشف وهم ادری به فلا ننکره مالم یرد الشرع بانکاره صراحة و الوجه عندی ان الاحوال فی القبور مختلفة حسب اختلافهم فی الدنیا فکما ان عمل واحد لایوازی عمل آخر فی الحیاة فعلم من قول المحدث الکشمیری ثبوت الاذان و الصلاة و القراءة فی القبر و علم ان قول العلامة السیوطی رحمة الله علیه فی (شرح الصدور) یصح ان یتمسك فهل یتمسك عالم محدث محقق محتاط بالاکاذیب.

و علم ان قول اهل الکشف حجة اذا لم یرد الشرع بانکاره، بل قال المحدث الکشمیری رحمة الله علیه فی (فیض الباری:ص:٤٦٧-٤٦٨) و الاحادیث فی سماع الموتی قد بلغت مبلغ التواتر، و فی حدیث صححه ابو عمرو ان احدا اذا سلم علی المیت فانه یرد علیه و یعرفه ان کان یعرفه فی الدنیا. و اخرج ابن الکثیر ایضا فالانکار فی غیر محله سیما اذا لم ینقل عن احد من أئمتنا رحمهم الله تعالی فلا بد بالتزام السماع فی الجملة و اما الشیخ ابن الهمام رحمة الله علیه فقد جعل النفی هو الاصل و فی کل موضع ثبت فیه السماع جعله مستثنیٰ و مقتصرا علی المورد،قلت اذاً ما الفائدة فی عنوان النفی و ما الفرق بین نفی السماع ثم اثباته و الا ثبات فی مواضع کثیرة و ادعاء التخصیص و بین اثبات السماع فی الجملة مع الاقرار بانا لاندری ضوابط سماعهم فان الاحیاء اذا لم یسمعوا فی بعض المواضع فمن ادعی الطرد فی الاموات ولذا قلت بالسماع فی الجملة.

قال علی القاری فی رسالة غیر مطبوعة ان احدا من ائمتنا لم یذهب الی انکارها و انما استنبطوها من مسئلة باب الأیمان و هی حلف رجل ان لایکلم فلانا فکلمه بعد موته و دفنه لایحنث.قال علی القاری ولا دلیل فیه علی ما قالوا فان مبنی الأیمان علی العرف وهم

لا يسمونه كلاما و اجاب عن الايات التى تدل على النفى بظاهرها مطلقاً جلال الدين السيوطى رحمة الله عليه.

شعر:

سماع موتى كلام الخلق قاطبة ⋆ قد صح فيها لنا الا ثار و الكتب
و آية النفى معناها سماع هدى ⋆ لايسمعون و لا يصغون للادب

فعلم من هذا التُفصيل ان انتساب انكار سماع الموتى الى الاحناف ليس بصحيح و هذا المقصد و ان كان للرد على انكار التوسل الا انه ذكر فيه هذا تبعاً و طرداً.

و ايضاً توسل العلامة الشامى فى (خطبته: ص:۳) متوسلا اليه بنبيه المكرم صلى الله تعالى عليه وسلم و باهل طاعته من كل مقام على معظم و بقدوتنا الامام الاعظم ان يسهل ذلك على من انعامه و يعيننى على اكماله و اتمامه الخ.

و قال العلامة التفتازانى فى (خطبة المطول) لازالت ملجأ لطوائف الانام، و ملاذا لهم من حوادث الايام، و حصنا حصينا للاسلام، بالنبى و آله عليه وعليهم السلام.

فعلم ان التوسل بالذوات الفاضلة كان شائعاً ذائعاً بين العلماء الاعلام فى خطباتهم فكيف يصح طرح كل ذلك بكلام صدر من ابن تيمية؟

و ليكن هذا اخر ما تيسر لهذا العبد الضعيف فى المقصد الرابع و الآن نشرع فى الخاتمة ليكون الكتاب خمساً باعتبار المقاصد و بها يستريح القلم، اللهم سهلها على بالنبى المكرم، و آله المعظم، و بقدوتنا الامام الاعظم، فنقول:

اما الخاتمة ففي بعض اللواحق و المناسبات.

وفيها مباحث:

البحث الاول: فى تعريف البدعة و اقسامها. فاعلم ان البدعة ما ليس له دليل من الكتاب و السنة لاصراحة ولا استنباطاً كما صرح به الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه فى (شرح المشكاة، ص:١١٧) فى تفصيل قوله عليه الصلوة و السلام **(من احدث فى امرنا هذا ماليس منه فهو رد)** قال يعنى احداث كرد چيزى كه نيست در كتاب و سنت نه صريحاً و نه مستنبط از وى و نه حكم كرد بصحت وى كتاب پس شامل شد اجماع و قياس را و مراد چيزيست كه مخالف و مغاير آن باشد.

فعلم من هذا الكلام ان البدعة مالا اصل له فى الدين لاصراحة ولا اشارة و الكتابة تشمل جميع الاقسام من العام و الخاص والدلالة و العبارة و الاقتضاء و الاشارة و كذا غيرها من الاقسام. و السنة تشمل المتواتر و المشهور و الواحد و كذا القولى و الفعلى و التقريرى فان الكل حجة.

و البدعة على اقسام:

منها واجب كتعليم الصرف و تعلمه و كذا النحو حفظ غرائب الكتاب و السنة و غير ذلك مما يتوقف عليه امر الدين.

و منها مستحب مثل بناء الرباطات و المدارس الاسلامية لتعليم الدين.

ومنها مكروه كنقش المساجد و المصاحف عند البعض اذا كان من مال الوقف.

و منها مباح مثل الاتساع فى المآكل اللذيذة و الملابس الفاخرة.

و منها حرام مثل مذاهب اهل البدع و اهل الاهواء بخلاف الكتاب و السنة.

فعلم ان البدعة انواع و الى هذا اشار الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه فى شرحه فى ذيل قوله عليه الصلوة و السلام (كل بدعة ضلالة) و كذا صرح العلامة الشامى بتقسيم البدعة الى الاقسام الخمسة حيث قال فى (ج:١، ص:٣٩٣) بعد قول الشارح رحمة الله

عليه و مبتدع اى صاحب بدعة و هى اعتقاد خلاف المعروف عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لابمعاندة بل بنوع شبهة.

قوله اى صاحب بدعة اى محرمة و الا فقد تكون واجبة كنصب الادلة للرد على اهل الفرق الضالة و تعلم النحو المفهم الكتاب و السنة و مندوبة كاحداث نحو مدرسة و رباط و كل احسان لم يكن فى الصدر الاول و مكروه كزخرفة المساجد و مباحة كالتوسع فى لذيذ المآكل و المشارب و الثياب كما فى (شرح الجامع الصغير) للمناوى عن (تهذيب النووى) ومثله فى (الطريقة المحمدية) للبركوى قوله (هى اعتقاده) اهـ.عزا هذا التعريف فى (هامش الخزائن) الى الحافظ ابن حجر فى (شرح النخبة) ولا يخفى ان الاعتقاد يشمل ما كان معه عمل او لا فان من تدين بعمل لابد ان يعتقده كمسح الشيعة على الرجلين و انكارهم المسح على الخفين. اهـ .

فعلم من هذا التفصيل ان البدعة مطلقا ليست بحرام ولا ضلالة و المراد من حديث (كل بدعة ضلالة) اى بدعة سيئة كما صرح به الشراح.الا ترى الى قوله عليه الصلوة و السلام (من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة) و كذا قول عمر رضى الله تعالى عنه لما جمع الناس على امام واحد، نعمت البدعة.

البحث الثاني: فى ان بعض الامور كانت بدعة فى القرون الاولى لكن للتوانى فى الامور او لمصلحة اخرى يجوز فعلها، منها التثويب فانه روى ان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه دخل مسجدا فثوب فيه فقال لتلميذه اخرج بنا من مسجد هذا المبتدع و مع ذلك اجاز العلماء التثويب بناء على التوانى فى الامور الدينية كما ذكر فى (الهداية)[1] فى بحث الاذان و التثويب فى الفجر (حىّ على الصلوة، حىّ على الفلاح) مرتين بين الاذان و الاقامة حسن لانه وقت نوم و غفلة و كره فى سائر الصلوات و معناه العود الى الاعلام و هو على حسب ما تعارفوه و هذا تثويب احدثه علماء الكوفة بعد عهد الصحابة رضى الله تعالى عنهم لتغير احوال الناس و خصّوا الفجر به لما ذكرناه. قال صاحب (النهاية) فى تشريح قوله (و استحسنوا) لكن لم يشترطوا عين ذلك اللفظ الذى هو (حىّ على الصلوة، حىّ على

(١) مؤلف الهداية برهان الدين علي المرغيناني الحنفي توفي سنة ٥٩٣ هـ. [١١٩٨ م.]

الفلاح) و المتأخرون استحسنوه فی الصلوات كلها لظهور التوانی فی الامور الدينية. قال ابو يوسف[1] رحمة الله عليه: لا اری بأساً ان يقول المؤذن للامير فی الصلوات كلها (السلام عليك أيها الامير و رحمة الله و بركاته، حیّ علی الصلوة حیّ علی الفلاح يرحمك الله) و استبعده محمد رحمه الله تعالی لان الناس سواسية فی امر الجماعة و ابو يوسف خصهم بذلك لزيادة اشتغالهم بامور المسلمين كيلا يفوتهم الجماعة و علی هذا المفتی والقاضی. (الهداية ص: ٧٢) قال فی (النهاية) قلت: علی هذا التقرير كان استحسان المتاخرين احداثا بعد احداث لان التثويب الاصلی كان (**الصلاة خير من النوم**) لاغير فی اذان الفجر خاصة و احدث علماء الكوفة (**حیّ علی الصلوة، حیّ علی الفلاح**) فی صلاة الفجر مع ابقاء الاول و احدث المتأخرون التثويب بين الاذان و الاقامة علی ما تعارفوه فی جميع الصلوات مع ابقاء الأول.

فعلم من كلام (الهداية) و (النهاية) ان التثويب كانت بدعة و مع ذلك مستحسن و مزيد تفصيل التثويب فی الرسالة المسماة بـ(العجيب فی مسئلة التثويب) لمولانا عبد الحی نور الله مرقده.

و من ذلك الشروع فی الصلاة بـ(الله اعظم) و (الله اجل) و امثال ذلك مما يدل علی التعظيم و لا يشوب بالدعاء مع ان فی الحديث (**تكبيرها التحريم وتحليلها التسليم**) و التكبير معناه الله اكبر لا الله اجل و امثاله. قال فی (الهداية): و ان قال بدل التكبير (**الله اجل واعظم**) (**الرحمن اكبر**) (**لآ اله الا الله**) او غيره اجزأه (ج: ١، ص: ٨٤) و فی الروايات كان النبی صلی الله تعالی عليه و سلم اذا اراد الصّلاة كبّر.

فانظر ايها المنصف فان (الله اجل) و امثاله لم يرد فی حديث قولیّ ولا فعلیّ.

و من ذلك التلفظ بالنية فی الصلاة فانه مستحسن ومع ذلك ما نقل عن النبی صلی الله تعالی عليه وسلم ولا من الصحابة رضوان الله تعالی عليهم اجمين ولا التابعين كما صرح به فی (الدر المختار ص: ٥٢) و التلفظ عند الارادة بها مستحب وهو المختار و يكون بلفظ الماضی ولو فارسيا لانه الاغلب فی الانشاءات و تصح بالحال (قهستانی) و قيل سنة يعنی احبه السلف و سنة علمائنا اذ لم ينقل عن المصطفی صلی الله تعالی عليه وسلم ولا عن الصحابه ولا التابعين بل قيل بدعة فعلم من الكلام المذكور ان التلفظ ما

---

(١) ابو يوسف يعقوب توفي سنة ١١٣ هـ. [٧٣١ م.] في بغداد

كان فى القرون المشهود لها بالخير و مع ذلك سمى سنة.

كلام المجدد اصح. قال المجدد للالف الثانى فى المكتوب السادس و الثمانين و المائة فى المجلد الاول: قال عليه الصلوة و السلام: (**كل بدعة ضلالة**) **يقول هذا الفقير** فى نية الصلاة: النطق باللسان مع ارادة قلبه بدعة سيئة رافعة للفرض فضلا عن السنة.

و منها رفع الرأس و خفضه فى الذكر بان يرفع راسه عند النفى و يخفضه عند الاثبات فانه ذكر فى الطريقة المحمدية ان هذه ليست ببدعة بل له سند وهى رفع المسبحة عند النفى و وضعها عند الاثبات حيث قال و اما تحريك الراس فقط (من دون تحريك البدن) يمنة و يسرة تحقيقا لمعنى النفى و الاثبات فى (**لااله الا الله**) فالظن الغالب جوازه بل استحبابه اذا كان مع النية الصالحة لوجه الله من غير قصد رياء فيخرج عن حد اللعب و العبث فيكون فعلا دالا على التوحيد مقارنا للقول الدال عليه فتكون كلمتين و اصله رفع المسبحة فى الصلاة فى التشهد عند (**اشهد ان لااله الا الله**) و قد ورد فى الصحاح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان الصلاة موضع سكون و وقار (ج:٢، ص:٢٦٨)

فانظر الى العلماء المحتاطين، كيف بينوا لتحريك الرأس عند الذكر مأخذا و سندا و ما حكم بابتداعه بل قال باستحبابه و امثال ذلك كثيرة فى الكتب كما لايخفى على من له ممارسة بالعلوم الدينية.

البحث الثالث فى الدعاء. و هذا بحث اهم لانه قد كثر الشعب فيه و جرت مناظرة و وقعت على الفئة المنكرة فضيحة و لم يأتوا هنالك بدليل شاف من كتب الاحناف و ذلك فى بلدة هوسيع من مضافات (المردان) بدعوة مولانا و اولانا المحب فى الله و المبغض فى الله ميان گل المخلص فى خدمة الدين و العبد الضعيف ايضاً حضر فى تلك الواقعة و كانت عليهم داهية دهياء و رأى العبد الضعيف فضيحتهم فلا بد ان اذكر من هذا البحث نبذا بعبارة وجيزة و ان حرر العلماء فيه رسائل:

منها رسالة مولانا المعروف كالشمس فى نصف النهار مولانا الحاج شائسته گل

المتوى المسماة بالحجة المنقولة فى احكام الادعية المعمونة و قد انطبعت.

و منهـا رسالة اخى و مشفقى مولانا محب الله التنبولكى المدرس فى المردان وهى لـم تـطبع الآن الا انى رأيتها ففيها تحقيق انيق، يشفى العليل و يُروى الغليل الا ان ما لا يدرك كله لايترك كله.

فاعلم ان الدعاء طلب الادنى من الاعلى بالخضوع و هذا هو المراد بقولهم الدعاء حاجت خواستن و لذا قال الفقهاء ان (اللهم انت السلام) كما هو وارد فى الاحاديث ليس بدعاء بل ذكر كما قال العلامة الطحطاوى فى (شرح المراقى: ص: ١٧١) قوله و الدعاء هذا لاينافى الاتيان بـ(اللهم انت السلام)اهـ. لانه ليس بدعاء بل ثناء الا ان يراد بالدعاء ما يعم الذكر او هو بالنظر الى قوله (فحيّنا)اه. دعاء على ما فيه فعلم من هذا الكلام ان (انت السلام) كما هو الماثور فى الروايات ليس بدعاء. و ما ذكر فى بعض حواشى كتب الحديث على ما ارانى بعض الفضلاء و الكهلاء بان (اللهم) دعاء فجوابه ان المراد بالدعاء النداء ولاشك ان (اللهم) منادى بحذف حرف النداء، معناه يا الله لاان الدعاء بمعنى حاجت خوا ستن كما ورد فى القرآن (... لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۞ الاية. البقرة: ١٧١)

و ما ذكر من كون (اللهم انت السلام) ذكرا لادعاء كثير فى كتب الفقه كما لايخفى على من مارسها اذا عرفت هذا فاعلم ان الدعاء مخ العبادة و لذا قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۞ المؤمن: ٦٠) و هذا هو السند على كون الدعاء عبادة و هذا النص مطلق من ان يكون بعد الصلاة او لا و ان يكون بالانفراد او الاجتماع فان المطلق يجرى على اطلاقه فى الصفات و يراد منه الفرق الكامل فى الذوات فحصل التوفيق بين الاصلين.

و قال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۞ البقرة: ١٨٦) و هذا ايضاً مطلق يجرى على اطلاقه. و قال تعالى (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۞ الآية. الفرقان: ٧٧) الى غير ذلك من النصوص و علم من هذا مشروعية نفس الدعاء

و اما الدعاء بعد الفراغ من العمل الصالح فهى قاعدة متقررة فى الشرع و لذا ذكر العلماء ان الدعاء بعد الفراغ من العبادة قاعدة شرعية.الا ترى الى ابراهيم و اسماعيل على نبينا و عليهما الصّلوة و السلام لما فرغا من بناء الكعبة دعا حيث قالا (... **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** البقرة: ۱۲۷) كما هو المذكور فى القرآن العظيم.

و كذا ورد فى الروايات:الدعاء بعد تمام الصوم (**اللهم انى لك صمت وبك آمنت وعلى رزقك افطرت فاغفرلى.**)

و كذا بعد الفراغ من الحج و اركانه ادعية ماثورة بعد الفراغ من كل ركن مثل (**اللهم اجعل حجا مبرورا و سعياً مشكورا و ذنبا مغفورا**) و غير ذلك من الادعية الماثورة فى كتاب المناسك على ما ذكره المحدثون و الفقهاء باتم تفصيل و علم من الادلة المذكورة ان الدعاء بعد العبادات قاعدة متقرّرة فى الشرع و نجعلها كبرى و نضم معها الصغرى سهلة الحصول: الصلوة عبادة، و كل عبادة فالدعاء بعدها مستحب، ينتج بعد اسقاط الاوسط: الصلوة فالدعاء بعدها مستحب.اما الصغرى فظاهرة لان الصلوة اهم العبادات واربح البضاعات واما الكبرى فلانها من الاصول الموضوعة المسلمة عند الفقهاء المستنبطة من النصوص على انه ورد الامر بالدعاء بعد الصلاة على طريق الخصوص.قال الله تعالى (**فَاِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ** الانشراح: ۷) قال الآلوسى البغدادى (ج: ۳۰، ص:۱۷۲) و غيره من المفسرين اى اذا فرغت من الصلاة فاتعب فى الدعاء. روى هذا التفسير عن قتادة و ضحاك و غيرهما و كذا ذكر الامام البخارى رحمة الله عليه (باب الدعاء بعد الصلوة). (ج: ۲، ص: ۹۳۷)

فعلم من قوله تعالى و قول الامام البخارى رحمة الله عليه المستند الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان بعد الصلاة دعاء و الظاهر ان الدعاء ليس بين السنة و الفرض لان الفصل بين السنة و الفرض بما زاد على (**اللهم انت السلام**) مكروه قال العلامة الشامى فى (ج:۱، ص:٤٧٧) و كذا لو فصل بقراءة الاوراد لان السنة، الفصل بمقدار (**اللهم انت السلام**) حتى لو زاد تقع السنة لا فى محلها المسنون.

قال فى (المراقى ص:۱۷۰) كل صلاة بعدها سنة يكره القعود بعدها و الدعاء بل

یشتغل بالسنة کیلا یفصل بین السنة والمکتوبة.

فعلم من هذا ان الدعاء بین الفرض و السنة مکروه فاذا لم یدع المصلی بینهما فلا بد ان یدعو بعد الفراغ من السنة لورود الامر به فی القرآن ولاتخاذ الامام البخاری بابا عنوانه: (باب الدعاء بعد الصلوة). وقد ذکر الطحاوی ان هذا لا ینافی الا تیان بـ(اللهم انت السلام) لانه لیس بدعاء بل ثناء کما ذکر سابقاً فثبت المدعی باحسن ترتیب و هو الدعاء بعد السنن و ان قلت انه لایثبت منه الدعاء بالهیئة الاجتماعیة والبحث فیها، قلت قد علمت ان الدعاء عبادة و العبادة بالهیئة الاجتماعیة افضل فالدعاء بالهیئة الاجتماعیة افضل مالم یمنع مانع فلا یرد النفل بالتداعی اما الصغری فظاهرة من قوله تعالی (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي ۞ الآیة. المؤمن: ٦٠) و من قوله علیه الصلوة والسلام (الدعاء مخ العبادة) و اما الکبری، فان الصلاة بالجماعة افضل کما فی الحدیث، انه خمس و عشرون درجة و ایضاً ذکر الامام مسلم (باب فضل الاجتماع علی تلاوة القرآن و علی الذکر) (ج: ٢، ص: ٤٥) النووی و فی الدعاء ذکر الله تعالی.

و ایضاً روی انه کان للحسن البصری[١] رحمة الله علیه جار یحتطب علی ظهره فکان اذا سلم الامام خرج سریعاً فقال له الحسن یوما یا هذا! لم لم تجلس ساعة؟ان لم تکن لك حاجة فی الآخرة، افلا حاجة لك فی الدنیا؟ قف بعد الصلاة و ادع الله و اساله حمولة لاتحمل علی ظهرك (شرح شرعة الاسلام ص: ١١٢.)[٢]

و ایضاً قال القاضی البیضاوی فی تفسیر قوله تعالی (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ الفاتحة: ٥) ادرج عبادته فی تضاعیف عبادتهم، لعلها تجاب ببرکتها فعلم ان للاجتماع دخلاً فی الاجابة فمن کان محتاجاً الی الاجابة فلیدع ربه بالاجتماع و من لا، فلا یدع مطلقا لا بالاجتماع ولا بالانفراد.

و ایضاً ذکر فی (نور الایضاح) و شرحه (مراقی الفلاح ص: ١٧٤) و یستحب ان یشتغل بعده ای بعد التطوع و عقب الفرض ان لم یکن بعده نافلة یستقبل الناس ان شاء ان لم یکن فی مقابلة مصل الی ان قال، و یستغفرون الله العظیم. فعلم من هذا مشروعیته بالهیئة المعمولة ثم الدعاء لها آداب: رفع الایدی عند الدعاء و لذا ذکر الامام البخاری

---

(١) حسن البصري توفي سنة ١١٠ هـ. [٧٢٧ م.]

(٢) مؤلف، شرعة الاسلام الامام زاده محمد توفي سنة ٥٧٣ هـ. [١١٧٨ م.] في بخاری

باب رفع الايدى فى الدعاء. (ج:٢، ص: ٩٣٨)

و ايضاً ذكر فى (نور الايضاح) ثم يدعون لانفسهم و للمسلمين رافعى ايديهم و ذكر الشارح فى تلك الصفحة فى اثباته قوله عليه الصلوة والسلام (اذا دعوت الله فادع بباطن كفيك ولا تدع بظهورهما فاذا فرغت فامسح بهما وجهك) اهـ. (ص: ١٧٣)

و منها تقديم الحمد و الصلوة على الدعاء قال فى (الحصن الحصين) فى بيان آداب الدعاء، (ص:٢٢) و تقديم عمل صالح قال فى (الحرز الثمين) اى قبل الدعاء ليكون سبباً لقبوله كما فى حديث ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى صلوة التوبة-والصلوة و الثناء على الله اولا و آخرا و الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك. قال فى (الحرز الثمين) قال فضالة بن عبيد سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله و لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره (اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد ربه و الثناء ثم يصلى على النبى وسلم ثم يدعو بما شاء.)

و منها التوسل الى الله تعالى بعباد الله الصالحين و قد ذكرنا بالاستيفاء.

و من آداب الدعاء تكرار الدعاء لان الامام البخارى ذكر باب تكرار الدعاء (ج:٢، ص:٩٤٥) و فى (الحصن الحصين) و ان يكرر الدعاء و اقله التثليث.

قال فى (كنز العباد)[١] و يلح فى الدعاء لقوله عليه الصلوة و السلام (ان الله يحب الملحين فى الدعاء) و ادنى الالحاح ان يكرره ثلاثا و الاوسط خمساً و الاكمل سبعاً (ص:٢٤) و فيه ان دعاء القائم فى القبور افضل.

و ذكر الامام مسلم (ج:١، ص:٣١٣) فى واقعة بقيع الغرقد انه عليه الصلوة و السلام رفع يديه ثلاثا. قال الامام النووى رحمة الله عليه: فيه استحباب اطالة الدعاء و تكرر رفع اليدين.

و ايضاً ذكر الامام حجة الاسلام الغزالى فى كتابه المعروف: قال مجاهد ان الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلاة (احياء العلوم: ج:١، ص:٢١٠)

(١) مؤلف كنز العباد الفارسي علي بن احمد الغوري

و ایضـا ذکر واقعة حبیب العجمی حیث کان حبیب العجمی[1] یدعوما یزید علی قوله اللهم! اجعلنا جیدین، اللهم! لا تفضحنا یوم القیامة، اللهم! و فقنا للخیر و الناس یدعون فی کل ناحیة و راءه کان یتعرف برکة دعائه. (احیاء العلوم: ج:۱، ص: ۲۱۱)

قـال ابو سلیمان الدارانی من اراد ان یسأل الله حاجة فلیبدأ بالصلوة ثم یسأل حاجته ثم یختم بالصلوة فان الله تعالی یقبل الصلا تین و هو اکرم من الله ان یدعو ما بینهما (ج:۲، ص:۲۱۲) فعلم من هذه العبادات نفس الدعاء و بعد الصلاة و التکرار و تقدیم الحمد و الصلوة و الختم بها و الدعاء بالاجتماع و هذا تحلیل الدعاء المتعارفة.

و ایضاً قال (صاحب البحر) لکن السنة عندنا مقدمة علی الدعاء الذی هو عقب الفراغ (ج:۱، ص:۳۰٤)

و فی (شرح شرعة الاسلام) و یغتنم الدعاء بعد الفرض و قبل السنة علی ما روی عن البقالی و بعد السنن و الاوراد علی ما روی عن غیره و هو المعمول المشهور فی زماننا فعلم من لفظ (عندنا) ان هذا مذهب الاحناف و صاحب (البحر) اعرف بمذهب امامه و ذلك فی (ص:۱۱۵) و یدعو الامام للقوم بالخیر بعد الصلاة ای یدعو بعد قراءة الاوراد و الاذکار الماثورة علی ما هو المتعارف بین الائمة رحمهم الله تعالی الی ان قال و فی (قنیة الفتاوی[2]) و اذا کانت صلاة لیس بعدها سنة یستقبل القوم بوجهه هذا هو السنة اذا لم یکن بحذائه رجل مسبوق یصلی و اما اذا کان فلا یستقبل.

و ایضاً ذکر فی (شرح شرعة الاسلام ص:۱۱٦) و ذکر الامام ابو اللیث فی (شرح المقدمة) نقلا عن ابی حنیفة رحمة الله علیه من انه اذا دعا الامام بعد الصلاة حوّل وجهه الی الجماعة اه. و هذا ایضاً ظاهر فی الدعاء المتعارفة کما لا یخفی علی ذی لب.

و ایضاً روی عن ابی مالك الاشجعی عن ابیه کان رجل اذا سلم علمه النبی صلی الله تعالی علیه وسلم الصلوة ثم امره ان یدعو بهذه الکلمات (اللهم اغفر لی و ارحمنی و اهدنی و عافنی) رواه مسلم (المشکاة ص:۲۱۰.)

و روی عن مسلم بن ابی بکرة قال کان ابی یقول فی دبر الصلاة (اللهم انی

(۱) حبیب العجمي تلمیذ حسن البصري توفي سنة ۱۲۰ هـ. [۷۳۹ م.]
(۲) مؤلف قنیة الفتاوی المختار الزاهدي الحنفي توفي سنة ٦٥٨ هـ. [۱۲۵۹ م.]

اعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر) فكنت اقولهن فقال: اى بنىّ! عمن اخذته قلت: عنك فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقولهن فى دبر الصلاة رواه الترمذى (المشكاة ص: ٢١٠)

فانظر الى اهتمام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعاء بعد الصلاة حيث يعلم المشرف بالاسلام الصلاة ثم الدعاء و كان فعله عليه الصلوة و السلام ايضا كذا وهو معنى قوله تعالى (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ۞ الانشراح: ٧) و ذكر مسئلة الدعاء فى (شرح شرعة الاسلام) فى موضع آخر و رجح الاجتماع.

و ذكر فى (الهداية ج: ١، ص: ١٥٦) والسنة فى الادعية تاخيرها عن الصلوة و البداية بالثناء ثم بالصلاة سنة الدعاء (الهداية ج: ١، ص: ١٦٠) و ذكر فى موضع آخر لان الثناء و الصلوة يقدمان على الدعاء كما فى غيره من الادعية تقريبا الى الاجابة و الرفع سنة الدعاء (الهداية ج: ١، ص: ٢٢٤) و ذكر فى موضع آخر و الجمع ارجى فى الاجابة (الهداية ج: ١، ص: ١٢٤)

و ذكر فى (الهداية) ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان مادًّا يديه كالمستطعم المسكين (ج: ١، ص: ٢٢٤) فعلم من هذه العبارات ايضاً تقديم الحمد و الصلوة و رفع اليدين و فضيلة الاجتماع و رجاء الاجابة فضلا عن ان تكون بدعة قبيحة.

و ايضاً ذكر العلامة محمد انور شاه الكشميرى نور الله مرقده فى (فيض البارى شرح البخارى) الدعاء بالهيئة الكذائية ليست ببدعة بمعنى انه لا اصل له فى الدين. فمن كان محتاجا فليدع بالاجتماع و من لافلا.

و ايضاً ذكر العلامة الشامى و يكره تاخير السنة الا بقدر (اللهم انت السلام) و اما ما ورد من الاحاديث فى الاذكار عقب الصلوة فلا دلالة فيه على الاتيان بها قبل السنة بل يحمل على الاتيان بها بعدها لان السنة من لواحق الفرض و توابعه و مكملاته فلم تكن اجنبية (شامى ج: ١، ص: ٤٩٤) فعلم من كلامه ان السنن من المكملات و الفصل بين المكمَّل - بصيغة اسم المفعول - والمكمِّل - بصيغة اسم الفاعل - غير مشروع.

و ايضا ذكر فى (المشكاة) كان عليه الصلوة و السلام يقول: (فى دبر صلاة الفجر دعاء) (ص: ٢١٢)

و ايضاً روى عن الحارث بن مسلم التميمى عن ابيه انه عليه الصلوة و السلام اسر اليه فقال: (اذا انصرفت من صلاة المغرب فقل قبل ان تكلم احدا اللهم اجرنى من النار سبع مرات واذا صليت الصبح فقل كذلك).

و ايضاً روى عن امام المسلمين ابى حنيفة رحمة الله عليه و انه قال اذا دعا الامام بعد الفراغ من الصلاة حول وجهه الى الجماعة.(فتاوى الفقيه ابى الليث ص:١٣.)

و اما عدم ثبوت الدعاء بعد السنن من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالهيئة المتعارفة مع القوم فلان اكثر عادتهم المباركة كانت اداء السنن فى البيت كما فى حديث (افضل صلاة المرأ فى بيته الا المكتوبة)

و العبد الضعيف بعد ما كتب شيئا فى مسئلة الدعاء بحسب توفيقه وصل الى كتاب (كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب النجدى) و ضم الشيخ معد مسئلة الدعاء بعد السنن فلا بد ان اذكر لك شيئا ضمبما على ذلك الكتاب لمناسبة بحث الدعاء. فنقول ذكرنا سابقاً تعريف البدعة بانها ما لادليل عليها اصلا لا قولا ولا فعلا ولا تقريرا لامن الكتاب بانواعه ولا من الحديث باقسامه ولا دليل آخر. بل ذكر فى (الدر المختار ص:٣٣٧) و (رد المحتار) و (شرح النخبة)[1] (ص:٥٢) هى اعتقاد خلاف المعروف عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا بمعاندة بل بنوع شبهة. فاطلاق البدعة على الدعاء ممنوع سيما البدعة القبيحة و الذكر بالاجتماع ليست ببدعة كما فى الحديث القدسى (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه.)

و ذكر الامام مسلم (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر) وما ذكرت من انكار عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فنقول قد ذكرنا انه انكر على التثويب ايضا ومع ذلك استحسنه المتاخرون كما نقلنا عن (الهداية).

و اما الانكار على الاجتماع لصلوة الضحى لان صلاة الضحى نافلة و التنفل على

(١) مؤلف النخبة احمد ابن حجر العسقلاني الشافعي توفي سنة ٨٥٢ هـ. [١٤٤٨ م.]

سبيل التداعى مكروه كما صرح به الفقهاء فكيف يقاس عليها الدعاء و الحال ان الاجتماع فى الدعاء ارجى فى الاجابة كما فى (الهداية)

و ايضا ذكر فى (عين العلم: ص:٦٨) و منها الدعاء و الدعاء مخ العبادة و حقه ان يترصد شرائف الاوقات الى ان قال و الكون فى جماعة تبلغ مائة و الوقوف بعرفات و الملتزم و زيارة قبره عليه الصلوة و السلام.

فعلم من كلام (الهداية) ان الجمع ارجى فى الاجابة وكذا من كلام (عين العلم): ان الجماعة اذا كانت مائة فالدعاء فيها فى شرائف الاوقات لا ان تكون بدعة قبيحة.

وما قال ان التقرب الى الله تعالى لايكون الا بما شرع على الوصف الذى شرع.

فالجواب عنه من قبيل القول بالموجب بان الدعاء مشروع بنفسه و بوصف الجماعة بل الدعاء بالجماعة ارجى فى القبول كما علم من (الهداية) و (عين العلم) و كون الدعاء بعد الصلاة ايضا وصف مشروع الدعاء على ما هو مقتضى الدلائل.

وما قال نقلا عن ابن رجب[١]: قد يكون اصل العمل مشروع فيدخل فيه ما يفسده.

فنقول العبارة الصحيحة مشروعاً لان خبر كان من المنصوبات على ان نفس الدعاء لما كانت مشروعة كما هو المسلم عند المنكرين و كونه بعد الصلاة بهيئة الاجتماع ليس وصفامفسدا للدعاء بل مكمل فلا تقوم حجة علينا كما لايخفى.

وما قال ان الغلو، الابتداع.

نقول لما لم يكن نفس الدعاء بدعة و كونه بعد الصلوة و بهيئة الاجتماع مكمل له فكيف تكون بدعة داخلة فى الغلو؟

و ما قال فالدعاء عبادة مثل العبادات الاخر لكن بشرط ان تكون على الطريقة المنقولة من الشارع عليه السلام.

---

(١) زين الدين عبد الرحمن بن احمد الشهير بابن رجب الحنبلى المتوفى بدمشق سنة ٧٩٥ هـ. (١٣٩٣ م.)

فنقول الطريقة المحمودة من الشارع لاتختص بالحديث الفعلى فان الحديث القولى ايضا حجة و قد ذكرنا فى الدعاء احاديث قولية منها ما روى (**ان صلاتكم جعلت فى خير ساعاتكم فاذا صليتم فادعو خلف صلاتكم**) و هذا الخطاب انما هو للجمع و لله در العلامة الكشميرى رحمة الله عليه حيث قال فى (فيض البارى):ان الدعاء ليس ببدعة بمعنى انه لا اصل له فى الدين.فعلم ان له بالهيئة الكذائية اصلا فى الدين فلا تكون بدعة و القياس على الاذان لصلوة العيدين قياس مع الفارق لان الاذان من خصوصيات الفرائض الخمسة بخلاف استحباب الدعاء فانه لايختص بالفرائض ولا بالنوافل ولا بالاجتماع ولا بالانفراد فالقياس فاسد و الدليل كاسد،سيما اذا دلت الدلائل على استحباب الدعاء بعد الصلاة بهيئة الاجتماع و كون هيئة الاجتماع ارجى فى الاجابة:

و الحاصل ان الدعاء بعد الصلاة بهيئة الاجتماع المعمولة لنا مشروع بوجوه:

اما اولا فلان الدعاء بعد الصلاة بهيئة الاجتماع ليست زيادة حتى ترفع الاصل فان الدلائل دالّة عليها.

و اما ثانياً فلان الهيئة الكذائية فى الدعاء ليست زيادة حتى تبطل الاصل و القياس على الركعة الخامسة ظاهر الفساد. و الزيادة على التثليث فى الوضوء ورد فيها و عيد.قال عليه الصلوة و السلام (**فمن زاد اونقص فقد تعدى وظلم**) و لا وعيد فى الدعاء بعد الصلاة فظهر الفرق.

و اما ثالثاً فلان هذه الهيئة ليست ببدعة بمعنىما لا اصل له فى الدين فلا تدخل فى الابتداع و الاختراع و حكم العلامة الشامى على الاختراع عند عدم الدليل لامطلقاً.

و اما رابعاً فلان الدليل لاينحصر فى الفعل و الا لتعطل كثير من الاحكام الشرعية.

و اما خامساً فلان مشروعية الدعاء بالهيئة الكذائية لما كانت ثابتة بالدلائل القولية كان تشريعاً من الشارع فلا تدخل فيما لم ياذن به الله تعالى.

و اما سادساً فلانه لاحرج فى الدوام على الامر المندوب المستحسن.الا ترى الى

مداومة المحقق البغدادى على تلاوة (سورة الملك) كل ليلة حيث حمد الله بذلك مع ان تلاوة (سورة الملك) من المستحسنات لا من الواجبات و كذا اهتمام بلال رضى الله تعالى عنه لتحية الوضوء و اهتمام الصلحاء القيام للتهجد و غير ذلك من المستحبات و قد ورد فى الحديث (خير العمل ما ديم عليه) نعم فرق المراتب ضرورى بان نرى الفرض فرضاً و الواجب واجبا و المستحب مستحباً و هكذا و هذا معنى قول القائل .

مصرع:

گر فرقِ مراتب نكنى زنديقى

و اما سابعاً فلان هذه الطريقة لما كانت موافقة للدلائل كان التعبد من الشارع و الملام على من انكر الاستحباب و الانكار عن استحباب الامر المستحب سبب الملام كما لايخفى على اصحاب الدراية.

و اما ثامناً فلان اعتقاد الاستحباب بدلائل شرعية من النصوص المطلقة التى تجرى على اطلاقها و المقيدة فلايكون مكروهاً و نفس المداومة على المندوب مما لاحرج فيه فان خير العمل ما ديم عليه و لحديث فيه (نعم العبد فلان الا انه ترك القيام الى التهجد) او كما قال.

واما تاسعاً فلان رد الصحابة كثيرا من العبادات انما كان لاجل عدم الدليل الشرعى عليها و ههنا و جدت الدلائل فالقياس قياس مع الفارق.

و اما عاشرا فلان عدم النقل فعلا انما يدل على الكراهة اذا لم يوجد دليل آخر على جواز الفعل و الافيعد من الوجوه الفاسدة اذ عدم دليل لايدل على عدم الحكم اذ الحكم لايثبت فى المسكوت كما تقرر فى كتب الاصول فى بحث الوجوه الفاسدة و القياس على التنفل بعد الفجر و صلاة العصر ممنوع لانه وجد الدليل على الدعاء و لم يوجد الدليل على جواز التنفل بعد الفجر وصلاة العصر و الترك فعلا دليل العدم اذا لم يوجد دليل شرعى آخر على الفعل و ههنا وجد فكيف يصح القياس. فتلك العشرة بتلك العشرة.

وما قال ان المراد من التطوع فى قول المراقى الاوراد.

فاعجب المجاب فان عبارة (نور الايضاح) بشرحه هذه: ويستحب ان يستقبل بعده اى بعد التطوع و عقب الفرض ان لم يكن بعده نافلة يستقبل الناس و يستغفرون الله ثلاثا و يقرؤن آية الكرسى و يقرؤن المعوذات و يسبحون الله ثلاثاً و ثلاثين و يحمدونه كذلك و يكبرونه كذلك ثم يقولون (لا اله الا الله) ثم يدعون لانفسهم و للمسلمين رافعى ايديهم اهـ. فان لفظ النافلة صريح فى ان المراد منه صلاة النافلة لا الورد فعلم ان المراد من التطوع ايضاً الصلوة و ايضاً الورد ذكر ههنا صريحا من قراءة التسبيح و التحميد و المعوذات و آية الكرسى و التكبير و مع ذلك ذكر ثم يدعون لانفسهم و للمسلمين رافعى ايديهم بصيغ الجمع و هذا ظاهر فى الدعاء بعد السنن و بعد الاوراد بالهيئة الاجتماعية المعمولة فى ديارنا.

فانظر ايها اللبيب الى هذه المغالطات لاثبات مطلوبه فعليك بالتفطن اللائق و التذكر الفائق فان هذه المواضع من مزال الاقدام و لنعم ما قال الشاعر:

بيت:

تسمع بالمعيدى خير من ان تراه * و ستعرف قدرد ان انفتح فاه

و قد افتى فى مسئلة الدعاء مولانا و اولانا المحدث الفرغشتوى دامت بركاته و فيوضاته بالاستحباب بان الدعاء بالهيئة الاجتماعية المعمولة مستحب و معنى (بعد الفرض) بعد السنن لان السنن مكملات و قد اشعنا فتوى المحدث المحقق فى الجرائد (الاخبارات) لكن التعصب امر مهلك يخالف المرء بسبب التعصب عن فتوى استاذه استاذ العلماء اجارنا الله من التعصب و اعاذنا الله من التعنت و البهتان و الايذاء و التفريق بين المسلمين بجاه الرسول الامين. و هذا نبذ من مسئلة الدعاء و التفصيل يقتضى بسطاً و فيما ذكرنا كفاية للمنصف لا للمتعصب المتعنت.

فان قيل لم اذا عطف هذا على ان يستقبل فيكون يستغفر بحذف النون الاعرابي لانه مقتضاه ان يحذف النون قلنا هذا حال بحذف المبتدأ المقدرة اى وهم يستغفرون الله الخ فلا يرد ما يرد.
من افادات مولانا سيد قر ... مولانا محمد الله جان

البحث الرابع فى حيلة الاسقاط

فانه كثر فيها الشغب من المنكرين المعاندين و قد صنف الشيخ فيها رسالة سماها بـ (النشاط من حيلة الاسقاط) و لاينشط من سماعها آذان العاقلين و لاينشط لها ذو عقل صائب عن حيلة الاسقاط، اذ امتلأت تلك الرسالة من السب و الطعن على العلماء فهى من قبيل قولهم بر عكس نهند نام زنجى را كافور و لنذكر قدرا ضروريا فى هذا الباب لتكون بصيرة لاولى الابصار و الالباب فنشرع اولا فى تشريح الاسم ثم نثبت المسمّى.

فاعلم ان حيلة الاسقاط مركب اضافى من اضافة الحيلة الى الاسقاط وتشريح المركب موقوف على تشريح اجزائه لتوقف معرفة المُركب على معرفة الاجزاء فنقول الحيلة و هى ما يتوسل به الى مقصود بطريق خفى مباح كما ذكر الامام البخارى فى (ج: ٢، ص: ١٠٢٨)(كتاب الحيل). قال الشارح: جمع حيلة و هى ما يتوصل اه . و الاسقاط مصدر من باب الإفعال، مجرده سقط يسقط معناه اسقاط الصلاة و الصوم و نحوهما عن ذمة من عليه فمعنى المركب الاضافى حيلة فى اسقاط هذه الأمور او لاسقاط هذه الامور.

اذا عرفت هذا فاعلم ـ وفقك الله ـ ان نفس الحيلة مما لاينكر عنه عاقل فضلا عن فاضل لذكرها فى القرآن كما ذكر فى (سورة يوسف) على نبينا و عليه الصلوة و السلام لابقاء اخيه (بنيامين) عنده بخبأ صاع الملك فى رحله ثم النداء بقوله (...أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴿ يوسف :٧٠) و قال الله تعالى بعد ذلك (... كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴿ الآية. يوسف :٧٦) فعلم ان الله تعالى ما انكر عليه تلك الحيلة بل ذكرها فى مقام الامتنان.

و كذا ذكر الله واقعة ابراهيم على نبينا و عليه الصلوة و السلام حين طلب الكفار ان يذهب معهم الى عيدهم (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴿ الصافات: ٨٨ ـ ٨٩) فتطلب الحيلة و المخرج لعدم ذهابه معهم والله تعالى ذكرها و ما انكر عليه.

و ايضا علم الله ايوب على نبينا و عليه الصلوة و السلام حين حلف ليضربن

امرأته مائة جلدة (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ* الاية. ص: ٤٤).

فعلم ان الانكار عن نفس الحيلة سواء عبر عنها بعنوان المخارج او بعنوان الحيل انكار عن القرآن و ايضا ذكر الامام البخارى (كتاب الحيل) كما مرّ و ايضاً ذكر فى كتب الفقه حيل كثيرة فى (كتاب الشفعة) و كذا فى (باب الطلاق) فكيف الانكار عن مطلق الحيلة.

و ايضاً ذكر (المعاريض) كما ذكر فى الرواية (اذا احدث احدكم فى الصلوة فليأخذ بانفه حتى يظن الناس انه رعف) و (المعاريض) ايضاً من قبيل الحيل.

و بالجملة الانكار عن مطلق الحيل مخالف عن الكتاب و السنة و اقوال الفقهاء سواء عبر عن ذلك بـ(الحيل) او بـ(المعاريض) او بـ(المخارج) فان الاعتبار للمعانى.

بيت: عباراتنا شتى و حسنك واحد * و كل الى ذاك الجمال يشير

و هذا بيان نفس الحيلة.

و اما الحيلة للاسقاط اى الحيلة المقيدة المتنازع فيها.

فنقول تلك الحيلة انما تكون لتكثير المال فان المال اذا كان قليلا و الفدايا كثيرة لابد من تلك الحيلة لان نفس الفدية لاينكر عنها من له ادنى دراية سواء كانت فدية الصلاة و الصوم و اما فدية الصوم فثبتت بقوله تعالى (...وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ* الآية. البقرة: ١٨٤).

و فدية الصلاة ثبتت بدلالة النص لان الصلاة اهم من الصوم كما صرح به فى (الشامى) و غيره من كتب الاصول فان الدلالة ان يكون غير المنطوق فوق المنطوق كما فى قوله تعالى (...فَلاَ تَقُلْ لَهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا* الاية. الاسراء: ٢٣).

علم أن حرمة الضرب بالدلالة وفدية كل صلاة كفدية صوم و الوتر صلاة على حدة فالصلوات فى يوم و ليلة ستّ فاذا ضرب الستّ[١] فى ايام السنة حصل الفان و مائة وتسعون والفدية الواحدة مقدار الفطرة ومقدارها صاع من تمرة او شعير و نصف صاع من الحنطة و مقدار الصاع على ما حققه محققو هذا الزمان كمولانا محمد شفيع الديوبندى فى رسالة سماها بـ (ارجح الاقاويل فى اصح الموازين و المكائيل) الصاع مائتان و ثمانون تولجة

(١) ٦ × ٣٦٥ = ٢١٩٠ (الفان و مائة و تسعون) فدية صاع من الحنطة

فنصف الصاع مائة و اربعون تولجة فالصاع بوزننا اذا كان السير ثمانين تولجة ثلاثة اسار و نصف و نصف الصاع نصف ذلك فاذا ضربنا مقدار نصف الصاع فی السنة تحصل فذلكة الحساب على تقدير كون الفدية حنطة اذا لم تخطأ اربعاً و عشرين اسار و ثلاثاً و تسعين منّاً و اذا كانت قيمة المن عشرين درهما، يحصل مجموع القيمة الف و ثلاثمائة و اثنان و سبعون درهما و لذا بين العلماء حيلة الدورة.[١]

قال فی (نور الايضاح): وان لم يف ما اوصى به عما عليه يدفع ذلك للفقير فيسقط عن الميت بقدره ثم يهبه الفقير للولى و يقبضه ثم يدفعه للفقير فيسقط بقدره ثم يهبه الفقير للولى و يقبضه ثم يدفعه الولى للفقير و هكذا حتى يسقط ما كان على الميت من صيام و صلاة و يجوز اعطاء فدية صلوات لواحد جملة بخلاف كفارة اليمين والله سبحانه و تعالى اعلم (ص: ١٠١).

قال فی شرحه (مراقی الفلاح) قوله و ان لم يف ما اوصى به الميت عما وجب عليه من الفدية او لم يكف ثلث ماله او لم يوص بشئ و اراد احد التبرع بقليل لايكفى فحيلته لابراء ذمة الميت عن جميع ما عليه ان يدفع ذلك المقدار اليسير بعد تقريره بشئ من صيام او صلاة او نحوهما و يعطيه للفقير بقصد اسقاط ما يرد عن الميت فيسقط عن الميت بقدره ثم بعد قبضه يهبه الفقير للولى او للاجنبى يقبضه لتتم الهبة و تملك ثم يدفعه الموهوب له للفقير بجهة الاسقاط متبرعاً به عن الميت. اه.

فعلم من هذين الكلامين جواز دفع الولى للفقير و هبة الفقير للولى او اعطاء الولى للفقير و الفقير للاجنبى فكلا الطريقين جائزان.

و فی (جامع الرموز: ج:١، ص:١٦١) و فدية كل صلاة مكتوبة او واجبة كالوتر دون السنة فانها فی سعة من الترك كصوم يوم اى كفديته و قيل فدية صلاة يوم كصومه ان كان معسرا و الظاهر خلافه كما فی (الخزانة) قال محمد بن مقاتل بلا قيد الاعسار و عامة

---

(١) قال العلامة الشامي في حاشية الدر المختار (اعلم ان الحنفية يقولون ان الصاع اناء يسع ثمانية أرطال من العدس و الرطل نصف منّ والمنّ = مائتان وستون درهما شرعيا و الصاع الف و اربعون درهما و الدرهم الشرعي اربعة عشر قيراطا والقيراط خمس شعيرات) و القيراط اربعة و عشرون سانتي غراما الدرهم الشرعي عند الحنفية ثلاثة غرامات و ستة و ثلاثون سانتي غراما نصف صاع ١٧٥٠ غراما

المشائخ مالوا الى الاول و عليه الفتوى كما فى (الكرمانى) و القياس ان لا يجوز الفداء عن الصلاة و اليه ذهب البلخى كما فى (قاضى خان) و الاستحسان ان يجوز الفداء عنهما.

اما فى الصوم فلورود النص و اما فى الصلاة فلعموم الفضل و لذا قال محمد: يجزئها ان شاء الله تعالى و فى الكلام رمز الى انه لو فرط فى ادائها باطاعة النفس او خداع الشيطان ثم ندم فى آخر عمره و اوصى بالفداء لم يجز لكن فى ديباجة (المستصفى) دلالة على الإجزاء و على انه لو لم يوص و تبرع عنه الوارث جاز و قال محمد يجزئ ان شاء الله تعالى.

و فى (الزاهدى) قيل انه لم يجزئ الصوم و فى التحقيق لم يجزئ الصلاة و لا خلاف فى انه امر مستحسن يصل ثوابه اليه و ينبغى ان يفدى قبل الدفن و ان جاز بعده و كيفيته ان يسقط من عمره اثنا عشر سنة و من عمرها تسعة ثم يدفع للباقى من العمر الى مسكين من ملكه دفعة واحدة ان كان الثلث وافياً بالفدية والا فيدفع اليه ما يملكه فيقبضه ثم يهبه من الدافع فيقبضه ثم يدفعه الى المسكين ثم و ثم الى ان ينتهى عمره و ان لم يملك شيئاً استقرض وارثه شيئاً و ينبغى ان يقول الدافع الى المسكين فى كل مرة انى ادفعك مال كذا لفدية صوم كذا من فلان ابن فلان ابن فلان المتوفى و يقول المسكين قبلته و اطلاق كلامه يدل على انه لو دفع الى فقير جملة و لم يشترط العدد ولا المقدار و لكن لو دفع اليه اقل من نصف صاع لم يعتد به و به يفتى كما فى أيمان الصغرى. فعلم من هذه العبارة بيان جواز الحيلة سواء اوصى الميت او لا و علم انه ان لم يجزئ عن الفدية فلا يهدر ثوابه بل امر مستحسن يصل ثوابه الى الميت.

و علم ايضاً جواز الاستقراض بل استحسانه ان لم يكن شيء لهذه الحيلة.

و علم ان الفدية قبل الدفن اولى على رغم انف المنكرين حيث قالوا ان فيه تأخير الدفن فان تأخير الدفن لاجل اسقاط حق واجب ثابت. الا ترى الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تأخر عن جنازة من عليه دين حتى تكفل عنه احد ثم صلى عليه و هل هذا الا تأخير الدفن فان الصلاة اذا اخرت، الدفن ايضا يؤخر.

و علم ان الاعطاء جملة لفقير ثابت جائز و ان اعطى اقل من الفدية لا يجوز.

و ما قال الشيخ طاهر الوهابي في الطعن و السب و البهتان ان ذلك طريق احدثه المبتدعة للتآكل فيما بينهم اخذوها عن براهمة الهند الى آخر ما قال و افترى.

فنقول لما كانت نفس الحيلة جائزة ثابتة فى النصوص و الروايات و كلام الفقهاء و ايضا حيلة الاسقاط ثابتة عن العلماء و الفقهاء كما علمت.فكيف ينسب اليها الابتداع و الاختراع وقد علمت تعريف البدعة مما مر.

و ايضا التأكل اموال الناس بل اموال المحارم و ايذاؤهم من ديدنهم فانه يأخذ الفدايا ناظمه و يدخله فى بيت المال و يقول الشيخ:اصرفه على الطلبة و المعطون الجاهلون لايعلمون انه كيف تجوز هذه الفدايا لانه لم يوجد فيه التمليك و التملك من المسكين فان الناظم و الشيخ كلاهما غنيّان و ليس فى بيت المال رجل آخر مسكين يقبضه و ان قالوا انه يقبضه طالب العلم فنقول صار ذلك القابض مالكاً فيصدق عليهم المثل السوء،لانه يأكل منه على تقدير صدق كلامه من لم يات بعد قبل شروع الترجمة.

و ان قالوا ان هذه حيلة لنفع الطلاب، فنقول: قد قلتم بالحيلة و قد انكرتموا عنها و ضيعتم فدايا الناس و هذه خيانة عظيمة.

و ان قال فى ذلك نفع الطلبة.

فنقول فى هذه الحيلة نفع المسلمين الاموات و فيما قلت على تقدير صحة كلامك نفع الأحياء و الأموات احوج الى النفع من الأحياء.الا ترى الى تكفل الصحابى رضى الله تعالى عنه عن دين الميت بسبب منعه عليه الصلوة و السلام عن صلاة الجنازة عليه.

بيت:

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * و ان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

و اما الكفالة عن الميت فحكمها مذكور فى كتب الفقه بانها لا تصح و ما ذكر كان وعدا لاداء دَينه الا انه علم منه اهتمام اداء الحقوق حيث منع عليه الصلوة و السلام

عن اداء الجنازة عليه. و لايظن احد أن فيه انكارا على الطريقة المعمولة لاهل المدارس الدينية لان الكلام الزامى على الشيخ المنكر عن الحيلة. و نحن قائلون بالحيلة لنفع الأحياء و الاموات فتأمل و لا تكن من المسرعين فى الرد و القبول.

و ايضاً تدخل زكاة بلده ممن يعتقدونه فى بيت المال فهو احق ان يسمّى ببيت ضياع الفدايا و الاموال و لنعم ما قيل (يرى احدكم خزعاً فى عين اخيه ولا يرى جذعا فى عينه) فعليك بالتجنب عن التعصب و الاعتساف.

و كيف اخذ العلماء طريقة للتأكل؟ فان كثيرا ما رأينا اذا كان فى الورثة صغار و لم يوص الميت يفعلوا الدورة و يعيدون الى الورثة و كثيرا يستقرض المال للدورة.

و ايضا اذا اوصى الميت فاى حرج فيه و ان كان فى الورثة صغار على ان الفقهاء الكرام القائلين بالحيلة المذكورة ممن اخذوها أ اخذوها من براهمة الهند؟ بئس ما قلت!

على انه اذا كان فى الورثة صغار و ياخذ البالغ الغرامة المالية على نفسه فاى حرج و اى ظلم فى ذلك بل الظلم فى ان ياخذ المال من اخيه المحرم بعد الوف خديعة فهذا الطريق ممن اخذه الشيخ ومن له قدوة فى ذلك.نعم،له قدوة فى ذلك وهو محمد بن عبد الوهاب النجدى [١] كان من الخوارج و الخوارج يجوزون اخذ مال من خالف عن عقيدتهم الزائغة كما ذكر فى عقائد علماء ديوبند نقلا عن العلامة الشامى على مامرّ مفصّلا.

وما ذكر من قياس حيلة الاسقاط المنقولة عن الفقهاء لنفع الميت على حلة اصحاب السبت للاصطياد المحرم عليهم، تعسف ظاهر وتعنت باهر.

و ما ذكر من التمسك بقوله عليه الصلوة و السلام (العائد فى هبته كالكلب العائد فى قيئه) ولذا يسمون ذلك بقئ الكلب فهذا يدل على جهله عن كتب الحديث و الفقه بوجوه:

اما اولا فلأنه لامطالبة من الواهب فيما ذكرنا بل يهبه الموهوب له برضائه و

---

(١) المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ. [١٩٧١ م.] في درعية

رغبته نفعاً للميّت من غير مطالبته. على ان فى صورة الدورة المتعارفة المعمولة فى ديارنا ليس هبة الموهوب له للواهب بل يهب الموهوب له للآخر و هكذا نعم، يعود فى الاخير الى الواهب الاول لكن لا مطالبة منه فى ذلك.

و اما ثانياً فلأن الرجوع فى الهبة صحيح كما صرح به الفقهاء اذا لم يوجد مانع من رجوع الهبة على طريق السلب الكلى كما ذكر الفقهاء موانع الرجوع في الهبة «خروف دمع خزقة» ولاشك انه لم يوجد المانع فيما نحن فيه كما لايخفى.

و اما ثالثاً فلأنه ورد فى الحديث (**الواهب احق بهبته مالم يثب**) فعلم من هذا الحديث ان الواهب مالم يأخذ العوض عن هبته احق بهبته.

و اما رابعاً فلأن فعل الكلب لايوصف بالحرمة لعدم كونه مكلفاً. نعم، فيه كراهة طبيعة فكيف تثبت منه الحرمة؟

و اما خامساً فلان الهبة الاولى قد تمت بالايجاب و القبول و القبض و الموجود ثانياً و ثالثاً مثلا هبة أخرى بايجاب و قبول و قبض جديد. نعم، اكل لحم الخنزير مال الاخ المسلم بخديعة. و لنذكر ههنا لطيفة لنشاط آذان السامعين وهى: ان رجلا زنى و حدث حمل من ذلك الزنا و ظهر الامر و وقع الرجل فى الفضيحة فقال له احد من احبابه ترحماً عليه هلا عزلت لئلا تحصل الفضيحة فقال مجيباً ان العزل مكروه عند الامام الاعظم ابى حنيفة رحمة الله عليه فانظر الى هذا الأحمق يرتكب الفاحشة البينة الحرمة حرمة قطعية و يجتنب عن العزل و يقول انه مكروه و هل هذا الا جهل عظيم و جرم جسيم.

و ما ذكر من التضعيف على الفقهاء كالقهستانى [١] صاحب جامع الرموز مثلا.

فنقول هذه المسئلة ذكرها كثير من الفقهاء من كتبهم و ليس فيها مخالفة عن اصول الدين.

---

(١) شمس الدين محمد بن حسام الدين الحنفي المتوفى سنة: ٩٦٢ هـ. (١٥٥٥ م.)

و ما قال ان من اتى للجنازة، انما يأتى للفليسات الحقيرة ولهذا تجدهم لايأتون للفقراء كاتيانهم للاغنياء.

فنقول هذا ظن سيئ بالمسلمين (...إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الآية. الحجرات:١٢) و كيف علم ان الاتيان بنية الفليسات أَلَهُ بذلك دليل ام يقوله رجما بالغيب ام يقيس الغير على نفسه فان فى بلادنا يخلص الناس فى خدمة الاموات الفقراء اكثر من الاغنياء و لعل طريق بلاد الشيخ ما ذكره.

مصرع:

و للناس فيما يعشقون مذاهب

و الحكم لايبتنى على خصوصيات الافراد فان خصوصيات الافراد ملغاة على ان الحكم المذكور على طريق الظن بل الوهم يوجب ان يحكم فى كل الطاعات مثلا الجهاد يقول فيه يذهبون فيه للغنيمة لا لاعلاء كلمة الله فلايكون الجهاد جهادا. و كذا ابناء المدارس و نحن لانسيئ الظن بالمسلمين و فى الحديث (هلاشققت قلبه) فنكتفى بالظاهر و نكل السرائر الى الله القادر القاهر. و حيلة اليهود كانت لتحليل الحرام.

و ما قال لو جازت الحيل لفسدت الشرائع و اختل النظام و يصير الحلال حراما و الحرام حلالا. اه .

فنقول يعلم منه سد باب مطلق الحيلة و التالى باطل فالمقدم مثله.الا ترى الى ما قال صاحب (الدر المختار) فحيلة من علق الثلث بدخول الدار ان يطلقها واحدة ثم بعد العدة تدخل فتنحل اليمين فينكحها (ص: ١٣٠) و قال (قاضى خان) قال رجل لامرأته فلو وطئتك مادمت معى فانت طالق ثلا ثا ثم اراد الحيلة. قال محمد يطلقها تطليقة بائنة ثم يتزوجها من ساعته و يطأها فلا يحنث (ج:٢، ص:٢٢٣)

و مثل ذلك ذكر الحيل الكثيرة فى هذه الصفحات من كتاب الطلاق و بالجملة الاعتبار فى هذه الأمور للنيات و الظاهر بالمسلمين حسن الظن.الا ترى الى ما قال فى (الدر) فاعلم ان النذر الذى يقع للأموات من اكثر العوام و ما يؤخذ من الدراهم و الشمع

و الزيت و نحوها الى ضرائح الاولياء الكرام تقربا اليهم فهو بالاجماع باطل و حرام لم يقصدوا صرفها لفقراء الانام و قد ابتلى الناس بتلك (ص:١٥٣) فانظر الى قيد الشارح كيف قيد و قال ما لم يقصدوا صرفها لفقراء الانام فعلم انهم ان قصدوا صرفها للفقراء لم يكن حراما فان الاعمال بالنيات.

و ما قال فى العنوان اقوال الائمة فى قباحة الحيلة للاسقاط ثم ذكر اقوال علماء الديوبند رحمة الله عليهم لايخفى من المخالفة بين العنوان و المعنون، على انه لم يذكر السؤال بانه من اية حيلة لان حيلة الاسقاط موجودة فى (رد المختار) و (نور الايضاح) و هما معمولان عند علماء الديوبند رحمة الله عليهم فكيف حكموا بعدم جوازها.

و الشارع و ان لم يأمر بها لكن لم ينه عنها ايضا فكيف تثبت الحرمة؟ كيف و الحكم الشرعى لايثبت الا بدليل شرعى قال الله تعالى (...**وَمَآ اٰتٰـكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهٰـكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**۞ الاية. الحشر:٧)

و ما قال ان فيها الزام مالا يلزم وهى بدعة.

فنقول اذا ثبت استحبابه و استحسانه فاى ضرر فى الدوام؟ فان الآلوسى البغدادى قال فى (سورة الملك) ما تركت الى الآن (سورة الملك) ليلة قط مع ان تلاوة سورة الملك من المستحبات على ان الالتزام عد الشئ لازماً. و تعلقه بالاعتقاد فان خير العمل ماديم عليه كما فى الحديث و كما فى حديث بلال رأيت لله علىّ اذا توضأت ان اصلى ركعتين او كما قال فهذه كلها مستحبات كيف الاهتمام فيها؟.

و ما قال من النهى عن المقايسة فى الدين.

فنقول لو كان المراد النهى عن مطلق القياس و الرأى، فذلك باطل فان فيه سد الاعتبار المأمور به فى قوله تعالى (...**فَاعْتَبِرُوا يَآ أُولِي الْاَبْصَارِ**۞ الحشر:٢) و قول ابى بكر رضى الله تعالى عنه: ما قولكم يا اهل الراى؟ و ان كان المراد القياس فى مقابلة النص فهو ليس بموجود فمن ادعى فعليه البيان.

و ما قال من بدعية الدعاء بعد السنن.

فنقول، قد ذكرنا بحث الدعاء فيما سبق بتفصيل اتم. و هلا اتى بدليل عليهم من كتب الأحناف فى واقعة بلدة هوسيء من مضافات المردان وداهيتها عليهم بل كان ديدنه هناك الانكار عن الكتب بان لانسلم (نور الايضاح)، لانسلم الكتاب الفلانى، على ان استاذه و استاذ الأساتذة شيخ الحديث مولانا نصير الدين الغرغشتوى- مد الله ظلاله علينا- افتى [١] بان الدعاء بالهيئة المعمولة مستحب عندى و عند مشائخى رحمة الله عليهم. و معنى ما ورد بعد الفرض بعد السنن لان السنن مكملات للفرض. فالعجب انه انكر عن فتوى استاذه استاذ العلماء. نعوذ بالله من اسائة الادب و كذا غيره من اساتذته قائلون باستحباب الدعاء مثل مولانا الشاه منصورى فانى سمعت منه الانكار على الشيخ فى هذه المسئلة انكارا شديدا و العجب انه اذا قيل له ذلك ينكر عن تلمذه فالعجب،العجب كيف ينكر واقرانه موجودون و على تلمذه يشهدون فكيف الانكار بل انكاره عليه مردود على ان فى انكار التلمذ يسعى فى نقض ما تم من جهته و كل من سعى فى نقض ماتم من جهته فسعيه مردود عليه كما صرح به الفقهاء.الا ترى الى رجل اقر عند القاضى شريح ثم انكر فقال له القاضي شريح[٢]: قد شهد عليك ابن اخت خالتك.

و ما قال من الحوالة على كتاب الامام الشاطبى[٣] (كتاب الاعتصام)

فهو ليس كتاب مذهبنا فلا تكون حجة علينا كما ثبت فى كتب الاصول و العجب،انه يتمسك فى باب سماع الموتى على زعمه بمذهب الامام ابى حنيفة رحمة الله عليه مع ورود الاحاديث المتكاثرة فى سماع الموتى فانظر الى تصلبه فى تقليد الامام الأعظم و ههنا يتمسك باقوال المذاهب الاخر وكتبهم كـ(الاعتصام) للامام الشاطبى و (المدخل) مثلا ولا ينظر الى كتب مذهبه بل يقول لانسلم الكتاب الفلانى فهل لقول مثل هذا القائل اعتبار بل هذا قريب من التلفيق الذى هو حرام باجماع الفقهاء.

وما قال:انهم افتروا عليّ بانواع من الزور.

فنقول:اى شى افترينا عليك فان ما ذكرنا كل ذلك ثابت اما بلسانك و اما

---

(١) فتوى مولانا نصير الدين رحمة الله عليه توجد من المكتبة الرحيمية الفشاورية باثنين ١٢ اسمارى

(٢) القاضي شُرَيح توفي سنة ٧٩ هـ. [٦٩٨ م.]

(٣) عبد العزيز الشاطبي الاندلسي توفي سنة ٤٦٥ هـ. [١٠٧٢ م.]

ببنانك مثلا اخراج الوالدة و ضربها صرحت به فى قرية (شيخ جانا) من مضافات المردان عند بيان اتباع السنة و اما اخذ اموال المحارم فأمر ظاهر لاينكر، و اما اضاعة الفدايا فظاهر لاهل بلدك. و اما انكار الكرامة و الوسيلة فواضح من كتاب (البصائر) و اما رد الفقه. فقد صرحتُ مرارا بانى اقول لهم الحديث وهم يوردون الىّ اقوال الائمة. فهذه كلها ثابتة اما بتقريرك او تحريرك فكيف الافتراء بل انتساب الافتراء افتراء فقولك عليك لا لك.

و لله در المؤلف حيث قطع انف البلغاء و الفصحاء فان فى رسالة (النشاط) اغلاط من حيث العربية،اما من الشيخ المؤلف و اما من الكاتب الرشيد او منهما والظاهر هو الاول،الا انى ما تعرضت لتحقيق العبارة لان الكلام يطول و يخرج عن طور ما اقول.

و اما ما ذكر من تقريظ بعض الناس حيث قال فهذه تحتيق انيق اهـ.

فانظر الى عبارته، فانه لايدرى ان الضمير و اسم الاشارة اذا دار بين المرجع و المشار اليه و الخبر فرعاية الخبر اولى. فالاولى ان يقول فهذا تحقيق انيق بتذكير اسم الاشارة فالعجب منهم لايقدرون على ان يكتبوا جملة صحيحة من حيث العربية ولا علم لهم بقواعد الكافية و يتفوهون بأقوال فى شأن العلماء و يتفاخرون بعلمهم.

بيت:

قد قلت لما جائنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر

و يقولون:نرد الكتاب الفلانى و يحلفون و لنذكر لك واقعة عجيبة فى شان ذلك المقرط و هى انه كان عند العبد الضعيف فى العام الماضى طالب علم يقرأ على كتب الفنون فذهب الى بلدة چارسده.فقال لى بعد الرجوع الى بلدتنا انى قعدت فى درس ذلك المقرط فقال فى ترجمة قوله تعالى (...وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا * الاية. البقرة: ٢٥٥) لايفوض الله حفظ السماء و الارض الى احد. فقلت يا مولانا ان (حفظهما) فاعل و انتم ذكرتم معنى المفعول فقال من اين علمت انه فاعل ولا مفعول فقلت لانه مرفوع اسند اليه الفعل الى جهة قيامه به فكل ما هذا شانه فهو فاعل فهذا فاعل فقال:الفاعل انما يكون مرفوعا اذا لم يكن مضافا فهاسى

مثالا يكون الفاعل فيه مضافاً مرفوعاً فذكرت له مثالا من القرآن على نحو ما طلب. احدها: (وَاَنَّهٗ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللّٰهِ الاية. الجن: ۱۹) ثم قال لى: ما تقول فى معناه؟ فقلت اقول كما يقوله المفسرون ولايثقله حفظهما ثم وقع الانتشار فى الطلبة بصيرورتهم فريقين: فريق فى تأييدى و فريق فى تأييد المقرظ.

فالعجب كل العجب والاسف كل الاسف على بعض مشائخ هذا الزمان يعطون السند لكل احد ولاينظرون الى شرائط السند فى (ديباجة مسلم) هل يقتضى الأهلية ام لا بل يعطى لمن لايعرف المرفوع و المنصوب و المجرور و لاالفاعل و المفعول ولاالغث من السمين ولاالشمال من اليمين و مثل هذه الواقعات كثيرة فى هذا الزمان.

وما ذكر من الاستفتاء و الفتوى فى (ص: ٤٠):

سوال بعد مرنے کے جو طریق اسقاط عوام کرتے ہیں کہ فرائض اور واجبات تجویز کرکے اس کے فدیہ میں جو گندم وغیرہ مقرر ہوئے ان کے عوض ایک کلام اللہ دیکر سب بری الذمہ ہو جاتے ہیں یہ طریقہ مروجہ ثابت اور جائز ہے یا نہیں! از عبدالعزیز مرادآبادی

جواب حیلہ اسقاط مفلس کیواسطے علماء نے وضع کیا تھا۔ اب یہ حیلہ چند فلوس کی تحصیل کے لئے ملاؤں کا مقرر ہوا حق تعالیٰ نیت سے واقف ہے۔ وہاں حیلہ کارگر نہیں مفلس کیواسطے بشرط صحت نیت ورثہ کے گیا عجب ہے کہ مفید ہو۔ ورنہ لغو اور تحصیل دنیا بر دینیہ فقط واللہ اعلم۔ رشید احمد عفی عنہ

فنقول بتوفيق الله و توفيقه ان السؤال ذكر فيه ان الفرائض و الواجبات تكون فى تجويزهم و يعينون لها حنطة مثلا و يعطون فى عوضه كلام الله تعالى و يصير برئ الذمة فانظر بنظر الانصاف و تجنب عن الاعتساف ان حيلة الاسقاط المعمولة فى بلادنا طريقها كما ذكرها السائل كلا و حاشا بل يكون هناك مال بحسب ما تيسرته تديرون المال لتكثير الفدايا نفعاً للميت و الفقهاء صرحوا بها كما علمت سابقاً فكيف يعلم من بطلان حيلة مرادآباد بطلان حيلتنا فهل هذا الا قياس فاسد كاسد و رشيد احمد الجنجوهى الديوبندى اجاب مطابقاً للسؤال فان المفتى يجيب على حسب ما استفتى المستفتى،

بیت: ببین تفاوت ره از کجا ست تا بکجا

على ان المفتى صرح فى جوابه بجواز الحيلة. و بان العلماء وضعوها للمفلس و لا بعد ان يقبلها الله عند صحة النية. و الحكم بجواز حيلة المفلس انما يكون لقلة المال و كثرة الفدايا. و هذا بعينه ما عانا. فاذاً كان واضعها العلماء و فيها رجاء القبول من الله تعالى و ذكرنا من الفقهاء جوازها و ذكرنا سابقاً عن (جامع الرموز) انه و ان لم يجز عن الفدايا لكنه **لا خلاف فى انه أمر مستحسن يصل ثوابه اليه و لا شك فى جوازها.**

و اما ذكر الميلاد بان فيه تقليد الغاندى[1] (گاندى)

فمن اعجب العجاب لان ذكر اوصاف النبى صلى الله عليه و سلم اه شرف عظيم اذا كان بروايات صحيحة او بيان احوال النبى صلى الله عليه و سلم و معجزاته و رياضاته و معاملاته كلها سبب المحبة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذلك سبب الاتباع و قال الله تعالى (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ** الاية. **آل عمران: ٣١**) و السلف كانوا يذاكرون احوال النبى صلى الله عليه و سلم فيما بينهم حتى ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يذكرون احوال النبى صلى الله عليه و سلم فيما بينهم و اما تخصيص الوقت كتخصيص الشهر للترجمة فذلك لا حرج فيه فانه و رد فى رواية ان النساء جُمِعْنَ له عليه الصلوة و السلام فى يوم فى مكان بعد ما قال عليه الصلوة و السلام (اجتمعن فى يوم كذا فى دار) و بلغهن عليه الصلوة و السلام.

و اما المنكرات فقد ذكرنا ان المعروف لا يترك لاجل منكر كاتباع الجنازة لاجل النياحة و ايضا ذكر خليل احمد السهارنفورى فى (عقائد علماء الديوبند) حيث ذكر مسئلة الميلاد فى (ص: ٣١) بعنوان (عقيده در بارهٔ ميلاد شريف) و ذكر بعد ذلك **ان ذكر بول حمار النبى صلى الله عليه و سلم و ذكر بوله صلى الله عليه و سلم و برازه عندنا مستحب بالدرجة العليا و ذكر فى المسؤلة تفصيلا. نعم، انكر على منكرات العوام.**

و ايضا ذكر مولانا عبد الحى اللكنوى (مسئلة الميلاد) فى (فتاواه) وحكم بجوازه و نقل عن الشيخ الدهلوى ومما جرب من خواصه انه امان ذلك العام و بشرى عاجل بنيل البغية و المرام اى من خواص الميلاد.

---

(١) غاندي فيلسوف البرهمني الهندي مات سنة ١٣٦٨ هـ. [١٩٤٨ م.] قتلا

و ايضا ذكر (مسئلة القيام) بانه ان كان شخص ذو وجد صادق قام بلا تصنع ولا رياء فهو معذور و من آداب الصحبة ان يقوم الحاضرون و ذكر فى الاخير ان علماء الحرمين الشريفين زادهما الله شرفا يقومون

قال الامام البرزنجي فى (رسالة الميلاد) و قد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف ائمة ذو و رواية. فطوبى لمن كان تعظيمه عليه الصلوة و السلام غاية مرامه و مرماه (مجموع فتاوى ج:٢، ص:٢٦٧)

و ذكر مولانا المذكور فى (ج:٢، ص:١٥٠) نقلا عن رسالة ابن حجر [١] المكى رحمة الله عليه (النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد و لد آدم عليه الصلوة و السلام) بان الميلاد ان يذكر آيه او حديثا و يذكر فى شرحه فضائل النبى صلى الله عليه وسلم و معجزاته و نسبه و ذكر الخوارق التى ظهرت وقت الولادة.

و ايضا ذكر فى (ج:٢، ص:١٥١) ان الميلاد فرد من افراد نشر العلم و كل فرد من افراد نشر العلم مندوب فالميلاد مندوب

و ايضا قال فى (ج:٢، ص:١٥٣) ان العلماء المتبحرين و اهل الفتاوى المستنبطين مثل ابو شامة[٢] و ابن حجر و السيوطى و الشامى رحمة الله عليهم قالوا بمندوبية الميلاد و ذكر فى الاخير ان شرذمة قليلة، قدوتهم فى ذلك تاج الدين الفاكهانى[٣] المالكى انكروا الميلاد الا انه لاطاقة لهم فى مقابلتهم و انضمام الامور المنكرة امر آخر لا يضر اصل المقصود.

فعلم ان فى ذلك تقليد السلف الصالحين و العلماء المحققين لا تقلد الغاندى (گاندى)

فانظر ايها المنصف الى افراط هذه الفئة المتشددة. اللهم اكشف غشاوة التعصب عن بصائرهم لتنطبع دقائق التعقل فى ضمائرهم و كيلا يسيئون الادب بالاكابر فان

(١) شهاب الدين احمد بن محمد الشهير بابن حجر الهيتمى الشافعى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ. (١٥٦٦ م.)

(٢) ابو شامة عبد الرحمن توفي سنة ٦٦٥ هـ. [١٢٦٦ م.]

(٣) عمر الفاكهاني المالكي توفي سنة ٧٣٤ هـ. [١٣٣٣ م.]

اساءة الادب فوق كل معصية لان سيىء الادب محروم عن فيضان الرب.

مصرع: از خدا خواهيم توفيق و ادب * بى ادب محروم بود از فضل رب

و ايذاء للمؤمنين و البهتان عليهم جرم عظيم (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ۞ الاحزاب: ٥٨) و لذا يسمون فى منع الميلاد فى بلدتهم كما سعوا فى زمن قريب الا انهم خابوا و خسروا و هذا القدر يكفى العاقل المنصف فى مسئلة الحيلة نعم بقى بعد خبايا فى زوايا الكلام منها وضع المصحف حين الدورة.

فنقول بتوفيق الله تعالى و توقيفه ان المقصود من وضع المصحف التوسل بالمصحف و النجدية ينكرون عن التوسل بغير الاعمال الصالحة و قد ثبت التوسل بالقرآن العظيم قال عليه الصلوة و السلام (اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم) فلها تقبل بوسيلة القرآن.

و ايضاً ذكر فى (الفتاوى[١] السمرقندية) دوران اجزاء القرآن و كذا الواقدى فى (فتوح الشام) فقال اخبره ابو عاصم[٢] عن ابن جريج عن ابن شهاب عن ابى سلمة عن ابى موسى قال فعل عمر رضى الله تعالى عنه اى دوران اجزاء القرآن.

و ما ذكر فى (ص:٩) ان صاحب (مفتاح السعادة) لم يذكر الفتاوى للفقيه ابى الليث:

فنقول عدم ذكر صاحب (مفتاح السعادة) الفتاوى للفقيه ابى الليث السمرقندى لايدل على ان لافتاوى له او ان رواية دوران اجزاء القرآن غير صحيح لان عدم الذكر لايدل على عدم الوجود بل الذكر يدل على الوجود كما هو الظاهر من بحث الوجوه الفاسدة فى كتب الاصول نعم لو صرح فى كتاب معتمد ان لافتاوى للفقيه ابى الليث السمرقندى او انتساب الفتاوى اليه غير صحيح لكان له وجه و دونه خرط القتاد و الحال انه ذكر فى الفتاوى المعتمدة ان للفقيه ابى الليث السمرقندى رحمة الله عليه فتاوى كما فى (الفتاوى الهندية).

(١) صاحب الفتاوى السمرقندية محمد بن وليد توفي سنة ٤٥٠ هـ. [١٠٥٨ م.]

(٢) محمد ابو عاصم العبادي الشافعي توفي سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.]

وما ذكر من الانتقاد على الحديث فنقول ان الامام ابو الليث السمرقندى المتوفى سنة:٣٧٣ هـ . كما فى الجواهر المضيئة[١] (ص:١٩٧) و (الفوائد البهية[٢] فى تراجم الحنفية ص:٢٣) و (مفتاح السعادة ج:٢، ص:١٣٩) على ما سلمت.

و لا شك ان ذلك الزمان زمان الاجتهاد و المجتهد اذا تمسك برواية ثم بين النقاد فيه القدح بعد التمسك لايضر التمسك.الا ترى ان اكثر محشى الاحاديث و كتب الفقه يعترضون على مستدلات الاحناف بان يقول فى البعض ضعيف او غريب او لم اجده فى كتب الاحاديث او ما يماثله من الاعتراضات.

فنجيب اليهم ان هذا الكلام بعد تمسك الامام فلا يضر الاستدلال. و الدليل على ما ذكرنا قول العلامة الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمة الله عليه فى (الميزان الكبرى) المطبوعة فى مصر (ص:٧٦) حيث قال فان قلت اذا قلتم بان ادلة مذهب الامام ابى حنيفة رحمة الله عليه ليس فيها شيء من ضعيف لسلامة الرواية بينه و بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة و التابعين من الجرح فما جوابكم عن قول بعض الحفاظ على شيء من ادلة الامام ابى حنيفة رحمة الله عليه فانه ضعيف.

فالجواب يجب علينا حمل ذلك جزما على الرواة الناقلين عن الامام فى السند بعد موته رحمة الله عليه او ردوا ذلك الحديث من غير طريق الامام اذ كل حديث وجدناه فى مسانيد الامام الثلاثة فهو صحيح لانه لولا صح عنده لما استدل به ولا يقدح فيه وجود كذاب او متهم بالكذب مثلا فى سنده النازل عن الامام رحمة الله عليه وكفانا حجية الحديث استدلال مجتهد به ثم يجب العمل علينا به و لو لم يروه غيره.

فتأمل هذه الدقيقة التى نبهتك عليها فلعلك لاتجدها فى كلام احد من المحدثين و اياك ان تبادر الى تضعيف شيء من ادلة مذهب الامام ابى حنيفة رحمة الله عليه بعد ان تطالع مسانيده الثلاثة و لم تجد ذلك الحديث فيها انتهى.و لله در العلامة الشعرانى حيث بين دقيقة مستحقة لان تكتب بماء الذهب حيث رد بذلك اقوال كثيرمن الوهابيين حيث قالوا تمسك الامام الاعظم رحمة الله عليه بضعاف و هذا يدل على جهلهم عن قواعد الدين و

---

(١) مؤلف الجواهر المضيئة عبد القادر توفي سنة ٧٧٥ هـ. [١٣٧٣ م.]

(٢) مؤلف الفوائد البهية محمد عبد الحي اللكنوي توفي سنة ١٣٠٤ هـ. [١٨٨٦ م.]

مفاسد الجهل مما يضيق عنها نطاق البيان.

و هكذا ذكر دوران اجزاء القرآن فى الكتب الغير المشهورة و هذا يكفى للتأييد و صاحب (القنية) [١] ما تفرد بهذه المسئلة حتى لا تقبل.

و ما قال ان مجرد نقل قول (القنية) بغير دليل من الادلة الاربعة غير مقبول.

فنقول كتب المذاهب موضوعة لنقل المذهب و نقل الفقهاء يكفينا. و الحيلة المذكورة ذكرها (صاحب جامع الرموز)، و (العلامة الشامى)، و (نور الايضاح)، و (مراقى الفلاح)، و (الهندية)، و (العمادية)، و (البحر)، و (الطحطاوى). و نفس الحيلة ثابتة و فى الحيلة المذكورة نفع الميت لان فيها تكثير الفدايا. فان استيفاء الفدايا لسنة واحدة يقتضى مالا كثيرا لا يتيسر لكل احد.

و كذا ذكرت الحيلة المذكورة فى (الدر المنتقى) كما نقله (الطحطاوى على المراقي:ص:٢٣٩) و (الدر المنتقى)[٢]: انهم اذا ارادوا الاخراج عنه يحسب عمره بحسب غلبة الظن ويخرج منه مدة الصبا و هى اثنا عشر فى الغلام و تسعة فى الجارية و يخرج عنه بقدرها ان كان عندهم ما يكفى و الا ندفع مرارا اهـ. و ذلك لاحتمال نقصان صلاته بترك ركن او شرط فان كثيرا من الناس لايحسنها.

فعلم من هذا الكلام ايضاً جواز الحيلة المذكورة و علم ان ارتكابها عند احتمال النقصان فى الصلاة بترك ركن او شرط ايضاً ثابت فاذا صرح به الفقهاء فى كتبهم الموضوعة لنقل المذهب و نفس الحيلة ثابتة و الحاجة ماسة ولا مخالفة فيها من اصول الدين بل لها مؤيدات و فيها نفع الميت فاى مانع من الجواز ولا تخرج عن التصدق على كل تقدير. و التصدق مستحسن فان النهى انما هو عن الضيافة. قال (الطحطاوى:ص:٣٣٩) بعد قول الشارح و تكره الضيافة من اهل الميت. قال فى (البزازية) يكره اتخاذ الطعام فى الاول و الثالث و بعد الاسبوع و نقل الطعام الى المقبرة فى المواسم و اتخاذ الدعوة بقراءة القرآن و

(١) مختار بن محمود الحنفى المتوفى سنة ٦٥٨ هـ.(١٢٥٩ م.) و فى كتاب القنية روايات ضعيفة عند العلماء المحققين
(٢) مؤلف الدر المنتقى علاء الدين الحصكفي توفي سنة ١٠٨٨ هـ. [١٦٧٧ م.]

جمع الصلحاء و القراء للختم او لقراءة (سورة الأنعام) او الاخلاص. قال البرهان الحلبى ولايخلوعن نظر لانه لادليل على الكراهة الاحديث جرير المتقدم، كنا نعد الاجتماع الى الميت و صنعهم الطعام من النياحة اه . يعنى وهو فعل الجاهلية انما يدل على كراهة ذلك عند الموت فقط على انه عارضه ماروا ه (الامام احمد) بسند صحيح (خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى جنازة فلما رجع استقبله داعى امرأته فجاء وجئ بالطعام) الحديث وهذا يدل على اباحة صنع اهل الميت الطعام والدعوة اليه بل ذكر فى (البزازية) ايضاً من كتاب الاستحسان. و ان اتخذ طعاما للفقراء كان حسناً و فى (استحسان الخانية): و ان اتخذ ولى الميت طعاما للفقراء كان حسناً الا ان يكون فى الورثة صغار فلا يتخذ ذلك من التركة.

و منها انه يجلس فى الدورة من لاعلم له بالايجاب و القبول و القبض فعلى اولياء الميت او العالم المتولى لذلك ان يميز بين من يكون اهلا و بين من لايكون اهلا لتصير الدورة سببا لنفع الميت و الناس يتساهلون فيه و قد شاهدنا ذلك مراراً. الا ترى الى ان نسعى فيما يكون فيه نفعا لنا فلا بد لنا ان نسعى سعياً بليغاً فيما فيه نفع الميت الاحوج الى النفع سيما و قد شرعت لنفع الاموات فان كل شئ اذا استعمل بطريقه كان انفع و بعض الناس عنه غافل حتى لايميز بين الجيد من المال و الردئ منه فالواجب فيه التثبت و الاحتياط و طلب منهج الرشاد لفعل الرشاد.

و منها جواز التصدق بعد الدفن كما فى حديث رواه الامام احمد بسند صحيح و ابو داود عن عاصم بن كليب عن ابيه عن رجل من الانصار. قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى جنازة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على القبر يوصى الحافر يقول (اوسع من قبل رجليه،اوسع من قبل رأسه) فلما رجع استقبله داعى امرأته فجاء وجئ بالطعام فوضع يده و وضع القوم فأكلوا و رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلوك لقمة فى فيه ثم قال (انى اجد لحم شاة اخذت بغير اذن اهلها) فسئلت المرأة تقول يا رسول الله انى ارسلت الى البقيع اشترى شاة فلم اجد فارسلت الى جارلى قد اشترى شاة ان يرسل الى فلم يجد فارسلت الى امرأته فارسلت بها الى فقال عليه الصلوة و السلام (اطعميه الاسارى) فهذا يدل على اباحة صنع الميت طعاما و الدعوة اليه. (الكبيرى ص: ٥٦٣)

فعلم من هذا الحديث جواز التصدق و الا لما شاركهم فيه ابتداء و المنع كان لوجه آخر. و ما ورد من المنع فهو محمول على الضيافة حيث قيل كنا نعد الضيافة من النياحة ولاشك ان بين الضيافة و التصدق فرق فلايقاس احدهما على الآخر منعاً و جوازاً. ولذا يستحب لجيران الميت تهيئة الطعام لهم لقوله عليه الصلوة و السلام **(اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم)** حسنه الترمذى و صحح الحاكم ولأنه برٌ معروف يستحب ان يلح عليهم فى الاكل لان الحزن يمنعهم من الاكل فيضعفوا. (كبيرى ص:٥٦٣.)

و ايضاً حفر صحابى بئرا و قال هذا لام سعد كما لايخفى على من مارس كتب الحديث ولذا ذكر فى كتب العقائد ان فى دعاء الأحياء للأموات و صدقتهم نفع للاموات خلافا للمعتزلة.

و ايضاً قال المحدث الدهلوى رحمة الله عليه فى (اشعة اللمعات ج:١، ص:٦٢٤) و المستحب ان يتصدق عن الميت بعد ذهابه من الدنيا الى سبعة ايام و التصدق الى سبعة ايام ينفع بلاخلاف بين اهل العلم و ورد فى ذلك الاحاديث الصحيحة سيما الماء. و قال بعض العلماء لا تصل الى الميت الا الصدقة و الدعاء.

و ورد فى بعض الروايات ان روح الميت تجيئ الى بيتها ليلة الجمعة فتنظر هل يتصدقون عنها ام لا فهذا صريح فى نفع التصدق و مجيء روح الميت و كونها منتظرة لتصدق الاحياء عنها.

و ايضاً ذكر العلامة الشامى (ج:١، ص:٦٠٣) و فيها من كتاب الاستحسان و ان اتخذ طعاما للفقراء كان حسنا نعم ان كان للسمعة و الرياء لاينفعوا او كان فى الورثة صغارٌ او غائب لا يفعل و ذكر ان حديث دعوة امرأة كما مرّ حكاية حال لاعموم لها كما ذكر فى تلك الصفحة.

و ذكر فى (البرهنة) و مستحب است تصدق برو تا هفت روز اگر نماز يا روزه يا اعتاق يا عبادتى ديگر كند تا ثواب او بميت رسد روا است و ميرسد و درمطالعه گفت سنت است كه قبل از مُضِيّ شب اول تصدق كند و اگر نتواند دو ركعت نماز گزارد و

بعد از فاتحه آیت الکرسی یك بار و تکاثر ده بار خواند و بعد از فراغ گوید: الٰهی نماز گزاردم و میدانی نیتِ مرا الٰهی ثواب این بگور فلان میت برسان (ج:١، ص:٣٦٣).

و ذکر فی (شرح شرعة الاسلام) و السنة ان یتصدق ولی للمیت قبل مضی اللیلة الاولی بشیء مما تیسّر له فان لم یجد شیئا فلیصل رکعتین یقرأ فی کل رکعة فاتحة الکتاب و آیة الکرسی مرة و سورة التکاثر عشر مرات (ص:٥٦٨) فعلم من هذه العبارات ان اتخاذ الطعام للفقراء بنیة التصدق لا للسمعة و الریاء و المباهات امر مندوب الیه کما لایخفی علی اولی النهی.

و منها الجلوس للتعزیة ثلاثة ایام کما ذکر فی (الکبیری ص:٥٦٢) و یجوز الجلوس للمصیبة ثلاثة ایام وهو خلاف الاولی و یکره فی المسجد و یستحب للرجال و النساء اللاتی لا تفتن لقوله علیه الصلوة و السلام **(من عزا اخاه بمصیبة اعطاه الله مثل اجره و کساه الله من حلل الکرامة یوم القیمة)** رواه ابن ماجة و التعزیة ان یقول: **(اعظم الله اجرك و احسن عزائك و غفر لمیتك)** ان کان المیت بالغاً والا فلا یقول غفر لمیتك.

و منها ان اهداء تلاوة القرآن للمیت جائز لانه عمل خیر حتی ان قراءة القرآن عند القبر ایضا جائز و ما نقل عن الامام احمد انها بدعة فقد رجع عنه کما قال الامام الغزالی رحمة الله علیه فی (الاحیاء) ولابأس بقراءة القرآن علی القبور.

روی عن علی بن موسی الحداد قال کنت مع احمد بن حنبل رحمة الله علیه فی جنازة و محمد بن قدامة الجوهری معنا فلما دفن المیت جاء رجل ضریر یقرأ عند القبر فقال له احمد و یا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد رحمة الله علیه یا ابا عبد الله ما تقول فی مبشر بن اسمٰعیل الحلبی قال ثقة قال هل کتبت عنه شیئاً؟ قال نعم قال اخبرنی مبشر بن اسمٰعیل عن عبد الرحمن بن العلاء بن الحلاج عن ابیه انه اوصی اذا دفن ان یقرأ عند رأسه فاتحة البقرة و خاتمها و قال سمعت ابن عمر رضی الله تعالی عنه یوصی بذلك فقال له احمد ارجع الی الرجل فقل یقرأ.

و قال محمد بن المروزی سمعت احمد بن حنبل رحمة الله علیه یقول اذا دخلتم

المقابر فاقرأوا بـ (فاتحة الكتاب) و (المعوذتين) و (قل هو الله احد) واجعلوا ثوابها لاهل المقابر فانه يصل اليهم (الاحياء:ص: ٣٣١) فعلم من هذا ان الامام احمد رجع عن الانكار و هذا شان العلماء المحققين حيث راجع فى الفور عند سماع الدليل فليعتبر العاقل من ذلك.

و اما الختم بالأجرة لثواب الميت فغير جائز لان القارئ بالأجرة محروم عن الثواب فاى شئ يهب للميت؟ قال العلامة الشامى فى (ج:٥، ص:٤٦-٤٨) قوله لا لاجل الطاعات. الاصل ان كل طاعة لايختص بها المسلم،لايجوز الاستيجار عليها عندنا لقوله عليه الصلوة و السلام (اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به) و فى آخر ما عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى عثمان بن العاص رضى الله عنه و (ان اتخذت مؤذنا فلا تاخذ على الاذان اجرا) ولان القربة متى حصلت و قعت عن العامل و لهذا تتعين اهليته فلا يجوز له اخذ الاجرة من غيره كما فى الصلاة و الصوم. و يفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن.

قال فى (الهداية) و بعض مشائخنا استحسنوا الاستيجار على تعليم القرآن اليوم لظهور التوانى فى الامور الدينية ففى الامتناع تضييع حفظ القران و عليه الفتوى و قد اقتصر على استثناء تعليم القرآن ايضاً فى متن (الكنز) و متن (مواهب الرحمن)[١] و كثير من الكتب و زاد فى (المختصر) و متن (الاصلاح)[٢] تعليم الفقه. و زاد فى متن (المجمع) الامامة و مثله فى متن (الملتقى) و (درر البحار) و زاد بعضهم الاذان و الاقامة والوعظ و ذكر المصنف معظمها و لكن الذى فى اكثر الكتب الاقتصار على ما فى (الهداية). فهذا مجموع ما افتى به المتاخرون من مشائخنا و هم البلخيون على خلاف فى بعضه مخالفين ما ذهب اليه الامام و صاحباه و قد اتفقت كلمتهم جميعاً فى الشروح و الفتاوى على التعليل بالضرورة وهى خشية ضياع القرآن كما فى (الهداية) و قد نقلت لك ما فى مشاهير متون المذهب الموضوعة للفتوى فلاحاجة الى ما فى الشروح و الفتاوى و قد اتفقت كلمتهم جميعا على التصريح باصل المذهب من عدم الجواز ثم استثنوا بعده ما علمته فهذا دليل قاطع و برهان ساطع على ان المفتى به ليس هو جواز الاستيجار على كل طاعة بل على ما ذكروه فقط مما فيه ضرورة ظاهرة تبيح الخروج عن اصل المذهب من طرد المنع فان مفاهيم الكتب حجة و لو مفهوم لقب على ما صرح به الاصوليون بل هو منطوق فان الاستثناء من ادوات العموم كما

---

(١) مؤلف مواهب الرحمن ابراهيم الطرابلسي توفي سنة ٩٢٢ هـ. [١٥١٦ م.]

(٢) مؤلف الاصلاح الوقاية احمد بن كمال باشا توفي سنة ٩٤٠ هـ. [١٥٣٣ م.]

صرحوا به ايضا واجمعوا على ان الحج عن الغير بطريق النيابة لا الاستيجار و لهذا لو فضل مع النائب شئ من النفقة يجب عليه رده للاصيل او ورثته ولو كان اجرة لما وجب رده فظهر لك عدم صحة ما فى (الجوهرة) من قوله و اختلفوا فى الاستيجار على قراءة القرآن مدة معلومة. قال بعضهم لايجوز و قال بعضهم يجوز و هو المختار اه .

و الصواب ان يقال على تعليم القرآن فان الخلاف فيه كما علمت لا فى القراءة المجردة فانه لاضرورة فيها فان كان ما فى (الجوهرة)[1] سبق قلم فلا كلام و ان كان عن عمد فهو مخالف لكلامهم قاطبة فلا يقبل و قد اطنب فى رده صاحب (تبيين المحارم) [٢] مستنداً الى النقول الصريحة فمن جملة كلامه:

ما قال تاج الشريعة فى شرح (الهداية) ان القرآن بالاجرة لايستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ.

و قال العينى فى شرح (الهداية) و يمنع القارئ للدنيا و الآخذ و المعطى آثمان.

فالحاصل ان ما شاع فى زماننا من قراءة الاجزاء بالاجرة لايجوز لان فيه الامر بالقراءة و اعطاء الثواب للامر و القراءة لاجل المال فاذا لم يكن للقارئ ثواب لعدم النية الصحيحة فاين يصل ثوابه الى المستأجر ولو لا الاجرة لما قرأ احد لأحد فى هذا الزمان بل جعلوا القرآن مكسبا و وسيلة الى جمع الدنيا (انا لله وانا اليه راجعون) وقد اغترّ بما فى (الجوهرة) صاحب (البحر) فى كتاب الوقف و تبعه الشارح فى كتاب الوصايا حيث يشعر كلامهما بجواز الاستيجار على كل الطاعات منها القراءة و قد رده الشيخ خير الدين الرملى فى (حاشية البحر) فى كتاب الوقف حيث قال: اقول المفتى به جواز الأخذ استحسانا على تعليم القرآن لاعلى القراءة المجردة كما صرح به فى (التاتارخانية) حيث قال لامعنى لهذه الوصية ولصلة القارئ بقراءته لان هذا بمنزلة الاجرة و الاجارة فى ذلك باطلة الى ان قال:

و ممن صرح بذلك ايضا الامام البركوى قدس سره فى آخر (الطريقة المحمدية)

---

(١) مؤلف الجوهرة التوحيد ابراهيم ابن اللقاني المالكي توفي سنة ١٠٧٨ هـ. [١٦٦٧ م.]

(٢) سنان الدين يوسف الاماسى الحلوتى المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ . [١٥٩٢ م.] و يوجد كتابه المذكور باستانبول فى مكتبة سليمانية بقسم اسعد افندى تحت رقم: ٥٩٦.

فقال الفصل الثالث فى امور مبتدعة باطلة اكبّ الناس عليها على ظنّ انها قرب مقصود الى ان قال: و منها الوصية من الميت باتخاذ الطعام و الضيافة يوم موته او بعده و باعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه او يسبح و يهلل و كلها بدع منكرات باطلة و الماخوذ منها حرام للآخذ وهو عاص بالتلاوة و الذكر لاجل الدنيا. انتهى ملخصا.

و ذكر ان له فيها اربع رسائل. فاذا علمت ذلك ظهرلك حقية ما قلناه و ان خلافه خارج عن المذهب و عما افتى به البلخيون وما اطبق عليه ائمتنا متونا و شروحاً و فتاوى ولاينكر ذلك الا غمر مكابر او جاهل لايفهم كلام الاكابر.

وما استدل به بعض المحشيين على الجواز بحديث (البخارى) فى اللديغ فهو خطأ لان المتقدمين المانعين لاستيجار مطلقا جوزوا الرقية بالاجرة ولو بالقرآن كما ذكره (الطحاوى) لانها ليست عبادة محضة بل من التداوى.

فعلم من هذه العبارات ان تلاوة القرآن بالاجرة لاهداء الثواب الى الميت لايصح لأن نفس التلاوة لاهداء ثواب الميت ممنوعة فانه لاشك فى جوازها كما ذكر سابقاً. ولما ذكر العلامة الشامى فى (ج:٢، ص:٢٣١)، قوله ويقرأ (يٰس) لما ورد (**من دخل المقابر فقرأ سورة يٰس، خفف الله تعالى عنهم يومئذ و كان له بعدد من فيها حسنات**) (البحر) و فى (شرح اللباب) و يقرأ من القرآن ما تيسر له من (الفاتحة) و اول سورة (البقرة) الى (المفلحون) و (آية الكرسى) و (آمن الرسول) و (سورة يس)، و (تبارك الملك) و (سورة التكاثر) و (الاخلاص) اثنى عشر مرة او احدى عشر، او سبعا، او ثلاثاً ثم يقول (**اللهم اوصل ثواب ما قرأناه الى فلان او اليهم**).

تنبيه

صرح علماؤنا فى باب الحج عن الغير بان للانسان ان يجعل ثواب عمله لغيره صلاة او صوما او صدقة او غيرها كذا فى (الهداية) بل فى زكاة (التاتارخانية) عن (المحيط)[1]: الافضل لمن يتصدق نفلا ان ينوى لجميع المؤمنين و المؤمنات لانها تصل اليهم ولاينقص من اجره شئ وهو مذهب اهل السنة و الجماعة لكن استثنى مالك و الشافعى العبادات

(١) مؤلف المحيط البرهاني محمود الحنفي البخاري توفي سنة ٦١٦ هـ. [١٢١٩ م.]

البدنية المحضة كالصلاة و التلاوة فلا يصل ثوابها الميت عندهما بخلاف غيرهما كالصدقة و الحج. و خالف المعتزلة فى الكل الى ان قال (تتمة) ذكر ابن حجر فى (الفتاوى الفقهية) ان الحافظ ابن تيمية زعم منع اهداء القراءة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لان جنابه الرفيع لايتجرأ عليه الا بما اذن فيه وهو الصلوة عليه و سؤال الوسيلة له قال: و بالغ السبكى و غيره فى الرد عليه ان مثل ذلك لايحتاج الى اذن خاص. الا ترى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنه كان يعتمر عنه عليه الصلوة و السلام عمرا بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وصية. و حج ابن الموفق[١] وهو فى طبقة الجنيد عنه سبعين حجة. و ختم ابن السراج عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من عشرة آلاف ختمة وضحى عنه مثل ذلك. اهـ .

فعلم ان الانكار فى اخذ الاجرة لا فى نفس الختم، على انه ان قرأ احد لوجه الله تعالى بنية خالصة و اعطاه احد صدقة لا اجرة لاحرج فيه و ذلك موقوف على النية.

و الدليل على ما ذكرنا ما فى (الحديقة شرح الطريقة المحمدية: ص:٣٥٦) قوله لروح الواقف. و اصل المسئلة صحيح فى من قرأ القرآن او سبح او هلّل او صلّى كذا ركعةً و اهدى ثواب ذلك لفلان الحى او الميت فان الانسان له ان يجعل ثواب عمله مطلقا عند اهل السنة و الجماعة لغيره ميتا كان او حياً نوى به عند الفعل للغير او يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره و اما قوله عليه الصلوة و السلام (لايصلى احد عن احد ولايصوم احد عن احد) فهو فى حق الخروج عن العهدة لا فى حق الثواب و لم ار حكم من اخذ شيئا من الدنيا فيجعل شيئا من عبادته للمعطى و ينبغى ان لايصلح ذلك وما قال الوالد[٢] فيه نظر بل اطلاق ما سبق يقتضى الصحة انتهى و وجهه ان اخذ الدرهم صدقة من المعطى و اخذ الصدقة لايمنع الثواب فدفعه بان ثواب العبادة لايدخل تحت عقد البيع لان ذلك مخصوص بالاعواض الدنيوية و بهذا السبب يبطل الوقف المشروط فيه ذلك لان حل اخذ المعلوم من الوقف فى مقابلة فعل الشرط الذى شرط الواقف فهو كالبيع للثواب و ان اعتبرنا وجه كونه صدقة على من يقرأ للواقف او يصلى له لا ان ذلك المعلوم عوض عن تلك القربة وثمن

(١) ابن الموفق علي البغدادي توفي سنة ٢٦٥ هـ. [٨٧٩ م.]
(٢) يعنى به والد النابلوسى اسماعيل بن عبد الغنى المتوفى سنة ١٠٦٢ هـ . [١٢٥٢ م.]

لثوابها ولكنه بمنزلة ما اذا كان الوقف على امام الجامع او الخطيب او نحو ذلك فانها شروط على من اتصف بذلك فهى صدقة من الواقف على صاحب هذا الوصف المذكور لا ان الواقف يفعل الموقوف عليه ذلك فى مقابلة اخذه للمعلوم المعين.

قوله لاجل الدنيا و المفهوم منه ان الذى ياخذ ذلك لو تلا القرآن و ذكر الله وصلى كذا ركعة او هلل او كبر و نحو ذلك من انواع القربات لا لاجل ما يأخذه من المعلوم المعين له فى الوقف لمن فعل ذلك بل لوجه الله تعالى و اخذ المعلوم صدقة عليه من الواقف جاز وصح الوقف حينئذ وهو ما ذهبنا اليه فيما تقدم فى حق جميع الوظائف فى الاوقاف كلها وليس الامر مخصوصاً بهذا النوع منها فقط.انتهى.

و الحاصل ان عند اخلاص النية لايمنع الصدقة اهداء الثواب الى الميت فـ(انما الاعمال بالنيات و انما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله و رسوله فهجرته الى الله و رسوله و من كانت هجرته الى الدنيا يصيبها) الى آخر الحديث على ان بين الصلة و الاجرة فرق كما صرح به العلامة الشامى و شارح (شرعة الاسلام) (ص:١٢٦).

فعلم من التفصيل المذكور ان لاخلاف بين الاحناف فى نفس اهداء ثواب التلاوة و كذا قال فى (الكبيرى:ص:٥٦١) و اختلف فى اجلاس القارئين ليقرأوا عند القبر و المختار عدم الكراهة و كذا ذكر العلامة الشامى (ج:١، ص:٦٣٣) فى تشريح قول الماتن ولا اجلاس القارئين عند القبر و هو المختار. عبارة (نور الايضاح) و شرحه ولايكره الجلوس للقراءة على القبر فى المختار لتادية القراءة على الوجه المطلوب بالسكينة و التدبر والاتعاظ.

و ايضا قال العلامة الشامى فى (ج:٥، ص:١٠٨) قال العلامة عبد البر: والمسئلة مبنية على وصول ثواب اعمال الاحياء للاموات وقد الف فيها قاضى القضاة السروجى و غيره و آخر من صنف فيها شيخنا قاضى القضاة سعد الدين[١] الديرى كتابا سماه (الكواكب النيرات).

محط هذه التاليفات ان الصحيح من مذهب جمهور العلماء الوصول و الله تعالى اعلم.

---

(١) سعد الدين الدمشقي الحنفي توفي سنة ٨٦٧ هـ. [١٤٦٢ م.]

و ایضا ذکر المحدث الدهلوی فی(اشعة اللمعات، ج:١، ص:١١١) و خواندن اولِ سورهٔ بقره تا (**مفلحون**) وآخرِ آن از (**آمن الرسول**) نیز آمده است واگر ختم قرآن کند اولی و افضل است و از بعضِ علماء شنیده است که اگر مسئلهٔ از مسائل فقه ذکر کند نیز فضیلت دارد و باعث نزول رحمت است و مناسبِ حال ذکر مسئلهٔ فرائض است و مختار آن است که خواندن قرآن برسر قبر مکروه نیست خلافاً لبعضهم کذا قال الشیخ ابن الهمام رحمة الله تعالی علیه.

و العجب ان بعض الطلبة ممن لیس له حظ من علم الحدیث،یقولون الموعظة عند القبر بدعة.

تنبیه

ذکر العبد الضعیف مولانا الکدوی نور الله مرقده و افاض علیه شآبیبَ الغفران و الاحسان ان طالبا قال لی عند وعظ احد عند القبر: ألیست هذه ببدعة؟ فقلت له ایها الغمر الجاهل ان الامام البخاری رحمة الله علیه ذکر بابا بعنوان (باب موعظة المحدث عند القبر) فکیف تکون بدعة.

ما قال مولانا المرحوم صحیح بلاریب فانه ذکر الامام البخاری فی (ج:١، ص:١٨٢) باب موعظة المحدث عند القبر و قعود اصحابه حوله ثم ذکر الحدیث الطویل. فانظر الی هذه الجهال لایعرفون السنة من البدعة و یحکمون علی آرائهم الکاسدة الفاسدة و لیست السنة و البدعة منوطتان علی آرائهم. جُلُّ بضاعتهم الانحراف عن منهج الرشاد و کل صناعتهم اللدد و العناد.

و ایضا روی عن عبد الله بن عمر رضی الله تعالی عنهما قال سمعت رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم یقول (**اذا مات احدکم فلا تحبسوه و اسرعوا به الی قبره و لیقر عند رأسه فاتحة الکتاب و عند رجلیه بخاتمة البقرة**) قال الشیخ الدهلوی فی ذیل هذ الحدیث و در آثار قراءة (فاتحة الکتاب) و(معوذتین) و (**قل هو الله احد**) و گردانیدن ثواب آن برائی اهل مقابر آمده است و اختلاف کرده اند در گردانیدن ثواب برای میت

و وصول ثواب آن بدو وصحيح وصول او است شيخ عبد الله يافعى در روض الرياحين آورده كه شيخ عز الدين بن عبد السلام را در خواب ديدند گفت كه ما در دنيا حكم كرده بوديم كه ثواب قرآن به ميت نميرسد درين عالم بخلاف آن ظاهر شد و دريافتيم ميرسد و مكروه نيست قراءة قرآن بر قبر هو الصحيح ذكره الشيخ ابن الهمام (اشعة اللمعات: ج:١، ص:٦١٧)

فعلم من هذه التصريحات ان قراءة القرآن لثواب الميت على القبر او فى موضع آخر جائز.

و اما الاستشفاء بالقرآن فهو ايضا ثابت كما ذكر الامام البخارى رحمة الله عليه، حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابو عوانة عن ابى بشر عن ابى المتوكل عن ابى سعيد ان رهطا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا فى سفرة سافروها حتى نزلوا بحى من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى ف‍ عوا له بكل شيىء لاينفعه شيىء فقال بعضهم لو اتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلو بكم لعله ان يكون عند بعضهم شيئ فاتوهم فقالوا يا ايها الرمط ان سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيىء لا ينفعه شيئ هل عند احد منكم شيئ فقال بعضهم نعم و الله انى لراق و لكن والله لقد استضفنا كم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق فجعل يتفل و يقرأ الحمد لله ربّ العالمين حتى لكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى ما به قلبة قال فاوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الّذى كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكروا له فقال و ما يدريك انها رقية اصبتم اقسموا و اضربوا لي معكم بسهم.قال النووى هو من باب المروات و التبرعات و مواسات الاصحاب و الرفاق و الا فجميع الشياه ملك الراقى. قال صلى الله عليه وسلم تطيبا لقلوبهم ومبالغة فى تعريفهم انه حلال لاشبهة فيه.

و فى الحديث دليل على جواز الرقية بالقرآن و بذكر الله تعالى و اخذ الاجرة عليها لان القراءة و النفث من الافعال المباحة و به تمسك من رخص ببيع المصاحف و شرائها و

اخذ الاجرة على كتابتها و به قال الحسن و الشعبى و عكرمة رحمة الله عليهم و اليه ذهب سعيد و مالك و الشافعى و اصحاب ابى حنيفة رحمة الله عليهم كذا ذكره الطيبى نقلا عن شرح السنة بخارى (ج:٢، ص:٧٤٩)

فعلم من هذا ان الاستشفاء بالقرآن جائز. و كذا اخذ الاجرة اذا كانت القراءة للاستشفاع و هذا هو الحديث الذى اشار اليه العلامة الشامى من ان التمسك بحديث اللديغ فهو خطأ على ان الاستشفاء بالقرآن وردت فيه روايات.

منها ما ذكر فى المدارك بهامش (الخازن ص:١٧٨) فى تفسير قوله تعالى (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**. **الآية. الاسراء: ٨٢**) و فى الحديث (**من لم يتشف بالقرآن فلا شفاه الله تعالى**)

و منها ما ذكر فى الخازن و اما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى (فاتحة الكتاب) و ما يدريك انها رقية.

و منها ما ذكر فى (المدارك ص:١٨٣) فى تفسير قوله تعالى (**وَبِالْحَقِّ اَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**. **الآية. الاسراء :١٠٥**) قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه و ذهبنا به الى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا الى اين فقلنا له الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله! تستعينون على ولي الله بعدو الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك و قولوا له ضع يدك على موضع الوجع و قل (**وَبِالْحَقِّ اَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**. **الآية**. الاسراء :١٠٥) ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع و قال ما قال الرجل و عوفى فى الوقت و قال كان ذلك الخضر عليه الصلوة و السلام.

و منها ما ذكر الامام البخارى باب الرقية بالقرآن و المعوذات. حدثنا ابراهيم بن موسى قال اخبرنا هشام عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات

فلما ثقل كنت انفث عليه بهن و امسح بيد نفسه لبركتها فسالت الزهرى **كيف ينفث** قال كان ينفث على يديه. ثم يمسح بهما وجهه. ثم ذكر باب الرقية بـ**(فاتحة الكتاب)** ثم ذكر باب الشرط فى الرقية بقطيع الغنم. **(البخارى: ج: ٢، ص: ٨٥٤).**

و مثل هذه الروايات كثيرة فى كتاب الرقية و ايضا النفث و **التفل فى الرقية** ثابت لما ذكر فى (حاشية البخارى ج:٢، ص:٨٥٥) و فيه انه قرأ بفاتحة الكتاب **و تفل و** التفل ان يكون معه شئ من الريق.

و ايضا مسح الراقى بيده اليمنى ثابت كما قال الامام البخارى **فى (ج: ٢، ص: ٨٥٢)** (باب مسح الراقى فى الوجع بيده اليمنى) و انما ذكرت **ذلك لان بعض** الناس ينكرون **ذلك.**

و ان قلت:انه جاء فى الحديث **ولا يسترقون** و هذا يدل على منع **الرقية.**

قلنا:الاحاديث فى القسمين كثيرة و الجمع بينهما ان ما كان بغير اللسان **العربى** و بغير كلام الله تعالى و اسمائه و صفاته فى الكتب المنزلة او ان يعتقد ان الرقية **نافعة قطعا فيتكل عليها فمكروه** وهو المراد بقوله ما توكل من استرقى و ما كان **بخلاف ذلك فكره.**

قال الكرمانى[1] فان قلت:كوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **سعد بن معاذ** رضى الله تعالى عنه و غيره وهو اول من يدخل الجنة.قلت:غرضه انهم يعتقدون **ان الشفاء** من الكى على ما كان اعتقاد الكفار و التوكل هو تفويض الامر الى الله تعالى **فى ترتب** المسببات على الاسباب و قيل هو ترك السعى فيما لايسعه قدرة البشر **فالشخص يأتى** بالسبب ولايدرى ان المسبب منه بل يعتقد ان ترتب المسبب عليه بخلق الله تعالى **و ايجاده** ولذا قال عليه الصلوة و السلام **(اعلقها وتوكل)** و لبس يوم احد درعين مع **كونه من التوكل** بمحل لم يبلغه احد من خلق **الله تعالى.**

قال فى (المجمع)[2] و اما حديث **(لايسترقون ولايكتوون) فهو صفة الاولياء المعرضين** عن الاسباب لايلتفتون الى شئ من العلائق و تلك درجة الخواص و العوام **رخص لهم** التداوى و المعالجات و من صبر على البلاء و انتظر الفرج من الله تعالى بالدعاء **كان من**

(١) محمد بن يوسف الكرماني شارح البخاري توفي سنة ٧٨٦ هـ. [١٣٨٤ م.]

(٢) مؤلف مجمع البحرين احمد ابن الساعاتي البغدادي توفي سنة ٦٩٤ هـ. [١٢٩٤ م.]

جملة الخواص و من لم يصبر رخص له فى الرقية و العلاج و الدواء. الا ترى انه قبل من الصديق رضى الله عنه جميع ماله و انكر على من اتى مثل بيضة الحمام ذهبا و اما فعله عليه الصلوة و السلام فهو لبيان الجواز (حاشية البخارى:ج:٢، ص:٨٥٦).

اقول و بهذا علم معنى قوله عليه الصلوة و السلام (**التمائم من الشرك**) فان نفس التميمة اذا كانت بكلمات جائزة جائزة و المنع عند اعتقاد التاثير بالذات كاعتقاد اهل الجاهلية كما لايخفى على اولى النهى و الافكتابة الايات القرآنية و شرب مائها والتعويذ منها ثابت كما ذكره المحدث الدهلوى فى (اشعة اللمعات: ص:٥٦٧) بتفصيل اتم حيث قال وروى عن مجاهد لاباس ان يكتب القرآن و يغسل و يشرب ماءها على المريض الى ان قال و كتابتها فى الظروف الصينية و غسلها بالماء و شرب مائها على المريض.

و ايضا نقل عن تاج الدين السبكى رحمة الله عليه و ايضا المحدث الدهلوى ذكر فى (ج:٣، ص:٥٧٢) ان فى عقد التعويذ فى العنق و العضد للعلماء كلام الا ان له سند من حديث عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علمه دعاء لدفع السهر فكان ابن عمر يعلم الدعاء من اولاده الكبار و يكتب للصغار و يعلق فى اعناقهم. فنعلم من هذه الروايات ان استعمال التعويذ و كذا الاسترقاء برقية صحيحة ثابت و للنهى محل آخر نعم بعض الرقية مما لايعلم معناه فلا يجوز. صرح المحدث الدهلوى رحمة الله عليه و الصحابة ايضاً كانوا يعرضون رقاهم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيز البعض و يمنع البعض و ما كان ذلك الا لاجل المعنى كما لايخفى على من مارس كتب الحديث.

و انما ذكرت مسئلة الرقى و التعويذات طبعاً و طرداً لان بعض الناس ينكر عنها مطلقاً و البعض يجاوز فى ذلك عن الحد حتى يكتب القرآن منكوساً او يكتب بعض التعويذات بالدم فهل هذا الا استخفاف القرآن اعاذ نا الله منه فان الافراط و التفريط مذمومان والاقتصاد محمود

تَـذْنِـيـبٌ

فى بيان احوال ابن تيمية اليمنى الحرانى الذى هو متمسّك الفئة المنكرة و به يستريح القلم و يشفى العليل من الالم و قد ذكرنا حاله سابقا فى الجملة والان نذكر حاله تفصيلا ثم استفت قلبك ولو افتاك المفتون.فنقول ذكر فى(حاشية النبراس)[1]: انعقد مجلس فى قلعة جبل و حضر العلماء الاعلام و الفقهاء العظام و رئيسهم كان قاضى القضاة زين الدين ابن مخلوف المالكى وحضر ابن تيمية فبعد القيل و القال بهت ابن تيمية و حكم قاضى القضاة بحبسه و كان ذلك سنة: ٧٠٥ هـ . ثم نودى بدمشق و غيره بان من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله و دمه. كذا فى (مرآة الجنان) ثم تاب و تخلص من السجن سنة: ٧٠٧ و قال: انى اشعرى ثم نكث عهده و اظهر مكنونه و مرموزه و حبس حبسا شديدا مرة ثانية ثم تاب و تخلص من السجن اه . و اقام فى الشام و له هناك واقعات كتبت فى كتب التاريخ وردت اقاويله و بين حاله الشيخ ابن حجر رحمة الله عليه فى المجلد الاول من (الدرر الكامنة) و الذهبى فى تاريخه و غيرهما من المحققين (حاشية النبراس:ص: ١١٦):

و ايضا ذكر فى (جواهر الايقان فى حفظ الايمان) انه ظهر ابن تيمية فى سنة: ٧٠٥ هـ . و كان يقول بكون الله تعالى مجسّما. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. و يقول بحرمة السفر بقصد الزيارة النبوية. و كان طريقه تحقير بعض الخلفاء الراشدين و توهين الائمة المجتهدين رحمة الله عليهم والدليل على ذلك كتابه المسمّى بـ (صراط مستقيم) وعلماء عصره كالشيخ ابى داود السمان و الشيخ كمال الدين و تقى الدين السبكى رحمة الله عليهم ردوا عقيدته الباطلة و اخذوه و ذهبوا به الى المدرسة الكاملية فى مصر و انعقد المجلس و حضر القضاة و المفتون كلهم و جعلوه قائلا و جرى الحكم السلطانى فى البلاد كلها ان عقيدة ابن تيمية خلاف الاجماع ومن اعتقد بعقيدته استحق الوبال. و بعد ذلك وقع له فى تحقير الاولياء و توسل نبى الرحمة صلى الله تعالى عليه وسلم مقال و بالآخر صار محبوسا فى تلك المقدمة لان اهانة الاولياء و المشائخ و العلماء كفر . والتوسل بنبى الرحمة صلى الله

(١) النبراس حاشية شرح العقائد مؤلفه محمد عبد العزيز الفرهاروي الهندي ، توفي سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٣ م.]

تعالى عليه وسلم عقيدة متفق عليها للامة و المنكر عن ذلك ضال.

ثم تاب ابن تيمية فى زمن الدولة الناصرية و خلص من السجن و جاء الى الشام وصار بمثل تلك العقيدة محبوساً فى سجن دمشق وجرى الحكم العام من السلطان بان من كان على عقيدة ابن تيمية فماله و دمه حلال و ابن تيمية مع قطع النظر عن كونه ظاهريا كان من الخوارج و كان يسيئ الادب فى حق على كرم الله وجهه و فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها والغرض ان فى حكومة امام المسلمين كل من قال قولا خلاف الدين صار مجزيا. (جواهر الايقان فى حفظ الايمان ص: ۸) و صدقه و صححه العلامة الفاضل المحقق ابو محمد عبد الحق مؤلف (التفسير الحقانى ص:۱٤۱).

و ذكر الشيخ ابن حجر العسقلانى رحمة الله عليه فى كتابه المسمى بـ(الدرر الكامنة فى اهل المائة الثامنة) فى حاله انا لانعتقد عصمته بل انا نخالفه فى مسائل اصلية و فرعية.

و قال الذهبى[۱] رحمة الله عليه فى تاريخه فهو بشر له ذنوب و خطايا. و قال اليافعى[۲] زيادة عليه فى كتاب (عبرة اليقظان) فلا نعتمد على قوله بل له مع الامام تعصب كتاب (عشرة مبشره)، مصنفه المولوى حبيب الله القشاورى (ص:۲٤).

و قال آخوند شيخ: وابن تيمية من المجسمة و من قال بانه تعالى جسم فهو فى غاية السفاهة والجهالة فلم يعتد بقول امثاله (ج:۱، ص:۹۲).

يقول العبد الضعيف و من اتباعه محمد بن عبد الوهاب النجدى الذى ينسب اليه الوهابيون فانها نسبة الى عبد الوهاب النجدى لا الى الوهاب كما يفرحون و يقولون نحن منسوبون الى الوهاب وهوكان من الخوارج كما ذكر العلامة الشامى فى (ج: ۳، ص: ۳۳۷) باب البغاة فيكفى فيهم اعتقاد كفر من خرجوا عليه كما وقع فى زماننا فى اتباع عبد الوهاب النجدى خرجوا من نجد و تغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا انهم هم المسلمون و من خالف اعتقادهم مشركون و استباحوا بذلك قتل اهل السنة و قتل علمائهم حتى كسرالله تعالى شوكتهم و خرب بلادهم و ظفر بهم عساكر

---

(۱) محمد الذهبي توفي سنة ۷٤۸ هـ. [۱۳٤۷ م.]

(۲) عبد الله اليافعي الشافعي توفي سنة ۷٦۸ هـ. [۱۳٦۷ م.] في مكة المكرمة

المسلمين عام ثلاث و ثلا ثين و مائتين و الف سنة ١٢٣٣ ه .

اقول: و هذا ديدن موحدى هذا الزمان حيث يسيئون الادب بأكابر الدين و ينسبون الشرك الى من خالف عقيدتهم الزائغة لايتركون من اساءة الادب لاعالما ولا زاهدا ولا مرشدا ولا مسترشدا لاحياً ولا ميتا فاللازم على امراء الاسلام ان يعزروهم و يمنعوهم من اشاعة عقيدتهم الباطلة و انتساب الشرك الى المسلمين فقد غلب على الطبائع اللدد و العناد و فشا الجهل و الفساد و لذا يقولون لمحمد بن عبد الوهاب النجدى شيخ الاسلام و مجدد الدين و سمعت انه طبع الشيخ له رسالة ولا استبعاد فى ذلك لان كل فرقة لها شيخ من زمرتهم و مجدد لدينهم و الا فالعلماء صرحوا بكونه من الخوارج وهم يقولون له شيخ الاسلام ومجدد الدين.

مصرع: ببين تفاوت ره از كجا است تا بكجا

و الدليل على كون محمد بن عبد الوهاب النجدى من اتباع ابن تيمية ما قال فى آخر كتابه المسمّى بـ(كتاب التوحيد): و كفانا فى ذلك قدوتنا و امامنا ابن تيمية و هذا صريح فى ان ابن تيمية امام و محمد بن عبد الوهاب النجدى مأموم و انما يكون الامام و المأموم على مشرب واحد.

وقال محمد بن عبد الوهاب النجدى: ان قول القائل (يارسول الله) لايجوز بل يكفر قائله و قال فى رده مفتى الحنفية و المالكية و الشافعية و الحنبلية و من اباطيل الاقوال ما تفوه بعض المبتدعين الجهال ان قول القائل (يارسول الله) لايجوز بل يكفر قائله،كلا، بل قول القائل (يا رسول الله) و (يا محمد) بطريق الاستعانة جائز كما فى (المواهب اللدنية) حرره مفتى الحنفية بمكة المكرمة عبد الرحمن بن عبد الله و مفتى المالكية بمكة المكرمة ابو بكر، و مفتى الشافعية بمكة المحمية محمد سعيد بن بالصبيل و مفتى الحنابلة بمكة المشرفة خلف ابن ابراهيم (فتوى الحرمين لمفتى محمد ايوب الفشاورى:ص:٢٦) سنة ١٣٠٤ ه .

فانظر الى عقيدتهم كيف وجدتها مخالفة لاجماع المذاهب الاربعة فكيف الاعتماد على عقيدة مخالفة لاجماع السلف و الخلف كما عرفت سابقا من كلام تاج الدين

السبكي رحمة الله عليه ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ النساء: ١١٥)

و ذكر الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني [١] بعد ترجيح ابن حجر على ابن تيمية: قلما يخلو كتاب منها من شذوذه فى مسائل يخالف بها مذاهب المسلمين و يشنع على علماء الاسلام ولاسيما الاولياء العارفين كالشيخ الاكبر سيدى محى الدين فقد كفره و اخرجه من الدين مع ان جمهور الامة اتفقوا على انه من اكابر الاولياء و سموه سلطان الاولياء. و اظن بل اتيقن ان السبب الوحيد بعدم انتفاع الناس بكتب ابن تيمية و علمه مع جلالة قدره شذوذه فى تلك المسائل و اعتراضه على هؤلاء الاكابر و ما شبهت الا بكنوز مملوءة من الجواهر النفيسة و لكنها مرصودة من بدعه و مخالفته بحيات قاتلات فهى تمنع الناس من الاقبال عليها و الانتفاع بها. (المواهب اللدنية: الفصل الثانى من المقصد العاشر)

اقول قد عرفت انه ينسب الكفر الى سيد الاولياء المسلّم ولايته عند الامة و هذا طريق اتباعه فى زماننا فانه قال لى طالب علم هو تلميذى و سكن عنده ان الشيخ يقرر ليلتين على محى الدين ابن العربى رحمة الله عليه و يقول له كافرا و ملحدا و زنديقا اعاذنا الله من اساءة الادب باولياء الله و اكابر الدين بجاه الرسول النبى الامين.

بيت:

آمين آمين لاارضى بواحدة * حتى اضم اليها الف آمينا

و ايضا ذكر على القارى فى (شرح الشفاء) و قد افرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرّم السفر لزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة و جاحده محكوم عليه بالكفر و لعل الثانى اقرب الى الصواب لان تحريم ما اجمع عليه العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه فى هذا الباب.

و قال العلامة شهاب الدين الخفاجى الحنفى فى (شرح الشفاء) بعد قوله عليه

---

(١) المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ. [١٩٣٢م.]

الصلوة و السلام (لعن الله قوما اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) و اعلم ان هذا الحديث دعا ابن تيمية و من تبعه كابن القيم الى المقالة الشنيعة التى كفروه بها و صنف فيها السبكى مصنفا مستقلا وهى منعه من زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وشد الرحال اليه وهو كما قيل:

بيت:

لمهبط الوحى حقا ترحل النجب * و عند هذا المرتجى ينتهى الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لاينبغى ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل.

و قال العلامة الزرقانى رحمة الله عليه فى (شرح المواهب اللدنية) و لكن هذا الرجل يعنى ابن تيمية ابتدع له مذهبا و هو عدم تعظيم القبور و انما تزار للترحم والاعتبار بشرط ان لايشد اليها رحل فصار كل ما خالفه عنده كالصائل بما يدفعه فاذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل الى دعوى انه كذب على من نسب اليه مجازفة و عدم نصفة و قد انصف من قال فيه (علمه اكبر من عقله).

يقول العبد الضعيف فانظر الى هؤلاء العلماء الاعلام كيف شنعوا على ابن تيمية فى اقواله الشاذة المخالفة عن اجماع العلماء قاطبة سلفاً و خلفاً فهل يتمسك عاقل فى تلك المسائل على اقواله؟ فليعتبر العاقل و ليكشف غشاوة التعصب عن بصره و بصيرته كى تنطبع دقائق التعقل فى ضميره. فهيهات التنبه للزمرة الدقيقة الخفية المكان و اللمحة الرفيعة الشان (... وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴿ المطففين :٢٦) (وَلِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴿ الصافات :٦١) (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴿ يٰسٓ :١٧)

و ايضا قال الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمة الله عليه فى تفصيل حديث (شد الرحال) ان ابن تيمية ذكر فى الاستدلال على تحريم شد الرحال الى زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مقولة الامام مالك رحمة الله عليه:انه كره ان يقول زرت قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و قد اجاب عنه المحققون بانه كره اللفظ ادبا لا اصل الزيارة فانها من

افضل الاعمال و اجل القربات الموصلة الى ذى الجلال و ان مشروعيتها محل اجماع بلانزاع والله الهادى الى الصواب فانظر الى تحريفه قول الامام مالك رحمة الله عليه من حيث المعنى و فى اى كتاب ان الامام مالك رحمة الله عليه نص على كراهيته فانه نص فى رواية ابن وهب عنه وهواجل اصحابه انه يقف للدعاء و اقل مراتب الطلب الاستحباب و جزم به الحافظ ابو الحسن القابسى و ابو بكر بن عبد الرحمن و غيرهما من ائمة مذهب مالك رحمة الله عليه و جزم به العلامة خليل[1] ابن اسحاق فى منسكه. افما يستحيى هذا الرجل فى تكذيبه بما لم يحط به علمه انه صار كل ماخالفه ما ابتدعه بفاسد عقله عنده كالصّائل لايبالى بما يدفعه فاذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل الى دعوى انه كذب على مانسب اليه مجازفة و عدم نصفة و قد انصف من قال فيه (عمله اكبر من عقله) (شرح المواهب اللدنية) و (الرسالة العجالة).

و ايضا ذكر العلامة الزرقانى رحمة الله عليه فى (شرح المواهب اللدنية) عن الائمة الاربعة استحباب الاستقبال الى القبر الشريف عند الدعاء و من نسب الى الامام ابى حنيفة خلاف ذلك فنقله غير صحيح،اذ لم ينقله عن الامام احد من اهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل باهل القبور و نقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر بذلك.

اقول فانظر بنظر الانصاف و تجنب عن التعصب و الاعتساف كيف يصح انتساب انكار التوسل الى ابى حنيفة رحمة الله عليه كما فعل ابن تيمية و نقلنا سابقاً بحوالة (روح المعانى) فان اصحاب امام ابى حنيفة اعرف بمذهب امامهم.

وروى القاضى عياض رحمة الله عليه بسنده الى ابى حميد احد رواة مالك رحمة الله عليه.قال:ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكاً فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مالك رحمة الله عليه:يا امير المؤمنين!لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى ادّب قوماً فقال (... **لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَاتَكُمْ** الآية. الحجرات:٢)ومدح قوما فقال (**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ** الآية. الحجرات:٣) وذم قوما (**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ** الآية. الحجرات :٤) و انما حرمته حياً كحرمته ميتاً فاستكان لها ابو جعفر و قال يا اباعبد الله أ استقبل القبلة و ادعوام استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال و لم تصرف وجهك عنه

(١) الشيخ خليل المالكي توفي سنة ٧٦٧ هـ. [١٣٦٥ م.]

وهو وسيلتك و وسيلة ابيك آدم على نبينا و عليه الصلوة و السلام الى يوم القيمة بل استقبل و استشفع به فيشفعه الله تعالى.

قال العلامة الشهاب الخفاجي الحنفي في (شرح الشفاء) و في هذا رد على ما قال ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة امر منكر لم يقل به احد ولم يرو الا في حكاية مفتراة على الامام يعني هذه القصة التي اوردها القاضي عياض ههنا. و لله درّ المصنف حيث اوردها بسند صحيح و ذكر انه تلقاها من عدة من ثقة مشائخه فقول ابن تيمية انه امر منكر، كِذْبٌ محض و مجازفة من ترهاته و قوله (ولم يقل ولم يرو) باطل فان مذهب مالك رحمة الله عليه و احمد رحمة الله عليه و الشافعي رحمة الله عليه استحباب الاستقبال الى القبر الشريف في الدعاء و السّلام وهو مسطور في كتبهم. انتهى.

و قد ذكر سابقاً ان مذهب الامام الاعظم ايضاً كذلك فعلم ان هذا القول قولٌ منكرٌ باطل خرق لاجماع السّلف. و العجب كل العجب من المتسمين بسمة الشيخوخة انهم يعتقدون به في مثل هذه الاقوال ايضاً و يقولون باللسان اذا كانت مسئلة من المتقدمين فنحن نعمل بقول المتقدمين و نترك قول المتاخرين و ههنا يتركون الاجماع بقول ابن تيمية (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ اَنْ تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ۞ الصف :٣).

و العبد الضعيف كان يسمع هذه المقالة منهم فلما عرفت مسلكهم علمت ان مقصودهم رفع الاعتماد عن الكتب فانهم يقولون اليوم اذا كانت المسئلة موجودة في كتب محمد رحمة الله عليه فاية حاجة الى (الهداية) و (شرح الوقاية) و (الكنز)؟ فاذا تيقنوا ان كلامهم في الجهلاء من الطلبة الاغمار كما يظهر من عادتهم فانهم يقولون نعتمد على قول ابي حنيفة رحمة الله عليه لا على قول ابي يوسف و محمد و غيرهما فانا مقلدون له لا لهم. فاذا رفع الاعتماد عن كتب محمد، يقولون: نعتمد على الحديث فانا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا رفع الاعتماد من ابي حنيفة، يقولون: نحن نعمل بالقرآن و كيف نعمل بالحديث في مقابلة القرآن كما هي عادة منكري الحديث في هذا الزمان و هذه هي الطريقة الى الالحاد في الدين و هذا ليس بتخمين بل سمعت بعض ذلك مشافهة من تلامذته الاغمار. و قلت لهم مثل هذا القول الا ان غشاوة التعصب قد احاط على بصائرهم فالى الله

المشتكى من اكثر طلبة هذا الزمان،لايعرفون الغث من السمين ولا الشمال من اليمين ولالهم علم بالعلوم الآلية ولالهم مهارة فى العقائد فيجدهم امثال هذا الشيخ خالى الاذهان فيتمكن فى قلوبهم ما قالوا لايغسله البحار و لنعم ما قيل.

بيت:

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبنا فارغا فتمكنا

و قال صاحب (التفسير الوجيز) فابن تيمية اتى بشيء منكر لا يغسله البحار و ليس هذا عجيبا منه فانه تفوه بان لله يدا و رجلا و صار من المجسمة حتى ان بعضاً من العلماء قد كفروه (وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتٌ * الآيَة. البقرة : ١٥٤)

اقول و مثل هذا لا يغسله البحار من قلوب هذه الاغمار الذين لا بصيرة لهم و لا شك انّ اعتقاد جسميته تعالى كفر. قال على القارى فى (شرح الفقه الاكبر:ص،٢٠١) و كذا من قال بانه سبحانه جسم و له مكان ويمر عليه زمان،كافر،لم يثبت له حقيقة الايمان.

و قال شارح (العقائد الجلالية) كان ابن تيمية حنبلياً لكنه تجاوز الحدود و حاول اثبات ما ينافى لعظمة الحق تعالى فاثبت له تعالى الجسم فخرج منه. (حاشية النبراس: ص، ١١٦)

و قال صاحب (النبراس):البحث الثانى: ذكر المتكلمون ان الانبياء عليهم الصلوة و السلام اجمعوا على القول بحدوث العالم و ان القول بقدمه كفر و يحكى عن الامام ابن تيمية امام اهل الحديث و فقهاء الحنابلة بقدم العرش وهو قول شاذ لايعبأ به (نبراس:ص، ١١٦)

قال السبكى، هو رجل (علمه اكبر من عقله) حتى قيل ان من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام فهو كافر اهـ. (مستحسن على النبراس:ص:١١٦) و ذكر فى (قمرالاقمار[1]):لا عبرة لكلام ابن حزم لكونه من اهل الظاهر لا من اهل السنة و الجماعة بدليل انه انكر القياس فى كتابه (المحلى) و صرح النووى فى (فصول مقدمة شرح مسلم) انه ظاهرى و فى

(١) مؤلف قمر الاقمار محمد عبد الحي اللكنوي الهندي توفي سنة ١٣٠٤ هـ. [١٨٨٦ م.]

(تعليقات البخارى) و لم يصب ابو محمد بن حزم الظاهرى. (قمر الاقمار: بحث الاجماع).

اقول: علم منه عدم قبول قول اهل الظاهر و عدم كونه حجة سواء كان ابن حزم او غيره و ذكر فى (تذكرة الراشد) فى حق ابن تيمية و عبد الوهاب النجدى: لا شك ان اكثر العلماء عدلوهما و وثقوهما و اكثر العلماء عدوهما من الاغمار الناقصين فى العقل و نسبوا اليهما الضلال و بينوا ذمهما و قباحتهما و اخرجوهما من طائفة اهل السنة و الجماعة و ادخلوهما فى زمرة اهل البدعة و الضلالة و قد صرح فى اصول الحديث:ان الجرح المفسر مقدم على التعديل فلا اعتبار لتعديلهم فى مقابلة الجرح المفسر.

و ذكر فى (فتاوى الحديثية) خذل الله ابن تيمية و اعماه و اصمه و اذله و صرح بذلك الائمة الذين بينوا فساد احواله و كذب اقواله و من اراد تفصيل ذلك و تصديق ذلك فعليه بكتب الامام ابى الحسن السبكى و ولده تاج الدين السبكى و الشيخ الامام العز بن جماعة و غير ذلك من معاصريهم و غيرهم من الشافعية و المالكية و الحنفية.

و بعض من عقائد ابن تيمية ان طلاق الحائض لايقع.

و كل صلاة تركت عمدا فقضاؤها ليس بلازم.

و الطلقات الثلاث ترد الى الواحد.

و يجوز للجنب ان يصلى النافلة فى الليل.

ولا يجوز التوسل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و السفر الى الزيارة النبوية معصية.

و اثبت الله تعالى جسمية و جهة و الانتقال من جهة الى جهة و مكان الى مكان.

و يقول ان الرب تعالى على مقدار العرش لااصغر ولا اكبر. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.(رسالة وجوب التقليد بامر الحميد: ص:١١-٢٠)

اقول:قد ظهر لك من هذه الاحوال كظهور الشمس فى رابعة النهار احوال اصحاب الظواهر فعليك بالتجنب عن مطالعة كتبهم و اتباع عقائدهم.

و علم ایضا ان تعدیل من عدل ابن تیمیة لااعتبار له بناء علی اصول الحدیث.

و لنذکر لك الفتوی فی واقعة بلدة الشاه منصور من مضافات المردان من تاج العلماء المحقق المدقق مولانا قطب الدین الغرغشتوی نور الله مرقده و برد مضجعه لیعلم ان کلام هؤلاء مردود سلفا و خلفا و اولا و آخرا: بسم الله الرحمن الرحیم (... وَاللّٰهُ یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ یَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیْمِ۝ البقرة: ۱۰۵) (... وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِیَدِكَ الْخَیْرُ اِنَّكَ عَلٰی كُلِّ شَیْءٍ قَدِیْرٌ۝ آل عمران: ۲۶) (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَاِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْرًا اِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْرًا فَاِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَاِلٰی رَبِّكَ فَارْغَبْ۝ الانشراح: ٤-٥) (وَالَّذِیْنَ جَاهَدُوْا فِیْنَا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَاِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِیْنَ۝ العنکبوت: ٦٩) :

فقیر قطب الدین غرغشتوی بخدمت اہل اسلام عموماً اہل السنت والجماعۃ خصوصاً عرض پرداز ہے کہ اگرچہ سعی سلف رحمہم اللہ تعالیٰ کافی ہے لیکن بتذکرۂ عزیزان اخوان اسلام کے لئے اتفاقاً ضرورت پڑی تاکہ عوام جدال و قتال سے محفوظ رہیں۔ اتباع محمد بن عبدالوہاب نجدی اور ابن تیمیہ اور ابن قیم کے جن کے عقاید یہ ہیں ۱ کہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم کی قبر شریف کو صنم اکبر (بڑا بت) کہتے ہیں ۲ اور اپنے آپ کو موحدین کہتے ہیں ۳ اور اپنے مخالف کو مشرک بتلاتے ہیں ۴ اور یا رسول اللہ کہنا شرک ہے ۵ زیارت قبور بعیدہ ناجائز ہے ۶ اور اولیاء اللہ کے ارواح پر ایصال ثواب حرام ہے ۷ اور کرامت بعد الموت نہیں ۸ اور توسل حرام ہے وغیرہ وغیرہ اہل سنت والجماعت سے خارج ہیں۔ اگر کسی کو مزید تحقیق کا شوق ہو تو فقیر کیساتھ کرسکتا ہے اور لا اکراہ فی الدین کی وجہ سے تعرض نہیں کرتے لیکن ترک موالات میں ہمکو اختیار ہے

(وَاللّٰهُ یَدْعُوْٓا اِلٰی دَارِ السَّلَامِ وَیَهْدِیْ مَنْ یَّشَآءُ اِلٰی صِرَاطٍ مُّسْتَقِیْمٍ۝ یونس :۲۵) مولوی قطب الدین غرغشتوی بقلم خود

جناب حضرت مولانا سرتاج علماء قطب الدین صاحب دامت برکاتہم علینا کے مکتوب بزرگ کتابت کیساتھ ہم خادمان اہل علم کا کاملاً و علانیۃ اتفاق ہے یہاں علاقہ بلاق وغیرہ ضلع مردان میں بھی یہیں نجدیوں وغیرہ کے ہم عقیدہ لوگ ہماری نظروں میں موجود پائے جاتے ہیں جو کہ خارج از زمرۂ اہل السنت والجماعت ہیں

۱ مولوی میر عبداللہ طوردی بقلم خود
۲ صاحب حق عبدالخالق گڑھی کپورہ بقلم خود
۳ مولوی زین اللہ ساکن ترلاندی بقلم خود
۴ مولوی شائستہ گل ساکن متہ بقلم خود
۵ مولوی غلام رحمانی ساکن لوند خوڑ بقلم خود

اور فتوی تور ڈھیر میں ایک سو اڑتالیس علماء کرام کے دستخطیں موجود ہیں۔

يقول العبد الضعيف:نقل الفتوى مطابق لاصل الفتوى و لذا لم اذكرها بالعربية و علم من الفتوى المذكور ان علماء اهل السنة و الجماعة كلهم مخالفون عن هذه الشرذمة القليلة المتسمين بسمة التوحيد المسيئين للادب.فعليكم ايها الاخوان المسلمون التجنب عنهم و عن مطالعة كتبهم لان الخارج عن المذاهب الاربعة فى ذلك الزمان خارج عن اهل السنة و الجماعة كما ذكر فى (عمدة الاصول فى حديث الرسول ص: ٩٧)

و الامر الثامن:ان من آداب الحديث فى الشيخ ان يكون خالصاً نيته،طاهرا قلبه، حسنا خلقه، طليقا وجهه،جالساً على صدر المكان بالوقار غير مخل غير مغفل،متمكناً متوجها بحل المشكلات و شرح الغرائب على نهج الشروح و اللغة بالتطبيق و الترجيح على قواعد المذهب و اصول اهل السنة،معتمدا فى التضعيف و التصحيح على الشروط المعتبرة عند اهل الحديث،المقررة فى اصول الفقه،غير خارج عن المذاهب الاربعة،غير محدث قائما ولا عاجلا ولا فى الطريق رائيا حال الطالب:هل هو اهل لذلك الفن والا فكان امره بالفقه فان حصوله ايسر مع وصول اصل المقصود لان الفقه ثمرة الحديث و ثواب الفقيه ليس دون المحدث بالاحاديث و ذكر فى حاشية قوله (غير خارج عن المذاهب الاربعة) اى فى ذلك الزمان فانه ممنوع بالاجماع.

قال (الطحطاوى شرح الدر المختار فى كتاب الذبائح) قال بعض المفسرين: فعليكم يا معشر المؤمنين!اتباع الفرقة الناجية المسماة باهل السنة و الجماعة فان نصرة الله تعالى وحفظه و توفيقه فى موافقتهم،وخذلانه و سخطه و مقته فى مخالفتهم و هذه الطائفة قد اجتمعت اليوم فى المذاهب الاربعة وهم المالكيون و الحنفيون و الشافعيون و الحنبليون. (فمن كان خارجاً فى ذلك الزمان عن هذه المذاهب الاربعة فهو من اهل البدعة و النار) انتهى.

قال القاضى ثناء الله پانى پوتى رحمه الله تعالى فى (التفسير المظهرى):فان اهل السنة قد افترق بعد القرون الثلاثة او الاربعة على اربعة مذاهب و ام يبق مذهب فى فروع المسائل سوى هذه المذاهب فقد انعقد الاجماع المركب على بطلان قول يخالف كلهم. و قد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم (لا تجتمع امتى على الضلالة) انتهى.

فعلم (ان من كان خارجاً عن المذاهب الاربعة فهو من اهل البدعة و الضلال) و العجب من موحدى هذا الزمان حيث يقولون فى حق ابن عبد الوهاب شيخ الاسلام و مجدد الدين و الحال ان العلماء صرحوا بانه و اتباعه من الخوارج و الويل للمنتسبين الى الديوبند، كيف يقولون له شيخ الاسلام ومجدد الدين؟ و ان علماء ديوبند صرحوا بكون محمد بن عبدالوهاب النجدى من الخوارج كما ذكرنا نقلا عن (عقائد علماء الديوبند) و فى ذلك الكتاب مواهير العلماء من العرب و العجم و المذاهب الاربعة قاطبة وهم بعض ذرياته وهل هذا الا أ تباع سبيل غير سبيل المؤمنين (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدٰى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهٖ مَا تَوَلّٰى وَنُصْلِهٖ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً) النساء :١١٥) قال الامام الشافعى رحمة الله عليه طالعت القرآن ثلاثمائة مرة فلم أرَ دليلا قويا على حجية الاجماع اقوى من هذه الاية.

و الحاصل ان اكابر الديوبند بل العلماء الماضين يقولون ان محمد بن عبد الوهاب من الخوارج و بعض من استقبل الى الديوبند ولا ادرى ابات فيه ليلة او ليلتين ام لا. أ قعد فى درسه ام لا، انه يفترى على علماء الديوبند و يزيد الظن السوء عن العوام على الديوبنديين و مقصود العبد الضعيف، الذب عنهم فان مسئلة التوسل بالذوات الفاضلة من اهل القبور و مسئلة سماع الموتى و الكرامة بعد الممات و كون السفر لاجل زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من افضل القربات و كون الميلاد قربة و غير ذلك مما هو من المسلّمات عند الديوبنديين و هؤلاء المسيئون فى شان اهل القبور، المنكرون للتوسل بل ينسبون الى المتوسلين الشرك و المنكرون عن الكرامة بعد الممات القائلون ان فى الميلاد تقليد الغاندى (گاندى) و غير ذلك من الخرافات التى تمجها الاذان و مع ذلك يتسمون بسمة الديوبندية، سبحانك، هذا بهتان عظيم.

و قد اشاعوا فى الزمان القريب رسالة سماها بـ(كشف الشبهات) لمحمد بن عبد الوهاب النجدى الخارجى باتفاق اكثر العلماء وهى تقول له شيخ الاسلام ومجدد الدين فيا معشر المسلمين! احذروا من هذه الفتنة العمياء فانها داهية دهياء.

و العبد الضعيف طالع تلك الرسالة فاردت ان اذكر لك نبذا من ذلك و ان كان

التذنيب مسوقاً لبيان احوال ابن تيمية الا انه ايضاً من تصنيف ذريته و مأمومه.

فنقول:قد عرفت حال محمد بن عبد الوهاب النجدى:انه كان من الخوارج و خرج من النجد و تغلب على الحرمين الشريفين و كان يدعى الحنبلية وكانت عقيدته ان ينسب الشرك الى من كان مخالفا عن عقيدته و يبيح قتل علماء اهل السنة و الجماعة و يبيح اكل اموال المسلمين و سفك دمائهم الى ان كسرالله شوكتهم.

ذكر فى (عقائد علماء الديوبند) ان عقيدتنا فى حقه:ما قال صاحب (الدر المختار) و مثل هذا ذكر العلامة الشامى (باب البغاة:ج:٣، ص:٣٣٧) و مثل ذلك ذكر فى (التنقيح الحامدية : ج :١، ص:١٠٣، ج:١، باب الردة).

وذكر العلامة العينى[1] فى (ج:١١، ص:٢٤٠باب قتال الخوارج و الملحدين) وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنه يراهم اى الخوارج شرار خلق الله تعالى و قال انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين و وصله الطبرى[2] فى (تهذيب الآثار)من طريق بكير بن عبد الله بن الاشج انه سأل نافعاً:كيف كان راى ابن عمر رضى الله تعالى عنه فى الحرورية؟ قال:كان يراهم شرار خلق الله تعالى،انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين انتهى.قلت الحرورية هم الخوارج وانما سموا حرورية لانهم نزلوا فى موضع سمى حرورا و هو موضع قريب من الكوفة (ج:٢، ص:٢٤٠).

و قد ذكر فى شان الخوارج احاديث كثيرة فان فى رواية عمر رضى الله تعالى عنه (فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاته و صيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) (البخارى و العينى ج:١١، ص:٢٢٤)

قال النووى فيه دلالة على فقه الصحابة رضى الله تعالى عنهم وتحرير الالفاظ وفيه اشارة من ابى سعيد الى تكفير الخوارج او انهم غير هذه الامة (عينى البخارى ج:١١ ص:٢٤٢) قال العينى هؤلاء القوم خرجوا من نجد موضع التميمين(العينى:ج:١١، ص:٢٤٥)

ثم ظهور الخوارج فى ارض نجد و العراق و ما وراءها من المشرق (العينى: ج:

---

(١) شارح البخاري محمود العيني توفي سنة ٨٥٥ هـ. [١٤٥١ م.] في القاهرة

(٢) محمد بن جرير الطبري الشافعي توفي سنة ٣١٠ هـ. [٩٢٣ م.] في بغداد

١١، ص:٢٥٣) و اشار بقوله عليه الصلوة و السلام **(هناك يطلع قرن الشيطان)** الى نجد و نجد من المشرق.

و ما قال الامام احمد:ان لم يكونوا اهل الحديث فلا ادري من هم؟ قال القاضي عياض رحمة الله عليه انما اراد الامام احمد اهل السنة و الجماعة.قال النووي:يحتمل ان تكون هذه الطائفة مفرقة من انواع المؤمنين.فمنهم مقاتلون و منهم فقهاء و منهم محدثون و منهم زهاد الى غير ذلك (عيني البخاري:ج:١١، ص:٤٣٨)

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه:قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(اللهمّ بارك لنا في شامنا اللهمّ بارك لنا في يمننا)** قالوا يارسول الله! **(وفي نجدنا)** قال **(اللهمّ بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا)** قالوا يارسول الله! **(وفي نجدنا)** فاظنه قال في الثالثة **(هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)** رواه البخاري قال المحدث الدهلوي رحمة الله عليه يعني حزب اوُ و اعوان اوُ (اشعة اللمعات ص: ٧٣٦)

اقول:و قد ذكر العلامة الشامي كما وقع في زماننا في اتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد اهـ.فعلم مما ذكرنا من الاقوال:انهم من الخوارج و قد قال عليه الصلوة و السلام في حقهم ما قال و ايضاً علم:ان علامتهم انهم يطبقون الايات الواردة في حق الكفار على المؤمنين و الآيات الواردة في حق الاصنام على اولياء الله تعالى كما هو حال الغلاة في زماننا فكيف يكون رأسهم و رئيسهم شيخ الاسلام لانه ورد في الحديث **(انهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية)** فالتعجب ان مع المروق من الاسلام كيف يكون شيخ الاسلام؟ نعم، انقلب الدوران ففي كل يوم يحدث شيخ الاسلام و شيخ القرآن.

بيت: *و هكذا يذهب الزمان على العبر ٭ و يفنى العلم و يندرس الا ثر*

و نحن الى الآن نسمع شيخ الاسلام البزدوي[1] و شيخ الاسلام السرخسي[2] مثلا و صار الامر اليوم اسهل فكل من كتب ورقة او ورقتين او ترجم شهرا او شهرين صار شيخ الاسلام و شيخ القرآن فيا للشيخوخة و لعل هذا اختلاف عصر و زمان لا دليل و لا برهان

(١) فخر الاسلام علي البزدوي توفي سنة ٤٨٢ هـ. [١٠٨٩ م.] في سمرقند

(٢) شيخ الاسلام محمد السرخسي توفي سنة ٤٨٣ هـ. [١٠٩٠ م.]

من شيخ الزمان الحاضر يكون هكذا و بعد اللتيا والتى لا يكون شيخ الاسلام من يكون من الخوارج بدليل من الشكل الاول بان من سماه الشيخ شيخ الاسلام لا يكون شيخ الاسلام لانه من الخوارج وكل من يكون من الخوارج لا يكون شيخ الاسلام، ينتج مع رعاية الشرائط لمطلوبنا.

اما الصغرى فلما ذكرنا من نقول العلماء و اما الكبرى فلحديث **(يمرقون من الدين)** الخ. فظهر ان ما قال الشيخ فى خطبة (كشف الشبهات:ص:٢) و اختص للحرمين الشريفين و بلاد العرب الشيخ، القدوة، ناصر السنة، قامع الشرك و البدعة، الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب النجدى نور الله مرقده و برد مضجعه. مردود على فيه برغم انفه حيث لم يدع النبى صلى الله عليه و سلم النجد و قال **(هناك يطلع قرن الشيطان)** اه.و هل هذه الا جراءة عظيمة و وقاحة بينة.

و اما قوله فانهزم اهل الكفر و الشرك و البدعة باللهجة الحسنة.

فغلط من حيث العربية لان انهزم لازم،لا ينصب المفعول كما لا يخفى على من مس رسائل الصرف و النحو.

و قوله والالسنة القاطعة و اللسان الصادقة ففى غاية السقوط لان القطع مشهور فى السنان لا فى اللسان، سيما و قد ذكر بعده قوله و اللسان الصادقة فالظاهر و الالسنة القاطعة.

و قوله و اللسان الصادقة يضحك عليه الصبيان فان المطابقة بين الموصوف و الصفة من ضروريات النحو فالواجب من حيث شريعة النحو ان يقول والالسنة الصادقة لتحصل الموافقة بين الموصوف و الصفة و كذا يحصل التناسب مع قوله و الالسنة القاطعة و لعله كان فى ذلك الوقت بسبب وجد حصل له من مدح من ذمّه علماء الحق قاطبة بين النوم و اليقظة. فمادرى ما يكتب. اللهم ايقظه من سنة الغفلة.

و قوله الف فى ذلك تأليفات الطيبة. فأيضا غلط لان المطابقة بين الموصوف و الصفة فى التعريف و التنكير شرط لازم لايسامح فيها فاللازم ان يقول وتأليفاته الطيبة و

لعل الشيخ حصلت له عداوة مع علماء النحو و الصرف حيث لايعمل بقواعدهم كما له عداوة بالعلماء والأساتذة و الأولياء سيما سيد الأولياء محى الدين ابن عربى فانه يفرط فى شانه تبعاً لمرشده ابن تيمية كما ذكرنا انه يقول له تارة كافر و تارة ملحد و تارة زنديق. اعاذنا الله تعالى منه.

قوله فاشمر الاخى، ايضا غلط فاحش لان المضاف بالاضافة المعنوية يجب تجريده عن التعريف ولاشك ان الاخ مضاف الى ياء المتكلم. فعليه بمطالعة الكافية و الشافية فانظر ايها المنصف اذا كان شخص لايقدر على العبارة الصحيحة فى ورقة بل صفحة و تكون له فيها اغلاط كثيرة فكيف يدعى الشيخوخة؟ وكيف يسمى درسه بـ(در سكاه بى نظير) و لعل هذا وجه تسميته به فاذا كانت حال الخطبة هكذا فقس عليها الباقى و لنعم ما قال الشاعر:

بيت: خشتِ اول چون نهد معمار كَجْ ٭ تا ثريا ميرود ديوار كج

و كيف قال دار العلوم حقانية: اهي عنده حقانية؟

بيت: انگشت حيرت در دهن ٭ نيمش درون نيمش برون

و العجب انه كيف كتب مع (سيدو) لفظ شريف لان لفظ شريف مع المكان يكتب من يكون معتقدا للمكين لان شرافة المكان بشرافة المكين كما هو المثل السائر على لسان البادي و الحاضر و الشيخ لايعتقد سيد الاولياء محى الدين ابن العربى الشيخ الاكبر ـنورالله مرقده و افاض علينا من بركاته ـ فكيف يعتقد صاحب السوآت و الظاهر انه طغى عليه قلمه.

و كذا قوله راولپنڈى. لاادرى كيف ذكر فى العبارة العربية الفصيحة البليغة التى يضحك منها صبيان المكاتيب كما لايخفى على من طالع اللغات الجديدة.

ثم وقع نظرى على قوله من الكتب التوحيد فى (ص:٢٠) فان الكتب ايضا مضاف و معرف باللام و الله لاينقضى غضبى بل عجبى على هذه الوقاحة و ليس مقصودنا

الرد بالمؤاخذات اللفظية و المناقشات العربية فان فى تأليفاته على ما رأيت اغاليط من حيث العربية،نبهنا على بعضها و سامحنا عن بعضها و للاستقصاء لابد من الدفاتر و الاسفار الا (ان ما لايدرك كله لايترك كله) فنبهت لك ايها اللبيب!فان القليل انموذج الكثير و الغرفة تنبئ عن البحر الكبير.

ولا تغتر ايها العاقل! بما قال فى اخر الخطبة فى مدح نفسه مؤسس جماعة التوحيد و السنة فى بلاد الافاغنة فان المعتزلة يسمون انفسهم اصحاب العدل و التوحيد فهل يغتر بهذا الاسم عاقل فضلا عن فاضل لانا نقول عدلهم يبطل توحيدهم و توحيدهم يبطل عدلهم و المنكرون عن التقليد يسمون انفسهم اصحاب التوحيد و اهل الحديث فهل يصدقه عاقل و المنكرون عن الحديث يسمون انفسهم اهل القرآن فهل هم كذلك؟ كلا! والله ليسوا باهل القرآن فان اهل القرآن من هو عامل بالقرآن و العمل بالقرآن لا يمكن بدون الحديث و اهل الحديث هم العاملون بالحديث (و العمل بالحديث لايمكن بدون الفقه و الفقه المدون فقه الائمة الاربعة فلابد من التقليد) و هم يقولون للمقلدين مشركين (﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ الآية. الكهف: ٥)

و ما قال فى الاخير دار القرآن پنج پير يوم الا ثنين ثالث عشر ذو الحجة ـ قوله پنج پير،لا نظير له فى العربية.

و اما قوله ذو الحجة فايضا غلط لان الثالث عشر مضاف الى ذى الحجة و جر الاسماء الستة بالياء كما قال العلامة ابن الحاجب فى الكافية ابوك و اخوك و حموك و هنوك و فوك و ذو مال.

و العجب كل العجب ان صدر المدرسين مولانا محمد عناية الرحمن ايضا لم يلاحظ هذه الخطبة الفصيحة البليغة حتى يصححها او يأمر بتصحيحها فانه ضم مع كتاب (كشف الشبهات) فتواه فى المصافحة و لعله ما نظر فيها قبل الطباعة و الشيخ ايضا لم يتأمل فيها و مفاسد قلة التأمل يضيق عنها نطاق البيان.فعليك بالتأمل قبل البيان و حين البيان و بعد البيان و ما توفيقى الا بالله،عليه توكلت و اليه انيب.

قال محمد بن عبد الوهاب النجدى فى (الاصول الثلاثة) و انواع العبادة التى امر الله بها مثل الايمان و الاسلام و الاحسان و منه الدعاء و الخوف و الرجاء و التوكل و الرهبة و الرغبة و الخشوع و الخشية و الانابة و الاستعانة و الاستعاذة و الاستغاثة.

فاقول:ما المراد من الدعاء والاستعانة ان كان المراد ان مجيب الدعوات و المستعان هو الله تعالى فلا ريب فيه انه صحيح، عقيدة اهل الاسلام كافة. و ان كان المراد ان طلب اجابة الدعاء من الله تعالى بوسيلة احد و حرمته و بركته و طلب العون و النصرة من الله تعالى بوسيلة الذوات الفاضلة و حرمتهم،شرك فهذا امر باطل قد ذكرنا سابقا فى مقصد اثبات التوسل فلا نعيده. و كيف يكون شركا فان صفات الواجب تعالى واجبة لذات الواجب مستقلة لااحتياج فيها. و صفات المخلوقين محتاجة غير مستقلة فالمجيب للدعوات هو الله تعالى و المستعان هو الله تعالى.قال الله تعالى (... **وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَا تَصِفُونَ**۞ **يوسف:١٨**) فاى شرك فيه؟ كيف؟ وقد ذكرنا سابقاً ان مسئلة التوسل مما اجمع عليه العلماء كما نقلنا من تاج الدين السبكى رحمة الله عليه و هذا لاينافى (**اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**۞ **الفاتحة:٥**) فان المعبود و المستعان هو الله تعالى و الذوات الفاضلة و حرمتهم و قربهم و محبتهم وسيلة فى البين فان علماء الاسلام كلهم يعرفون معنى (**اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**۞ **الفاتحة: ٥**) لا انه ظهر لمحمد بن عبد الوهاب النجدى.

و الخوف من احد غير الله تعالى لاينافى الخوف من الله تعالى.الا ترى الى قوله تعالى لموسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام (... **يَامُوسٰى اَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ اِنَّكَ مِنَ الْاٰمِنِينَ**۞ **القصص :٣١**) فانه حصل الخوف لموسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام لما صارت العصا حية فهل لاحد ان يقول ان موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام خاف من الحية و هذا ينافى قوله تعالى (... **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**۞ **آل عمران:١٧٥**) و قال تعالى نقلا عن موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام (**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَاَخَافُ اَنْ يَقْتُلُونِ**۞ **الشعراء: ١٤**) فهل لاحد له شائبة العلم ان يقول ان خوف موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام من القبط ينافى الخوف من الله تعالى و كذا قوله تعالى (**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ**۞ **الآية.القصص:٢١**) و منها قوله تعالى حكاية (... **اِنِّى اَخَافُ اَنْ**

يُكَذِّبُونِ﴾ الشعراء: ١٢) و كذا قوله تعالى حكاية (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ الآية. مريم: ٥) و كذا قول هارون على نبينا و عليه الصلوة و السلام (... إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ طٰهٰ: ٩٤) و كذا قولهما (... إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ الآية. طٰهٰ: ٤٥) و مثل ذلك كثير فى الفرقان.

و قد صرح العلماء فى قصة موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام: فيها دليل على ان الخوف من المؤذيات لاينافى الكمال والتوكل. و لعل الشيخ ايضا ما وقع بصره على تلك الايات.

و ايضا ورد فى الحديث انه عليه الصلوة و السلام كان يحرس حتى نزل (...وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية. المائدة: ٦٧) فهل هذا ينافى الخوف من الله تعالى.

و ايضا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لبس درعين فى الجهاد فهل هذا ينافى الخوف من الله تعالى؟ كلا!

و ايضا الصديق الاكبر رضى الله عنه لما اخرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الهجرة الى الغار كيف ورّى مع الكفار حيث قال (رجل يهدنى السبيل) و ما كان هذا الالخوف الكفار. فهل لاحد ان يقول ان هذا ينافى الخوف من الله ولاينكر عما ذكرنا الا غمر جاهل او معاند متجاهل. ولا ادرى ان مرشد الشيخ: هل كان يخاف من المؤذيات وممن كان يقدر على اذاه ام لا. و هل ذرياته يخافون ممن يقدر على ايذائهم ام لا؟

و الدعاء و ان كانت عبادة الا ان الدعاء يكون من الله تعالى. الا ترى الى حديث الضرير (اللهم انى اتوسل اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ...) اهـ. فان السؤال فيه من الله تعالى و النبى صلى الله تعالى عليه و سلم وسيلة فى البين فاى شرك فيه؟ نعم، من يقول مجيب الدعوات و المستعان و كاشف الضر و شافى المرضى مثلا الوسيلة حقيقة فهذا شرك كما ذكرنا سابقا من فتوى العلماء: ان اعتقاد كون الوسيلة حلّال المشكلات شرك. فما اهون شركهم.

و اما الإستغاثة فمعناه طلب الغوث ولا ادرى ما يقولون فى معنى مثال المنادى

المستغاث،مثل يا لعمر.اى ياقوم اغث لعمر و ان قلت انه من الحى قلنا،لاتخصيص فى الاية بالميت و الحى و ان قلت ان الاستغاثة من الحى من قبيل الاسباب قلنا،ذكر سابقا ان التوسل بالأموات و الاستعانة بهم ليس خارجاً من الاسباب لاينكره الا جحودٌ او ظلوم.

و اما الذبح و النذر ان كان باسم غيرالله تعالى فلا شك ان النذر لغيرالله حرام باجماع العلماء مالم يقصد صرفه الى الفقراء و كذا الذبح. و اما ان كان المراد ان يصل ثوابه الى المقبور الفلانى، فاى حرج فيه؟ كيف و النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يضحى عن امته ممن لم يضح و كذا على رضى عنه كان يضحى عن النبى الله عليه وسلم بعد وصاله صلى الله تعالى عليه وسلم و ما ذلك الالوصول الثواب و الا فالاضحية الواحدة كيف تصح عن جميع الامة و هذا هو محمل الحديث و الا فالرجل يذبح الدجاج للضيف و كذا الشاة. الا ترى ان الصحابى لما اراد الذبح للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و ابى بكر الصديق و غيرهما و اخذ المدية،قال عليه الصلوة و السلام له (اياك والحلوب).نعم،من ذبح لمحض تعظيم غير الله تعالى لا لان ياكل منه كما يكون عند قدوم السلطان وكما يكون فى بعض البلاد عند الجيش فهو حرام لا مطلقاً كما لايخفى على اولى النهى.

و النذر الذى يقع من اكثر العوام بان ياتى الى قبر بعض الصلحاء و يرفع ستره على راسه،قائلا ياسيدى فلان!ان قضيت حاجتى كرد الغائب و معافاة المريض فلك منى من الذهب او من الطعام او من الكسوة او من الشمع مثلا كذا باطل اجماعاً. نعم،لو قال يا الله!نذرت لك ان شفيت مريضى او نجوه ان اطعم الفقراء بباب السيدة نفيسة او نحوها او اشترى حصيرا لمسجدها و زيتا يوقدها او دراهم لمن يقوم لشعائرها مما يكون فيه نفع للفقراء.

و النذر لله تعالى و ذكر الشيخ انما هو محل لصرف النذر لمستحقيه العاكفين برباطه او مسجده اوجامعه بهذا الاعتبار،اذ مصرف النذر الفقراء و قد وجد المصرف لكن لايحل صرف الا الى الفقراء لا الى ذى علم لعلمه ولا لذى نسب لنسبه و لا لحاضرى الشيخ الا ان يكون واحدا من الفقراء.

و اذا عرفت هذا فما يوخذ من الدراهم و نحوها و ينتقل الى ضرائح الاولياء

تـقـربـا الـيـهـم فحرام بالاجماع مالم يقصد صرفها الى الفقراء الاحياء قولا واحدا و قد ابتلى الناس بذلك. فى (النهر الفائق[1]) و (البحر الرائق) و (الفتاوى الشاهجهانية و فتاوى عزيزيه ج: ٢، ص: ١٠٧، و ج: ١، ص: ٩٠) و (الدر المختار،كتاب الصوم) قوله باطل بالاجماع بوجوه: منها انه نذر مخلوق و النذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة و العبادة لا تكون لمخلوق و منها ان المنذور له ميت و الميت لا يملك و منها انه ظن ان الميت يتصرف فى الامور دون الله تعالى و اعتقاده كفر .

فـعـلـم من هذا التفصيل ان الحكم مطلقاً خطأ كما هو ديدن الغالين المتجاوزين اتـبـاعاً لمرشدهم فالحاصل ان الذبح لاهداء الثواب لاحد و يذكر عند الذبح اسم الله تعالى لا غير، جائز كما علم من اضحية النبى صلى الله عليه و سلم من امته و اضحية على رضى الله عـنه عن النبى صلى الله عليه و سلم و غير ذلك مما ذكرنا سابقا جائز و هو محمل ما ذكر فى (التفسير الأحمدى:ص:٦٩).

و من ههنا،علم ان البقرة المنذورة للاولياء كما هو الرسم فى زماننا حلال طيب و الا فـالـنـذر لـغير الله تـعـالى حـرام كـما علمت آنفا بان لم يقصد صرفه الى الفقراء و قصد الـتـذلل غـاية التذلل لغير الله كما هو معنى العبادة على ما صرح به مرشد الشيخ فى (كتاب الـتـوحـيد) :العبادة التذلل غاية التذلل. و كذا قال القاضى البيضاوى (ص:٨) و العبادة اقصى غـايـة الخضـوع و الـتـذلل و مـنه طريق معبد اى مذلل و ثوب ذو عبدة اذا كان فى الـصـفـاقـة و لـذلـك لا تستعمل الا فى الخضوع لله تعالى.قال فى (المنهية) اى لا يجوز شرعاً و عـقـلا فـعـل العبادة الا لله لان المستحق لاقصى غاية الخضوع من يكون موليا لاعظم النعم مـن الـوجـود و الحـيـاة و تـوابـعـهـمـا و لـذلك يحرم السجود لغيرالله تعالى لان وضع اشرف الاعضاء على اهون الاشياء و هو التراب،غاية الخضوع.

اقول: هذا هو المراد بالقصر المستفاد من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴿ الآية. الفاتحة:٥) فان معناه على قانون البلاغة الباحث عن المعانى الثانوية: نعبدك و لانعبد غيرك اى نتذلل غاية التذلل لك لا لغيرك.

و امـا الـمـحـبـة مع اولـيـاء الله تعالى فامر آخر غير العبادة لانا مأمورون بالمحبة مع الانـبـيـاء عـلـيـهـم الصّلوة و السلام مع ان العبادة لغيرالله تعالى مطلقا حرام ولذلك ورد فى

(١) مؤلف النهر الفائق عمر بن نجيم المصري توفي سنة ١٠٠٥ هـ. [١٥٩٦ م.].

الحديث الذى صححه الامام البخارى رحمة الله عليه **(واسالك حبّك وحبّ من يحبك)** فعلم ان المحبة مع من يحب الله تعالى امر مطلوب سأله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالاهتمام ولاشك ان انبياء الله تعالى و اولياءه يحبون مع الله فلو كانت المحبة عين العبادة لما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك كما لايخفى ولذلك ورد فى الرواية **(من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب)**

و اما الاستعانة من الله تعالى لاينافى فى الوسائل كما علم مفصّلا فى بحث التوسل. الا ترى الى ان طلب الوسائل و الآلات لاينافى كون الله تعالى مستعانا. ولاينافى **(اياك نستعين)** قال القاضى البيضاوى:الاستعانة:طلب المعونة وهى اما ضرورية او غيرها.

و الضرورية مالايتاتى الفعل دونها كاقتدار الفاعل و تصوره وحصول آلة و مادة يفعل بها فيها و عند اجتماعها يوصف الرجل بالاستطاعة و يصح ان يكلف بالفعل.

و غير الضرورية تحصيل ما تيسر به الفعل و يسهل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى او يقرب الفاعل الى الفعل و يحثه عليه و هذا القسم لايتوقف عليه صحة التكليف (البيضاوى: ص:٨).

فعلم ان طلب الوسائل لاينافى كون الاستعانة من الله تعالى كما هو مزعوم الفئة المنكرة و لذا قال البيضاوى فى (ص:٩) و يعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة.

و ما ذكر فى (ص:١١) من قوله تعالى **(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ۝ الزمر: ٣٠)**.

ان كان المراد من ايراده نفى الحياة البرزخية كما هو مزعوم الفئة المنكرة فذلك باطل لان الاحاديث الصحيحة دالة على حياة الأنبياء عليهم الصّلوة و السلام و الشهداء و الصديقين و الصالحين كما ورد فى الحديث **(فنبى الله حى يرزق)** و كذا ورد فى الحديث **(من صلى علّى نائيا ابلغته ومن صلى علىّ عند قبرى سمعته)** (المشكاة:ص:٧٩) و السمع لايكون بدون الحياة كما لايخفى و كذا روى الدارمى عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة ولم يؤذن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلا ثا و لم يقم ولم يبرح

سعيد بن المسيب المسجد وكان لايعرف وقت الصلوة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم، رواه الدارمي (المشكاة ص:٥٣٧).

و كذا صرح في (عقائد علماء الديوبند) و تلك عقائد علماء العالم سوى الفئة المنكرة بان للانبياء عليهم الصلوة و السلام حياة برزخية جسدانية و يدل عليه قوله عليه الصلوة و السلام (مررت بقبر موسى فاذا هو يصلي في قبره.) والصلاة تقتضي جسدا حيًّا و كذا صرح به في (التفسير المظهري) بل ذكر في رواية الترمذي تلاوة (سورة الملك) من موضع لايعرف فيه القبر كما ذكر في (المشكاة باب فضائل القرآن) و قد ذكرناه مستوفى في المقاصد ونقلنا عن (التفسير المظهري):ان الحياة البرزخية غير مختصة بالشهداء بل تجرى في الانبياء و الصديقين و الصالحين على ما يدل عليه الترتيب في قوله تعالى (... فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا۞ النساء :٦٩) و ان كان المراد الموت الظاهري الدنيوي فلا ينكر عنه عاقل.

و ايضاً روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما من احد يسلم عليَّ الا ردّ الله تعالى عليّ روحي حتى ارد عايه السلام) رواه ابو داود و البيهقي في الدعوات الكبير.

و كذا روى الدارمي والنسائي (ان لله تعالى ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام) (المشكوة:ص:٧٨) قال في الحاشية (رد الله عليَّ روحي) ليس المراد بعود الروح عودها بعد المفارقة عن البدن و انما المراد انه صلى الله عليه وسلم في البرزخ مشغول حول الملكوت مستغرق في مشاهدة الرب جل و علا كما كان في الدنيا في حالة الوحي و في الاحوال الأخر فعبر عن افاقته من تلك المشاهدة و ذلك الاستغراق بِرَدِّ الروح.

و الحاصل ان مسئلة الحياة البرزخية للانبياء عليهم الصلوة و السلام مما تلقتها الامة بالقبول سلفا و خلفا اولا و آخرا و الفئة المنكرة تنكرها كما ذكر مولانا السيّد حسين احمد المدني نورالله مرقده و برد مضجعه و افاض عليه شآبيب الغفران في (الشهاب الثاقب) ان شئت فطالعه و للعلامة السيوطي رسالة في حياة الانبياء عليهم الصلوة و السلام ذكر

فيها دلائل شافية كافية دالة على حياة الانبياء عليهم الصلوة و السلام،من اراد فليطالعها فان فيها شفاء العليل و دواء الغليل.

و ما ذكر فى (ص:١٣):و لكنهم يجعلون بعض المخلوقات و سائط بينهم و بين الله تعالى،يقولون نريد منهم التقرب الى الله تعالى و يزيد شفاعتهم عنده.

فتعنّت بيّن لان كفرهم كان بالعبادة لابالتوسل بعبادالله الصالحين. و الدليل عليه قوله تعالى (... ما نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ اِلَى اللهِ زُلْفٰى* الآيه. الزمر:٣) فعلى تقدير ان يكون تلك اسماء صالحيهم انما كفروا بالعبادة لان الاستثناء من النفى اثبات فتقديره ما نعبدهم الا نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ولاشك ان عبادة غيرالله لايكون سبباً لقرب الله تعالى بل سببا للبعد من الله تعالى و المنكرون كيف يقيسون التوسل على العبادة فان التوسل الى الله تعالى بالذوات الفاضلة مستحسن العلماء عربا و عجماً و عبادة غيرالله تعالى شرك اجماعاً. فكيف يصح القياس.

و المشركون و ان اقرّوا بالخالق كما يدل عليه قوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ* الآية. لقمان: ٢٥) وامثاله الا انهم يشركون مع الله تعالى غيره فى العبادة فلذا حكم عليهم بالشرك لالان التوسل بالذوات الفاضلة المستحسن عند العلماء قاطبة شرك.

ولا يشك مؤمن ان الرازق و الخالق و المحيى و المميت و المعز و المذل هو الله تعالى وكلنا عبيد تحت قهره الا ان الانكار عن تفاوت المراتب زندقة و الحاد. فوجه عدم دخولهم فى التوحيد مع الاقرار بالخالق و الرازق هو الشرك فى العبادة (وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ* الآيه. الانعام:٩١) فكان اقرارهم كلا اقرار.

والعجب! كيف خفى على مرشد الشيخ هذا المعنى مع كونه واقفا بالعربية و لنعم ما قيل: حبك الشئ يعميك و يصمك و صاحب الغرض مجنون و للجنون فنون و الكلام ذو شجون.

ولا يطلب المؤمن الرزق من غيرالله تعالى ولايعتقد كاشف الضر الاالله تعالى

وشافى المرضى الاالله و الجواب عن حديث الطبرانى و هو قوله عليه الصلوة و السلام (لايستغاث بى،انما يستغاث بربى) ذكرنا سابقا انه اذا كانت الدلائل قائمة على جواز التوسل والامة تلقته بالقبول فلابد ان يقال ان هذا محمول على التواضع كم ورد فى الحديث (لاتخيرونى على يونس بن متى ولا تقولوا السيد فان السيد هو الله تعالى) مع كون النبى صلى الله عليه وسلم خير الرسل و كونه سيد الانبياء عليهم الصلوة و السلام كما فى الاحاديث الصحاح.

او نقول هذا مثل ما ذكر فى (المشكاة ص:٥٠١) فى رواية ابى داود اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى فقال جهدت الانفس و جاعت العيال و هلكت الاموال فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله و نستشفع بالله عليك.فقال (سبحان الله، سبحان الله) فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه اصحابه ثم قال (ويحك انه لايستشفع بالله تعالى على احد،شان الله اعظم من ذلك) فان الانكار كان على كون الله تعالى وسيلة الى الرسول صلى الله عليه وسلم لا على كون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وسيلة لله و الا لانكر على القول الاول.

و كون النذر عبادة لاننكره كما ذكرنا سابقاً.

و ما ذكر من واقعة تقرب الذباب.

فتكشف عن عقيدته بان الاولياء الاموات جمادات و لذاقاس ايصال الثواب الى الاموات على تقرب الذباب الى الاصنام. و هل هذه الا غواية بينة.

و ما قال ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الاسلام.

فنقول ان اقرارهم انما لم يدخلهم فى الاسلام لانهم اشركوا مع الله فى العبادة لانهم كفروا بنفس التوسل الى الله تعالى بالنفوس القدسية.

و ما قال فى (ص:١٧) فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعى الاسلام و هو لايعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة.

ففى غاية السقوط لانه ان كان معنى (لااله الا الله) نفى الوسيلة فهو ليس معناه

بل مخترع من عندك اودِعهُ لذرياتك و ان كان المعنى لامعبود الاالله فهو يعرفه كل مسلم و مؤمن.

و ما قال فى (ص:١٨) و اعلم ان الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الاجعل له اعداء.

ان كان المراد بهذا التوحيد التوحيد المخترع من عندك بان يكون التوسل فيه شركا فذلك انسب بك و ان كان التوحيد المبعوث به الانبياء عليهم الصلوة و السلام، الساعون لتبليغه العلماء المجاهدون لاشاعته،الشهداء الباذلون انفسهم و اموالهم فى تاييدهم الاولياء فليس مؤمن عدوا له.

و ما قال فى (ص:١٩) و العامى من الموحدين يغلب الفا من علماء هؤلآء المشركين.

فاقول:ان كان المراد من العامى الموحد الذى لاعلم له بل جاهل محض مقلدك فى التوحيد و الشرك المخترعين من عندك فلا نسلم ان العامى الكذائى يغلب على عالم واحد فضلا عن ان يغلب على الف بل العالم الكذائى السّاعى فى اشاعة عقائدك بحمد الله مغلوب لايقدر على التكلم بالكلام العربى عند علمائنا و لذلك شواهد و امثال لاتخفى من اتباعك خافية. و التفوه بانتساب الشرك الى العلماء من عدم مبالا ته بمثل هذه الاطلاقات و ذرياته يقتدون بامامه فى سنته السيئة **(ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة)** فَلْيُقِلَّ من الوزر او ليُكْثِرْ.

وما قال انه احتج مشركو زماننا. فنقول ان نسبة الشرك الى من هو برئ من الشرك ترد الى المنتسب كما فى الحديث الصحيح فهنيئا لك رد تلك الكلمة.

وما قال فى (ص:٢٠) اذا قال لك بعض المشركين **(اَلآ اِنَّ اَوْلِيَآءَ اللهِ لاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ* يونس :٦٢)** و ان الشفاعة حق و ان الانبياء لهم عند الله جاه او ذكر كلاما للنبى صلى الله عليه وسلم يستدل على شئ من باطله و انت لا تعلم معنى الكلام الذى ذكره فجاوبه بقولك ان الله ذكر فى كتابه ان الذين فى قلوبهم زيغ

يتركون المحكم و يتبعون المتشابه. وما ذكرته لك من ان الله تعالى ذكر ان المشركين يقرون بالربوبية و انه كفرهم بتعلقهم على الانبياء و الملئكة و الاولياء، قولهم هؤلآء شفعاؤنا عند الله هذا امر محكم بين لا يقدر احد ان يغير معناه.

يقول العبد العاصى بانواع المعاصى كنت اسمع من خدائع هذه الفئة المنكرة و مسخ الكلام لا ثبات المرام و كنت اتعجب منها الا انى رأيتها بعينى فى كتاب مرشدهم و ليس الخبر كالمعاينة. ليت شعرى كيف التشابه فى قوله تعالى (اَلَآ اِنَّ اَوْلِيَآءَ اللّٰهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ* يونس :٦٢) و هل يعرف معنى التشابه و هل عده النبى صلى الله عليه وسلم او الصحابة او التابعون او تبع التابعين او من بعدهم من السّلف الصّالحين من المتشابهات و كذا الشفاعة حق وكذا ان الانبياء عليهم الصلوة و السلام لهم جاه،اىّ تشابه فيها بل معناها ظاهر،نعم،فيها تشابه حيث تناقض مطلوبهم و هى العداوة مع اولياء الله تعالى و الانكار من التوسل بجاه عظيم الجاه.

و ايضا اتعجب تعجبا لاساحل له من قوله و انه كفرهم بتعلقهم مع الملائكة اه .
أ ليس للمؤمنين تعلق بالانبياء و الملائكة و الاولياء فان من ادعى الايمان بالكلام الالهى و الكلام النبوى لهم محبة مع الملئكة و الانبياء عليهم الصلوة و السلام،يعتقدون عصمتهم و قربهم الى الله تعالى و يجعلونهم الوسائل لفيضان رحمة الله تعالى و بركته،فهم منازل الرحمة فهل هذا التعلق كفر بل المحبة معهم مأمور بها (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَاِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلٰى قَلْبِكَ بِاِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرٰى لِلْمُؤْمِنِيْنَ* البقرة :٩٧)

و كذا التعلق بالاولياء امر مطلوب كما فى الحديث و (اَسْئَلُكَ حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ) و كذا (من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب)

فانظر الى هذا التحريف و التزوير بان كل ما يكون مناقضا لدعواه فهو متشابه و هذا تعريف جديد للمتشابه و كل جديد لذيذ فبذلك فليفرحوا ولا ادرى ان قوله تعالى (... هٰٓؤُلَآءِ شُفَعَآؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ* الآية. يونس :١٨) كيف هو محكم بين فى مطلوبهم فان مطلوبهم ان التوسل الى الله تعالى بالانبياء عليهم الصلوة و السلام و الاولياء شرك و المعلوم

من الاية مع انضمام (... **مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ اِلَى اللّٰهِ زُلْفٰى** الآيه. الزمر:٣) ان عبادة الاصنام وجعلهم وسائل و شفعاء كفر و بينهما بعد المشرقين وهؤلاء المنكرون كيف اشاعوها و لم ينظروا فى عاقبتها،هل يطالعه احد من العلماء و فيها من التلبيسات و التزويرات . و لنعم ما قال الشاعر:

بيت:

و كم من عائب قولا صحيحاً * و آفته من الفهم السقيم

و انى اتعجب انه كيف اشاعه رجل من ولاية السوات و الحال انى سمعت من العلماء و الطلبة ان والد والى السوات ذو علم وفهم و ذكاء والتقوى و اقام المدارس الدينية فى ولايته والوالى يحب العلماء و سمعت من الاكابر ان صاحب السوات رحمه الله تعالى رحمة واسعة و افاض علينا من بركاته،كان يقول:مثلى كمثل الشتاء،ان الموذيات كلهم يدخلون الى حجرهم فى الشتاء و هذه المقولة صحيحة بلاريب فانه بعد زمن الصاحب ظهرت الفتن حتى ان رجلا من رئاسة السوات يشيع عقائد محمد بن عبد الوهاب النجدى الذى رأس الوهابية و كان صاحب السوات يسعى فى كسر رؤسهم فعلى الوالى الحاضر -اصلح الله ولايته و اخلاه من ذرياة محمد بن عبد الوهاب النجدى- ان يستفتى عن علمائه الاجلاء و الاساتذة الجهابذة مثل مولانا المارتونجى و مولانا الچكيسرى و غيرهما من العلماء الاعلام فى شان محمد بن عبد الوهاب النجدى و اتباعه و يمنع ذلك الرجل الذى طبع كتاب (كشف الشبهات) لمحمدبن عبد الوهاب النجدى عن اشاعة مثل هذه الكتب و يخرج من مدرسته اصحاب العقائد الزائغة و ان لايعيدوا الى مثل تلك الجريمة. و ما اقول ذلك من تلقاء نفسى بل قال المتشدد فى الافاغنة فاشمر الاخى المولوى القارى سيد رحيم فاضل مدرسه عاليه دار العلوم حقانيه سيد وشريف بطبعه. و قال عليه الصلوة و السلام **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبلقبه و ذلك اضعف الايمان)** قال شراح الاحاديث:**الاولى** مرتبة الولاة و الامراء و **الثانى** مرتبة العلماء المبلغين و **الثالثة** مرتبة العوام فانه ورد **(يوذى الميت مايوذى فى أهله)** ولا ايذاء اعظم من هذا الايذاء فى وطن صاحب السوات و هذه عريضتى فى خدمة الوالى ذى المعالى اكررها و

اصر عليها. فان وصلت الى اوج القبول فهى غاية المأمول و لعل الوالى وقف على احوالهم فى ولايته فانا نسمع من الطلبة ما يفسدون هناك و يسيئون الادب فى شأن الاولياء وحكم بعضهم فى زمن قريب بشرك من جاء بالغلاف الى قبر الصاحب رحمه الله تعالى رحمة واسعة. هذا. و الله على ما نقول وكيل.

و ما قال فى (ص: ٢٠) فان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه. منها قولهم نحن لانشرك بالله بل نشهد انه لايخلق ولايرزق ولاينفع ولايضر الاالله وحده لاشريك له و ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً فضلا عن عبد القادر او غيره ولكن انا مذنب و الصالحون لهم جاه عند الله و اطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت و مقرون ان اوثانهم لا تدبرهم شيئا فانما ارادوا الجاه و الشفاعة و أقرأ عليهم ما ذكر الله فى كتابه و وضحه فان قالوا هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الاصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأوثان ام كيف تجعلون الانبياء اصناماً؟ فجاوبه بما تقدم فانه اذا اقرّ ان الكفّار يشهدون بالربوبية كلها لله و انهم ما ارادوا ممن قصدوا الاالشفاعة و لكن أراد ان يفرق بين فعلهم و فعله بما ذكر فاذكر له ان للكفار منهم من يدعو الاصنام و منهم من يدعو الاولياء الذين قال الله تعالى فيهم (**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** الآية. الاسراء :٥٧) و يدعون عيسى بن مريم و امه و قد قال تعالى (**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** المائدة: ٧٥ - ٧٦) الى آخر ما قال.

فنقول اما اولا فبأن القائلين بالتوسل ليسوا اعداء الله تعالى و ليس لهم اعتراضات على دين الرسل ولا يصدون الناس عن دين الرسل بل اولياء الرحمن، لهم اعتارضات على اعوان الشيطان و حزبه و المسيئين للادب فى شأن أولياء الديان و قال عليه الصلوة و السلام (**هنالك يطلع قرن الشيطان**) يعنى حزبه و اعوانه (**ويصدون الناس عن اتباعهم**) فانظر الى البون.

و الكفار و ان كانوا يشهدون بالربوبية الا انهم اشركوا بالله فى العبادة و عبدوا غير الله تعالى و عبادة غير الله تعالى شرك سواء كان صنماً او غيره و نحن لانعبد غير الله تعالى و ان كان التوسل عبادة فالحى والميت فيه سواء.

والله تعالى قال (**قُلْ لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلَآ ضَرّاً إِلَّا مَا شَآءَ اللهُ** الآية. **الاعراف :١٨٨**) و مرشد الشيخ لم يذكر الاستثناء و لعله نسى فسبحان من لاينسى وليت شعرى ما معنى مالكية الضرر و النفع ان كان معناه خالق الضرر و النفع فذلك لايعتقده احد و ان كان المراد ان النفع و الضرر لايصلان بدعائه الى احد فذلك باطل. قال الله تعالى (... **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً** النساء :٦٤) و تذكر فى الاية واقعة الاعرابى على ما ذكرت من (التفسير المدارك) كى تقر عينك و يبرد قلبك او يحرق. و وجدان الله تعالى غفوراً ليس الا نفع وصل بسبب النبى صلى الله عليه وسلم و ان قلت انه فى الحياة،قلنا: واقعة الاعرابى كانت بعد الوفاة فان فيها فنودى من القبر (ان غفرلك).

و ايضا قال عليه الصلوة و السلام فى حق كافر (**اللهم سلط عليه كلباً من كلابك**) فكان كذلك.

و قال فى حق مَلِك مزَّقَ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم (**اللهم مزقه كل ممزق**) فكان كذلك.

و قال عليه الصلوة و السلام (**اللهم اجعل عليهم سنيْن كسنى يوسف**) عليه الصلوة و السلام فصار الامر كذلك.

و ايضاً ذكرنا سابقاً فى الحديث (**انا رسول الله الذى ان اصابك ضر فدعوته كشفه عنك و ان اصابك عام سنة فدعوته انبتها لك و اذا كنت بارض قفر او فلاة فضلّت راحلتك فدعوته ردها عليك**) اه . رواه ابو داود. قال المحشى فى تفسير (**فدعوته**) اى انت بوسيلتى او انا.

فعلم من هذا كله ان النفع و الضرر يصلان الى الخاص و العام بدعائه عليه الصلوة

و السلام و هذا معنى التوسل و ان قلت انه حين الحياة،قلنا:قد ثبت من مبحث التوسل مطلقا كما فى واقعة الاعرابى و غير ذلك من الدلائل بل يصل النفع و الضرر بدعاء غير النبى صلى الله عليه وسلم ايضاً كما فى الحديث المتفق عليه عن عروة بن الزبير ان سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل خاصمته اروى بنت اوس الى مروان بن الحكم و ادعت انه اخذ شيئا من ارضها فقال:انا كنت آخذ! من ارضها شيئا بعد الذى سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من اخذ شبرا من الارض ظلماً طوقه الى سبع ارضين) فقال له مروان:لااسئلك بينة بعدها. فقال سعيد:اللهم!ان كانت كاذبة فاعم بصرها و اقتلها فى ارضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها. و بينما هى تمشى فى ارضها اذ وقعت فى حفرة فماتت.متفق عليه. و فى رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه و انه رآها عمياء تلتمس الجدر تقول اصابتنى دعوة سعيد و انها مرت على بئر فى الدار التى خاصمته فيها فكانت قبرها. فعلم ان النفع و الضرر يصلان الى احد بدعاء ذو جاه.فما يقول مرشد الشيخ؟ فان قال ما قال، قلنا ما قلنا.

و بالجملة الكتب مشحونة بمثل هذه الواقعات باسانيد صحيحة ليست باكاذيب كما هو سوء ظن الفئة المنكرة.

و ما قال:ان الكفار منهم من يدعو الاصنام و منهم من يدعو الاولياء الذين قال الله تعالى فيهم (اُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ اِلٰى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ اَيُّهُمْ اَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ اِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً۝ الاسراء :٥٧).

قلنا دعوة النصارى عيسى عليه الصلوة و السلام انما كانت باعتقاد انه ابن الله او الله او ثالث ثلاثة و دعوة عبّاد الملئكة كانت عبادتهم اياها لا نفس التوسل بدليل قوله تعالى (... اَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً۝ الآية. المائدة :٧٦) و كذا قوله تعالى (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اَهٰٓؤُلَآءِ اِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ۝ سبأ :٤٠) و كذا قوله تعالى (وَاِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى و اُمِّىَ اِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ۝ الآية. المائدة :١١٦) فهذه كلها ظاهرة فى ان

الدعوة كانت بطريق العبادة و مرشد الشيخ كيف غفل عن هذا؟

وما قال فى (ص: ٢٢) ان الله كفر من قصد الاصنام و كفر ايضاً من قصد الصالحين و قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فنقول ان المراد من القصد القصد بالعبادة كما يظهر من(صحيح البخارى ج:٢، ص: ٧٣٢ فى كتاب التفسير) بعد ما ذكر الودّ و السواع و يعوق و نسرا اسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلمّا هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصباء و سموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك و تنسخ العلم عبدت. **ولا شك ان عبادة غير الله شرك سواء كان صنما او صالحاً** فلا يكون دليلا لمرشد الشيخ و ان كان المراد مطلق القصد الى الصلحاء فذلك ليس بشرك كما هو الظاهر على ان الظاهر من سياق (البخارى) ان العبادة كانت للانصباء كما هو الظاهر من قوله و سموها باسمائهم و قوله عبدت لا للصلحاء و العبادة لغير الله تعالى شرك مطلقاً سواء كانت للانصباء المسماة باسماء الصلحاء او انفس الصلحاء كمالا يخفى على ذى لب.

و ما قال:**(ان الدعاء مخ العبادة).**

فنقول:نعم،لكن الدعاء من الله كما فى **(اللهم انى اتوسل اليك بنبيك)** فالدعاء من الله و الالتجاء بوسيلة نبى الرحمة.

و ما قال فى (ص، ٢٣) ثم دعوت فى تلك الحاجة نبيا او غيره:هل اشركت فى عبادة الله غيره فلابد ان يقول:نعم.

فنقول قد ذكرنا مراراً ان الدعاء من الله تعالى و الذوات الفاضلة وسائل فى البين الا ان من توسل بالأحياء فانما الدعاء من الله تعالى كما توسل عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه و قال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك فاليوم نتوسل اليك بعم نبيك و قال العباس رضى الله عنه اللهم ان القوم توسلوا بى اليك لمكانى من نبيك فاسقهم اه .

و اما النحر: فقد مر تفصيله.

و ما قال ان الشفاعة باذن الله تعالى.

قلنا:التوسل ايضاً فى معنى الشفاعة.

و ما قال فى (ص:٢٤) ان الله تعالى اعطاه الشفاعة و نهاك عن هذا فقال (... فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً۞ الجن :١٨)

قلنا:عامة المفسرين بينوا معنى **(لا تدعوا)** اى لا تعبدوا مع الله احدا.

و ما قال فى (ص:٢٥) و ان قال هو من قصد خشبة او حجرا او بنية على قبر او غيره يدعون ذلك و يذبحون له و يقولون انه يقربنا الى الله زلفى فيدفع الله ببركته او يعطينا ببركته فقل:صدقت و هذا هو فعلكم عند الاحجار و الابنية التى على القبور و غيرها.

قلنا السؤال عن الله تعالى ببركة احد لا يكون شركا كما فى الحديث **(اللهم افتح بصعاليك المهاجرين)** اى ببركتهم و فى الحديث **(انكم تنصرون و ترزقون بضعفائكم)** اى ببركة ضعفائكم فلامعنى للشرك فيه.

وما قال فى (ص:٢٦) انه الذى يفعلونه فى هذا الزمان بعينه،اد، عبادة الله وحده لاشريك له هى التى ينكرون علينا اجعل الآلهة الها واحدا،ان هذا لشئ عجاب.

فتعنت ظاهر أ يقول احد للانبياء و الاولياء آلهة ام يعتقدونها آلهة ام يعبدونها؟ كلا و حاشا! و قد صدق قول ابن عمر رضى الله تعالى عنه فى بيان علامة الخوارج:انهم يطبقون الآيات فى حق الكفار على المؤمنين فعرفنا بهذه العلامة كونه خارجيا كما عرفنا بغيرها من العلامات بل التوسل بهم اقرب لوحدانية الله تعالى بان الذوات الفاضلة بسبب رسوخهم فى التوحيد و قربهم من الله بالعبادة و الرياضة نتوسل بهم الى الله تعالى.

و ما قال فى (ص:٢٦) فاعلم ان شرك الاولين اخف من شرك اهل زماننا بامرين: الاول انّ الاولين كانوا يدعون الالهة فى الرخاء و اما فى الشدة فيخلصون لله الدين (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ۞ الآية. الاسراء :٦٧)،(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ۞ الآية. العنكبوت :٦٥).

قلنا الحكم بكون المسلمين مشركين شركا اكبر من شركهم،غاية الغلو و الجراءة فكيف يليق بحال عاقل انتساب الشرك الى المسلمين المعتقدين للتوسل الثابت بالادلة و التوسل فى الشدة و الرخاء على السواء وهو لاينافى دعوة الله خالصاً بوسيلة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الولى او بجاه من له جاهٌ كما سبق نقلا من تفسير (روح المعانى).

و ما قال فى (ص:٢٧) ان الاولين يدعون مع اللّٰه اناسا مقربين عند الله تعالى و الملئكة او يدعون احجارا و اشجارا مطيعة لله تعالى ليست عاصية و اهل زماننا يدعون مع الله اناساً من افسق الناس اهـ.

قلنا: كلامنا فى الذوات الفاضلة و الفضل لايكون الا بالعبادة لابالفجور و الزنا و ترك الصّلاة و السرقة فعلم ان قوله فى (ص:٢٧) اذا تحققت ان الذين قاتلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصح عقولا واخف شركاً مردود على انف المنكرين.

وما قال فى (ص:٢٩) و اذا جحد التوحيد الذى هو دين الرسل كلهم لايكفر. سبحان الله!ما اعجب هذا الجهل؟

فنقول ان التوسل ليس انكارا عن التوحيد حتى يكون المتوسلون مشركين و يحل مالهم و دمهم كما هى العقيدة الزائغة للفئة المنكرة و هذا يكشف لك ما قال العلامة الشامى رحمة الله عليه: انه كان يبيح سفك دماء المسلمين و نهب اموالهم فظهر من هذا ان من كان مخالفاً عن عقيدته فهو مشرك عنده دمه حلال و ماله حلال و لذا قتل علماء اهل الحق كما ذكرنا سابقاً.

و ما قال فى (ص:٢٩) فكيف بمن رفع شمسان او يوسف او صحابياً أو نبيًّا فى رتبة جبار السموات و الارض؟

فنقول هذا بهتان عظيم لان القائلين بالتوسل علماء العرب و العجم و علماء المذاهب الاربعة الذين انحصر الحق فى زمانهم فيهم. كيف يرفعون النبى او الصحابى او الولى مرتبة الجبار؟ بل اعتقدوا انهم عبيد مربوبون متعبدون خاشعون معرضون عن اللذات منهمكون فى الطاعات و هذا هو اعتقاد عبديتهم فضلا ان يعتقدوهم فى رتبة الجبار فانا

نعتقدهم عبيد الجبار.

وما قال فی (ص:٢٩) ان علياً احرق اناسا، كلهم يدعون الاسلام وهم من اصحاب على رضى الله تعالى عنه و تعلموا العلم من الصحابة.

قلنا ان تلك الفرقة هی الفرقة السبائية اتباع عبد الله ابن سبأ فانهم كانوا يقولون لعلى رضى الله تعالى عنه:انت الهنا و انت رازقنا و يقول على رضى الله تعالى عنه انما انا ابن امرأة،آكل و اشرب فلما لم يرجعوا عن قولهم احرقهم.فهؤلآء كانوا مرتدين فكيف يقاس المتوسلون القائلون بعبدية الذوات الفاضلة على السبائية القائلة لعلى رضى الله تعالى عنه:انت الهنا و رازقنا.

مصرع:

هذا لعمری فی القياس بديع

و التوسل ليس مخالفا عن الدين حتى يكون سببا لقتال المسلمين كما فی عبيد القداح الذين ذكرت.

و ما قال فی (ص: ٣٠) و يقال الذين قال الله تعالى فيهم (**يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ** الآية. **التوبة: ٧٤**) ما قالوا.

فان ذلك فی شأن المنافقين الذين قالوا فيما بينهم (... **لَا تُنْفِقُوا عَلٰى مَنْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللّٰهِ حَتّٰى يَنْفَضُّوا** الآية.**المنافقون :٧**) كما فی (صحيح البخاری) عن زيد بن ارقم مفصلا فكيف يقاس المتوسلون على المُنَافقينَ الذين هم فی الدَّرْكِ الاسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

وما قال فی حكاية قول بنی اسرائيل (**... يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَآ اِلٰهاً كَمَا لَهُمْ اٰلِهَةٌ** **الآية. الاعراف :١٣٨**).

كيف يقاس عليهم حال المؤمنين الذين يقولون (**لا اله الا الله محمد رسول الله**) المخلصين فی التوحيد القائلين للتوسل و هذا ايضاً معنى ما قال ابن عمر رضى الله تعالى عنه فی بيان علامة الخوارج:انهم يطبقون الايات الواردة فی حق الكفار على المؤمنين.

و اما ما قال فی (ص:٣١) و قول اناس من الصحابة:واجعل لنا ذات انواط

فحلف النبى صلى الله تعالى عليه و سلم (**ان هذا مثل قول نبى اسرائيل لموسى عليه الصلوة و السلام: اجعل لنا الٰهاً كما لهم آلهة**).

فاقول:هذا لايدل على نفى التبرك لانا قد ذكرنا ان التبرك بشعره المبارك و الجبة المباركة و بسائر ثيابه و بفضل وضوئه ثابت بالاحاديث الصحيحة و النصوص الصريحة كما ذكر فى قوله تعالى (... **فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ** الآية. البقرة :٢٤٨) قال المفسرون فيه:عصا موسى عليه الصلوة و السلام و نعلاه و عمامة هٰرون عليه الصلوة و السلام و قفيز من المنّ الذى كان ينزل عليهم و رضاض الالواح و كانوا يقدمونه و يسكنون اليه فى القتال و يستفتحون به على عدوهم كما فى (الجلالين: ص:٣١) و مثل ذلك فى (المدارك) و (الخازن:ج:١، ص:١٧٢) و علم منه جواز التوسل بالتبركات ايضاً.

و ايضا ذكر فى (المشكاة) عن طلق بن على:خرجنا وفدا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعناه و صلينا معه و اخبرناه بان بارضنا بيعة لنا فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ و تمضمض ثم صبه لنا فى اداوة و امرنا فقال (**اخرجوا فاذا اتيتم ارضكم فاكسروا بيعتكم و انضحوا مكانها بهذا الماء و اتخذوها مسجداً**) قلنا ان البلد بعيد و الحر شديد و الماء ينشف فقال (**مدوه من الماء فانه لايزيده الا طيبا**) رواه النسائى(المشكاة: ص:٦١).

فعلم ان مسئلة التبرك مما لاينكر عنها عاقل مصدق بالكلام النبوى وهٰؤلاء المفرطون ينكرون عنها و قد ذكرناها بالاستقصاء فى مقصد التوسل. و اما الانكار على من يسأل ان يجعل لهم ذات انواط فلاجل مشابهة الكفار من غير غرض صحيح لا لان التبرك ممنوع. كيف؟ و الروايات فيه كثيرة فقياس احدهما على الآخر قياس مع الفارق. الا ترى الى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يهتم اللبث فى المواضع التى لبث فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر الحج و ما ذلك إلا للتبرك بتلك المواضع المتبركة.

و ما قال فى (ص:٣٢) فيقال لهٰؤلآء المشركين الجهال:معلوم ان رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم قاتل اليهود و سباهم وهم يقولون (لآاله الاالله) و ان اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون ان (لآاله الاالله) .

فنقول ان قتال اليهود كان لانكارهم رسالة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و سائر عقائدهم الكفرية من كون عزير عليه الصلاة و السلام ابن الله و(... **لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً*** الآية. البقرة: ١١١) و (... **لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّآ اَيَّاماً مَعْدُودَةً*** الآية. البقرة: ٨٠) الى غير ذلك. و القتال مع بنى حنيفة لاجل الانكار من الزكاة و قد ورد فى الحديث. (**امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لآ اله الا الله.فاذا قالوا لآ اله الا الله فقد عصموا منى دماءهم و اموالهم الا بحق الله**) الحديث. و الزكاة ايضا حق الله تعالى و بهذا احتج ابو بكر رضى الله تعالى عنه على الصحابة فكيف يقاس حال المسلمين المصدقين بالاحكام على المنكرين و هذا من قياساته البديعة.

وما قال:ان اعداء الله ما فهموا معنى الاحاديث.

فنقول ان اولياء الله تعالى فهموا معنى الاحاديث و اعوان الشيطان تجاهلوا عنها.

وما قال فى (ص:٣٣) ان الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه لاننكرها كما فى قصة موسى عليه الصلوة و السلام (... **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ*** الآية. القصص :١٥).

فنقول:الاستعانة من الله تعالى بوسيلة الذوات الفاضلة من اصحاب القبور،ليس فيها طلب الامور الغير المقدورة فان الله تعالى قادر على كل شئ و يجيب الدعاء بحرمتهم و بركتهم واما الامور الغير المقدورة لهم فلا نسألها منهم و هذا هو المراد بحديث طويل فيه (**لا الفين احدكم على رأسه بعير يقول يا رسول الله! اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئاً**) قد بلغت الى آخر الحديث. و التوسل بالذوات الفاضلة ليس خارجاً عن دائرة الاسباب كما عرفت سابقاً.

وما قال فى (ص:٣٤) و هذا مثل ان تأتى عند رجل صالح حتى يجالسك و يسمع كلامك كما كان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك و اما بعد موته فكلا و حاشا!بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعائه لنفسه.

فنقول هذا كاشف عن عقيدته الزائغة:ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لايسمع ولايقدر على دعاء احد فى البرزخ و هذا باطل بلاريب.لان الادلة على حياة الانبياء كثيرة قد ذكرنا سابقا نبذا منها فالانكار تعنت.

و الدعاء عند قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ما انكر عليه السلف بل قال الحسن البصرى رحمة الله عليه فى خط طويل:ان لم تجب الدعاء عند قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ففى اى موضع تجاب فقد عده من مواضع الاجابة على ما ذكرنا.

و ايضا قال تاج الدين السبكى رحمة الله عليه:ما زال السلف يتوسلون بالانبياء عليهم الصلوة و السلام و الاولياء حتى جاء ابن تيمية فابتدع اه . فعلم ان الانكار من التوسل مخالفة عن السلف و بدعة،نعم، سلف محمد بن عبد الوهاب و قدوته و امامه انكر ذلك و هو ابن تيمية و نحن لا نعتقده سلفاً.

بيت:

نحن بما عندنا و انت بما عنـ ★ ـدك راض و الرأى مختلف

و ليكن هذا اخر ما تيسر لهذا العبد الضعيف الذى لا بضاعة له الا السيئات فى رد كتاب رأس الوهابية و رئيسهم.

اللهم!اجعل سعيه مشكورا متبولا بجاه الرسول النبى الامين و صلى الله تعالى على خير خلقه محمد و اله و اصحابه اجمعين و ما توفيقى الا بالله، عليه توكلت و اليه انيب و انا العبد الاواه محمد حمد الله الداجوى مسكنا و الحنفى مذهباً و القادرى مشر با و المظاهرى تلمذا(دار للتدريس داجى) فرغت من تسو يدها غرة ر بيع الثانى يوم الثلثاء سنة ١٣٨١ هـ .

تمت الكتابة بعون الله البارئ بيراع محمد گل رحيم الاسمارى مالك المكتبة الرحيمية الواقعة ببلدة فشاور يوم الاحد الثالث و العشرين ربيع الثانى سنة ١٣٨٥ هـ. الحمد لله ٢١ آگست سنة ١٩٦٥م.

غوث العباد

ببيان الرشاد

من تأليفات

مصطفى ابو سيف الحمامى

أحد علماء الازهر و خطيب المسجد الزينبى

به كتابت مالك

كتب خانه رحيميه محله جنگی پشاور شهر

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست
وقف الاخلاص



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول ـ تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤١٤	١٣٧٢	١٩٩٤

﴿أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
الآية. النحل: ١٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

يا غياث المستغيثين باسباب و غير اسباب.

احمدك لانك اكرم الاكرمين. و ارجو رحمتك اذ انت الحليم التوّاب. و اشهد ان لا اله سواك فانك الخلاق العليم. و عدم يا مولاى! كل ما عداك لولاك. ولا استثناء من هذا الحكم العظيم. و اشهد منشرح القلب، منطلق اللسان: ان احبابك لهم عندك جاه كبير. من والاهم تواليه بجزيل الاحسان. و من ناوأهم تهينه هنا و فى يوم المصير.

اما بعد: فلما كتبت مقدمة ديوانى الثالث **(منتهى آمال الخطباء و منار المسترشدين النبلاء)** استتبع الكلام فى بعض فصولها كلاما طال وطاب. انبت به حقائق لا تزال خفية لليوم على طوائف من الناس. رأى ذلك بعض قادة الامة العلماء. لاحرم الله الوجود منهم. فسُرّوا به و اثنوا عليه و بالغوا فى الثناء فقال فيه حضرة صاحب الفضيلة: رجل العلم و التحقيق و الصفاء و لسان الدفاع عن الاسلام اليوم الشيخ يوسف الدجوى احد هيئة كبار العلماء بديارنا المصرية اثناء تقريظه الديوان ما نصه:

اما مقدمة الديوان فهى مقدمة تفوق المقاصد اتى فيها من التحقيق ما يقمع كل مكابر و من الحق الصراح ما تنشرح به الصدور و تقر العيون و من السنة النبوية ما يذعن له العلماء و يشهد له اساطين الكبراء.

و قال فيه حضرة صاحب الفضيلة العالم الجليل شيخ العلماء بوادى الفرات الاستاذ البحاثة الكبير الشيخ محمد سعيد العرفى فى تقريظه لهذا الديوان ما لفظه: ولكن لو دريت انه اتى فى المقدمة بما بهر العقول من تبيان مجد الاسلام و عظمة مقام النبوة. و

رفعة اصحاب الكمال بابلغ العبارات و افصح الجمل و ارصن الكلم. و احسن الاساليب مدللا على ذلك بالحجج الناصعة و البراهين القاطعة بحيث لوقلت يجب على كل طالب علم متمسك بدينه ان يطالعها ليغترف من بحرها الزاخر و عبابها الخضم، ما جادلنى الاحسود مكابر او جاهل متفقه الى آخر ما قال.

و قال فيه حضرت صاحب الفضيلة العلامة الكبير، و المحدث الشهير،فخر الاقطار المغربية و خادم العلم بالحرمين الشريفين و نزيل مصر الآن،الاستاذ الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى مايلى:

اما مقدمة الديوان فلعظم مزيتها كادت تغنى عن ضخام المجلدات، لِمَا اشتملت عليه من جميل الصفات فى دقائق المعتقدات فالاولى ان تجعل رسالة مستقلة ليرد عذب حياضها اكابر العلماء الاجلة.

ان هذه الثناء على تلك ا لمقدمة من اولئك القادة الهداة جعلنى افرح فرح شكر له سبحانه و تعالى على ان اظهر على يدي ما جعل مثل الشيخ الشنقيطى فى فضله يستقل عليه ان يكون مورداً للعلماء الاجلة و الذى يراه ان يكون ذلك حياضاً عذبة يردها الاكابر من العلماء الاجلة و ليس الشيخ الشنقيطى وحده الذى اقترح طبع ذلك الفصل من تلك المقدمة فى رسالة مستقلة بل وافقه عليه الكثير من افاضل العلماء. و شددوا علىّ فى ذلك ليكون النفع بها اعم. فلم يسعنى الا النزول على ارادتهم و المبادرة الى تحقيق امنيتهم و دعوتها.

غوث العباد ببيان الرشاد

و قد تفضل هؤلاء العلماء الاجلاء فقرظوا تلك الرسالة تقريظا قليلا،عليه ان يكتب بماء الذهب و اجزلوا فضلهم فيه علىّ (بوسام) من الشرف مَنَحُونِيهِ لم اسمع ان منحوه احدا قبلى، يعرفه من يرى ذلك التقريظ وهو شرف اتقبله شاكرا مولاى عليه و معتبرا ان ذلك تشجيع من حضراتهم لى بموافقتهم لى على ما تضمنته تلك المباحث. اصبح ذلك امرا مجمعاً عليه من علماء الاسلام، وهم ائمة الامة و ادلاؤها فى دياجى المعضلات.

و انى اسأل ربى وهو اكرم مسؤول ان يتقبل ذلك منى و ان ينفع به عباده.

وها انا ذا اقدم بيد الاخلاص و الادب تلك المباحث لحضرات القراءً الافاضل. ولاينتهى سرورى ان رأوها اهلا لان ينظروا اليها و السلام.

مصطفى ابو سيف الحمامى

حياة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى البرزخ حياة حقيقية

روى ابن ماجة عن ابى الدرداء انه صلى الله تعالى عليه و سلم قال: (**اكثروا من الصلوة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلى على الا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها). قال: قلت: وبعد الموت؟ قال (ان الله حرّم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء**) عليهم السلام. و وافق ابن ماجة احمد و ابو داود و ابن حبان و الحاكم فى رواية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء**). و من هذا الوادى ما رواه ابن سعد[1] و البزار بسند صحيح. و رواه ايضا القاضى اسمعيل و الحارث فى مسنده وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم**) اى تحدثون شؤونا و يحدث لكم احكامها (**فاذا انا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على اعمالكم فان رأيت خيراً حمدت الله و ان رأيت شرا استغفرت لكم**).

فهذه اعمال امة باسرها صلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يفهم من الحديث الاول. و سواها كما يفهم من الحديث الثانى. اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لاينطق عن الهوى. انها تعرض عليه فيحمد الله لخيرها و يستغفره لشرها. و من فى الدنيا له ذرة من العقل ينكر حياة من هذا حاله؟ ولا تفهم ان هذا العرض على الروح بل هو على البدن مع روحه من غير شك، كما يفيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء**) جوابا لمن استبعد عرض العمل عليه صلى الله

---

(١) ابن سعد المعروف بكاتب الواقدي و مؤلف الطبقات الكبرى توفي سنة ٢٣١ هـ. [٨٤٥ م.]

تعالى عليه وسلم بعد الموت وسأله السؤال المار فاهما ان هذا العرض انما يكون عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ببدنه و بدنه بعد الموت بلى و انتهى. فافهمه صلى الله تعالى عليه وسلم ان اجسام الانبياء حية لا تبلى. و هذا العرض عليه ببدنه ليقتلع من نفسه ذلك الاستبعاد.

و يزيدك بصيرة فى حياة الانبياء فى قبورهم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم **(الانبياء احياء فى قبورهم يُصَلُّون)** رواه ابو يعلى و البيهقى و هذا حديث لم يقتصر على حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بل تعدى الى جميع الانبياء فحكم عليهم بانهم احياء فى قبورهم يفعلون فعل الاحياء فى الدنيا و هو الصلاة ذات الركوع و السجود و القيام و القعود و القراءة و ذكر الله تعالى و هى اعمال لو شك شاك فى حياة فاعلها لكان شاكا فى حياة نفسه.

و قد جاء هذا المعنى كذلك فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم **(مررت ليلة أسرى بى على موسى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره)** رواه ابن عساكر و الطبرانى و النسائى و ابن حبان و ابن خزيمة ومسلم. ولايتردد الناظر هنا فى ان الصلاة هى الصلاة ذات الركوع و السجود فان الشرع اذا اطلق الصلاة لايفهم منها الا ذلك المعنى.

و كذلك جاء هذا ايضا فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم **(وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء)** الى ان قال **(واذا ابراهيم عليه الصلوة و السلام قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم)** يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم **(فحانت الصلاة فأممتهم)** الحديث رواه مسلم من حديث الاسراء و هذا الحديث يذكر شبه سيدنا ابراهيم عليه السلام و شبهه،انما يكون ببدنه الحقيقى. فدل ذلك قطعاً على انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم اماما وهم بابدانهم التى كانوا عليها فى الدنيا.

و كذلك جاء ذكر وصف اجسامهم فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم **(رأيت عيسى وموسى و ابراهيم فاما عيسى فاحمر جعد)** اى مجتمع الخلق شديده عريض الصدر **(و اما موسى فآدم)** اى اسمر جسيم سبطٌ حسن القدر كانه من رجال الزُطِّ صنف من السودان و الهنود **(واما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم)** يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه

وسلم. **فها هو** ذا عليه الصلوة و السلام كما يصف بدن سيدنا عيسى الحى يصف بدن سيدنا موسى و سيدنا ابراهيم عليهم الصلوة و السلام المنتقلين من هذه الدار و هل يقال جسيم و حسن القد الا للحى بجسمه الحقيقى الذى خلق به. و انى ازيدك يقينا بهذا المعنى و اذهب بك فى حياة الانبياء الى ابعد مما سمعت.فقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (**كانى انظر الى موسى فى هذا الوادى محرماً بين قطوانيتين**) القطوانية:العباءة البيضاء المنسوبة الى قطوان بلدة بالعراق و روى ابن ماجة و احمد و مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (**كانى انظر الى موسى هابطاً من الثنية**) مكان مرتفع (**وله جؤار**) صوت مرتفع الى الله تعالى بالتلبية (**كانى انظر الى يونس بن متى على ناقة حمراء جعدة**)**مجتمعة الخلق** شديدته (**عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة**) ليف (**مارًا بهذا الوادى ملبيًا**).

و هذا الحديث و ما قبله يثبتان ان الانبياء عليهم الصلوة و السلام يخرجون من قبورهم بابدانهم الحقيقية لابسين الثياب ماشين او راكبين،و يذهبون الى حيث يحجون و يلبون و يراهم بعينه من كشف الله عن بصيرته من العباد. و انت لا تشك فى ان سيّدنا موسى و سيدنا يونس انتقلا الى الرفيق الاعلى قبل ان يوجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدهور. و اذن فلا شك ان نظره اليهما وهما ذاهبان الى الحج يلبيان انما كان و هما فى عالم البرزخ.

كل هذا نقوله اذا كان ما نروى كلاما موضوعا وضعا عربيا. و على قواعد الوضع العربى تفهمه العقول و ليس هناك استحالة عقلية او شرعية تمنع من فهمه على ظاهره.

و انا بعد ان نفهمه هكذا لانستطيع ان نتردد فى حياة الانبياء فى قبورهم الحياة الحقيقية التى يفعلون معها ما يفعله اقوياء الرجال. فان السفر الى الحج ليس من الامور التى يستطيع فعلها كل حى و انا اذا ترددنا فى ذلك فقد وقفنا امام كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم موقف التكذيب. وهو موقف لايقوى عليه ذو دين، خصوصاً اذا لاحظنا ما قرره العلماء من ان العدول عن ظواهر النصوص من غير مقتض قاطع الى معان يدعيها اهل الباطن،الحاد و كفر. و هذا حديث المعراج، وهو متفق عليه،يصرح انه صلى الله تعالى عليه وسلم راى فى السموات جماعة من الانبياء سيدنا آدم و سيدنا ابراهيم و سيدنا يوسف

و سيدنا موسى و سيدنا هرون و سيدنا يحيى و سيدنا عيسى عليهم الصلوة و السلام و كلمه كل واحد منهم بما كلمه و نحن - معشر الامة المحمدية - اليوم والى انقضاء الدنيا نتمتع براحة ما اجلها و ما اعظمها.لولا سيدنا موسى صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأيناها و لكنا فى شقاء يومىّ طول حياتنا باداء خمسين صلاة فرضها علينا ربنا عزّ و جلّ فى اليوم و بلغها لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاشار اليه هذا الوجيه الكليم ان يسال ربه التخفيف عن امته، فساله ثم ساله حتى جعلها الكريم الرحيم خمساً فقط. كما انا لليوم و بعد اليوم نذكر ربنا بقول (سبحان الله) و (الحمد لله) الخ، امتثالا لوصية سيدنا ابراهيم الخليل التى وصلت الينا فى قول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (رايت ابراهيم ليلة اسرى بى فقال: يا محمد! اقرإ امتك السلام) و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته يا خليل الرحمن و صلى الله وسلم و بارك عليك و على آلك (واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان) اماكن ممهدة واسعة (وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الابالله) رواه الطبرانى.

و هل تشك فى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قال رأيت فلانا و فلانا يقظة فانما يريد انه رآهم صلى الله تعالى عليه وسلم باشخاصهم و ارواحهم خصوصاً اذا كلموه و روى عنهم مثل ما سمعت و عالم البرزخ تغلب فيه احكام الارواح على احكام الاشباح، فليس بغريب حينئذ ان يرى صلى الله تعالى عليه وسلم سيدنا موسى فى تلك الليلة فى قبره يصلى و يراه فى السموات و الارواح ليس ببعيد عليها ان ترقى السموات فى قليل من الزمن بلاسبب ترقى عليه كالملائكة تماماً.

و اظنك بعد هذا البيان اصبحت حياة الانبياء فى قبورهم عندك من الامور البديهية،غير انى ارجوان لا تنسى مع ذلك كله ان الانبياء فى عالم البرزخ الان. فلا تقل اذا كانوا احياء فلماذا لا تراهم يذهبون بيننا و يجيئون كما كانوا فى الدنيا؟ فان لعالم البرزخ احكامه كما لايخفى على فطنتك ان هذا الذى نشرحه الآن ليس معنى انفردنا نحن بالقول به، بل يشاركنا فى تقريره و اعتقاده علماء الاسلام متقدموهم و متاخروهم و لم ننقل عن احد منهم ما يؤيدنا لانا وجدنا صرائح من قول رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم تؤيدنا كما سمعت و ليس اللياقة فى شئ ان يلتفت الى الناس من معه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

و لقد كان هذا المعنى من الأوليات فى عصر النبوة ايام ان كانت العقائد تتلقى غضة طرية من مهبط الوحى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت القلوب اذ ذاك فى منتهى صحتها لم يطرأ عليها من امراض الشبهات و الشكوك شئ . و ان شئت فاسمع ما تقوله امنا الجليلة السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها (كنت ادخل بيتى الذى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و ابى -و انى واضع) التذكير باعتبار انها شخص (ثوبى و اقول انما هو زوجى و ابى. فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت الا و انامشدودة على ثيابى حياء من عمر) رواه احمد وهو تقرير منها واضح جدا انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى لايزال زوجها. لاحرج عليها ان يرى منها ما لايراه الاجنبى، وهو لايكون كذلك الا اذا كان حيا حياة حقيقية و هذا يؤيد ما صرح به بعض العلماء من ان نساءه صلى الله تعالى عليه وسلم ما كن فى عدة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عقب انتقاله من هذه الدار، بل كان نكاحهن لايزال قائما بينه و بينهن و من اجل هذا حرم على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينكحهن رضى الله تعالى عنهن.

و مما يدل دلالة واضحة على حياة الانبياء صلى الله تعالى عليهم وسلم بعد انتقالهم من الدنيا:ان المال الذى يتركونه لايورث عنهم و انما يكون صدقة من الصدقات كما يتصدق الحى بماله ولو كانوا امواتا لكانت تركتهم كسائر تركات الاموات تورث عنهم لوارثيهم.

و انى الفت نظر القارئ الى تحفظ السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها بالتستر البالغ اذا ارادت الدخول على زوجها و ابيها لما دفن معهما سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه حياء منه فان ذلك يفهمنا انها لا تشك فى ان سيدنا عمر يراها، كما انها لا تشك فى ان والدها يراها و لكنها ما كانت تتحفظ منه بذلك التستر لانه ابوها، يجوز له ان يرى من بدنها ما ينكشف اذا القت ثيابها التى تستر بها من الاجانب و هذا الذى تصرح به هذه السيدة الجليلة لم تخترعه من نفسها بل صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله

(وما ابالى قضيت حاجتى على القبور او فى السوق والناس ينظرون) رواه ابن ماجة من حديث، و هو خبر نبوى يفهم فى وضوح ان الاموات يرون ما يفعل عندهم كما يرى الاحياء بلا تفاوت، و لذلك لم يفرق صلى الله تعالى عليه وسلم بين من يقضى حاجته عندهم و بين من يقضيها فى السوق مجتمع الناس وهم ينظرون اليه فى انه يُرى لهؤلاء كما يُرى لهؤلاء وهو منكشف العورة و حينئذ لايجوز ذلك عند الاموات كما لايجوز امام الاحياء. و انى آخذ بيدك الى حيث اريك اكثر من هذا. اريك ان افراد المؤمنين الذين ليسوا برسل ولاانبياء ولا اولياء اذا زارهم زائر وسلم عليهم ردوا عليه السلام فوق رؤيتهم له. و ان استغربت هذا فاسمع الدليل. روى مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعلم الصحابة اذا خرجوا الى زيارة اهل المقابر ان يقولوا لهم **(السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين و المسلمين و المسلمات و انا ان شاء الله بكم لاحقون.اسال الله لنا ولكم العافية)** فهل يأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يسلم الناس على من لايسمع ولايرد؟ اظنّ ان ذلك تقشعر فيه جلود المؤمنين بحكمة ربنا عز و جل.

بل الامر فى طبقات المؤمنين فوق مارويت لك. فقد روى الترمذى و الحاكم و ابن مردويه[١] و ابن نصر و البيهقي (فى الدلائل) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر وهو لايحسب انه قبر انسان. فاذا هو قبر انسان يقرأ (سورة الملك) حتى ختمها. فاخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلوة و السلام **(هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر)** و هل يبقى من شك فى حياة امرئ يقرأ القرآن، يعبد الله تعالى بصوت مرتفع به لدرجة ان يسمعه من بينه و بينه حائل عظيم من اتربة و احجار، الا انه ينبغى ان يعلم ان هذه الحياة لا تبلغ درجة حياة الانبياء، بل الشهداء فى سمو مقامهم لا تبلغ درجة حياتهم درجة حياة الانبياء و ان كان القرآن يخبر عنهم انهم احياء يرزقون و يفرحون و يستبشرون فانه ليس بمعقول ان يبلغ فرد من افراد امة ايا كان مركزه سموا و كمالا عند ربه المبلغ الذى بلغه رسوله بل لاكثر من كل ما سبق،اذهب بك فقد روى البخارى عن ابى طلحة رضى الله تعالى عنه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قام على شفة الركية) البئر التى لم تطو (فجعل يناديهم

١) ابن مَرْدَوَيْه ابو بكر احمد الاصفهاني توفي سنة ٤١٠ هـ: [١٠١٩ م.]

باسمائهم و اسماء ابائهم) قتلى بدر الكفار الذين القوا فى تلك البئر (**يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ايسرّكم انكم اطعتم الله و رسوله؟ فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**) قال [الراوى] فقال عمر رضى الله تعالى يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح لها. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**والذى نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم**) فَهَا هو ذا رسول الله صلى الله عليه و سلم يخبر مؤكدا بالقسم ان الاحياء الموجودين معه فى الدنيا لا يزيدون عن اولئك القتلى الكفار فى سماع كلامه صلى الله عليه و سلم و انى احب ان يهون القارئ على نفسه ولا يستغرب عند سماع هذا فى حق الكفار. فانه يعلم حق العلم ان البدن ممن تموت ابدانهم بعد الانتقال من هذه الدار هو الذى يموت بانقطاع الصلة بينه و بين روحه الذى كان يدبره و يحركه.اما الارواح فباقية بعد الموت كما كانت فى الدنيا قطعا. و الارواح فى الحقيقة هى العاقلة المكلفة الفاهمة التى كانت تسمع فى الدنيا الاسئلة التى توجه الى الانسان وترد عليها و هى هى عين الانسان و هذا البدن آلتها التى تسخرها فيما تريد من اعمال. و اذا كانت الارواح التى هذا قدرها باقية بعد الموت كما كانت فى الدنيا فاى غرابة فى سماعها ما يوجه اليها من كلام بعد ان تموت ابدانها و لو كانت ارواح الكفار و ارواح المؤمنين تزيد صفاء و كمالا بعد موت ابدانها عما كانت قبل ذلك الموت، فانها فى الدنيا كانت مقيدة بهذا البدن الظلمانى الكثيف تقيدا عظيما بتدبيرها و تصريفها لشؤونه فى كل حال. و بعد الموت انقطع ذلك التعلق العظيم و اصبحت مطلقة اطلاقا لايعلم قدره الاالله عز و جل ولهذا ينبغى ان تعلم انها تجول فى هذه العوالم باذن ربها. فتامر مناماً بمصالح و تنهى عن مضار و تبشر عجاباً و تنذر بمكاره وتأخذ و تعطى و تدعو الله تعالى و تعلم علوما. و تخبر عن غيوب مستقبلة. و هى اذا قالت شيئاً كان حقا.ما تقول؟ فانها فى عالم لايعرف الكذب. و كم حمد الله تعالى من اطاعها فيما تشير اليه. و كم ندم من خالفها. و كم وصل من خير لعباد الله تعالى الاحياء من طريقها و كم وصل من شر. و الفاعل فى الكل رب الجميع و هو المسخر لها فى كل حركاتها، الآذن لها ان تقول ما تقول و تفعلّ ما تفعل.

كل هذا اقوله و براهينه كما ترى قوة و اتجاهاً. وانا اعلم ان بيننا فريقاً تقع منهم هـذه الحقائق موقعاً غريباً و اليما ولايكادون يصدقونها و لعلك تقول و ما ذا يفعلون فى هذه الحجج اليقينية التى تسوقها؟

فاقول لك انك يا اخى! كانك لم تكن فى الدنيا لتعلم ايها الفاضل ان الفريق الذى نشير اليه لاقيمة للحجة عنده اذا كانت من السنة. كان السنة نسخت فى هذا الزمان. نعم، لقد وصلوا فى الاستخفاف بالسنة النبوية التى لولاها ماكان لنا دين الى حد لايكاد يصدقه المؤمن. و ماذا عسى ان تنتظر فى الاستخفاف بها بعد ان تسمع احد هؤلاء يصرح فى غير خجل ان بنتاً صغيرة خادمة اصدق من رواة (البخارى) الذى يعده علماء الاسلام اصح كتاب فى السنة. لا تفزع ايها الاخ! و اعلم ان هذا الفريق الذى حاله ما نذكر وصل امره الى اكثرمما نقول. فقد طبع فى العام المنصرم عام (١٣٤٩ هـ.) تفسير لواحد من هذا الفريق بتشجيع من اخوانه و مساعدة كبيرة. هذا التفسير لكلام الله وهو ينكر كلام الله انكاراً صريحاً بصرف كثير من عباراته الكريمة الى معان لايدل عليها الوضع العربى الذى به نزل هذا الكتاب الحكيم.

و بذلك انكر حقائق، انكارها كفر صريح و قامت له الامة وقعدت. و كان اول خطوة معه ان صودرت نسخة لئلا تصل الى ايدى الناس و منهم الجاهل الذى لايميز صوابا من خطا. و هذا المفسر الجديد لم يرد على ان اضاف الى الفريق الباطنية واحدا. و اصبح بين الامة كالمجذوم يفر منه كل من وقعت عينه عليه، و سترى عاقبة ذلك فى يوم يشيب الولدان.

و مع كون ذلك الفريق بتلك الدرجة التى نحكيها مع الحجج النبوية تراه اذا عثر على شبه حجة له على معنى يعتقده تجده يتشبث بها تشبثه بروحه، مع انها من السنة التى لاقيمة لها عنده. و لكنها الاهواء تفعل اكثر من ذلك كما يتشبث بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا مات الانسان انقطع عمله الامن ثلاث: صدقة جارية او علم ينتفع به اوولد صالح يدعوله) يحتج هؤلاء الناس بهذا الحديث على ان الانسان متى مات فلا عمل له اصلا و هو خطأ قبيح. فان الحديث الكريم يتكلم عن الاعمال التكليفية التى تزداد بها

الحسنات و السيئات فافادنا ان العمل الذى هذا حاله ينقطع عن الميت بمجرد موته، و معقول هذا الانقطاع، فان الحسنات و السيئات فى دار العمل، و دار العمل الدنيا. و الميت قد انتقل من الدنيا، غير ان الحديث استثنى الاعمال الصالحة التى يبقى نفعها فى الدنيا للاحياء بعد موت العامل. فاخبر انها مادامت منتفعا بها، فالعامل فى ازدياد من الثواب و ان كان فى قبره.

و بما ان الكلام فى الاعمال التى بها مزيد الثواب مَثَّلَ صلى الله تعالى عليه وسلم بالامثلة المذكورة و هذا معنى واضح لايتوقف فيه عاقل، اما الاعمال التكوينية،فالامر فيها بالنسبة للاموات كما قررنا و لعلنا لانبعد عنَ الواقع اذا قلنا ان من النادر ان نجد انساناً ليس له واقعة او وقائع منامية مع اناس ماتوا من زمن بعيد او قريب حاورهم فيها و حاوروه و كان منهم له ما يسره او لا يسره من اقوال او افعال يحكيها بعد ان يقوم من منامه و تقع او تكون واقعة كما قالوا.

وانا ننقل هنا مثالا لاشك فى صحته فى (البخارى) مختصرا و (الطبرانى) مطولا عن انس رضى الله تعالى عنه قال:لما انكشف الناس يوم اليمامة،قلت لثابت بن قيس: الا ترى يا عم و وجدته يتحنط فقال:ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بئس ما عودتم اقرانكم! اللهم!انى ابرئ اليك مما جاء به هؤلاء و مما صنع هؤلاء ثم قاتل حتى قتل و كان عليه درع نفيسة فمر به رجل مسلم فاخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم اتاه ثابت فى منامه فقال انى اوصيك بوصية، اياك ان تقول:هذا حلم فتضيعه:انى لما قتلت اخذ درعى فلان و منزله فى اقصى الناس، و عند خبائه فرس تستن. اى تذهب و تجيئ عدوا فى نشاط و مرح ولا راكب عليها، و قد كفئ على الدرع برمة و فوقها رحل. فائت خالدا فمره فليأخذها و ليقل لابى بكر رضى الله تعالى عنه:ان على من الدين كذا وكذا و فلان عتيق، فاستيقظ الرجل فاتى خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى بها، و حدث ابا بكر رضى الله عنه برؤياه فاجاز وصيته.

هذا لفظ ابن حجر فى (الاصابة) فى ترجمة ثابت بن قيس فهذا رجل ميت يغضب على تركته ان يأخذها غير وارثه فيأمر من يذهب الى قائد الجيش،يخبره بمكانها ليردها الى

ورثته و لما سمع هذا القائد ذلك بعث الى الدرع فاتى بها، ثم امر هذا القائد ان يخبر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما عليه من الدين ليؤدى عنه ليستريح من ناحيته، و حتى لايندم رب الدين على ضياع ماله بموت المديون، و ان يخبره بوصيته بعتق غلامه لينفذ هذه الوصية بماله من السلط العامة و ليكون هو قام بمكافاة ذلك الغلام على طول خدمته له فى حياته. فنفذ ابو بكر رضى الله تعالى عنه ذلك. و انظر لما ذهب الى الرائى، كيف شدد عليه ان يبلغ ما يوصيه به و افهمه ان الأمر جد لا هزل، و حق لا باطل ليقتلع من نفسه التردد الذى يقع فى النفوس فى بعض ما يرى فى المنام.

و انظر، كيف يصف المكان الذى به الدرع على مبالغة آخذها فى اخفائها. و انظر، كيف فطن هو وحده لذلك الاخذ مع انه ميت و لم يفطن له الاحياء المحيطون به من كل مكان. فمن بعد هذا ينكر او يتردد او تخطر له شبهة فى ان الميت بعد موته يعمل و يقول؟ و هل عقيدة ان الميت لايقول بعد موته ولايفعل الا عقيدة من يئسوا من اصحاب القبور.

و اذا احطت علما بهذا كله، علمت ان الامر عادى صرف فى مخاطبة الانبياء و الاولياء و جميع المؤمنين، بل و الكافرين بعد موتهم المخاطبة التى لا تقل عن مخاطبتهم و هم احياء فى الدنيا فان الميت يسمع و يفهم فمن خاطبه خاطب سميعا فاهماً.

و علمت: ان من يحكمون بالشرك على من يخاطب ولياً او نبياً بعد انتقاله من هذه الحياة، بعدوا عن الحق بُعْدَ الحق عن الباطل، و برهنوا بذلك على انهم لم يكلفوا خاطرهم بالنظر فى دين الله حتى وصلوا فى الجهل به الى درجة ان تخفى عليهم تلك الحقيقة الواضحة؟

هل للانبياء و الاولياء وجاهة عند ربنا شئ من وجاهة الانبياء ؟

ليعذرني القارئ الفاضل فى هذه الترجمة ثم الاستدلال عليها، فان ذلك و ان كان بديهيا عنده، منكر عند قوم الى حد لاحد له، و انا نكتب ما نكتب، نرجو ان ينتفع اولئك القوم به و ان لم ينتفعوا و ذلك اكبر الظن بهم. فالدنيا مملوءة - و الحمدلله - بمن ينتفع به من المؤمنين الصادقين.

قال ربنا عز و جل فى سيدنا موسى الكليم (... وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً * الاحزاب :٦٩) وقال فى سيدنا عيسى (... وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * الآية. آل عمران :٤٥) هذا كلام ربنا و ليس بعد كلام ربنا كلام. لانه الخالق العالم بما عليه خلقه. فاذا ذكر حقيقة و ردها احد كان ذلك ردة فى ذلك الراد. ذلك لانزاع فيه. و ما ذكر من كلامه تعالى يقرر فى وضوح ان لربنا عبيدا لهم عنده وجاهة و ان سيدنا موسى و سيدنا عيسى صلى الله عليهما و على جميع الانبياء وسلم من اولئك الوجهاء.

و معنى هذه الوجاهة عنده تعالى لمن جعلها لهم المنزلة الرفيعة التى بها يتولى شؤونهم توليا خاصاً و يعاملهم كما نعامل نحن الوجهاء عندنا فكما لا نردّ نحن طلب الوجهاء عندنا اجلالا لهم و احتراماً لمنزلتهم الرفيعة عندنا، كذلك هو تعالى لايرد طلب الوجيه عنده الا لحكمة هو يعلمها، و ان اختلف المقتضى للاجابة عندنا و عنده تعالى. و انا نحب كثيرا ان يسمع لنا القارئ الكريم لنقص عليه شيئا من آثار وجاهة الانبياء صلى الله و سلم عليهم عنده تعالى ليزداد ايمانا بها على ايمانه فنقول:

مكث العبد الشكور سيدنا نوح رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الحق ليلا و نهارا، سرا و جهارا، و يلاقى منهم فى سبيل تلك الدعوة ما يلاقى من اصناف الايذاء و لم ينته ذلك عن القيام بما كلّف به و لما يئس من هدايتهم، قال ما حكى عنه ربنا (... أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * القمر: ١٠) ثلاث كلمات حرك بها لسانه هذا العبد الكريم، اتعرف ايها القارئ! ماذا كان اثرها؟ لقد كان ما قال

مولاه عز و جل (فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ* وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ* وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا* الآية. القمر :١١-١٤) هيج تعالى السماء لدعوة ذلك العبد الجليل. فافرغت ماءها ينهمر انهمارا. و هيج الارض فقذفت ماءها يتفجر تفجرا. و بالضرورة كان الجو اذ ذاك فى منتهى العبوسة و الغضب.

و لما التقى ماء السماء بماء الارض، كان منهما طوفان عظيم غمر كل الارض، و فى هذا الهول الذى تنخلع له القلوب فزعاً اغرق تعالى كل من على وجه الارض من الكفار الذين تغير منهم قلب سيدنا نوح عليه الصلوة و السلام و دعا عليهم بتلك الكلمات و لعلك تقول، و ماذا جرى لهذا الرسول و من آمن معه فى ذلك الهول الذى يشيب الولدان؟ و هل طار عليهم من رشاش ذلك الطوفان شئ او احست قلوبهم بذرة من ذلك الفزع المذهل؟

فاقول لك: ما كان من ذلك شئ مع انهم فى سفينة (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ* الآية. هود :٤٢) و كيف يكون ذلك و القدير الرحيم يقول فى تلك السفينة (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا* الآية. القمر :١٤) و هل يخشى شيئا من يسير محروساً بعينه تعالى التى لا تنام محوطا بحفظه الذى لايمس. فليقل لى القارئ و ليفتنى فى مبلغ هذه الوجاهة التى تغضب، فيغضب الله. و تغضب السموات و تغضب الارض و يغضب الجو ولايهدأ هذا الغضب حتى يكون ما تريد من تغير وجه البسيطة كلها واهلاك كل من عليها من الكفار.

و كسر سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام الاصنام التى كان يعبدها الوثنيون الذين كانوا يعاصرونه، و انت تعرف، ان مس العقيدة باى شئ مظنة انفجار براكين الغضب فكيف اذا طعن فيها و وصل الطعن الى درجة ان مس الالوهية لا بل تعدى ذلك الى التعدى بالتكبير والتهشيم لنفس الآلهة التى تعبد و يعتقد فيها انها تنفع و تضر، لذلك لم يكن عليه الصلوة و السلام جزاء عند اولئك الوثنيين الا قتله صلى الله تعالى عليه وسلم، و ليس هذا القتل مطلق القتل بل الم القتل و اشده. وهو الاحراق بالنار التى اججت ثم اججت والقى فيها و هل يدرى القارئ، ماذا فعل به ربه، وهو تعالى يعلم انه ما اقدم على ما اقدم عليه الا غيرة منه على مقامه الاسمى ان يشارك فى العبادة؟

لقد كان ان قال عز و جل للنار وهو ربها (... **كُونِى بَرْداً وسَلاَماً عَلَىٰٓ اِبْرَاهِيمَ** الانبياء :٦٩).

ان اسم ابراهيم فى هذا المقام لا تشبع اذن العقل ابدا من سماع حلاوته. و هل تدرى،ماذا كان من النار؟ كان منها ان صدعت بما اراده منها ربها، و لم تمس هذا الخليل بادنى ضرر، فماذا يرى القارئ فى تقدير هذه الوجاهة التى بلاسؤال بل مع رفض السؤال كما ورد.سلب لها رب السموات و الارض خاصة هذا العنصر المحرق و جعلها عليه بردا وسلاما. فكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى وسط النار الملتهبة و هو يشعر بهذا البرد اللطيف ولا تظن ان هذا على فخامته كل ما كافأ ربنا به خليله الا تظن ذلك.

و اعلم انه ما حيى حى بعد هذا العبد الغيور على مولاه الا و به حيى لهذا اليوم و الى ان تنقضى الدنيا فانه يبعث نبى بعده صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو من ذريته ولم ينزل بعده كتاب من السماء الا و على ولد من اولاده انزل كما يقول تعالى (... **وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ** العنكبوت :٢٧) اذن لم يؤمن انسان بعد سيدنا ابراهيم الاعلى يد ولد من اولاده.

و معروف،ان ربنا عز و جل جعل الشرائع ارواحاً للخلق كما يقول عز و جل (**وَ كَذٰلِكَ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ رُوحاً مِنْ اَمْرِنَا** الآية. الشورى :٥٢) فمن آمن بهذه الشرائع حيى، و من لم يؤمن بها كان ميتا. ولقد صرح تعالى بذلك فى قوله الكريم: (**اَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَاَحْيَيْنَاهُ** الآية. الانعام :١٢٢) و قوله (**وَمَا يَسْتَوِى الْاَحْيَآءُ وَلَا الْاَمْوَاتُ** الآية. فاطر :٢٢) و غير ذلك كثير فى كلام الله تعالى فكان ربنا الشكور يقول لهذا الخليل العظيم: انت قدمت حياتك فى سبيلنا و سخوت بها عن طيب خاطر و لم تلتفت لها واستهنت بالموت غيره علينا و اجلالا لنا. فكان جزاؤك عندنا،ان حلنا نحن بينك و بين ذلك الموت مكافاة لك على هذا الاخلاص البالغ. و خرقنا عادتنا فى ملكنا من اجلك فجعلنا الجسم المحرق بردا و سلاما عليك و ليس ذلك فقط كل جزائك عندنا بل جعلنا كل من يحيى فى ملكنا فى حياتك و بعد مماتك الى قيام الساعه،انما بك يحيى. هذا جزاؤك عندنا فى الدنيا التى ليست دار جزاء وجاه.هذا اثره عند ربنا عز و جل،انما يعلم قدره ربنا فقط. و اما

نحن فلايسعنا امامه الاطأطأ الرأس و السّكوت التام.

و يئس سيدنا موسى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العبد الكليم الوجيه الذى اصطعنه ربنا لنفسه من هداية فرعون و قومه. فاوحى اليه مولاه ان يخرج بمن آمن به من مصر ليلا. و اخبره ان سيتبعه فرعون و جنده لقضاء قضاه فيهم. فخرج عليه السلام بمن اتبعه وصدقه كما امر. و لما علم بذلك فرعون جمع من قومه ما جمع و خرج وراءهم فلما دنا منهم وراوه بجموعه قلقوا وقالوا لسيدنا موسى عليه السلام (... اِنَّا لَمُدْرَكُونَ * الشعراء :٦١) يعنون انا ميتون ولابد بيد هذا الطاغية الجبار و جيوشه هذه الكثيرة القوية، فطمأنهم عليه السلام باعظم انواع المطمئنات،اذ قال لهم (... كَلاَّ اِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ* الشعراء :٦٢) هكذا حكى ربنا عزّ و جلّ عنه عليه السلام و عنهم يريد سيدنا موسى ان يقول لهم: ان ظننتم ان فرعون و قومه اقوياء يفتكون بنا.

فاعلموا:العلم الذى لاشك معه ان معى خالق فرعون و قومه القادر على ان يزيل كل هذا الوجود سمواته و ارضه فى لمحة و اذا كان معنا هذا القادر العظيم، فلا بد ان يكفينا عدونا و يرشدنا الى ما به نجاتنا منه. و اذن دعوا هذا الخوف و اطمئنوا كل الاطمئنان و هل تعرف ماذا كان بعد ذلك؟ كان ان هداه ربه الى نجاته و نجاة قومه كما قال عليه الصلوة و السلام لهم فانه تعالى امره ان يضرب بعصاه البحر ففعل كما امر فانفلق البحر الماء السائل و صار شوارع يرونها باعينهم، و هو من كل ناحية من نواحى هذه الشوارع متماسك جامد شاهق متين لاكمتانة المبانى التى يبنيها البشر، بل كالجبل الشامخ العظيم الذى بناه القوى المتين، و حينئذ فرحوا و اقبلوا على تلك الشوراع يسيرون فيها آمنين،مطمئنين حتى انتهوا الى الشاطئ الثانى و لما وصل فرعون الى البحر و وجده بهذه الحالة اقتحمه هو وقومه فلما صاروا فيه انساب عليهم و انطبق على بعضه كما كان فاغرقهم اجمعين. وسيدنا موسى و قومه ينظرون. و ماذا عسى ان يقول القائلون فى تقدير الوجاهة التى هذا قدر عمل الخالق على رضاها، ان الالسنة هنا لتخرسها الهيبة و يعقلها هذا الجلال.

و هذا سيدنا داود الرسول الكريم عليه السلام خليفة الله فى ارضه الذى يقول فيه

خالقه (... نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ الآية. ص: ٣٠) وصل من جاهه عنده سبحانه و تعالى ان جعله عليه السلام يعمل فى الحديد ما لا تعمله النار الملتهبة و المطارق الثقيلة القوية، جعله يتناول ذلك الحديد بيده اللحم و العظم و العروق فيفصل منه و هو الحديد كما يشاء من الدروع وسواها بغاية اليسر و السهولة والسرعة، كانه فى يده قماش فى يدنا او الين. ولا تعجب ايها القارئ! فان سيدنا داود هذا هو الذى سخرله ربه الطيور التى لا تعقل بل و الجبال الجمادات، فجعلها تفهم تسبيحه حينما يسبح. فتاخذ هى فى التسبيح كذلك مشاركة له عليه السلام و يفهم هو منها هذا التسبيح. ان الجاه الذى يعمل له ربنا كل هذا جاه ليس له حد،لقد اجزل ربنا النعمة على هؤلاء الناس. فانى لا اجد عبارة تفى بشرح قدر اللذة التى كان يشعر بها سيدنا داود وهو يسمع الطيور و الجبال تسبح بتسبيحه. ولا يمكننى ان اصف مايقوم به من الفرح بنعمة ربه و هو بتلك الحال او وهو يرى الحديد فى يده ينفصل له كما يشاء عليه السلام.

اما سيدنا سليمان الرسول الكريم فعجيب والله جاهه عند ربه، ثم عجيب، كيف لا و ربه لم يرض له ان يسير الى مقاصده فى الارض التى جعلها تعالى مكانا لسير الخلق بل جعل تعالى طريقه الى ما يريد الجو كما ابى تعالى ان يجعل مراكبه دواب يسير عليها بل جعل دابته الريح تسير به فى الغدوة مسافات تستغرق شهرا كاملا بالسير المعتاد. و كذلك تسير به فى الروحة وهو بالخيار معها بين ان يجعلها رخاء هينة لينة كما تتساهل مع دابتك فتتركها تمشى الهوينا، و بين ان يجعلها عاصفة شديدة كما تحمل دابتك على السير السريع. و ليس هذا كل آثار جاهه عند ربه تعالى بل من تلك الا ثار ان جعله تعالى حاكما على الجن،مطاعا فيهم،يحبس منهم من يحبس لتمرده و افساده و يطلق من يطلق يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء و من تلكأ منهم و زاغ عن امره،اذاقه الله العذاب الاليم بل من آثار ذلك الجاه،ان جعل تعالى له الطير تحت امره يسخره كما يشاء و وهبه فَهْمَ منطقه يحاوره و يتفاهم معه كما يتفاهم مع بنى آدم. فقل لى بربك اى جاه هذا الجاه الذى جعل الله تعالى له الجن و الانس والطير مسخرين له يأتمرون بامره و ينتهون بنهيه و مع ذلك يقول له تعالى (هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ اَوْ اَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ص: ٣٩) اى هذا الملك العظيم و

هـذا العطاء المعدوم النظير لاحساب عليك فيه و ان امسكته و لم تعط منه شيئا لاحد،انت مطلق التصرف فيه،لاجبر عليك فى اعطاء،ولاذمّ عليك فى منع، و من اجل هذا كان ملكا لاينبغى لاحد من بعده عليه السلام.

اما سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام،فكان فى جاهه عند ربه آية، كما ان خلقه آية كان عليه السلام،اذا لمس بيده الشريفة مريضا عوفى من مرضه،مهما كان ذلك المرض ولو عمى او برصاً ولا تستكثر هذا عليه عليه السلام فانه كان فوق هذا. اذا نادى ميتا ان يحيى حيى باذن الله عز و جل. و لعل ذلك يقع عندك موقع الغرابة،لا تستغرب. واعلم ان مولاه مكنه فوق هذا من مدهش، مكنه من ان يصور القطعة من الطين كهيئة الطير فينفخ فى تلك القطعة فتكون طيرا حقيقة باذن الله. و اظنك تسارع عند هذا الى قولك: هذا مظهر من مظاهر الخلق والابداع و الاختراع. فاقول لك الى هذا الحد وصل جاه سيدنا عيسى عليه الصلوة و السلام عند ربه ولكن لايخفى على فطنتك ان الفاعل هو ربنا عز و جل وهذه المظاهر اسباب فقط لخلقه تعالى.

و اما سيد العالمين حضرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فليس فى خلق الله من يدانيه فى وجاهته عند ربه، و كيف يدانى من يقول له تعالى (**وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴿ الانبياء: ١٠٧**) و لفظ **(العالمين)** معلوم: انه يشمل كل ما عداه سبحانه و تعالى. و اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لكل الخلق فكيف يكون فيهم من يدانيه فى منزلته عند مولاه عز و جل و ماذا يقول ملوك البيان فى تقدير هذا الجاه العظيم؟ و ماذا عسى ان يصف البيان فيمن يخاطبه بقوله (**وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴿ الآية. الانفال :٣٣**) مع انهم الذين يحكى تعالى عنهم قولهم (**وَإِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَآءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴿ الانفال :٣٢**) فجاه يحمى وجوده حتى الكفار الذين يستهزؤن بالدين و بمن جاء بالدين، جاه تقف عنده الألباب و الاقلام والالسنة حيرى لا تبدى ولا تعيد. و يزيدك علما بمبلغ عظم هذا الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم و مقدار جاهه عند مولاه تعالى غيرته عز وجل عليه، الغيرة التى تحرم تحريماً قاطعاً ان يتقدم احد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى شئ و

توجب على الكافة ان يكونوا تابعين له في كل شئ لتكون كل حركة من حركاتهم مذكرة لهم ما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم من التوقير و الاحترام و ما يجب ان يكونوا عليه هم من التبعية المطلقة له عليه الصلوة و السلام، الغيرة التى تجعل رفع الصوت فوق صوته قرينة الردة فى احباط جميع اعمال من يرفع صوته فوق صوته صلى الله تعالى عليه وسلم، الغيرة التى تجرد من العقل قوما نادوه وهو فى احدى حجراته صلى الله تعالى عليه وسلم ليخرج اليهم. أ فهمتم هذه الغيرة الالهية ان ذلك فيه تكليف لخاطره عليه الصلوة و السلام و الذى يقتضيه العقل السليم،انهم كانوا ينتظرونه حتى يخرج هو اليهم من تلقاء نفسه. و من اعطى هذه الحقائق حقها من النظر،عرف حق المعرفة من هو عليه الصلوة و السلام، الغيرة التى حتمت على كل من يريد الكلام معه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لايتقدم الى ذلك الابعد ان يقدم بين يدى ذلك صدقة.

و انى لارى توجيه هذا باى تعليل مقللا من شأنه و محددا لعظمته ثم نسخ تعالى هذا تخفيفا ورحمة بالفقراء و لكن هذا النسخ لايمكن ان ينسخ ما وقر فى النفوس له صلى الله تعالى عليه وسلم من التوقير و التعظيم الذى احدثه الحكم المنسوخ.

و لما انه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القدر الكبير عند ربه،استطاعت السيدة الصديقة الزوجة الكريمة أُمنا الجليلة السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ان تقول له (ما ارى ربك الايسارع فى هواك) كما رواه (البخارى) و (مسلم) و غيرهما تريد رضى الله تعالى عنها بكلامها هذا ان ربه عز و جل لايحوجه الى مشقة سؤال يتجشمها،ثم بعد السؤال تكون الاجابة بل هو تعالى يعلم ما يهواه و يحبه فيفعله له ولو من غير سؤال ولا يفعل له ذلك مطلق فعل بل بقيد الاسراع وهذا تقوله رضى الله تعالى عنها تحكى به ما تشاهد من عادة الله تعالى معه فى امياله و محابه.

و انا نذكر هنا شيئاً يفهم منه الناظر، كيف يطيعه ربه و يسارع فى هواه فليسمع سأله صلى الله عليه وسلم اهل مكة، ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين اى (فلقتين) رواه (البخارى) و (مسلم) و (الترمذى) و غيرهم و صرح بهذه آية القرآن فهى من المعجزات التى لا يقوى مسلم على ان يمترى فيها، و لعل هذا الوجود من بدئه لم ير آية مثلها فى الضخامة و العظم.

و اراد يوماً صلى الله عليه وسلم ان يقضى حاجة و احتاج الى شئ يستتر به. فاخذ بغصن شجرة و قال لها (انقادى عليَّ باذن الله) ثم ذهب الى اخرى و اخذ بغصنها و قال لها مثل ذلك فانتقلتا من مكانهما الى حيث شاء ثم امرهما ان (تلتئما) فالتأمتا. و قضى حاجته مستترا بهما ثم تركهما فرجعتا الى مكانهما. رواه (مسلم) فاى جاه هذا الجاه الذى يأمر فلايعصيه حتى الجماد؟

و شكا الصحابة اليه يوما العطش و كانوا بالحديبية فليس فى الجيش الا ركوة بين يديه صلى الله عليه وسلم و الركوة زق صغير بها بقية ماء فوضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون. فشربوا و توضؤا و كانوا الفا وخمسمائة ولوكانوا مائة الف لكفتهم. رواه (البخارى) و (مسلم) فماذا يقول القارئ فى جاه لاجله يفور الماء من الاصابع التى بينها و بين الماء المباينة كلها؟ فانها عظم و لحم. و اين ذلك من الماء الذى لو نبع من الحجر الصلد لكان اقرب من نبعه من الاصابع؟ فان الحجر من جنس الارض التى بها ما بها من ينابيع الماء بل احياء الموتى اقرب من هذا فان الميت كان به حياة و قريب ان تنفخ فيه الحياة و لكن كيف يكون اللحم و العظم ينبوعاً للماء؟ ان ربنا ليفعل له صلى الله عليه وسلم ما لا يخطر على القلوب، جلت قدرته.

و دعا لام سيدنا ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان يهديها الله تعالى و كانت قالت ما قالت فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من الذم ردا على ابنها ابى هريرة لمَّا عرض عليها الاسلام. و كان ابو هريرة يبكى عليها غما. فلما دعا لها صلى الله تعالى عليه وسلم بالهداية رجع ابو هريرة رضى الله تعالى عنه فى الحال الى البيت فسمع خضخضة الماء و الباب مغلق فلما سمعت حركة قدميه قالت له: مكانك يا ابا هريرة! فلما فرغت من الغسل فتحت الباب ثم قالت يا ابا هريرة! (اشهد ان لااله الاالله واشهد ان محمداً عبده ورسوله) فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكى سروراً. رواه (مسلم).

و كان صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر يوما فساله اعرابى ان يدعو الله تعالى ان يسقيهم و كانوا فى قحط فرفع يديه و ما بالسماء قطعة سحاب، فما ردّهما الا وقد ثار السحاب كامثال الجبال و لم ينزل صلى الله تعالى عليه وسلم عن المنبر حتى نزل عليه

المطر و صار يتقاطر على لحيته الشريفة ولم تزل تمطر الى الجمعة التى تليها. سأل صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو ربه ان يرفع هذا المطر، فَرَفَعَ صلى الله تعالى عليه وسلم يديه. و قال (اللهم حوالينا ولا علينا). فانقطع المطر فى الحال و خرجوا من المسجد يمشون فى الشمس. رواه (البخارى)

و كان خطب صلى الله تعالى عليه وسلم اولا الى جذع نخلة فلما صنع له المنبر انتقل اليه. فلما احس الجذع بفراقه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يئن انين الصبى و الصحابة يسمعون ولولا انه صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن المنبر و ضمه كما تضم الوالدة ولدها الذى يبكى، ما سكت عن انينه حزناً واسى و حسرة على بعده عنه صلى الله تعالى عليه وسلم. رواه (البخارى). فماذا يقول القارئ فى جاه و عظمة و بركة تبكى خشبة على فراقها. و ليتذكر فى هذا المقام قوم يحرمون تحريماً قاطعاً السفر الى زيارته و القرب منه و يغضبون نهاية الغضب عند ذكره بشئ من التعظيم. ليقل لهم القارئ ان الخشب الجماد يعظمه و يجلّه و يفرح لجواره و قربه منه لدرجة انه يئن و يبكى اذا شعر ببعده عن جواره الكريم.

و مسح صلى الله تعالى عليه وسلم رجل عبد الله بن عتيك لما انكسرت ليلة قتل ابا رافع الذى نقض عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و صار يهجوه فانجبر الكسر فى الحال و كانه ما كان يشكوها. رواه (البخارى).

و اكل امامه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل بشماله فامره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأكل بيمينه، فقال: لا استطيع كبرا منه فقال له عليه الصلوة والسلام **(لااستطعت)** فجمدت يده و لم يستطع بعد ذلك رفعها الى فيه. رواه (مسلم).

و وضعت له السيدة ام سليم رضى الله تعالى عنها حيساً وهو تمر مخلوط بسمن واقط و ارسلته له مستقلة له، فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده الشريفة فى تلك الحيسة ودعا، ثم صار يدعو الناس ليأكلوا فاكلوا وكانوا زهاء ثلثمائة ولايدرى اكانت اكثر حين وضعت ام حين رفعت؟ رواه (البخارى) و (مسلم).

و طلب منه سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ان يدعو الله فيما بقى مع الناس من زاد و كان يسيرا وكانت اصابتهم مجاعة فى غزوة تبوك، فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة فى ذلك الشئ اليسير.ثم امرهم ان يأخذوا فلم يبق احد من الجيش الا اكل و شبع و لم يبق معهم اناء حتى ملئ و بقى فضلة.فقال حينئذ صلى الله تعالى عليه وسلم **(اشهد ان لا اله الا الله و اشهد انى رسول الله لايلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيحجب عن الجنة)** رواه مسلم.

و ساخت ارجل فرس سيدنا سراقة رضى الله تعالى عنه الى بطنها فى الارض،لما دعا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حينما تبعه هو و سيدنا ابا بكر رضى الله تعالى عنه وهما فى طريق الهجرة. و كان سيدنا سراقة لم يسلم بعد فاخذ لهما على نفسه عهدا ان يرد عنهما ان هما دعوا له. فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم فنجت فرسه فرجع،يرد عنهما وفاء بعهده رواه (البخارى) و (مسلم).

و دعا صلى الله تعالى عليه وسلم اعرابيا الى الاسلام.فقال له الاعرابى ومن يشهد على ما تقول؟ فقال له عليه الصلوة و السلام هذه السَّلمة ـ شجرة.فدعا ها صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبلت تخدّ الارض خدا حتى قامت بين يديه. فاستشهدها ثلا ثا،فشهدت ثلا ثا،ثم عادت الى منبتها. رواه (الدارمى).

و دعا صلى الله تعالى عليه وسلم عرجون نخلة فجعل ينزل شيئا فشيئاً حتى نزل عنده صلى الله تعالى عليه وسلم،ثم امره ان يرجع الى مكانه فرجع. فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم،ليبرهن لاعرابى على انه نبى فلما راى ذلك الاعرابى طاعة العرجون له صلى الله تعالى عليه وسلم،اسلم. رواه (الترمذى).

و قرأ صلى الله تعالى عليه وسلم قول ابراهيم **(رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ۞** الآية. ابراهيم :٣٦) الى (رَحِيمٌ) و قول عيسى **(اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَاِنْ تَغْفِرْلَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۞** المائدة :١١٨) فرفع يديه و قال **(اللهم امتى،اللهمَّ امتى)** و بكى فقال الله تعالى: **(يا جبرئيل! اذهب الى محمد، فقل له: ـ و ربك اعلم ـ فاساله ما يبكيك؟ فاتاه**

جبرئيل و ساله فاخبره بما قال - وهو اعلم - فقال تعالى يا جبرئيل! اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى امتك ولا نسوؤك. (رواه مسلم).

ليقف هنا القارئ طو يلا و يفكر فى هذا الجاه العظيم الذى يتلطف به ر به هذا التلطف البديع.

و اختطف الذئب شاة فانتزعها منه الراعى.فاقعى على ذنبه و قال له:الا تتقى الله، تنزع منى رزقا ساقه الله الى. فقال الراعى يا عجبا!ذئب يتكلم؟ فقال الذئب:الا اخبرك باعجب من ذلك؟ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بانباء ما قدسبق. **فذهب الراعى الى المدينة و اخبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم بذلك. فامر فجمع الناس و امر الراعى ان يخبرهم فاخبرهم.** رواه (احمد) و (البزار).

و سأل ابن مسعود من اخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال شجرة رواه البخارى و مسلم.

و قال سيدنا على كرم الله وجه و رضى عنه:كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة.فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول:السلام عليك يا رسول الله! رواه (الترمذى).

و قال صلى الله تعالى عليه وسلم **(ان بمكة حجراً كان يسلم على ليالى بعثت.انى لاعرفه الآن)**.رواه (مسلم).

اين العقل و الفهم ايها الناس؟ اشجار و جبال و حجارة تسلم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و آدميون يقفون فى وجه كل من يريد الا تصال به صلى الله تعالى عليه وسلم باى حال.هذا شئ غريب عجيب.

و قال صلى الله تعالى عليه وسلم **(لاتمسّ النارمسلما رآنى او راى من رآنى)** قال طلحة:فقد رأيت جابرا و قال موسى:قد رأيت طلحة قال يحيى و قال لى موسى و قد رايتنى و نحن نرجو الله.رواه (الترمذى).ارجو ان لايستكثر القارئ هذا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو رحمة الله تعالى للعالمين وقد سبق ما رويناه عن (مسلم): **ان الله تعالى يقول له: (انا سنرضيك فى امتك ولانسوؤك). وليتامل كثيرا فى قوله تعالى (فى امتك). ان معنى هذا الارضاء** كبير ثم كبير و لو فهم الانسان هذه العبارة كما هى عليه لصرح بان هذه الامة لايعذب منها احد متى كان مسلما. فان ذلك هو الذى يرضيه صلى الله تعالى عليه وسلم و ليسؤه من غير شك تعذيب واحد منها. هذا نقوله ولا نستبعده ابدا على ربنا وهو الذى يعد سيد خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتابه فوق ماتقدم، فيقول له (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** * الضحى: ٥) و المبشرات الشاملة لامة الاجابة كلها كثيرة فى السنة و كثيرة.

و جاءه حرملة بن زيد فقال: يا رسول الله! الايمان ههنا؟ و اشار الى لسانه و النفاق ههنا و اشار الى صدره. ولانذكر الله الا قليلا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فردد ذلك حرملة فاخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بطرف لسان حرملة فقال (**اللهم اجعل له لسانا صادقا وقلبا شاكرا وارزقه حُبّى وحبَّ من يُحبنى و صيّر امره الى الخير**) فقال حرملة: يا رسول الله! ان لى اخوانا منافقين، كنت فيهم رأسا الا ادلك عليهم؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (**من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ومن اصرَّ على دينه فالله اولى به ولاتخرق على احدٍ سترا**) رواه الطبرانى فى (الكبير) و انما دعاله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرزقه الله حبه لان حبه هو الايمان بعينه كما ان بغضه هو الكفر بذاته. وليس حبه صلى الله تعالى عليه وسلم امرا يحكى باللسان فحسب بل القلب قبل اللسان و متى استقر حبه صلى الله تعالى عليه وسلم فى قلب رأيت آثاره فى الحال من تعظيم يناسب قدره الافخم صلى الله تعالى عليه وسلم، و من ولوع بالصلوة و السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم و من حرص شديد على اتباعه الاتباع المطلق فى كل حركاته و سكناته صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن شوق يتاجج فى الفؤاد يطلب طلبا لاهوادة معه ولاسكون ان يسعى اليه و يتشرف بالمثول بين يديه. و ما الى ذلك من آثار الحب الصحيح. اما من يقول بلسانه: انا احبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لايجد من آثار ذلك الحب شيئا فهو محب باللسان لابالقلب و ارجو ان تسمع ما يقوله محب امراة.

بيت:

و كنت اذا ماجئت ليلىٰ ازورها * ارى الارض تطوى لى و يدنو بعيدها

وانظر الى اى حد يبدى المحب من الطاعة لحبيبه،اذ يقول:

بيت:

و لو امرونى ان امرّ على لظى ★ لقلت نعيما فى هواهم و جنتى

اين هذا من محب يكره زيارة محبوبه و ينهى اشد النهى غيره عنها و لو سمع امرا يذكر هذا المحبوب بشئ من التعظيم يتحض و يعبس و يوجه اليه من الملام ما تأبى حكايته الاقلام.ليفتنى القارئ الكريم امحب هذا؟ اما انا فتقع لدى هذه المحبة موقع الغرابة،ان لم اقل انها محبة كاذبة ثم كاذبة.

و لعل القارئ يفهم من هذا النزر اليسير الذى حكيناه هنا عنه صلى الله عليه و سلم الى اى درجة بلغ قدره صلى الله عليه و سلم و وجاهته عند ربه و الى اى حد بلغت مسارعته تعالى و طاعته لهواه صلى الله عليه و سلم، عرف هذا حق المعرفة اصحابه رضى الله عنهم و كانوا عربا اتوا ما اتوا من نفوذ البصيرة و معرفة حقائق الاشياء على ما هى عليه بفطرهم السليمة و استعداداتهم العالية و زاد هذا بما منحوه من نور الاسلام و مجاورتهم له عليه الصلوة و السلام.لذلك كانوا يعظمونه و يبجلونه الى درجة يمثلها لك و يقربها الى ذهنك قول بعض اعدائهم يصفهم معه صلى الله عليه و سلم،اذا امرهم ابتدروا امره و اذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه و اذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده و ما يحدون النظر اليه تعظيما له و لذلك لما رجع من عندهم قال لقومه:و الله لقد وفدت على الملوك كسرى وقيصر و النجاشى، و الله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا الخ. رواه (البخارى).

و من آثار بلوغهم النهاية فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم:انهم كانوا لو ظفر احدهم بشئ من آثاره كقطعة من ثوبه او قليل من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم لاحتقر الدنيا باسرها بجانب ما ظفر به.كان هو صلى الله تعالى عليه وسلم يرى بعينه ذلك الاجلال البالغ منهم و لاينكر عليهم شيئا منه اشارة منه صلى الله تعالى عليه وسلم الى انهم فى كل ذلك ماتجاوزوا المطلوب منهم نحوه عليه الصلوة و السلام.

و لقد راى صلى الله تعالى عليه وسلم ام سليم تجمع عرقه فى آنية معها و كان

نائما فاستيقظ و قال:ما تصنعين يا ام سليم؟ فقالت:هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو اطيب الطيب و فى رواية:انها قالت:يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا. فقال: لها عليه الصلوة و السلام مقرا و مشجعا و مادحاً (اصبت) رواه الشيخان و النسائى.

و لقد كانوا والله معذورين رضى الله تعالى عنهم فيما يفعلون معه صلى الله تعالى عليه وسلم من انواع التعظيم والاجلال.و كيف لايعذرهم العاقل وهم يرون خالقه رب السموات و الارض معه كما اشرنا سابقا الى بعضه عرفوا و ما اذكاهم:انه حبيب ربهم الى تلك الدرجة التى ليس فوقها درجة فكانوا كما وصفنا معه عليه الصلوة و السلام ليبرهنوا لربهم عزّ و جلّ:انهم احبوا حبيبه ذلك الحب الخالص من كل شائبة من شوائب التصنع و متى عدوا من رجال هذه الطبقة احبهم سبحانه و تعالى لان محب المحبوب محبوب بلا نزاع وهم اعلم بدرجة من يحبه الله و بمقدار مايصل اليه من جزيل الاحسان ممن كل احسان من فيض احسانه و لقد وصلوا رضى الله تعالى عنهم الى حيث كانوا يقصدون فانهم خير امة اخرجت للناس لم ير هذا الوجود من اوله لمنتهاه امة مثلهم فى المنزلة عند ربنا سبحانه و تعالى رضى الله تعالى عنهم و رضى عنا بحبهم. فلقد كانوا المثل الاعلى فى حبه صلى الله تعالى عليه وسلم الحب الذى معه برهانه و هل هناك برهان فوق ما تقدم لك بعضه؟ و اضف الى ذلك:انهم كانوا رضى الله تعالى عنهم يبذلون ارواحهم و اموالهم فى طاعته، ولو عرض على احدهم ان يقتل فى اى واد باى نوع من انواع القتل او ان يشاك هو صلى الله تعالى عليه وسلم بشوكة على سريرة فى بيته لابى كل الاباء ان يشاك صلى الله تعالى عليه وسلم بتلك الشوكة و سارع هو بكل مافيه من قوة الى حيث يقتل ليباعد بينه صلى الله تعالى عليه وسلم و بين تلك الشوكة و ما عن خيال اقول، بل عنهم اقول و كان احدهم فى اقتناع تام انه ان قتل فهو فرد من افراد الناس لا اثر فى الوجود بموته.اما ان مات هو صلى الله تعالى عليه وسلم فهو رسول الله الذى موت الامة باسرها اخف من موته.فانه لولاه ما كانت الامة فلو ذهبت الامة كلها و بقى هو صلى الله تعالى عليه وسلم لكان من القريب جدا ان تهتدى به امة اخرى، تحل محل التى ذهبت و ربما كانت اجل و اعظم، لكن لو انتقل هو الى الرفيق الاعلى لاينتظر ان يحل محله رسول آخر.لذلك كانوا رضى الله

تعالى عنهم فى ميادين القتال لايفكرون فى انفسهم ماتوا ام بقوا. و لكنهم فى وجل لايماثله وجل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه رسول الله.

و اسمع مثلا من ذلك،لما كان يوم احد حاص اهل المدينة حيصة. و قالوا:قتل محمد حتى كثرت الصوارخ فخرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بابيها و ابنها و زوجها و اخيها.فقالوا:هذا ابوك،اخوك،زوجك،ابنك، تقول:ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ يقولون:امامك، حتى وقفت عليه، فاخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بابى انت و امى يا رسول الله! لا أبالى،اذا سلمت من عطب.رواه الطبرانى فى (الاوسط). هذه امرأة.فما بال الرجال و ما بال عظماء الرجال؟ وكلهم رضى الله تعالى عنهم عظماء. و من راجع حالهم رضى الله تعالى عنهم يوم انتقل صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما اعد له من خير لايعلم قدره الا ربه.عرف ما نقول من حبهم له الحب الذى ما سمع الوجود مثله فلقد ملك الذهول بعضهم الى حد ان اخرس السنتهم و بعضهم و صلت به الصدمة الى درجة ان خارت قواه فهوى الى الارض،لايستطيع الحركة. و بعضهم استولى عليه الحزن لدرجة ان اذهب عقله و افقده رشده و كان ذلك منهم و هم الكماة الابطال،فخر الدنيا فى شجاعتهم و جلدهم و قوم،هذا وصفهم،انت تقدر مبلغ الحادث الذى يصل بهم فى الهزيمة الى الحد الذى نذكر لك. و ما كثير-والله-ذلك منهم لفقد بركة الوجود و شمس الهداية و ينبوع سعادة الدنيا و الاخرة. اللهم صل وسلم و بارك عليه عدد و كيفما صلى و سلم و بورك و يصلى و يسلم و يبارك عليه. نعم،كان صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقول و فوق ما نقول فى العظمة التى لاتدانيها عظمة مخلوق بل ولايتصور مبلغها عند ربها احد و من اجل هذا كان امته اجل الامم كمّاً و كَيْفاً.اما فى الكم فحسبك انها وحدها الثلثان من اهل الجنة و جميع الامم ثلث واحد. و اما فى الكيف فهى خير امة اخرجت للناس،اخبر بالاول نبيها، و اخبر بالثانى ربها و بهذا تتناسب عظمة الامة مع عظمة رسولها صلى الله تعالى عليه وسلم.

و مما تنفر منه الطباع و تكذبه البديهة و يلعنه الانصاف لعنا اعتقاد ان كل هذه الامة حتى علمائها و قادتها مشركة،لا تستحق الا محوها من الوجود مع ان رسولها بالقدر الذى عرفت و تقديره لها ما روينا لك.و حكم خالقها و بارئها عليها ماسمعت فانا اذا

ماشينا ذلك الرأى و قلنا: ليس فى الامة مؤمن بحق الا شرذمة ظهرت فى آخر الزمان، ليست هناك فى علم ولا فى عمل نكون قد وقفنا فى وجه كلام ربنا و كلام رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم و دفعنا فى صدورهما دفعاً، و شهدنا على انفسنا بنقيض ما شهد لنا به ربنا و نبيه، ولا اظن ان الدنيا تحمل عاقلا يرضى هذا و يتقبله.

انى احب ان يعرف القارئ هذا المقام حق المعرفة فانه فى حاجة شديدة اليه فى كل زمان وخصوصاً فى هذا الزمان الذى ابتلى بكثير من الناس، يخففون من قدره صلى الله تعالى عليه وسلم و يزعمون ان ذلك هو التوحيد و والله ما ذلك توحيدا ولايقرب من التوحيد. و انه ليغضب التوحيد و اهل التوحيد و يغضب قبل الكل رب التوحيد. و انى لفى عجب عجاب، من رجل يستغرب اكراما نسب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم او نسب الى واحد من اخوانه الانبياء صلى الله تعالى عليهم وسلم فان استغرابه هذا، اما ان يرجع لقدرته تعالى على ما يستغرب، و اما الى استحقاقهم الشئ الذى يستغربه و اما الى حصول ذلك الشئ و وقوعه فى الخارج بالفعل فان اختار الاول فقد برهن على انه لايعرف الله ولا مبلغ قدرته فانه لو عرف ذلك، ما استبعد عليه شيئا اراده. ولو ازالة كل هذا الوجود فى لمحة،

و ان اختار الثانى فقد اقام الدليل واضحا على انه لايعرف من هم الانبياء.

ولو عرف: انهم الطبقة العليا من حزبه تعالى و صفوة الصفوة من احبابه، ما استعظم عليهم كرامة يكرمهم بها ربهم ليعلم المستغرب، ان هؤلاء الانبياء هم الذين نسوا انفسهم و فنيت ارادتهم فى ارادة مولاهم تعالى.

و لذلك ما كانت تزعجهم المزعجات ولا تنههم المؤلمات عن القيام بما كلفوا به منه تعالى بل كانوا مهما عصفت حولهم عواصف البلايا و المحن، لا ترٰهم الا كالجبال الرواسى التى تهزأ بكل قاطفة. او هى لا تشعر بما يجرى حولها من زوابع. ولو لم يكونوا كما نقول، ما استطاعوا ان يقفوا يوما واحدا فى مهب عواصف الاهواء المتباينة ولا امكنهم ان يتحملوا يوماً واحدا ما يصيبهم من الاذى انواع الذى يصوب اليهم من صوب سفهاء اممهم وهو كثير ثم كثير و اذ قد رأينا احدهم يمكث بين قومه الف سنة الا خمسين عاما

يوالى الدعوة الى توحيد ربه غير ملتفت لما يناله ممن يدعوهم و هو مع تواليه كثير واليم.دل ذلك قطعاً على انهم لا ارادة لهم مع ارادة مولاهم. وقوم، هذا قدرهم، ليس من العقل ولا من الانصاف ان يستعظم عليهم منحة يمنحوها مهما عظمت.

و ان اختار الثالث، كان كمن يسلم المقدمات ولا يسلم النتيجة فانه اذا سلم ان الله تعالى قادر على تلك المنح و سلم انهم يستحقونها كان لاوجه له فى وقوفه امام وقوعها ولو كان لادين له الا اذا كان لايعتقد فى ربنا تعالى الحكمة التى تعطى لكل ذى حق ما يستحقه، اما من يعتقد انه حكيم فلايمكن ابدا ان يتردد فى وقوع هاتيك الكرامات.اما من يُعتقد فوق حكمته انه كريم شكور يكافئ على القليل بالكثير فهذا لايستبعد شيئا مهما جل على كرمه تعالى و شكره. و كيف يستبعد عليه شيئا وهو الغنى الذى لو سأله اهل السموات و الارض كل ما خطر على باله من مطالب مهما بالغ فيها لاعطى الجميع مايسألون دون ان ينقص من خزائنه شئ . المختار الذى لايجبر على عطاء ولايرغم على منع و القدير الذى اذا اراد اعطاء اى شى، كان من المحال، ان يقهره قاهر على منعه. هذا نقوله لمن يعرفه تعالى و لكنه لايؤمن بالاديان.

اما ذو الدين الذين يؤمنون بكتب الله تعالى و اخبار الانبياء فان هذا الاستغراب لايخطر على بالهم لان تلك المنح نطقت بها الكتب الالهية و نطق بها الانبياء و نقل ذلك عنهم نقلا لاشك فيه فلم يبق بعد ذلك كله الاالتصديق الخالص الذى لايشوبه ادنى ريب. و من ارتاب فى حصولها من المؤمنين، كان عده منهم ظلما على المؤمنين.

و خلاصة القول:ان المؤمنين قديما وحديثا اينما كانوا و متى وجدوا لايتردد و احد منهم فى ان للانبياء عند ربهم جاها عظيما له آثاره الجليلة فى حياتهم الدنيو ية و بعد انتقالهم، الى الرفيق الاعلى بل ولايتردد واحد منهم فى ان لا تباعهم اهل الاستقامة جاها عنده تعالى، له اثاره فى حياتهم و بعد مماتهم. دل على ذلك كتاب ربنا و سنة رسوله صلى الله تعال عليه وسلم فالمرتاب فيه واقف فى وجه كلام الله تعالى و كلام نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم.

و انى لا اكذب القارئ الحديث انا اشتم مِنْ ترددٍ، من تردد. فى ذلك رائحة

الاستخفاف بخالق السموات و الارض فان العقول متفقة على ان الآثار تدل على من صدرت عنه حقارة و عظما فان حقرت حقر من صدرت عنه و ان عظمت كان عظيماً.و من هنا ترى الصوفية يقولون:عنوان الرجل اصحابه. يعنون انهم ان صلحوا كان صالحا و على قدر صلاحهم يكون صلاحه و العكس بالعكس و ترى العلماء المشتغلين بتعليم العلم، يستدلون بنجابة الطلبة و بلادتهم على نبوغ المعلمين و ضعفهم. و ترى تفاوتا هائلا جدا فى اجلال الناس لارباب الصنائع فان اثر كلّ صانع دال على قدر احسانه و براعته فى صنعته و على قدر هذا الاحسان و تلك البراعة يجل الناس الصانع و يدعونه الى اعمالهم.

و اذا كان الامر هكذا،فانى اقول:ان اجل خلق الله تعالى على الاطلاق هذا النوع الانسانى فاذا لم يكن فى هذا النوع عظيم ذو مكانة رفيعة وجاه كريم و كانوا كلهم لاقيمة لهم. ولايستحقون اجلالا و لا تعظيما،دل ذلك من غير شك على ان الخالق ليس بعظيم. تنزه ربنا و تقدس و كيف يكون عظيما من اعظم آثاره لاقيمة له ولا يستحق اجلالا ولا تعظيما وهو كما ترى شناعة و كفراً.

اذن نستطيع ان نستنتج من هذا ان الاستخفاف بمن صرح ربنا انه انعم عليهم وهم النبيون والصديقون و الشهداء و الصالحون،استخفاف به عز و جل فانه تعالى اخبر فى كتابه انه انعم على هؤلاء دون سواهم و فى ذلك السوى من انعم عليه بالدنيا باسرها كان يملك كل سهولها و جبالها و بحارها و رجالها و نسائها و حيواناتها و بلادها و ذهبها و فضّتها و مع ذلك لم يعدم مثله ممن انعم عليهم و ذلك يدل بلا نزاع ان انعامه على الواحد ممن انعم عليهم فوق انعامه بالدنيا باسرها بل يمكنك ان تقول:ركعتان يركعهما الواحد ممن انعم الله عليهم خير من الدنيا و ما فيها فانظر انت. الباقى كيف يكون قدره وهو لايعلمه الا هو تعالى.

و اذا كان انعامه تعالى على احدهم بهذا العظم فالاستخفاف بهم استخفاف بمن انعم عليهم والاستخفاف بنعمه التى منحها لهم و هذا كفر لايختلف فيه مسلم ولو لم يكن المستخف بهم،هذه حاله،لكان له شأن آخر مع اولئك المنعم عليهم فكان يقول ان هؤلاء مواضع هبات ربنا و هداياه. و الهدايا على مقدار مهديها. و ربنا تعالى لانهاية

لفضله و احسانه و كرمه و غناه فاذن هباته و انواع فضله على من انعم عليهم لايعلم مبلغها سواه. اذن هؤلاء المنعم عليهم من العظم بالدرجة التى لا تعرف لامثالى وانما يعلمها مانحها فقط و بهذا ينظر اليهم بعين،كلها اجلال و توقير و احترام.و مع ذلك يجزم كل الجزم انه مارعى حرمتهم حق الرعاية لان الكريم الغنى اختارهم من كافة الخلق و اصطفاهم و جعلهم خاصته و اغدق عليهم من انواع فضله و احسانه ما هو له اهل و عظمهم هو واجلهم اجلالا وصل الى درجة، انه اعتبر اكرامهم اكراماً له واهانتهم اهانة له و طاعتهم طاعة له و معصيتهم معصية له و فى حكمه العادل،العاذل يكفر و يستحق النار الابدية،يعانى فيها اشد العذاب.من اهان رسولا له واحدا بكلمة واحدة،مرة واحدة فى حياته كلها فلم يتب منها. و صمم على انه يستحقها ومات على ذلك بل ليقل لى هذا المتردد فى جاه و عظمة احباب ربنا عنده:ماذا يفعل اذا كان بيده من المنافع الدنيويه شئ مكنه منه ربه وله احباب اعزاء،اجلاء،لااظن انه يترد فى بذل مايستطيعه من ذلك لهم،ان كان فيه من كرم الطباع شئ و ذلك معدود بين الناس على اختلاف مشاربهم من مكارم الاخلاق.

بيت:

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا * من كان يالفهم فى الموطن الخشن

و من النقائص المتفق على قبحها،ان يكون الانسان من السعة و بسطة العيش كما ذكرنا ثم يبخل على ذوى قرباه و احبابه فيكون هو غارقا فى اصناف النعم و هم بين سمعه و بصره يتصورون جوعاً. ان الناس يعدون من ذلك حاله فاقد المروءة لئيما شحيحا، لاخير فيه ولعل ذلك لايرضى به احد لنفسه و اذا كنا لانرضاه لانفسنا على نقصنا و فقرنا و شحنا الطبيعى فكيف نرضاه لمولانا الغنى الذى كل غنى من اثر غناه الكريم الذى كل كرم من فيض كرمه الذى كل العوالم حتى الكافرون به بما فيهم المنكرون لوجوده يتقلبون فى بحبوحة كرمه و يرتعون فى موائد نداه و يستظلون بظله الدائم الوارف الامن شاء له غير ذلك ممن لايستحق من عباده فى آخرته.أ فيكون بهذا الغني و هذا الكرم و هذا الجود و بهذه القدرة الباهرة و اذا قيل لنا انه اكرم بعض احبابه بكذا من المنح الجليلة التى ليس بمعتاد

ان يراها غيرهم يقع ذلك موقع الانكار من انفسنا و نحاول بكل ما نستطيع من قوة ان ندفع ذلك القيل ليخبرنى ذلك المنكر اذا لم يكرم هذا القادر الكريم فمن يكرم؟ و اذا لم يكن جزيلا كرمه فكرم من يكون جزيلا؟

شئ من آثار وجاهة الأولياء عند ربنا عزّ و جلّ

امتلأت الدنيا اليوم بمنكرى كرامات الاولياء. بل و بمن يهزأون بمن يعتقد كرامات الاولياء و يعدون هذا المعتقد من بقايا القرون الوسطى و يرون انا لانزال فى تأخر فى ديننا و دنيانا مادام الوجود يحمل هذا الطراز من الناس. الأمر هكذا: ولو انك التفت لفتة بسيطة لوجدت اقواما آخرين عندهم الايمان بكرامات الاولياء من اوليات ما ينطوون عليه من العقائد،لايتوهمون ان الدنيا فيها انسان واحد يتردد فى وقوع تلك الكرامات و كثرتها،الكثرة التى صيرتها من الامور المألوفة بين صالحى عباد الله تعالى لانهم يشاهدونها كل يوم ممن يصحبونهم من الاخيار و من يستطيع ان ينكر شيئا يراه كل يوم بعينه.

اما اولئك المنكرون فقد برهنوا بانكارهم هذا على امرين:

الامر الاول: انهم لم يروا ذلك من انفسهم ولا ممن يحبونهم و يصحبونهم من الناس. فقاسوا كل الناس على انفسهم كفاقد حاسة البصر ينكر على كل من يدعى انه يشاهد نوراً لانه لايشاهد نورا.

و الامر الثانى: انهم لم يطلعوا على كتاب ربنا و سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم و لو اطلعوا عليها لرأوا كثيرا ثم كثيرا من الكرامات.يحكى ربنا انه اكرم بها احبابه و انى لا ارى بأسا من ذكر بعض ذلك هنا.

فاقول حسب القارئ برهانا على اثر وجاهة الاولياء عنده تعالى قصة (اهل الكهف)

التى قصها علينا القران الكريم.فان تلك القصة تضمنت:ان اولئك الفتية ناموا ثلا ثمائة عام و تسعة اعوام دون ان يتناولوا فيها طعاما ولاشرابا و هى مدة لم تجر العادة بان ينامها او ينام القريب من القريب منها احد. كما ان العادة لم تجر بان يصبر عن الطعام و الشراب احد فى مثلها او فيما يدانى ما يدانيها.

و تضمنت انه تعالى تولى تقليبهم ذات اليمين و ذات الشمال بدون اى سبب ليكون نومهم معتادا لا تتالم منه جنوبهم كل تلك الرقدة الطويلة و هى عناية افخم مما لو تركهم على جنب واحد و سلب عنه الألم.

و تضمنت [القصة] انه تعالى انامهم تجعل الناظر اليهم يحسبهم ايقاظاً وهم رقود. و ذلك من اسباب بعد السوء و اهله عنهم فان اليقظ دائما مهيب بخلاف النائم الذى يستطيع ان يكيد له اضعف الناس و هو لايشعر.

و تضمنت انه تعالى القى عليهم من الهيبة ما يكفى لان يملأ من يطلع عليهم رعبا و يحمله على ان يولى منهم فرارا. و هو مبالغة فى المحافظة عليهم من ارباب الشر من الناس.

و تضمنت انه تعالى جعل الشمس اذا طلعت و غربت لا تصيب المكان الذى هم به حفظا لهم من الشمس و من حرارتها ان تؤذيهم.منعها تعالى من اصابة الفجوة التى هم بها من الكهف مع انه لاحاجب يحجبها من تلك الفجوة الا محض القدرة الالهية و لذلك قال تعالى فى هذه المنحة (... ذٰلِكَ مِنْ أٰيَاتِ اللّٰهِ الآية. الاعراف :٢٦).

نعم،انها من ايات الله الكبرى الدالة على ان قدرته تعالى لا تقف عند حد. نعم، كان قادرا ربنا ان يحميهم من حرارتها مع تسلطها عليهم او يسلبها الحرارة بالنسبة لهم و لكن ما فعله تعالى اضخم و افخم. و لما ذا فعل ربنا تلك الخوارق الباهرة من اجل تلك الفتية؟ لاجواب على ذلك الا ان وجاهتهم عنده و مكانتهم السامية التى يعلمها هو هى التى بها فعل بهم ما فعل مما ابنا ان قصتهم العجيبة تضمنته.

و مما يدل دلالة قاطعة على جاه اولياء ربنا عنده ما فعله مع السيدة الجليلة الكاملة سيدتنا مريم بنت عمران رضى الله تعالى عنها فانه تعالى قال عنها فى كتابه

(... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿ آل عمران :٣٧) فان سيدنا زكريا لايقول لها انى لك هذا؟ و هويرى ان ما عندها من الرزق وصل اليها من طريق معتاد و هى لا تقول له فى الجواب هو من عند الله و هو من المعتاد من الارزاق فلم يبق الا انه كان يجيئها من طريق غير مألوف و ذلك هو الكرامة و نداء الملئكة لها غير مألوف و رؤيتها لسيدنا جبريل ليست بمألوفة. و حملها سيدنا عيسى بلامس بشر غير مألوف. وكلامه صلى الله تعال عليه وسلم وهو فى المهد من اجل براءتها ليس بمالوف. و كله حكاه القرآن فلاشك فيه وهل يكرمها ربها بكل تلك الكرامات العظيمة الا لما لها عنده تعالى من الوجاهة و المنزلة السامية.ان ذلك من البديهيات التى لاتحتاج فى ادراكها الى طول تفكير. وفى القرآن كثير غير هذا.

و اما ما جاء فى السنة فشئ تصعب الاحاطة به و لابأس من ذكر شئ منه.فقد روى البخارى رضى الله تعالى عنه ان سيدنا حبيباً رضى الله تعالى عنه كان ياكل الفاكهة فى غير اوانها و هو اسير.

و ان قريشا ارادوا ان ياخذوا قطعة من جسم سيدنا عاصم رضى الله تعالى عنه بعد ان قتل فلم يستطيعوا، و حال بينهم و بين ذلك ظلة من الزنابير.

و ان رجلين خرجا من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ليلة مظلمة فاضاءت لهما عصا احدهما فلما افترقا اضاءت للآخر عصاه.

و ان سيدنا عبد الله والد سيدنا جابر ما زالت تظله الملئكة بعد قتله يوم احد حتى رفعوه.

و ان سيدنا سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه كان اذا دعا استجاب الله دعاءه بعين ما يطلب واتفق مسلم فى هذا مع البخارى،كما اتفقا على رواية ان عابدا ممن قبلنا يسمى جريجا رضى الله تعالى عنه اتهمته بغى انه ابو والدها الذى ولدته من سفاح فصلى و دعا ونخس الغلام قائلا له:ياغلام من ابوك؟ فانطق الله هذا الوليد الجديد الولادة.

فاخبر بوالده الحقيقى و برأ هذا العابد الجليل.

و روى (البيهقى) و (الحاكم) و (ابن سعد) عن سيدنا عبد الله بن جحش رضى الله تعالى عنه: انه كان يقول قبل يوم احد، اللهم انى اقسم عليك ان القى العدو غدا فيقتلونى ثم يبقروا بطنى و يجدعوا انفى و اذنى و تسالنى بم ذلك؟ فاقول فيك، فقتل رضى الله تعالى عنه و فعل العدو به ما طلب.

و غلب المسلمين اعداءهم فى غزوة بعد رسول الله صلى الله تعال عليه وسلم فذهبوا الى البراء بن مالك شقيق سيدنا انس بن مالك خادم الرسول صلى الله تعال عليه وسلم، و قالوا: يا براء! اقسم على ربك فقال يا رب! اقسم عليك لما منحتنا اكتافهم والحقتنى بنبيك محمد صلى الله تعال عليه وسلم فكان ما اقسم رضى الله تعالى عنه و انما طلب الصحابة رضى الله تعالى عنهم منه ان يقسم على ربه، لانهم سمعوا رسول الله صلى الله تعال عليه وسلم يقول فيه (كم من اشعث اغبر ذى طمرين لايؤبه له لو اقسم على الله لابرّه، منهم البراء بن مالك) رواه الترمذى و الضياء[١] فى (المختارة).

و كهذا الذى حصل من سيدنا البراء ما حصل من سيدنا عمرو بن الجموح رضى الله تعالى عنه لما سمع له اولاده ان يخرج الجهاد فى غزوة احد بعد ان شكا لرسول الله صلى الله تعال عليه وسلم منعهم له من ذلك و كان اعرج ممن عذرهم الله تعالى ان تاخروا عن الغزو و كان مما قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: والله انى اريد ان أطأ بعرجتى هذه الجنة فلما خرج بسلاحه مع المجاهدين استقبل القبلة و قال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردنى خائباً الى اهلى فرزقها رضى الله تعالى عنه و لم يرده ربه خائبا و حينئذ قال عليه الصلوة و السلام (والذى نفسى بيده ان منكم من لو اقسم على الله لابرّه منهم عمرو بن الجموح و لقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته) رواه ابن عبد البر فى (الاستيعاب).

و قال صلى الله تعالى عليه وسلم مثل هذا الحديث دون لفظ منهم فلان فى سيدنا انس بن النضر عم سيدنا انس بن مالك رضى الله تعالى عنه، لما كسرت اخته الربيع سن جارية من الانصار و طلبوا القصاص منها و حكم به الرسول صلى الله تعال عليه وسلم

(١) ضياء الدين محمد المقدسي الحنبلي توفي سنة ٦٤٣ هـ. [١٢٤٥ م.]

فكان مع ذلك يقسم ان سنها لا تكسر ثم قبل اهلها الارش و لم تكسر سن الربيع كما كان يقسم سيدنا انس بن النضر رضى الله تعالى عنه رواه البخارى.

و قال: مثله فى سيدنا اويس القرنى[1] رحمه الله تعالى. رواه مسلم.

و شرب سيدنا خالد رضى الله تعالى عنه السم يبرهن لقوم كافرين ان دين الاسلام حق فلم يضره.رواه البيهقى و ابونعيم و ابويعلى و دعا رضى الله عنه ان يكون الخل عسلا فكان كما دعا رضى الله تعالى عنه.رواه ابن ابى الدنيا.

و غسلت الملائكة سيدنا حنظلة رضى الله تعالى عنه لما قتل فى سبيل الله.رواه البيهقى و ابو نعيم و ابن سعد و كان سمع خروج المؤمنين للجهاد فلم يسمح لنفسه ان يتاخر عنهم حتى يغتسل و كان جنبا.

و رووا ايضاً ان شهداء احد لما نقلوا من مكانهم الذى دفنوا فيه وجدت ابدانهم رطابا لدرجة ان اطرافهم كانت تتثنى كما كانوا احياء. و اصابت المسحاة رجل سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه فانبعثت دما و كان ذلك بعد ست و اربعين سنة من موتهم و قوله (فانبعثت دما) يفيد انهم احياء باجسادهم حياة تشبه حياة الدنيا. ولولا ذلك ماسال الدم من رجل سيدنا حمزة باصابة المسحاة لها فان الميت لانزاع فى انه لادم له.

و لقد روت لنا جريدة الاهرام جملة حوادث لعباد صالحين ماتوا من مئات السنين: انهم وجدوا لا تغير بابدانهم عن حياتهم الدنيوية وقت ما كانوا ينقلونهم من مدافنهم الى مدافن اخرى لمناسبة فتح شوارع جديدة بالقاهرة من عهد ليس ببعيد. وحدثنا نحن بحوادث كهذه ممن لانشك فى صدقه فلنقل اذن جميعاً لاينكر بعد اليوم منكر كما قال سيدنا ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه حينما رأى شهداء احد و رأى ذاك الدم الذى ينبعث ممن مات من ست و اربعين سنة.

و قال سيدنا الزبير رضى الله تعالى عنه لابنه عبدالله وقد اخبره انه ميت لامحالة ظلما فى وقعة الجمل ان عجزت عن شئ منه اى دينه فاستعن بمولاى قال عبدالله:فوالله ما دريت ما يقول حتى قلت:يا ابت من مولاك.فقال:الله فوالله،ما وقعت فى كربة من دينه الا

(١) أويس القرني اليمني استشهد سنة ٣٧ هـ. [٦٥٧ م.]

قلت:يا مولى الزبير اقض دينه فيقضيه.رواه البخاری.

و روی ایضاً هو و مسلم و الترمذی:انه صلی الله تعالی علیه وسلم قال **(اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ)** لیسمع المنکر ثم لیسمع.

و انی اقول:لو لم یرد فی کرامات الاولیاء الا هذا الحدیث لکان کافیاً و فوق الکفایة و انی ارجو حضرة القارئ الکریم ان یقف هنا طویلا و یتأمل فی مبلغ عظم هذه الکرامة التی تحار الافکار عند سماعها فی تقدیر جاه سیدنا سعد هذا عند ربه عز و جل.

و روی الشیخان (البخاری و مسلم و الترمذی) انه صلی الله تعالی علیه وسلم قال **(سیأتی علی الناس زمان فیغزو فئام من الناس فیقولون هل فیکم من صاحب رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فیقولون:نعم،فیفتح لهم ثم یاتی علی الناس زمان فیغزو فئام من الناس فیقال:هل فیکم من صاحب اصحاب رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم؟ فیقولون:نعم، فیفتح لهم ثم یاتی علی الناس زمان فیغزو فئام من الناس فیقولون:هل فیکم من صاحب من صاحب اصحاب رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فیقولون:نعم،فیفتح لهم ثم یکون بعث الرابع فیقال،فیقال:انظروا هل ترون فیکم احدا رأی من رأی احدا رأی اصحاب رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فیوجد فیفتح لهم.)** هذا الحدیث مما اتفق علیه البخاری و مسلم و هذا الطراز بین صحاح الاحادیث اعلاها و ارقاها وهو یثبت ان اصحاب رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم بلغوا من الوجاهة عند ربهم عز و جل إلی درجة ان الله تعالی یکرم بالفتح و النصر علی الاعداء جیشاً،لااقول منهم رضی الله تعالی عنهم ولا من طبقة رأتهم ولا من طبقة رأت من رأتهم،بل یکفی لنصر الجیش ان یکون فیه واحد فقط رأی واحدا فقط و هذا الواحد الثانی رای واحدا رأی اولئك الاصحاب رضی الله تعالی عنهم.

و هذا نوع من الوجاهة یجعل من لم یؤمن بالکرامات یؤمن بها رغم انفه،کیف لا وهو یری رب العالمین یأبی خذلان جیش فیه واحد فی الطبقة الرابعة من اولئك الغر المیامین رضی الله تعالی عنهم و احب ان لاینسی القارئ:انهم رضی الله تعالی عنهم لم یبلغوا هذه الدرجة الباهرة الا لسر هو انهم اصحاب رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم. هذا هو الاکسیر الذی کان ینقلب به الرجل من بدوی جلف الی عالم ینطق بالحکمة

و من شيطان رجيم الى ملك كريم و من ظلمة حالكة الى نور يتوهج توهجا تضئ به الدنيا من مشرقها الى مغربها.

يا رب! صل و سلم و بارك على هذا الرسول الكريم و افض علينا من بركاته ما يلحقنا بالصالحين من عبادك.

نعم، كانت صحبته صلى الله تعالى عليه وسلم تأخذ بيد من فى الحضيض فترفعه الى ارقى درجة، لا تتصور رفعة البشر اليها و من شك فى هذا فليسمع قوله صلى الله تعالى عليه وسلم **(لايحب الانصار الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله)** رواه البخارى و مسلم و الترمذى. هذا جاه عريض و منزلة يعرفها الناس للرسل عليهم السلام، اما رجل من افراد الناس ليس بنبى ولا برسول ثم يكون حبه ايمانا و بغضه يكون كفرا. يحب الله من يحبه و يبغض من يبغضه. هذا شئ لولا ان نقرأه فى حديث نبوى فى اعلى طبقة من الصحة لكان عجيباً و غريباً وقعه فى نفوسنا، و مع ذلك من دقق النظر ظهر له ان هذا المعنى الذى يخبرنا به صلى الله تعالى عليه وسلم عن الانصار معنى مألوف معروف ذلك. انك ترى الرجل يعامله الناس بما يعاملون به صاحبه فان كان صاحبه محترما عندهم احترموه والا اهانوه، و بهذا عامل ربنا عز و جل اصحاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم هو عنده صفوة الرسل فاختار له عز و جل صفوة الامم لان التناسب فى الصحبة لابد منه و ربنا هو الحكيم وهو العليم فغير منصور فى حكمته ان ياتى باناس ليسوا بذاك ثم يجعلهم اصحاب اجل خلقه. فان النفرة بينهما تكون مستحكمة لعدم التناسب و بعد المشارب، فاستفد هذا ايها القارى! ولا يقع منك موقعا غريباً ان يكون حب اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم ايماناً و بغضهم كفراً، خصوصاً اذا كان السبب الباعث على الحب او البغض عنوان هذه الصحبة فان الحب و البغض يكونان منصبين عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يختلف احد ان حبه صلى الله تعالى عليه وسلم ايمان و بغضه كفر.

و انى اكتفى بما سقنا قبلا من الخوارق التى بها اكرم الله بعض عباده المخلصين و ابان بها ماهم عنده من جاه و منزلة رفيعة و ليس ما سبق لنا ذكره بالنسبة لما لم نذكر شيئا يذكر فان الوارد فى الكتاب و السنة لو جمع و جمعه عسير ثم عسير لكان كثيرا. و هذا

الوارد بالنسبة لما لم ينقل و بالنسبة لما اكرم الله به احبابه من ذلك العهد لليوم شيئ يسير ثم يسير و لو جمع هذا و هذا لبلغ عشرات بل و مئات المجلدات فان فضل ربنا على احبابه بعيد حصره. و كله من أثار ما لهم عنده من وجاهة رضى الله عنهم و نفعنا بمحبتهم و حشرنا فى زمرتهم.

و اذا كان للانبياء صلوت الله و سلامه عليهم ذلك الجاه الذى بيناه فى الترجمة التى قبل هذه و للاولياء رضى الله عنهم هذا الجاه وقد بينا كالشمس نهارا و لاغيم. فاى لوم على من يلوذ بهم و يتحبب اليهم و يسر السرور كله اذا انعم الله تعالى عليه بمحبتهم له و رضاهم عنه و يغتم الغم كله اذا احس بشيئ من تغير قلوبهم من جهته.

و اى لوم على من يذهب اليهم وهم احياء او اموات و يناديهم فى شدائده كلها و يستغيث بهم ان يتوجهوا الى خالقهم بما لهم عنده من جاه و منزلة و يسألوه بالسنتهم الطاهرة ان يتفضل عليه بمنحه ما له من حاجات. ان من لا يفعل ذلك و هو يعلم ما لهم من تلك الوجاهة عند ربهم يكون قد غبن نفسه غبنا لا يعرف مداه و جنى عليها جناية لا يدرى مبلغ اثرها عنده. و سنتكلم فيما ياتى طويلا بمشيئة الله تعالى. نشرح هذا المعنى شرحا لا يدع فى قلب العاقل شبهة و لاشبه شبهة فلينتظر و هل يستوى من يتقدم الى ربه بنفسه و هو ملطخ بقاذورات المعاصى، متدنس بدنس الذنوب بمن يتقدم اليه بين احبابه و صفوته من عباده يحتمى بهم بيده علم القبول الذى لا ينكس و حجة الفوز التى لا تخدش (اَنتَ مَعَ مَنْ اَحْبَبْتَ).

لفتة لمنكرى تلك الوجاهة

و انى التفت الى منكرى هذه الوجاهة و منكرى آثارها او المخففين من شانها و شان آثارها.

فاقول لهم انتم يا اخوانى فى مقام لو فكرتم فيه لجزعتم على انفسكم جزعا عظيما، و رأيتم مستقبلكم اسود حالكا لا تدرون ماذا قضى لكم فيه من انواع الاهانات احب ان تقولوا انى بانصاف ماذا يفعل احدكم اذا كان من ارباب الوجاهة و من ذوى المروءة و الاحساب الكريمة و الوجوه الوجيهة و فيه من الدم العربى قطرات تجرى و جاءه من يستغيث به و يحتمى بحماه و يلوذ باركان بيته هربا من ظلم الظالمين و عسف الجائرين و اعتداء اهل السفاهة المعتدين ماذا يكون منك ايها الاخ اذا ترامى هذا فى احضانك و لم ير له ملجأ و لامفرا الا اليك و واجهك بقوله انا فى وجهك عائذ بجاهك ممن يناوئنى و يريد البطش بى و انا مسكين ضعيف لا ناصر لى لا اظنك و قد دبت فى رأسك حمية العرب و هاجت فيه عاطفة الكرام الا قائلا انى اقف دونه بنفسى و برجالى و بمالِ احول بينه و بين اى اذى حتى الشوكة يشاكها من عدوه. انك اذا قلتها و جدت لك اسلافا من العرب الذين اليهم ينتهى خلق الوفاء فى عهدهم فان احدهم كان يسمع الكلمة من المغلوب يستنصره و يلوذ به و هو فى حيه هادئ مطمئن، فليقى رداءه عن كاهله و يقوم ثائرا كالعاصفة القاصفة ولا يهدأ الا اذا قضى القضاء الاخير على كل ظلم يحيط بمن استغاث به او يقضى هو و كل من يتصل به و كم شبت حروب و كم ذهبت ارواح فى هذا السبيل نحن لا نبعد و نرجع بك الى العرب الذين بعد عهدهم و نسيت او كادت تنسى آثارهم.

بل نقول لك نحن اليوم نرى الرجل فى غاية الذل و الضعة فاذا انتسب الى دولة من الدول القوية و احتمى بها تبدل بهذه الحماية ذله عزا و انقلبت ضعته رفعة و اصبح يتقلب فى انحاء الارض يرفرف على رأسه علم تلك الحماية لا يخشى اعتداء من احد بل يخشى اعتداءه الاقوياء يمر على من كان يحتقره و يوذيه بالامس فينكمش امامه لا يبدئ و

لا يُعيد و كم رأينا دولاً قامت و قعدت و قام بها من الغضب ما فعلت معه الافاعيل من اجل اعتداء وقع على فرد ممن ينتمون اليها و يحتمون بحمايتها لانها نفهم ان هذا الاعتداء وقع عليها هى لان المعتدى لو كان يعرف قدرها و يحسب الحساب لعواقب غضبها ما كان يجرؤ على احد تابعيها بالاعتداء عليه. و اذا كان هذا لا يزال بين يديك تراه و تسمع به من وقت لاخر مع ان الخلق على ما تعلم من ضعف و ذل و لؤم طبع افترى ربك القاهر القادر الكريم اقل غيرة على احبابه و خواصه من الخلق فيتركهم يفعل بهم اللئام ما يفعلون من انواع الاهانة و لا يغضب لهم و يحميهم من اعدائهم. انك ان فهمت هذا فقد ودعت عقلك و زايلت رشدك و اقمت البرهان ابلج واضحاً على انك لا تعرف ربك كما ينبغى ان يعرف.

يجب ان تعلم ايها الاديب المهذب ان غيرة ربنا على احبابه وحمايته لهم من الخلق فوق ما يقع فى خيالك و اسمى مما يتصوره فكرك الم تسمع ان حمايته هم و غيرته عليهم جعلته يبيد أمماً باسرها و لا سبب لهذه الابادة الا غضبهم ولوكنت تحفظ القرآن او تنظر فيه لما احتجت الى تنبيهى هذا.

الم يهلك ربنا قوم سيدنا نوح بالطوفان غيرة و انتصارا لسيدنا نوح عليه السلام؟

الم يهلك بالريح الصرصر العاتية قوم سيدنا هود انتصارا و غيرة و حماية لسيدنا هود عليه السلام؟

الم يهلك بالصيحة قوم سيدنا صالح غيرة و انتصاراً و حماية لسيدنا صالح عليه السلام؟

الم يهلك قوم سيدنا لوط بالخسف و الرجم بالحجارة غيرة و انتصاراً لسيدنا لوط عليه السلام؟

الم يهلك قوم سيدنا شعيب بعضهم بالصيحة و بعضهم بالظلة غيرة و انتصاراً لسيدنا شعيب عليه السلام؟

الم يهلك بالاغراق فى البحر قوم سيدنا موسى و سيدنا هرون عليهما السلام غيرة عليهما و انتصاراً لهما؟

الم يهلك بالصيحة قوم صاحب ياسين لما نصحهم ان يتبعوا المرسلين فلم يسمعوا نصيحته و كذبوا الرسل الثلاثة عليهم السلام؟

الم يمزق سبأ كل ممزق و جعلهم احاديث للناس لما اعرضوا عن رسلهم و لم يتبعوهم؟ و ليس هذا فقط تلك عادته مع كل امة جاءها رسولها و كذبه كما يقول عز و جل **(ثُمَّ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّمَا جَآءَ اُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاَتْبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْنَاهُمْ اَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَايُؤْمِنُونَ« المؤمنون : ٤٤)**

و لقد روينا لك فيما سبق و ليس العهد ببعيد قوله تعالى فى الحديث القدسى **(من عادى لى وليّاً فقد آذنته بالحرب)** ان هذا التهديد بالحرب من الله تعالى لمن يعادى له وليًا بلغ المنتهى فى التهويل و انما ابرزه ربنا بهذه الصورة التى تنخلع لها القلوب هلعا و فزعا ليعرف الناس لعباده المتقين حقهم و يقفوا امامهم موقف الادب الكامل و الاحترام الذى كله اخلاص و توقير كافين الكف كله عن اى اشارة تقع منهم موقع الغيظ والالم فاهمين حق الفهم قدر من هم فى حمايته مقدرين حق التقدير ماذا يحل بهم من انواع النكار اذا بدرت منهم بادرة ضد اولئك الصالحين.

نعم ان حماية ربنا لعباده الصالحين هى الحماية التى يقال لها حماية بمعنى هذه العبارة و ما حماية الافراد و الدول بنسبة حماية هذا الاله القدير العزيز؟ ان حماية الافراد و الدول لمن تحميه يجوز جوازا قريبا جدا ان تداس و ان تهتك بداهية سماوية تنزل بالحامى تتركه اثرا بعد عين او بفرد اقوى من الحامى او دولة اقوى من الحماية. فيغلب هذا الحامى الاضعف بمن هو اقوى منه و بهذا يصبح من كان بالامس فى حماية اولئك المغلوبين ذليلا حقيرا يعانى من اصناف الصغار ما يستهين معه الموت. دعك من الخلق و قل لى هل يستطيع الحامى فرداً و دولة ان يحمى التابع من رب الجميع ان ينزل به من اشكال الذل مالا قبل له به؟ لاولا يستطيع ان يحميه من الموت ولايستطيع ان يحميه من عذاب الله بعد

موته و بعد بعثه فانه لايستطيع ان يحمى نفسه من ذلك و لكن من يحميه ربنا يحميه فى دنياه و فى برزخه و فى آخرته ولا تزال راية هذه الحماية على راسه حتى يدخل دار النعيم المقيم و اللذات الابدية.

و من به ذرة من العقل يسمع القادر المنتقم يعلن اعلانا عاما لايخص فردا دون آخر يهدد به و يتوعد بالحرب كل من عادى له حبيبا ثم يتقدم الى اى حبيب من اولئك الاحباب بكلمة لا تناسب؟ نعم ان هذه هى الحماية التى لو فهم قدرها الناس ما رضوا بسواها ولاعملوا للوصول الى غيرها.

و من هذا الوادى فى التهديد الذى ترتعد له الفرائص و تصفر منه الوجوه قول ربنا عز و جل (**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ*** **المؤمن :٥١**) و قوله عز و جل (... **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ*** **الروم :٤٧**) و قوله تعالى (**إِنَّ اللّٰهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا*** **الآية. الحج :٣٨**) و من فى الدنيا يستطيع ان يقف امام عباد يصرح من بيده ملكوت كل شئ الواحد القهار انه يدافع عنهم و ينصرهم على اعدائهم نصرا جعله حقا واجباً عليه ان من يقف امامهم و حالهم ما ذكر انما يقف امام من اخذ على نفسه نصرهم والمدافعة عنهم سبحانه و تعالى.

ولاشك ان من وقف هذا الموقف مخذول لامحالة و هالك دون اى تردد و انى احب مع هذا ان يقرأ المستخف باحباب ربنا المنكر و جاهتهم ومنزلتهم السامية عند ربهم قوله تعالى (**إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا*** **الآية. النحل :١٢٨**) نعم احب ان يقرأها ثم يقرأها فانه يجده عز و جل لايقول ان الذين اتقوا معى ولو قالها لافادت انهم موضع رعايته و عنايته و نصره فان العادة تقضى ان لايتساهل عظيم فى شان من فى معيته بل يجعلهم دائما محط نظره و موضع حفظه وكلاءته نعم ماقال مولانا ذلك بل الذى قاله مولانا الجليل ان الله مع الذين اتقوا فجعل نفسه فى معية عبيده الا تقياء مبالغة فى عنايته بهم و محافظته عليهم و ما فى هذا التعبير من بأس ابدا فانه هو الرب و السيد على كل حال و عبيده هم عبيده و كفى و انما ذلك تنزل منه تبارك و تعالى و اكرام لعبيده لا تشرئب الاعناق لمزيد عليه مع ما فى هذا التعبير من التنصيص على المعنى الذى يوقع الرعب و الرهبة فى قلوب

السامعين المعنى الذى لا يحتمل غير الاهتمام و العناية والانتصار لاولئك المتقين و بهذه المعية الالهية للصالحين من العباد لم يبق اثر ولا شبه اثر لضعف او فقر او جهل او ذل اولئك الاحباب و كيف يبقى من ذلك وما اليه من النقائص و العيوب شئ . والقوى الغنى العليم العزيز المتصف بكل كمال معهم يفيض عليهم من آثار كمالا ته ما يفيض مما لايعلم قدره سواه عز و جل ء من يسمع مالك الملك و رب العالمين يخبر أنه مع المتقين ثم يدنو اليهم باى اذى أ نه خبل حتى يخفى عليه انه يكون كامس الدابر ان كان منه ذلك؟

و اذا لم يكن لمعادى اولئك الاحباب الا النار تنتظرها يوم القيمة يلاقى فيها من العذاب ما لا تحتمله الجبال لكفت رادعا و اثرا لهذه المعية و تلك الحرب الالهية فكيف اذا انضم الى ذلك ما يتوالى على ذلك المعادى من النكبات الدنيو ية التى تنهال عليه كل يوم من ايام حياته تارة فى نفسه و تارة فى امواله و تارة فى اهله و تارة فى احبابه و ناصريه مما يكون معه دائما موجع القلب مشوش الفكر مفرق الخاطر و قد لايفطن للسبب الذى له كل هذه الدواهى انى و الله الذى نفسى بيده لا الوم ابدا من يتقدم الى اولئك الا تقياء من العباد فيقبل ايديهم بل ولاالوم من يقبل ارجلهم بل ولاالوم من يتبرك بثيابهم التى تشرفت بمسّ ابدانهم المباركة لا بل ولا الوم من يتبرك بنعالهم التى لها الشرف و الفخر بانها مداس اقدامهم الكريمة لاو بل لا الوم من يتبرك بالتراب الذى يطئون عليه بتلك النعال.

و لم يخطئ والله منفعته الدنيو ية والاخرو ية رجل يخوض البحار و يقطع القفاد فى ظلمات الليل او فى هجير النهار راكبا نجائب همه تسوقه الاشواق الى حيث يكون اولئك الذين لاذوا بالله واحتموا بحماه واتخذوا بضاعتهم الرابحة طاعته يستيقظون اذا نام الغافلون مستترين بظلام الليالى تشهد عليهم السماوات و كواكبها و الارض و آكامها و وهادها وهم فى محاريبهم ركع و سجد تتدفق سيول عبراتهم على اودية خدودهم تلتهب نيران المخاوف من ربهم فى مراجل قلوبهم و تراهم يصومون اذا افطر عبيد البطون و الفروج يبذلون فى وجوه الخير سن الاموال ما ملك قلوب كلاب الدنيا و انساهم ربهم و دينهم و مستقبلهم السرمدى و اذا تفرقت قلوب الناس فى شعاب الاهواء و الشهوات كانت قلوبهم و قفا على حب مولاهم عز و جل و حب طاعته و حب احبابه لايزايلها

طرفة عين ملاحظة جلاله و عظمته. اشرفت عيون قلوب هؤلاء الناس على ما اعد لهم مما لمْ تر عين و لم تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر فاستهانوا بزخارف هذه الحياة و احتقروا لذاتها و غضوا اعينهم عما لها من جمال مزيف.

و كيف ألوم من يتقرب الى اولئك الناس على تقربه منهم وحبه لهم و هو انما يتقرب هذا التقرب منهم لانه يعلم ان معهم من بيده الآخرة و الاولى. فهو بهذا التقرب يتقرب اليه هو تعالى و يتعرض لحبه حيث انه احب احبابه وهو يرى و يعلم منه مبلغ تلك المحبة وهو تعالى اذا احب كان للمحبوب كل ما يحب فى دنياه و اخرته فالذى يحب اولئك المتقين و يدنو منهم للتبرك بهم انما يفعل ذلك ليسعد فى هذه الحياة و فى الحياة الابدية ومن يلوم من يسعى ليسعد السعادة المطلقة.

من هذا يفهم القارئ ان حب الصالحين و التودد اليهم ينفع المحب لا فى دنياه فقط ولا فى اخراه فقط بل ينفعه فى الدنيا و الآخرة معاً و كيف لا ينفعه ذلك النفع و مع المحبوب من بيده الاخرة و الاولى و يفهم ان ايذاء اولئك الإصفياء لا يضر من يؤذيهم فى دنياه فقط ولا فى اخراه فقط بل يضره فيهما جميعاً و كيف لايكون ضرر مؤذيهم بهذه الدرجة و المنتقم القدير يحاربه؟

اذن ليس اللوم على من يحب اولياء الله تعالى و احبابه بل اللوم كل اللوم على من يحتقرهم و يستصغرهم و يهوّن من امرهم و ينفر الناس عنهم الى حد انه لو امكنه ان يحول بينهم و بين الناس بحيث لا تكون بينهم جامعة ابدا لفعل فاهما انه يحمى الناس من الشرك و عبادة غير الله تعالى وهو يحول بينهم و بين ربهم و احبابه. هذا هو الذى يتوجه عليه اللوم بل اشد اللؤم و يجب على المؤمنين ان ينبهوه و ينصحوه و يبينوا له انه بفعله هذا فى صفوف من يؤذون اولئك الاولياء باحتقارهم ذلك و تخفيف شأنهم و ايقاع النفرة فى قلوب الناس منهم و عدهم اصناما تعبد من دون الله عز و جل و هم بهذا يؤذون الناس كذلك بتسببهم فى حرمانهم من التقرب ممن معهم رب الفضل و الجود فى الدنيا و الآخرة فهم بابعاد الناس عن اولئك الصالحين و يبعدونهم عن ربهم و فضله و احسانه. ذلك لا نزاع فيه.

انى لاكتب هذا كله اعالج به طوائف من الخلق موجودين على ظهر الارض اليوم يدينون بالاستخفاف بصالحى عباد الله و لا يستبعد ان يكون فيهم من يدين بالاستخفاف بسيد الخلق و يعمل بكل جهده فى الحيلولة بينه و بين امته.

و انى لاستهل حكمى على هؤلاء بذهاب عقولهم عن ان اقول انهم عقلاء ثم مع عقلهم هذا يستخفون باحباب مالك الملك وهم لا يشكون فى كلام الله الذى يخبر انه تعالى معهم و ان كانوا يشكون فلا علم لى بشكهم ذلك فانى ان اخترت هذا الشق الثانى كان ذلك منى حكما عليهم بانهم لايصدقون كلام الله ولا كلام رسوله وهو حكم فى منتهى القسوة. لااجترئ على اصداره على احد من اهل القبلة و انما كان هذا الحكم لازما لاستخفافهم ذلك لانك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر كما رو ينا لك قريباً ان احد هؤلاء الاحباب يبلغ من القرب و الدلال على رب الآلاء الى حد انه (لو اقسم عليه لابره) و الحديث صحيح لاشك فيه. و سبق ان رو ينا لك امثلة و قعت من هذا القبيل. و معنى هذا ان المسئلة ليست خيالية ولا فرضية بل هى حقيقية واقعة و امر جدّى لاهزل فيه و هذا مقام لا اظن عاقلا يخالف فى انه من السمو و العظمة و الفخامة بدرجة لا يعلمها حق العلم الا من منحها سبحانه و تعالى.

و اذا كان الاولياء يصلون من العظم عند خالق هذا الوجود الى هذه الدرجة فليحكم لى على نفسه من يقف امام هذا التعظيم الالهى يحتقر و يستصغر اولئك العظماء اليس حكمه ذلك على الاقل يكون بانه يعاند ربه و خالقه ربه يعظم عبيده وهو يحتقرهم؟ و ان شاء ان يخفف الحكم عن نفسه فليعترف بانه لايدرى ما يقول و اذا لم يصدق هؤلاء المستخفون باحباب ربنا هذا الحديث و طعنوا فيه وهو صحيح فما ذا يقولون فى القرآن وهو يصرح بان اولئك الاتقياء هم الذين يقول ربنا عز و جل فيهم كما قدمنا ذلك لك (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الاية. النحل: ١٢٨) فانه تعالى اذا كان معهم كل خير لا تفرق فى هذا بين حيّ و ميت ولا بين نبى و ولى فان كلا موصوف بالتقوى و هى مدار هذه المعية الشريفة التى هى ينبوع كل احسان فمتى و جدت التقوى و جدت هذه المعية الخاصة و ينبغى ان يعلم ان هذه المعية تقوى كلما قو يت التقوى فمعية الله تعالى للانبياء

اقوى منها للاولياء و هى للافضل من كل اقوى منها المفضول فليعلم.

هل التوسل بالانبياء و الاولياء كفر بالله؟

هذا العنوان و ان كان يقع غريباً فى نفس القارى الكريم. يقول بموجبه اناس موجودون اليوم على ظهر الارض فيصدرون احكامهم بالكفر المبيح للدم و المال و على كل من يتوسل بنبى او ولى ان يقضى له ربه حاجته، و انما نقول لهؤلاء الناس رو يدا رو يدا فان المتوسل بالانبياء و الاولياء لايعتقد ولا يخطر على باله ان الانبياء او الاولياء يقضون له حاجته التى يتوسل بهم الى الله تعالى ان يقضيهاله و انما الذى يعتقده و يعمله و ينطق به كل متوسل ان قضاء الحوائج بيد رب العالمين لايسال فى قضائها غيره ولا يقضيها سواه و ليس لمخلوق كائنا من كان ان يقضى حاجة بمعنى يخلقها و يوجدها مستقلا. هذا ما عليه المسلمون صغيرهم و كبيرهم ذكرهم و اناثهم و ابيضهم و اسودهم، شرقيهم و غربيهم. ليس فى عقائدهم ان لغيره تعالى حظاً من الايجاد و الخلق.

و اذن من الاضاحيك ان يقول قائل ان التوسل جائز اذا كان بالاحياء و ليس بجائز اذا كان بالاموات فان هذا القول يشم منه رائحة ان الحى لحياته يعمل فيمكن ان يقضى الحاجات و ان الميت لموته لايعمل فلا يقضى الحاجات هذا ليس من عقائد المسلمين ولايعرفه صغير منهم ولا كبير. و نفس التوسل صريح فيما نحكى عن عقائدهم فان المتوسل لايرفع حاجته الا الى ربه و لايطلب قضاءها من غيره و كل ما فى الامر انه يرى نفسه ملطخا بقاذورات المعاصى ابعدته الغفلات عنه تعالى ايماء ابعاد فيفهم من هذا انه جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه و قضاء حاجته وله الحق فى هذا الفهم فان الله تعالى انما يتقبل من المتقين و شؤم المعاصى معروف اثره فى الحرمان من الخيرات لاجل هذا يتقدم المتوسل اليه تعالى باحبابه الذين لايعرفون لاطاعته مبتهلا اليه بجاههم عنده و حرمتهم لديه ان يقضى له حاجة لاجل هؤلاء الاحباب هم الذين عوّدهم تعالى ان ينعم عليهم. فالمتوسل انحاز اليهم و بهم طلب حاجته عسى ان يحظى بالانعام عليه بحاجته وهو بين

هؤلاء المنعم عليهم وهم قوم لا يشقى جليسهم فقط فكيف بمن جعلهم وسيلته الى من عودهم الانعام والاحسان. وهو تلطف فى المسئلة جدير صاحبه ان يسعف بحاجته ولا يحرم منها.

و اذا كان هذا هو السر فى التوسل فلا اثر اذن فيه لحياة المتوسل بهم او موتهم. فانهم احباب ربنا تعالى على اى حال كانوا و حرمتهم عنده هى حرمتهم و انعامه عليهم انعامه احياء كانوا ام امواتا وهو يكرم محبهم كما يهين مبغضهم على اى حال كانوا فلا بعد اذن ان يكرم محبهم المتوسل اليه بهم بقضاء حاجته.

اذا عرفت هذا عرفت انه فى ناحية و قول من يقول ان التوسل لا يجوز الا بالاحياء فى ناحية اخرى لاصلة بينهما ولا قرب.

و تعجب كل العجب اذا سمعت ذلك القائل يؤيد ما يذهب اليه بان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توسلوا فى استسقائهم بسيدنا العباس رضى الله تعالى عنه و لم يتوسلوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدل عملهم هذا على ان التوسل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لايجوز لانه انتقل من هذه الدار هكذا يستدلون على تلك الدعوى.

و نحن نقول لهم. ان هذه الصورة من التوسل لا نخالفكم نحن فى ان المتوسل به فيها يتعين ان يكون حياً لان الناس يخرجون فى الاستسقاء من البلد الى خارجها و هناك يكون المتوسلون و الذى يتوسلون به. فيجب اذن ان يكون المتوسل به حيا معهم حياة دنيوية اما من بارح الدنيا من الانبياء و الاولياء فالبرزخ حكمه عليهم و من احكامه عليهم انهم لايخرجون منه يمشون مع الناس نهارا جهارا حتى يكون بهم المتوسل خارج البلد هذا هو السر الذى من اجله توسل الصحابة رضى الله تعالى عنهم بسيدنا العباس دون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الصورة صورة الاستسقاء اما فى غير هذه الصورة فيجوز التوسل بالحى و الميت على السواء كما فهمناك.

و الفرق بين الحى و الميت فى غير صورة الاستسقاء فرق مضحك لانعلم احدا من علماء الاسلام لامن المتقدمين ولا من المتاخرين ذهب اليه ولا اشار اليه غير ذلك الرجل الذى فاض اعجاباً بنفسه فهوى الى هوة من الاحتقار و الازدراء لانهاية لها و عامله الله بغير

ما كان يقصد ذلك الرجل الذى خرق الاجماع فى كثير من مسائل و سعّر حربا بينه و بين صالحى عباد الله فاعلنه ربّهم بالحرب فكان له فى حياته ما كان من اهانات تتلوها اهانات و ماذا ينتظر القارئ من الامانات لرجل عالم فوق ان تتفق كلمة علماء عصره و معهم حكامه على الحكم عليه بايداعه فى ظلمات السجون ولا زال فيها حتى فارق هذه الحياة والله اعلم بما لاقاه فى قبره.

نحن ما قلنا يوما ان المنح التى يمنحها الله عز و جل لصالحى عباده هم الذين يخلقونها و يخترعونها حتى يتوقف فى ذلك من يتوقف و يقول ان ذلك انما يليق بالحى دون الميت و جعلنا بفرقه هذا نفهم انه يسند الخلق والاختراع الى الحى دون الميت انما الذى نقوله فى اولئك الصالحين انهم مواضع مباركة يفاض عليها من سماء الفضل الالهى غيوث الرحمات و البركات و انواع الكرامات. و ليس بعاقل من يقول ان الحى اهل لان تفاض عليه تلك البركات. و اما الميت فليس باهل لذلك ان المسألة قابلة لان نقول فيها. ان الميت اولى باحسان من الحى لان الميت احوج الى الاحسان لانقطاع عمله الذى به تزداد درجاته عند الله ولانه اصبح بالموت على بينة تامة من ضعف العبودية و مبلغ حاجتها الى فيض الربوبية. ولا يعلم الحى ذلك بدرجة علم الميت مع ما يعترى الحى فى فترات غفلاته من دعاوى طويلة عريضة غدا الميت لايعرفها لو قلنا هذا لا نكون ابعدنا عن الحق فى هذه المسئلة.

و على كل حال يجب ان نعلم ان هذه المنح التى يمنحها ربنا لخاصة خلقه ليس لهم فيها اكثر من ان يتمتعوا بها و يفرحوا فرح شكر بظهورها على ايديهم و ربنا تعالى هو الذى يتولى منحه لهم او لغيرهم من اجلهم اما هم فلا دخل لهم فى خلق ذلك لاوهم احياء ولا وهم امواتا فليحفظ هذا ثم ليحفظ.

ومما يدل على طلب التوسل ما رواه احمد و ابن خزيمة[1] فى صحيحه و ابو نعيم فى عمل اليوم و الليلة و البيهقى فى كتاب الدعوات و الطبرانى فى كتاب الدعاء و ابن السنى و ابن ماجه من انه صلى الله تعالى عليه وسلم توسلّ و علّمنا ان نتوسل بحق السّائلين على ربنا اذا نحن خرجنا الى المساجد و لفظ الدعاء (اللهم انى اسألك بحق السّائلين عليك و اسألك بحق ممشاى هذا اليك) الى آخره. فها هو صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسل و هو

(١) ابن خُزَيمة ابو بكر محمد توفي سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في نيشابور

رسول الله. بحق السائلين على ربه، يدعو كل مؤمن الى التوسل بهذا الحق الذى جعله ربنا عز و جل للسائلين عليه تفضلا منه و احسانا كما كتب على نفسه الرحمة. و كما جعل على نفسه رزق كل دابة و كما جعل على نفسه اجر من عفا و اصلح و السائلون هم الذين عرفوا انه تعالى هو الذى بيده وحده الخير و غير الخير ليس ذلك لغيره فاعرضوا عما سواه و قصروا عليه تعالى سؤالهم عما يحتاجون اليه دق ذلك او جلّ. وهؤلاء السائلون كانوا او يكونون او هم كائنون جعل لهم تعالى حق ان يعطيهم ما يسألون و فوق ما يسألون لمكانتهم السّامية عنده تعالى او حق السّائلين حرمتهم و منزلته التى جعلها تعالى لهم وهو معنى لاتخطئ اذا جعلته متعينا.

و انا لا نطيل القول فى هذا الموضوع موضوع التوسل بالاحياء و الاموات من الصّالحين فان جواز ذلك، بل و طلبه امريدين به كل مسلم فى مشارق الارض و مغاربها لان المذاهب الاربعة تجيزه ليس بينها خلاف فى ذلك. و الأمة الاسلامية كلها لا تخرج عن هذه المذاهب. ولو كان فى التوسل ادنى ضرر يعود على المتوسل ما اجمع عليه علماء الامة الاسلامية متقدموهم و متأخروهم و قبلهم رسولهم صلى الله تعالى عليه و سلم.

ولو قال من لا يجيز التوسل ان المتوسل يجعل بينه و بين الله تعالى واسطة فى مسئلته و ذلك ضرر.

قلنا له من فى الدنيا يقول ان هذه الواسطة تضر و كيف تضر وهو تعالى الذى امرنا بها فى الدنيا و الآخرة.

اما فى الآخرة فحسبك فزع الناس الى الانبياء و توسيطهم لهم بينهم و بين ربهم فى الشفاعة و سيأتى ذلك فانتظر.

و اما فى الدنيا فقد جعل سبحانه و تعالى الانبياء وسطاء بينه و بين خلقه فى هدايتهم. و جعل الاغنياء وسطاء بينه و بين عباده الفقراء يوصلون رزقهم و فضله اليهم و جعل الاطباء وسطاء بينه و بين المرضى يتسبّبون فى دفع الامراض عنهم و اعادة الصحة اليهم و جعل الأطعام وسيطا بينه و بين الحيوانات به يدفعون الجوع عن انفسهم و يجلبون

الشبع. و قل ذلك فى الماء و قله فى اللباس و قله فى النوم و قله فى النكاح و قله فى مراكب الماء و قله فى السعى على الارزاق فانه لولا الماء لمتنا ظمئاً. و لولا اللباس لمتنا من البرد و الحر. و لولا النوم لمتنا تعباً. و لولا النكاح ما رأينا الاولاد. و لولا المراكب لغرقنا فى البحر اذا اقتحمناه. و لولا السعى ما رأينا الارزاق و هكذا كل هذا الوجود مبنى على الوسائط. و لولاها ما فعل لنا ربنا شيئا من حاجاتنا بحسب عادته التى اجراها فى خلقه، بل يوم القيمة لا يدخل الجنة داخل ولا يدخل النار داخل الا بواسطة الأعمال (... **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*** الاعراف: ٨) (**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ* تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ*** المؤمنون: ١٠٣-١٠٤)

و كل هذا لا ينكره جاهل ولا عالم و لا عاقل و لا احمق. اللهم الا من فقد عقله و جن جنونا و جعل يهدى بما لا يدرى، فمثل هذا لا يقام لكلامه وزن و لا يلتفت اليه فاذا كان من يتخذ شيئاً من هذه الوسائط كافرا كان من يتوسل باحباب الله اليه و يجعلهم وسائط كافرا ولا فرق ابدا.

و ان قال المانع ولماذا لايرفع السّائل مسألته الى الله تعالى بلا توسط احد؟

قلنا ليس الكلام فى هذا لانه محل اتفاق انما الكلام فى ذلك التوسيط ونحن نقول لكم و ماذا فيه وقد جعله ربنا سببا لقضاء حوائج عباده و امر به فرفع الحاجة الى الله تعالى سببا لقضاء الحوائج. و التوسل اليه باحبابه آخر. فالمتقدم الى ربه بعباده ليقضى له حاجته متقدم اليه بسببين. و الذى لا يتوسل متقدم اليه بسبب واحد. و المتقدم اليه بسببين اولى بفضله و احسانه ممن يتقدم اليه بسبب واحد. و لهذا المعنى توسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحق السائلين على ربه و علمنا ان نتوسل بذلك كما تقدم. بل روى الترمذى و النسائى والبيهقى والطبرانى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاءه ضرير البصر فقال ادع الله ان يعافينى فقال (**ان شئت دعوت و ان شئت صبرت فهو خير لك**) قال فادعه فامره أن يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء (**اللهم انى اسألك و اتوجه اليك بنبيّك محمد نبى الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى اللهم فشفعه فىّ**) و لما دعا الرجل كما امره صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب الله له و

عافاه و اصبح بصيرا.

فليقل لنا اولئك المانعون و لينصفوا اهم اعلم بما يليق بالله عز و جل من سيد رسله و هو يأمر الضرير ان يوسطه بينه و بين ربه فى حاجته لتقضى؟ اظنهم لا يستطيعون ان يقولها فليتفضلوا اذن و ينضموا الى اخوانهم اهل الاسلام بما فيهم رسولهم و يتنازلوا عن هذا المذهب الواضح البطلان المعاند لصحيح البرهان و ان ابوا فليعلموا انهم الذين يجادلون فى الحق بعد ما تبيّن.

الاستغاثة باحباب الله عِنْدَ الشَّدائد

اما استبشاع فريق من الناس و استنكارهم استغاثة الناس باحباب الله تعالى عند الشدائد فهو استنكار غريب و استبشاع انما يصدر من رجل يستبشع ما امرالله به. بل اقول ان انكار هذا انكار للمحور الذى عليه تدور مصالح الناس فى هذا الدار بل هو ينكر ما جبلت عليه الفطر من مبدئها لمنتهاها فان ربناْ عز و جل امرنا. و انظر امرنا ان نتعاون على البر و التقوى. و وعد من امتثل امره هذا وعدا تطرب الآذان لسماعه. و تطير القلوب شوقا اليه و لا تذكره الجوارح الا اندفعت اندفاع السهم الى ذلك التعاون لا تعرج على شيء سواه. ذلك الوعد الكريم هو ان يكون ربنا القدير الكريم فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه و من يسمع ان من بيده الخير كله يكون مع من يعين اخوانه ثم لايقضى كل اوقاته فى تلك المعاونة.

عرف الناس ان معاونة بعضهم بهذه الدرجة و عرفوا مبلغ حرص كل عاقل على الوصول الى هذه الدرجة ليكون رب الآخرة و الاولى معه بمعونته و نصرته و توفيقه وستره. فلما عرفوا ذلك صار احدهم اذا عرضت له منفعة يريد ان يجلبها او مضرة يريد ان يدفعها يفزع الى اخوانه يناديهم و يستعين بهم طالباً اسعافهم له ومعونتهم التى امروا بها من خالقهم و وعدهم عليها ذلك الوعد الحق ليقوى بهم على جلب مصلحته او دفع مضرته

والانسان قليل بنفسه كثير باخوانه ضعيف وحده قوى اذا انضموا اليه فاذا سمعه الناس يستغيث بهم هرعوا اليه و زاحموه على قضاء حاجته و كذلك يفعل هو معهم اذا استغاثوا به و هكذا يتبادل الناس هذا التعاون فى ليلهم و نهارهم فى سرّائهم و ضرّائهم، ضعفوا امام حاجتهم ام لم يضعفوا هم يرون هذه الاستعانة و هذا التعاون لذة يتقاضونها و يحنون اليها بطبعهم الكريم من ناحية و مسارعة الى امتثال امر ربهم لينالوا وعده المحبوب من ناحية اخرى.

و هذه الاستعانة المرغّب فيها غير الاستعانة الخاصة بالله تعالى التى لا تطلب من سواه فان الاستعانة بالخلق معناها طلب المعونة منهم على وجه التسبب لمعونة الله تعالى التى هى خلقه و ايجاده لحاجاتهم التى يطلبونها منه فمعونة الخلق سبب و معونة الله مقصد خفى. هذا الفرق على ذلك الفريق فجعلوا الاستغاثة بالخلق و الاستعانة بهم عند الشدائد منكرا عظيما و اشراكا بالخالق عز و جل كانهم عافاهم الله يرون ان المستعين بانسان يطلب منه ان يخلق له ما يستعين به عليه و هو فهم من لم يعرف الدين و لا اهل الدين.

و كيف يعرف ذلك من يكفر الناس بشيئ هو قطب رحى هذا الوجود و عليه مدار نظامه فان الاستغاثات و الاغاثات لو منعت بين الناس لوقفت الحركة و تعطلت المصالح و اصبحنا نرى الناس ينظرون باعينهم الى من يراق دمه او ينهب ماله او يهتك عرضه فلا يلتفتون اليه و هو يستغيث بهم بل يرونه احق بما يفعل به باستغاثاته. تلك و ذلك القضاء النهائى على الانسانية و اثارها المباركة بل هو انسلاخ من الحيوانية و نزوع الى خصائص الجمادات فان الاستغاثات و الاغاثات معروفة بين الحيوانات التى لا تعقل، ولا نعرف الجمود اما مقتضيات الاغاثة الا من الجمادات فقط فهل يريد من يمنع الاستغاثات ان ننجاز الى نوع الجمادات؟ قد يقول ذلك الفريق انا لا انكر الاستغاثة بالحى انما كل انكارى على الاستغاثة بالميت لان الحى له حركة و عمل. فاذا استغيث به تحرك وسعى الى المستغيث وعمل معه ما يطلبه منه اما الميت فلا يتأتى منه ذلك لهذا ارى الاستغاثة به كفراً و شركاً يحل به دمه كمرتد عن دين الاسلام و انا نضحك بملإ فينا او نأسف اشد الاسف لهذا العقل الذى ينقل الشيئ من مامور به مرغب فيه اشد الترغيب

الى منهى عنه منفر عنه كل التنفير و هو هو بعينه لم يتغير اى تغير. فان الاستغاثة بالميت بصفته هى هى التى يستغاث به حى، و عقيدة مستغيث بميت هى بعينها عقيدة المستغيث باخيه الحى يستغيث بكل منهما ان يعينه على قضاء حاجته بصفته السببية اولا يعتقد لا فى الحى ولا فى الميت ان له ادنى دخل فى الايجاد و الخلق.

و لعل ذلك الفريق يرى ان الميت صار كالحجر لاحس ولا حركة له فكيف يستغاث به؟ و انا نعوذ بالله من اعتقاد مثل هذا فى اى ميت فضلا عن احباب ربنا عز وجل و مع ذلك نتكلم معهم حتى على هذا الفرض. فنقول ان غاية ما حصل ممن يستغيث بالميت الذى صار كالحجر فى نظركم انه اعتقد ما ليس سبباً سبباً و من هذا حاله معذورة من يرميه بانه بلغ من الجهل درجة كبيرة فهو فى استغاثته عابث ولا فائدة له منها و الذى ينبغى ان يتنبه مثل هذا من هذه الغفلة العظيمة و ان يعمل على تخليص نفسه من هذه الغباوة الفريدة فاذا كان ذلك استيقظ و وجه استغاثته الى من يمكن ان يسمعه و يغيثه. هذا الذى نقرره فى مثل ذلك الغبى الفرضى ولا يمكن ابدا ان نقول لمثل هذا انت تستغيث بمن لا يخلق فاهما ان يخلق حتى نصدر عليه حكمنا بكفره و اشراكه فانه حينما يستغيث بالاحياء الذين يجيزون له الاستغاثة بهم لا يعتقد فيهم انه يخلقون له ما يستغيث بهم لاجله والا كان ذلك كفرا مع ان الله تعالى امر به و هل يامر ربنا بالكفر؟

كل هذا نقوله على تقدير ان المنتقل من هذه الدار من احباب الله تعالى لاقيمة له اصلا و لااعانة له بحال ونحن لا نقوله ولا نجيز لاحد ان يقوله. ونرى ضلالا عظيماً ان يقوله مؤمن بالله تعالى ذلك انا بينا بالبرهان القاطع فيما سبق ان الانبياء احياء فى قبورهم يرون و يسمعون و يعلمون حتى الحج و التلبية و ذلك شيء كثير. فهل كثير على من ذلك حاله ان يتولى اعانة غيره كما يعينه اى حى و ان كان ذلك الغير لايشعر به ولايراه.

و هذا القرآن يصرح ان الشهداء احياء يرزقون اى يأكلون و يشربون و يتلذذون بذلك تلذذالحى الذى يرزقون فى هذه الحياة فانه تعالى سوى بينهما فى انه يرزق كلا منهما و كذلك من هذا حاله ليس بكثير عليه ان يعين سواه.

و قد عرفت مما سبق ايضا ان ارواح الصالحين تجول فى هذا العالم باذن ربها و

تقول ما تقول و تفعل ما تفعل لمن شاء ربنا ان تقول له و ان تفعل و من يقول ان امثال هؤلاء كثير عليهم ان يعينوا زد على كل هذا ما صرح به القرآن من انه تعالى (... مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا* الآية. النحل: ١٢٨) ولم يقل القرآن انه معهم وهم فى دار التكليف فقط بل اطلق فدل ذلك انه معهم فى كل حال فى الدنيا و فى البرزخ و فى الآخرة. و من فى الدنيا يرى كثيرا على الله تعالى ان يكرم هؤلاء الاحباب باغاثة من يستغيث بهم بواسطتهم او مباشرة وليتأكد القارىء ان هذا الذى يستغيث بهم لايستغيث بهم جزافاً بل يستغيث بهم لانهم احباب ربنا و اولياءه فاهما انه تعالى وليهم فى الدنيا والآخرة و لذلك لا نراه ابدا يستغيث بسواهم ممن فارق هذه الحياة اذن هذه الاستغاثة موجهة فى الحقيقة الى ربهم و وليهم. و من استغاث بعبدك و هو يعلم انه لا حول و لا قوة الا بك فهو مستغيث بك. فاذا انت سخرت ذلك العبد فى اغاثته و مكنته من ذلك فانت المغيث فى الحقيقة و العبد آلة هذه الاغاثة و هذه الحقيقة لا تخرج المستغيث عن ان يكون مستغيثاً بعبدك و لا تخرج العبد اذا اغاث بقوة سيده عن ان يسمّى مغيثا فليعلم .

ثم كثيرا ما ترى بعض الناس يستغيث بنبى او ولى. فتسأله ماذا يعمل لك هذا وهو مثلك ايخلق لك ماله تستغيث به فيبادرك فى الحال بقوله انى استغيث به لانه اقرب الى ربى منى فلعله يتوجه الى ربه بوجهه الوجيه عنده. و يبتهل اليه بلسانه الطاهر ان يقضى لى حاجتى. و قد سأل كاتب هذا كثيرمن الناس هذا السؤال مرات كثيرة فاجبت بهذا الجواب بعينه من اناس عامة عند استغاثتهم ببعض الصالحين.

فاذا نحن حللنا استغاثة الناس باحباب الله تعالى الاموات الى هذا المعنى الذى يقصدونه و يفسرون به استغاثتهم وهو معنى فى غاية الصحة و الوضوح فكيف تكون كفرا تلك الاستغاثة و اشراكا بالله عز و جل تحل به دمائهم و اموالهم و فروجهم؟ ان هذا الذى يقولونه لايخالف ابدا محض الايمان.

و ان قال هذا الفريق ان هذه الاستغاثة و الاستغاثة بالاموات لم تكن فى الصدر الاول و لا حصلت من واحد من سلفنا الصالح. و لو كانت خيرا لكانت منهم وما فاتتهم. فاقول ان هذا النفى اللسانى سهل جدا لايكلف النافى اكثر من تحريك لسانه حركة بسيطة اما اثبات ذلك فدونه اهوال. فان هذا النافى ما كان مع كل فرد من

افراد السلف الصالح يسمع كل كلمة ينطقون بها و يرى كل عمل يصدر منهم حتى يصح منه هذا النفى الكلى قد يقول انه لم ينقل عنهم. ولو كان لنقل لنا من ذلك شئ . و انا نقول له ان النقل لم يحط بكل ما كان فى ذلك العهد. فكم من اعمال و اقوال كانت و لم تنقل. ولو نقل كل ما صدر فى ذلك الزمن من قول و فعل لضاقة عنه الاوراق و وقفت عجزا عن نقله الاقلام على انا نقول ان ائمة هذا الدين قادة الخلق و ورثة الانبياء قد استغاثوا فى عصورهم المختلفة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بغيره من الانبياء والصالحين وهم اعلم الناس بالدين و باسراره وما يجيزه وما يمنعه وقد نقل ذلك عنهم وهذه الكتب بين ايدينا فيها من ذلك الكثير ثم الكثير. و ان شئت ان تسمع من ذلك شيئا فدونك. روى البيهقى ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستسقى به و انشد ابياتا فى آخرها.

و ليس لنا الا اليك فرارنا ٭ و اين فرار الخلق الا الى الرسل

و روى الطبرانى ان سيدنا سواد بن قارب انشد بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قصيدته. التى فيها:

فاشهد ان الله لارب غيره ٭ و انك مأمون على كل غائب
و انك ادنى المرسلين وسيلة ٭ الى الله يا ابن الاكرمين الاطائب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ٭ و ان كان فيما فيه شيب الذوائب
و كن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة ٭ بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

و ذكر العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بـ(الصواعق المحرقة) ان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه قال:

آل النبى ذريعتى ٭ وهموا اليه وسيلتى
ارجو بهم اعطى غدا ٭ بيدى اليمين صحيفتى.

وقال شمس الدين بن جابر الاندلسى:

قسما لئن ابصرت دار محمّدٍ ★ و شهدت من مغناه مغنى مبهجا
لاعفرن بتربها كرما له ★ خدا بمسكوب الدموع مضرجا
ولأدعون دعاء عبد مخلص ★ يا سيد الكونين انت المرتجى
يا من اذا لجأ الضعيف لبابه ★ ابت المكارم ان يضيّع من لجا
عظمت ذنوبى والعظائم كلها ★ بعظيم جاهك نرتجى ان تفرجا
خذ سيدى بيدى اغثنى اننى ★ اصبحت فى بحر الذنوب ملجلجا
من منقذى الا شفاعتك التى ★ تنجى اذا لهب الجحيم تأججا
صلى عليك الله ما صدع الدجى ★ صبح تلألأ ضوءه و تبلجا

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمة الله عليه:

يا سيد الرسل الذى فاق الورى ★ بأسا سما كل الوجود وجودا
هذى ضراعة مذنب متمسك ★ بولائكم من يوم كان وليدا
يرجو بك المحيا السعيد و بعثه ★ بعد الممات الى النعيم شهيدا
صلى عليك و سلم الله الذى ★ احيا بك الايمان و التوحيدا

و قال الامام تقى الدين [١] ابن دقيق العيد:

يا رسول المليك دعوة من زا ★ د به شوقه وصح وداده
لك اشكو حالا من الدين والدنـ ★ ـيا شديدا غلوه و اقتصاده
هو هم ثنى السرور و غم ★ كدر العيش عكسه و اطراده
و عليك السلام من ذى اشتياق ★ انت فى الحشر كنزه و عتاده

و قال الامام كمال الدين بن الزملكانى [٢] رضى الله تعالى عنه:

يا صاحب الجاه عند الله خالقه ★ ما ردّ جاهك الا كل افاك

---

(١) محمد بن على بن وهب المصرى الشافعى المعروف با بن دقيق العيد المتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٢ هـ . [١٣٠٢م.]

(٢) محمد بن على بن عبد الواحد الزملكانى الشافعى المتوفى سنة ٧٢٧ هـ . [١٣٢٧ م.]

انت الوجيه على رغم العدا ابدا ★ انت الشفيع لفتاك و نساك
يا فرقة الزيغ لاقيت صالحة ★ ولا شفى الله يوما قلب مرضاك
ولاحظيت بجاه المصطفى ابدا ★ و من اعانك فى الدنيا و والاك
يا افضل الرسل يا مولى الانام و يا ★ خير الخلائق من انس و املاك
ها قد قصدتك اشكو بعض ما صنعت ★ بى الذنوب و هذا ملجأ الشاكى
قد قيدتنى ذنوب عن بلوغ مدى ★ قصدى الى الفوز منها فهى اشراكى
فاستغفر الله لى واسأله عصمته ★ فيما بقى و غنى من غير امساك
عليك من ربك الله الصلوة كما ★ منا عليك السّلام الطيّب الزاكى

و قال جمال الدين بن نباتة المصرى:

يا خاتم الرسل لى فى المذنبين غدا ★ على شفاعتك الغراء تعو يل
و انت اكرم من طاف الرجا و سعى ★ الى حماه فكان القصد و السول
صلى عليك الذى اعطاك منزلة ★ شفيعها فى مقام الحشر مقبول
انت الملاذ لنا دنيا و آخرة ★ فباب قصدك فى الدارين مقبول

و قال العارف بالله الشيخ حسين الدجانى مفتى الشافعية بيافة:

يا خير مولى عن الجانى المسيئ عفا ★ و طاب من طيبه العرب البهاليل
ما ثم للعبد ملجا غير سيده ★ و ماله فى سوى علياك تأميل
انت العياذ الملاذ المستجار به ★ فليس الااليك الأمر موكول

و قال سيدى محمد البكرى الكبير رحمة الله عليه.

ما ارسل الرحمن او يرسل ★ من رحمة تصعد او تنزل
فى ملكوت الله او ملكه ★ من كل ما يختص او يشمل
الا و طه المصطفى عبده ★ نبيه مختاره المرسل

واسطة فيها واصل لها ★ يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به فى كل ما ترتجى ★ فانه المقصود و المأمل
و عذبه من كل ما تختشى ★ فانه الملجأ و المعقل
و حط احمال الرجا عنده ★ فهو شفيع دائما يقبل
و ناده ان اذمة انشبت ★ اظفارها و استحكم المعضل
يا اكرم الخلق على ربه ★ و خير من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب و كم مرة ★ فرجت كربا بعضه يذهل

نقلت هذا كله من (كتاب شواهد الحق) للشيخ المحب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حباً ظهرت آثاره اعظم ظهور، الشيخ يوسف النبهانى[1] اطال الله حياته و الذى نقلته قطرة من بحر مما فى هذا الكتاب و ما فى هذا الكتاب قطرة من بحر مما قيل فيه صلى الله تعالى عليه وسلم توسلا و استغاثة به عليه الصلوة و السلام و اذا اضيف ما قيل فى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء و الاولياء الى ما قيل فيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لاحصر له نثرا و لانظما. فليكتف الناظر هنا بما نقلنا و لينظر كلام ائمة الاسلام وسادة الامة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم و فى مخاطبتهم له و أستغاثتهم به عليه الصلوة و السلام يجد ان ما عليه الامة مع علمائها فى جهة و ما يقوله ذلك الفريق فى جهة أخرى.

و اقرب من كل هذا ان نقول لمنكر صدور ذلك من السلف الصالح سلمت لك ذلك يا اخى. و لكن هل كل مالم يفعله السلف الصالح منكر لايجوز فعله؟ ان هذا انما يقوله الجاهل بدين الاسلام. يريد بجهله هذا ان يلصق بهذا الدين انه من القصور بالدرجة التى لايحسن معها التصرف فى الحوادث التى تحدث بعد عهد نزوله. و هل يرضى له بذلك لك مسلم. و هو الدين الذى نزل صالحاً لكل زمان و مكان. لديه من سعة النظر مالا يتوقف معه عن الحكم على اى حادث بحكمه المناسب له. و لقد كان ان حدثت له حوادث لاتحصى بعد زمن تشريفنا به و حكم عليها كلها و من بينها ما حكم عليه بالوجوب القطعى ولا يزال فى استعداد لان يحكم على اى حادثٍ يحدث فلا يضر الجواز اى عمل انه لم يعمل الابعد زمن طويل من الصدر الاول.

---

(١) الشيخ يوسف النبهاني توفي سنة ١٣٥٠ هـ. [١٩٣٢ م.] في بيروت

بقى ان يقال ان بعض العوام اذا استغاث باولئك الاحباب يخاطبهم فى استغاثته بالفاظ ربما فهم منها سامعها انهم يطلبون منهم مالا يليق ان يطلب الامن الله تعالى و انا نقول فى هذا انك لوسألت هذا الذى يوهمك قوله و يجعلك تسئ الظن به لا زاح ما فى نفسك باظهار مكنون قلبه و مخبؤ ايمانه الصريح الصحيح الذى لم يطرأ عليه من امراض القلوب ما يخدشه و لقد راجعناهم كما قلنا سابقاً ثم راجعناهم فكان يملأ قلوبنا سرورا مانسمع منهم من عبارات تشف عن ايمان فى غاية الصفاء و المتانة فكنا لانستغرب ذلك. فان الفطرة السليمة لا يخفى عليها ما يناسب الخالق و ما يناسب المخلوق. نحن نقول هذا فى الفطرة السليمة بمجردها. فكيف اذا شبت وشابت فى احصان المؤمنين من ابائهم وجيرانهم و علمائهم؟ على انك لو دققت النظر قليلا لوجدت فى لغتنا ما يسيغ تلك العبارات ولا يأباها. فانك تستطيع ان تقول فلان هدانى و اضلنى و اغنانى و افقرنى. و احيانى و اماتنى واسعدنى واشقانى و رزقنى فرج كربى واقالنى عثرتى اذ تسبب لك فيما تنسبه اليه.

و هذا القرآن يقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (...وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ* الشورى: ٥٢) و يقول فى الاصنام (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ* الآية. ابراهيم: ٣٦) و يقول فيمن تسبب فى حياة نفس (... وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً* الآية. المائدة: ٣٢) و يقول (... فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ* الآية. النساء: ٨) و يقول حاكياً عمّن حاج ابراهيم فى ربه لما قال له سيدنا ابراهيم (...رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ* الآية. البقرة: ٢٥٨) فسلم له ذلك سيدنا ابراهيم و انتقل الى حجة غيرها. لانه يعلم انه صادق فيما يقول ولا يابى الدين ما يقول لانه على معنى انه يتسبب فى حياة من اشرف على الموت و موت من هو فى عافية و غير ذلك كثير فى الكتاب و لم يعد ذلك اشراك بالله تعالى ولا له بمخالفته اىّ صلة. و السنة صرّحت باسناد تفريج الكروب و اقالة العثرات الينا و لو انا تنطعنا لقلنا ان هذا كفر فان الاحياء و الاماتة و الهداية و الاضلال و الرزق و الاشقاء و الاسعاد و تفريج الكروب و اقالة العثرات وما اليها. لايقدر عليها الا الله عز و جل. فمن اسند منها شيئا لغيره عز و جل فقد مرق من الاسلام و كان مشركا نحن لم نبلغ من الجهل بلغتنا الكريمة الى هذه

لدرجة و هى التى نسند الافعال الى الاسباب اسناداً اعتياديا ليس فيه ادنى حرج. فلو انا اوتينا سعة من العلم واحاطة باسلوب لغتنا و بصيرة باستعمالات كتابنا و سنة نبينا، لخففنا من حدتنا و هوّنا من غضبنا و شدتنا على من يخاطب احباب ربنا بما يخاطب به ربنا و قلنا ان هذا من ذاك و تصرفنا تصرف ربنا و نبيّنا فى مثل هذه الاسنادات و قلنا ان الخطب هَيّن. لم نفعل ذلك و ابينا الا ان نشدد و من شدّد شُدّد عليه و ان حكم على عباد الله المؤمنين بالكفر الصريح و الشرك المحض و نتبع ذلك باشارة التى منها القتل واراقة الدماء يجب على ذلك الفريق ان يعرف ان ايجاد الفعل لابد له من امرين. سببه الذى كلّف به الخلق. و الامر الثانى الايجاد و الخلق الذى يصدر من الله تعالى كل افعال الخلق هكذا. فباعتبار مباشرة الاسباب يسند الفعل الى الله تعالى و لقد وصل الاسناد الى السبب ان يقول ربنا عز وجل لسيدنا عيسى عليه الصلوة والسلام (... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ الآية. المائدة: ١١٠) فنسب اليه الخلق والايجاد باعتبار التصوير و النسخ كما اسند اليه ابراء الاكمه و الابرص و احياء الموتى لما انه تسبب فى ذلك ولم يطلق ذلك ربنا الا لانه تعالى يجيز لغيره من خلقه ان يعبر بمثل تلك العبارات دون ان يكون فيها شئ متى كان القلب ينطوى على ما للخلق و ما للخلاق فتسند الى كل ما يليق به.

و اذ احاط القارئ بكل هذا عرف حق المعرفة اين دين الله؟ و اين تلك الاحكام بالشرك على من يخاطب فى استغاثته احباب ربنا بما لا يكون ايجادا و خلقاً الا من ربنا عز و جل. و علمت ماذا من الاثم الموبق على من يقتل مؤمنا لتعبير سائغ لغة و شرعاً كتلك التعبيرات التى هى موضوع كلامنا و علمت اى جرم يرتكب، من ينطوى لاهل الايمان على العداوات الخطرة و يواجههم بالمخاطبات الجافة الخشنة و يعاملهم بالمعاملات التى لا تليق الا باعداء الله الكافرين مع ان الله تعالى يجيز ما يمنعون، و هو الذى باسمه يفعلون ما يفعلون من المنكر مع اوليائه و عباده الصالحين و لو ان اولئك الناس قالوا لمن يعبر بتلك العبارات الموهمة فى نظرهم الافضل و الاحسن ان تبدل هذه العبارات التى قد يفهم منها سوء امن يسئ الظن بالمؤمنين بعبارات لا توهم ولا يفهم منها احد ما لعله يسئ ظنه بهم لو قالوا ذلك ما لقوا من يقول لهم انكم ابعدتم عن الحق و قلتم مايعده الانصاف خطأ فان ما لا يوهم خيرا مما يوهم بلا نزاع.

هذا تحرير القول فى هذا الموضوع الذى غالى فيه ذلك الفريق الذى نشير اليه الى درجة ان جعله من ابواب الكفر التى لا يمترى فيها انسان و قد عرف القارئ مما تقدم مبلغه فليحرص عليه فانه لا يجده الا فى هذه العجالة التى اشتد حرصها على بيان الحق غير تابعة فى ذلك المخلوق و الله تعالى اعلم.

هل التردد و التودد الى احباب ربنا عبادة

و اما القول بان التردد الى صالحى عباد الله تعالى و التردد اليهم و اجلالهم و التقرب منهم على اى حال كانوا فى درجة العبادة لهم و بهذه العبادة يكون الانسان مشركاً بالله تعالى مرتداً عن الملة الاسلامية فهو قول تقشعر منه ابدان العقلاء ولا يليق ان ينظر اليه المؤمن الا بعين الازدراء و المقت،قول اذا قيل انه صدر من مجنون او ممن لا يعرف دين الاسلام و جد ذلك القيل ارتياحاً فى نفوس المؤمنين و صادف هوى فى نفس كل من يعرف لدين الاسلام قدره و لو انا قلنا بموجب ذلك القول لكان اكبر المشركين بالله عز و جل و اعظم العابدين للخلق الخارجين عن الملة الاسلامية هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فان ما تقدم لنا حكايته عنهم من تعظيم الرسول صلى الله عليه و سلم شيء اليه المنتهى فى اجلال الخلق و تعظيمهن ولا نظن ابداً ان يلحق بهم عبد فى هذا الميدان مهما كان محبا لرسول الله صلى عليه و سلم او لغيره من الانبياء و الاولياء و اذن يكونوا اكبر المشركين كما قلنا لذلك التعظيم الذى رو ينا بعض ما يدل عليه فيما سبق و يكون رسول الله صلى الله عليه و سلم قد اقرّ و رضى باكبر الشرك. و لعل حضرات القائلين بان ذلك التعظيم عبادة يفزعون من هذا و يضطربون ليفزعوا و ليضطربوا و ليرتقوا السماء و لينزلوا الى الارض فليس لهم من هذا مخرج الى يوم القيامة. لقد قلنا لهؤلاء الناس و نقول و لكنهم لا يفهمون ولن يفهموا ان اجلال هؤلاء الاصفياء وتعظيمهم تعظيم لربهم الذى عظمهم و انعم عليهم و اخبر انه معهم معية هداية و توفيق و نصر و اكرام.

اذن هذا التعظيم يفعله الناس طمعا فى احسان ربهم و هرباً من اهانته لانه

يحسن الى من احب احبابه و يهين من اهانهم و لهذا نجد الناس لا يعاملون الفسقة بتلك المعاملة الجليلة ابدا بل نراهم يعاملونهم بعكس ما يعاملون به الصالحين يفرون من الفاسق اينما كان و ربما رأيتهم يحولون انظارهم عنه اذا جالسهم لئلا تقع عليه و تراهم يتسللون من مجلسه واحدا واحدا يحملهم على ذلك فهمهم ان هذا الفاسق مغضوب عليه من ربه فهو شؤم على نفسه و على من جالسه و البعد عن الشؤم يمن و بركة.

و مختصر القول فى حب الصالحين و زيارتهم و التردد اليهم فى رياض الرحمات التى يحلون بها احياء و امواتا. ان ذلك مهما بلغ من العظم عند المؤمن لم يتجاوز درجة الحب فى الله تعالى. و الحب فى الله عز و جل معروف قدره فى نظر الدين من انه اوثق عرى الايمان. والذى افهمنا انه اوثق عرى الايمان حضرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلينظر القارئ اين هذا مما ننقله و نحكيه. نعم ان عجيباً ان يكون الشىء ارقى المقامات فى دين الاسلام ثم يحكم عليه اناس بانه كفر و اشراك. لعيلم هؤلاء الناس ان العبادة التى يعرفها المؤمنون هى نهاية الحب و الخضوع و الخوف و الرجاء و الطاعة والذل تقربا الى المعبود بحق الذى له نهاية الانعام و الاحسان. و بيده الضر و النفع والاسعاد و الاشقاء و الاعزاز و الاذلال فى الدنيا و الاخرة.

هذه هى العبادة و هذا هو المعبود الذى لايرضى المؤمنون عن عبادته بدلا ولو احرقوا بالنيران ونشروا بالمناشير وانى اتحدى كل من يقول ان الناس يعبدون احباب ربنا. ان يأتوا بمثال واحد فقط من المؤمنين يعتقد فى نبى او ولى ان له نهاية الانعام و الاحسان و بيده الامر كله و بناء على هذا الاعتقاد يخضع له الخضوع كله و يتقرب اليه بشىء من العبادات انهم ان فعلوا ذلك و ن يفعلوا الى قيام الساعة. صدقنا كل ما يقولون و كنا معهم نحول بين الناس و بين اولئك الصالحين نحميهم من الاشراك بهم.

انى اقول: و كل عاقل يقول معى. ان احقر و اجهل و اسفل و افسق مؤمن على وجه الارض لو قلت له تعال اسجد لفلان الولى او النبى تعبده بذلك من دون الله. او تقرب اليه باى [illegible] من انواع العباد التى تعبد بها ربك او صرحت له بلفظ العبادة. و قلت له تعال [illegible]. هذا الولى او النبى ولو كان سيد العالمين صلى الله عليه وسلم او ادعه ان

يقضى لك حاجة من دون الله. ما كان بينه و بينك ان كان يعتقد انك عاقل جاد فى قولك الا القتال ان قدر عليك او الهجر طول حياته ان كان لايقدر و كيف لايفعل ذلك معك. وهو يعتقد انك تدعوه الى شقائه الابدى وقد يشك فى سلامة عقلك مهما تظاهرت له بذلك و برهنت له عليه.

و بهذا تعلم انه يفترى الكذب على الله تعالى و على عباده من يقول ان مجيئ الاولياء يعبدونهم و يصدق عليهم قول الله تعالى (... **مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقَرِّبُونَا اِلَى اللهِ زُلْفٰى**۞ **الآية. الزمر: ٣**) فان الاية تقول بصراحة ما نعبدهم فاثبتت ان اولئك المشركين كانوا يعبدون الاصنام عبادة حقيقية كما يعبد المؤمنون ربهم الحق عز و جل، و قالت اية اخرى (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ اَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ**۞ **الآية. البقرة: ١٦٥**) فهذه الاية صريحة فى ان عبّاد الاوثان كانوا يسوونها بالله تعالى فى المحبة بل اخبر ربنا تعالى فى آية اخرى ان اولئك المشركين كانوا ينظرون الى آلهتهم نظرة اكبر من نظرتهم الى رب العالمين و يرجحونها عليه. ذلك انهم كانوا اذا جعلوا لله تعالى قربانا و جعلوا لاصنامهم قرابين سمحوا لانفسهم ان ياخذوا مما جعلوه لله و يضيفونه الى ما جعلوه لاولئك الحجارة اما العكس فلا تسمح به نفوسهم ابدا و قد حكى الله تعالى ذلك بقوله (**وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْاَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ اِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ اِلٰى شُرَكَائِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ**۞ **الانعام: ١٣٦**)

و مما يدل دلالة قاطعة على ان اولئك المشركين كانوا يعتقدون ان تلك الحجارة آلهة حقا تستحق العبادة تنفع و تضر و تفعل فعل الاله ان التعصب لاولئك الاصنام وصل من اولئك الناس لدرجة ان وقفوا امام السيوف و الرماح و النبال وجها لوجه متعرضين للاهوال و الحتوف مصممين التصميم كله على انهم اما ان يموتو عن اخرهم محتفظين على عقيدة ان تلك الحجارة آلهة حقا مع الله تعالى. بل ارجح عندهم منه او يقضوا القضاء الاخير على من يدعوهم الى عقيدة توحيد الله عز و جل و نبذ هذه الاصنام و اعتقاد انها حجارة لا تضر و لا تنفع. نعم لقد استخفوا الموت و اهواله عن ان يقبلوا هذه العقيدة، و كانت تلتهب قلوبهم نارا على من يمس تلك الحجارة بكلمة لا تناسب، و كانوا مملوئين

بعقيدة ان تلك الآلهة تعطى و تمنع و تنصر و تخذل و تعز وتذل.

ولا ادل على هذا مما روته الصحاح عنهم انهم كانوا يقولون يوم احد باعلى اصواتهم (اعل هبل) اى يا الهنا المسمى بهبل ندعوك و نطلب منك ان ترتقى و ترفع على اله المسلمين بقهره و القلة عليه دائما كما ارتقيت و ارتفعت عليه اليوم فانك ان تماديت على ما نطلب منك من غلبة اله المسلمين نتمادى نحن على الانتصار على المسلمين كما انتصرنا عليهم اليوم. و هذا يدل قطعاً على ان القوم كانوا يعتقدون اعتقادا جازما ان الذى نصرهم و خذل المسلمين هوآلهتهم. و جاء هذا النصر من ان تلك الالهة غالبت اله المسلمين فغلبته، و لهذا هم يطلبون من هبل الذى هو احد آلهتهم ان يدوم على هذه الغلبة. و من هو اله المسلمين عندهم؟ هو رب العالمين الذى ان سئلوا عمن خلق السموات والارض لاعترفوا بانه هو و مع ذلك ينطوون على ان آلهتهم تغلبه و تنصر عابديها على عابديه . و لذلك كانوا يفتخرون على المسلمين فى ذلك اليوم و يقولون لهم لنا العزى ولاعزى لكم اى اننا لما كان لناالاله المسمى بالعزى قوينا عليكم بقدرته و غلبناكم وانتصرنا عليكم و لم يستطع ربكم ان يقاوم عزانا. ولو كان لكم العزى كما هو لنا ما جرى لكم اليوم ما جرى فان العزى كان يحفظكم و ينصركم كما حفظنا و نصرنا فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمين ان يردوا عليهم فى الكلمة الاولى بقولهم (الله اعلى واجل) اى ليس الامر كما تعتقدون من ان آلهتكم اعلى من ربنا بل الامر هو بالعكس و افعل التفضيل يراعى عقيدة المخاطبين او هو على غير بابه و ان يردوا عليهم فى الكلمة الثانية بقولهم (الله مولانا ولامولى لكم) هذا لفظ البخارى.

و اذا كان ما نحكى هو عقيدة اولئك المشركين فى اصنامهم فهل يستطيع اولئك الذين يسوون بين المسلمين الذين يحبون الاولياء و يتوددون اليهم و يترددون على الاماكن التى هم بها و بين اولئك المشركين فى ان كلا عابد اوثانا. اوثان المشركين الحجارة و اوثان المسلمين الاولياء و الانبياء هل يستطيعون ان يأتونا بمؤمن واحد من جميع انحاء الدنيا شرقا و غربا و شمالا و جنوباً يعتقد فى الاولياء و الانبياء كما يعتقد اولئك المشركون فى اصنامهم. و يعبد الاولياء و الانبياء كما كان اولئك المشركون يعبدون

آلهتهم ان طلوع السماء وتناولهم الشمس اقرب اليهم من ان ياتوا بذلك المؤمن الواحد.

و اذن لامناص لنا من ان نواجههم. ولا مؤاخذة بانهم يرمون المؤمنين بمالا وجود له الا فى اذهانهم. و سيرون عاقبة هذا ((يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ اِلاَّ مَنْ اَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ* الشعراء :٨٨-٨٩))

لو سمعوا لى

ولو سمع لى هؤلاء الناس لقلت لهم اقلعوا عن هذه الظنون الكاذبة و تطهروا من تلك الخيالات الخاطئة و تورعوا عن احكامكم التى تصدرونها على المؤمنين كل يوم بدون عقل ولا رو ية فانكم ترتبون على تلك الظنون و هاتيك الاحكام آثارا هى منتهى البشاعة و الفظاعة فان من يحكم بالشرك على واحد لايرى حرجا فى قتله واراقه دمة تقربا الى الله تعالى و هذا ما انتم عليه و يراه العالم كله منهم فانكم ما دخلتم جهة من الجهاة الافتكتم فتك الجبابرة. و بطشتم بطش من لايعرف الشفقة ولاالرحمة. و من رآكم و انتم تذبحون عباد الله المؤمنين الموحدين جزم كل الجزم انكم تتلذذون بقتلهم و ترتاحون لابادتهم. ولا يخيل له انكم لو امكنكم ان تطهروا المعمورة من اثار المؤمنين لفعلتم فرحين مسرورين لا ترون اى باس فى استحلال فروجهم و اموالهم ظانين انكم بهذا كله تنتصرون للتوحيد على الوثنية و الوثنيين. انى انصحكم ثم انصحكم وليس على الا ذلك. ان تثوبوا الى رشدكم و تفكروا فى عاقبة ما انتم عليه وترجعوا الى ما قاله العلماء فى الحكم بالكفر فانكم تجدونهم شددوا فى ذلك كل التشديد حتى صرحوا ان العالم لايجوز له ان يقدم على الحكم بكفر مؤمن الا اذا سد فى وجهه كل باب يمكن ان يصل منه الى ايمانه اما لو وجد بابا واحدا ذلك حاله فلا يجوز له ابدا ان يحكم عليه بالكفر مهما كثرت الابواب القاضية بتكفيره حملا لحال المؤمن على الصلاح و بعدا عن موبقه ان ذلق فيها الحاكم هوى على ام راسه هو يا آخره شقاء عظيم و هل رأيت بلاء يقع فيه الرجل المؤمن اعظم من ان يفتى بكفر مؤمن آخذا على عهدته انه من اهل الخلود الابدى فى النار غضب عليه ربه غضبا لايرضى

عنه بعده ابدا هذا فى الاخرة و احكام المرتد فى الدنيا تصورها فقط تدور له على الرؤس و تنقطع الاكباد اسى و حسرة على من تجرى و تنفذ فيه تلك الاحكام. ان هذا شىء عظيم ثم عظيم اذا تعلق بمؤمن واحد فكيف اذا تعلق بمئات و الاف و مئات الآف بل بالعالم الاسلامى كله فى اى جهة من جهات الدنيا.

لهذا كله اقول لكم و اشدد فى القول واجب عليكم وجوبا هو اكد الواجبات عليكم بعد الايمان ان لا تتعجلوا على المؤمنين فى احكامكم و راجعوهم وانظروا هل عندهم من موجبات الشرك شىء؟ و موجبات الشرك معروفة فان رايتم تلك الموجبات فاحكموا. و لن تجدوا ذلك فى اجهل المؤمنين و ان لم تجدوا. و هذا هو الواقع فامسكوا السنتكم و اغمدوا سيوفكم عن عباداللّه تعالى. ولا تؤاخذونى اذا قلت لكم. راجعوا موجبات الكفر فادرسوها درساً جيدا و اعرفوها معرفة لا تقل عن معرفتكم للشمس و انتم ترونها ليس دونها سحاب فانه ليس بلاء يصيب الانسان فى الدنيا و الآخرة الا واصله الجهل. فاقتلوا الجهل قتلا فى هذا الباب حتى اذا ما اصدرتم حكمكم على مؤمن بالكفر يكون حكما صحيحا و تحسنون الاحسان كله لو محوتم من الواح اذهانكم هذا الباب كله باب التكفير واراقة دماء المسلمين فانه اخطر شىء عليكم ولو انصفكم لغضبتم من انفسكم فى هذا الباب فانكم لا تقفون فى تكفيركم عباد الله تعالى الى حد عامة الناس التى قد يصدقكم الجاهل سوء الظن فى تكفيركم لهم. بل تتجاوزون ذلك الى الحكم على العلماء الاجلاء ورثة الانبياء و قادة الامة و مفزعها اذا دجت مشكلة فى اى درجة كانوا من العلم ولو كانوا شيوخ شيوخ الاسلام.

و موضع العجب ان الحكم بالكفر و قدره ما شرحنا يصدره اجهل واحد منكم على اى واحد من غيركم لايتوقف فى حكمه مهما كانت درجته فى الجهل و الانحطاط و درجة غيره فى العلم والارتقاء و متى اصدر حكمه هذا لا ترددون كلكم فى صدقه واصابته كبد الصواب.

و احب ان تقولوا لى، اذا كنتم تحكمون على علماء الاسلام بالكفر و هم المرجع

عند الاختلاف فما يفعل المسلمون معكم اذا اختلفتم معهم فى شىء؟ هل يتحاكمون الى علمائهم ام يتحاكمون اليكم فان قلنا انهم يتحاكمون الى علمائهم تذركنا انهم عندكم كافرون ولايجيز ان ينتدب الكافر كفر اشراك لان يكون حكما فان الحكم فى ارقى درجة والكافر كفر اشراك فى احط درجة.

و ان قلنا انهم يتحاكمون اليكم ولا مسلم على وجه الارض الاانتم فى نظركم. رأينا ان ذلك هو المتعين الذى لا ترضون غيره و النتيجة لهذا انكم تكونون الخصم و الحكم هذا تحديد موقفكم فاعرفوه. و يمكن للناظر هنا ان يظن انكم انما اصدرتم حكمكم حتى بكفر العلماء لتتخلصوا منهم فانهم هم الحكم المرضى الحكومة عند الناس و هم الذين تسمع لهم الامة ان حكموا لكم او عليكم فاذا ما وفقتم لان تفهموا الامة ان هؤلاء العلماء الذين تجلونهم كل الاجلال و ترجعون اليهم فى كل اموركم كافرون مشركون لايصح ان تسمع لهم كلمة ولايؤمنوا على حكم؟ فانكم بذلك تكونون نجحتم نجاحاً ليس بعده من نجاح و لكننى اوكد لكم انكم لايمكنكم بحال ان تصلوا من الامة الى ذلك الحال فاريحوا انفسكم و اسمعوا ما قدمت لكم من نصح.

هل تجوز زيارة القبور؟

هذا عنوان يتبادر الى ذهن القارئ منه ان هناك اناسا يخالفون فى جواز زيارة القبور. و انا اقول له انى لذلك وضعته. و ازيدك ان اولئك الناس الذين يخالفون فى جراز زيارة القبور يشددون فى تحريمها تشديدا عظيما و لذلك تراهم ينظرون الى من يجيز تلك الزيارة او يفعلها بعين الاحتقار و الازدراء و يسمونه (قبوريا) ولا تعجب اذا قلت لك انهم يمنعون الناس من زيارة القبور منعاً قهريا و يمدون ايديهم بالضرب المؤلم الى من لم يمتثل نهيهم.

لا اقول ذلك نقلا عن غيرى حتى يجد الشك سبيلا الى نفسك فيما انقله لك بل انا الذى انقله و نقلى عن حس. فلا يخطر ببالك اى شك فيه، و لعلك تجد واحدا غيرى و

اتنين و عشرة و مئات و آلافاً يوافقونی فی نقل ذلك اليك. و هذا جهل بالدين الى حد يجعل السامع به يعجب ان يكون فی الدنيا من المسلمين لليوم، من يصل جهله بدينه الى هذا الحد الذی ذكره و كتابته فضيحة من اكبر الفضائح لمن ينسب اليه و كيف لايكون فضيحة وهو جهل بمذاهب المسلمين كلها؟ فهی تجيز تلك الزيارة و تشرح للزائر آدابها و هو جهل كذلك بسنة رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم فانه صلی الله عليه وسلم زار القبور بنفسه و علّم اصحابه كيف يزورون القبور و كان منهم ذلك فی حياته الدنيوية صلی الله تعالی عليه وسلم.

اما زيارته هو صلی الله عليه وسلم فيدل عليها ما رواه مسلم عن ام المؤمنين السيدة عائشة رضی الله تعالی عنها انه صلی الله تعالی عليه وسلم اخبرها ان جبرئيل جائه فقال له ان ربك يأمرك ان تاتي أهل البقيع فتستغفر لهم و انه صلی الله تعالی عليه وسلم جاء البقيع فقام طويلا و اطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات و انها رضی الله تعالی عنها قالت له كيف اقول لهم؟ فقال (**قولی السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين و المسلمين و يرحم الله المستقدمين منا و المستأخرين و انا ان شاء الله بكم للاحقون**) بل روی مسلم عن امنا السيدة عائشة رضی الله تعالی عنها ان زيارة البقيع كانت عادة للنبی صلی الله تعالی عليه وسلم و هذا لفظها. كان رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم كلما كانت ليلتها من رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم يخرج من آخر الليل الی البقيع فيقول (**السّلام عليكم دار قوم مؤمنين و اتاكم ما توعدون غدا. مؤجّلون. و انا ان شاء الله بكم لاحقون. اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقد**).

و اما زيارة المؤمنين للقبور فی عهده صلی الله تعالی عليه وسلم و تعليمه لهم كيف يزورون فاسمع شيئا مما يدل علی ذلك. روی البخاری و مسلم حديث المرأة التی كانت تزور قبر صبی لها و تبكی، فلم ينهها صلی الله تعالی عليه وسلم عن زيارتها و انما قال لها (**اتقی الله واصبری**) و قال لها (**الصبر عند الصدمة الاولی**) وروی مسلم انه صلی الله تعالی عليه وسلم كان يعلم الصحابة اذا خرجوا الی المقابر فكان قائلهم يقول (**السّلام عليكم اهل الديار من المؤمنين و المسلمين و المسلمات وانا ان شاء الله بكم للاحقون. اسأل الله لنا و لكم العافية**).

نعم كان منهيا عن زيارة القبور فى صدر الاسلام و الناس قريبوا عهد بجاهليّة ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم و بفعله.

اما فعله فقد سمعته و اما قوله فهو (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزُورُوها**) رواه مسلم من حديث و رواه غيره و انا لاادرى ماذا يحصل للناس من الضرر فى زيارة القبور حتى يمنعها اولئك الناس ذلك المنع القاطعة و الذى اعلمه عن تلك الزيارة انها الدواء الذى لانظير له للقلوب التى قست ثم قست. و لهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تُرقّ القلب و تدمع العين و تذكر بالآخرة فزوروها ولا تقوا هُجراً**) رواه البيهقى. و قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**ولا تقوا هجرا**) **نهى عن آفة من آفة** زيارة القبور التى من اجلها لاتجوز الزيارة. و هذه الآفة اكثر ما تكون من النساء فان الواحدة منهن اذا رأت قبر ابنها او ابيها او اخيها او زوجها طيب المعاشرة هاجت عاطفتها. و عواطف النساء رقيقة و حينئذ يكون منها من انواع الجزع ما تهتز له السموات و لذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**لعن الله زوارات القبور**) رواه احمد و ابن ماجه و الحاكم.

و من آفات زيارة القبور ان الناس يخرجون اليها فى بعض الجهات بحالة تنافى الانسانية فيختلط الرجال بالنساء فى الطرق و على المقابر اختلاطاً لايرضاه عقل ولادين. و على المقابر يأكلون و يشربون و يتبرزون و ينامون و يفعلون ما يفعلون مما يستحى القلم عن تسطيره فالزيارات التى هذا حالها لا تجوز لهذا العارض لا لانها زيارات و على مثل هذه الزيارات يحمل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**لأن يجلس احدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من ان يجلس على قبر**) رواه مسلم.

و انّ لم نفهم لزم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و اصحابه ما كانوا عاملين بمثل ذلك الحديث الناهى عن الجلوس على القبور. و ذلك ان سيّدنا مالكا رضى الله تعالى عنه روى فى موطئه ان سيدنا علياً رضى الله تعالى عنه و كرّم وجهه كان يتوسد القبور و يضطجع عليها ومعروف من هو سيدنا على علماً و ديناً.

و روى البخارى عن سيدنا خارجة بن زيد انه قال رأيتنى و نحن شبان فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه و ان اشدنا و ثبة الذى يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه. و قال عثمان بن حكيم اخذ بيدى خارجة فاجلسنى على قبر و اخبرنى عن عمه يزيد بن ثابت انه قال انما كره ذلك الجلوس على القبر لمن احدث عليه و قال نافع كان ابن عمر رضى الله تعالى عنه يجلس على القبور. روى كل هذا البخارى و منه يعلم القارئ ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يفهمون ان النهى عن الجلوس على القبور كان مقيدا بجلوس خاص بل ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه جلس بنفسه على القبور. وقد روى سيدنا انس رضى الله عنه انه قال شهدنا دفن عمّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على القبر. و روى الطبرانى فى (الكبير) و (الاوسط) جلوس رسول الله صلى الله عليه و سلم على قبر سعد بن معاذ يوم دفن. و روى الطحاوى[1] بسند صحيح عن سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قال انما نهى النبى صلى الله عليه و سلم عن الجلوس على القبور لحدث غائط او بول.

و بعد فانا نقول لاولئك الذين يمنعون زيارة القبور نرجوكم ان تقرؤا هذا فقط لتروا بانفسكم انكم فى واد ودين الاسلام فى واد آخر و لعلكم اذا رأيتموه اقلعتم عما انتم عليه ولا نظن بكم الا ذلك بعد ان تروا ان رسولنا صلى الله عليه و سلم امام الجميع زار القبور. و كانت زيارتها عادته و زارها اصحابه فى حياته و هو بنفسه علمهم كيف يزورونها و تبعهم على ذلك كل هذه الامة من عهدهم الى اليوم و هذه كتب العلماء حنفية و مالكية و شافعية و حنبلية و غيرهم بها بيان تلك الزيارة و كذلك دواوين السنة النبوية مفهمة ببيان جوازها و الندب اليها و كيف تكون و من رأى كل هذا ثم انكره و لم يعجبه فلا حيلة لنا فيه و امره الى ربه و الله تعالى اعلم.

---

(١) احمد الطحاوي الحنفي توفي سنة ٣٢١ هـ. [٩٣٣ م.] في مصر

هل فى القبر عذاب و نعيم؟

انكر عذاب القبر و نعيمه اناس ينتسبون الى الاسلام و قد برهنوا بانكارهم هذا على جهل فاحش بدينهم فان الكتاب و السنة ناطقان بما يكون فى القبر من نعيم و عذاب نطقاً لا يجرأ على انكاره مسلم و اليك البيان.

قال ربنا عز و جل فى كتابه (اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَ عَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوآ اٰلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ* المؤمن: ٤٦) اَفَهَمْتَنَا هذه الاية ان فرعون و قومه يعرضون على النار غدواً و عشيا و هذا العرض لا يخلو اما ان يكون فى الدنيا او القبر او فى الاٰخرة اما فى الدنيا فلم يكن ذلك قطعا و اما فى الاٰخرة فالاٰية تقول بصراحة تبين حالهم هناك (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوآ اٰلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ* غافر: ٤٦) فاذن هذا العرض ليس فى الآخرة و اذا انتفى ان يكون فى الدنيا و الآخرة تعين ان يكون فى القبر هذا دليل الكتاب على ما نقول.

و اما السنة الصحيحة فورد منها شيء كثير يدل على ذلك المعنى فقد روى الشيخان البخارى و مسلم و النسائى[1] ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بعد ما غربت الشمس فسمع صوتا فقال (يهود تعذب فى قبرها).

و روى (النسائى) و (مسلم) و اللفظ له انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر).

و روى (الشيخان) و (الترمذى) و (النسائى) و (ابو داود) انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرّ على قبرين فقال (انهما ليعذّبان و ما يعذبان فى كبير) اى فى نظر الناس (اما احدهما فكان يمشى بالنميمة و اما الآخر فكان لايستتر من بوله) ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين. فغرس على هذا واحدا و على هذا واحدا ثم قال (لعله يخفف عنهما مالم ييبسا).

و روى (الترمذى) عن هانئ مولى سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنهما ان سيدنا

---

(١) احمد النسائي توفي سنة ٣٠٣ هـ. [٩١٥ م.] في رملة

عثمان رضی الله تعالی عنه کان اذا وقف علی قبر بکی حتی تبل لحیته قیل له اتذکر الجنة و النار ولا تبکی و تذکر القبر فتبکی فقال انی سمعت رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم یقول (**القبر اول منزل من منازل الاخرة فان نجا منه فما بعده ایسر منه و ان لم ینج منه فما بعده اشد منه.**) قال و سمعته صلی الله تعالی علیه وسلم یقول (**ما رأیت منظرا قط الا و القبر افظع منه**) قال هانیء و سمعته ینشد علی قبر).

بیت:

فان تنج منها تنج من ذی عظیمة * و الا فانی لا اخالك ناجیا

و روی (البخاری) و (مسلم) و (ابو داود) و (النسائی) انه صلی الله تعالی علیه وسلم قال (**ان العبد اذا وضع فی قبره و تولی عنه اصحابه انه لیسمع خفق قرع نعالهم اذا انصرفوا عنه اتاه ملکان فیقعدانه فیقولان له ما کنت تقول فی هذا الرجل محمدا؟ فاما المؤمن فیقول اشهد انه عبد الله و رسوله فیقال له انظر الی مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا فی الجنه فیراهما جمیعاً. و اما الکافر و المنافق فیقول لاادری کنت اقول ما یقول الناس فیه فیقال لادریتَ ولا تلیتَ ثم یضرب مطرقة من حدید ضربة بین اذنیه فیصیح صیحة یسمعها من یلیه الاالثقلین.**) و هذا الحدیث یثبت شیئا اخر غیر مقصود الترجمة و هو سؤال القبر.

و ورد فی احادیث اخری السؤال عن ربنا عز و جل و دیننا زیادة عن السؤال عن نبینا و هذا السؤال هو فتنة القبر الذی فیه یقول الله تعالی (**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ * ابراهیم :۲۷**) و فی هذا القدر کفایة و فوق الکفایة للمسلم الذی یرید الوصول الی الحق من طریقه و الله الموفق.

هل تجوز زیارة نبینا صلی الله تعالی علیه وسلم؟

لعل القارئ الکریم ینزعج لرؤیته هذه الترجمة و یقول ماذا جری حتی تفرد زیارته صلی الله تعالی علیه وسلم بترجمة خاصة و انت فیما سبق برهنت بالادلة القاطعة علی ان

زيارة اى منتقل من هذه الدار جائزة بل مندوب اليها ومرغوب فيها؟ هل هناك قيد يخرجه صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك الاطلاق و يجعل زيارته وحده غير مندوب اليها ولا مرغوب فيها؟.

فاقول لك رويدا يا اخى اعذرنى فى افراد هذا البحث بترجمة خاصة فان اولئك الناس الذين عنهم حكينا فيما سبق منع زيارة القبور منعوا زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم و اختصوها فى المنع بتشديد شديد جدا. جعلهم يستبيحون مقاتلة زائريه صلى الله تعالى عليه وسلم و صنفوا فى هذه المسئلة بعينها مصنفات و اصدروا فتاوى تفهم اهل الاسلام ان شد الرحال الى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم لايجوز. اما لو شد المؤمن رحله الى زيارة مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم للصلوة فيه فذلك جائز و دليلهم الوحيد الذى هذبوه فى كل مصنفاتهم و فتاويهم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تشد الرّحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدى هذا، و المسجد الاقصى) رواه الشيخان (البخارى و مسلم) و غيرهما. و انى اعجب ثم اعجب ان يفهم ذو عقل منع زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الحديث مع فهم جواز شد الرحال الى المدينة المنورة بانواره صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل الصّلاة فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم و انما عجبت ثم عجبت من ذلك الفهم لان المدينة المنورة بانواره صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان لها اى قيمة بين البلاد قبل هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم اليها. و هذا المسجد الكريم مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم لولا اضافته اليه عليه الصلوة و السلام لكان ككل المساجد لا فضل له على اى مسجد من مساجد الدنيا. فالمسجد انما عظم هذه العظمة و صارت الصلاة فيه بالف صلاة فى سواه هذه المساجد لانه المسجد الذى اختاره صلى الله تعالى عليه وسلم و بناه و الذى يشرفه بالصلوة فيه و الذى كانت تهمى فيه الرحمات و البركات لخطوته بحلول شخصه الكريم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم.

و اذا كان الامر هكذا فهل من المعقول ان يقال ان هذا المسجد له بركات تعود على المسافر اليه فلهذا يجوز شد الرحال اليه. و اما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ما عظم المسجد الا بنسبة اليه فلا بركة فيه تعود الى زائريه و اذن لايجوز ان تشد الرحال

الى زيارته ان هذا انما يقوله المجانين الذين لا يَعُونَ ما يقولون او يقوله عدو الاسلام و رسول الاسلام و اما المؤمنون الذى له حظ من العقل فلا يمكن ان يخطر بباله هذا المعنى السخيف. و الحديث الذى يستند اليه لاولئك الذين يريدون ان يحولوا بينه صلى الله تعالى عليه وسلم و بين امته فى ناحيته و مايذهبون اليه فى ناحية اخرى. فانه يتكلم عن المساجد خاصة يقول للناس انتم عقلاء يجب ان تصان اعمالكم عن العبث الذى لا فائدة فيه. فاوصيكم ان لا تسافروا و تتحملوا متاعب السفر و مشاقه من اجل ان تصلوا بمسجد من مساجد الدنيا فاهمين ان له فضلا على غيره لا تفعلوا ذلك فانكم تتعبون فى سفركم بلا فائدة تعود عليكم. لان المساجد كلها فى مستوى واحد لا فضل لبعضها على بعض لكن لا تفهموا ان ذلك على عمومه بل فى الدنيا مساجد ثلاثة لها ميزة على غيرها من المساجد، المسجد الحرام بمكة، و المسجد النبوى بالمدينة المنورة، و المسجد الاقصى بالقدس. هذه المساجد وحدها لو شددتم الرحال اليها لا يضيع تعبكم بل يعود عليكم من الثواب بمضاعفة ثواب الصلاة فيها ما يوازى تعبكم و زيادة.

و انما امتازت هذه المساجد الثلاثة لان المسجد الحرام امر ببنائه فبناه سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام و كان يساعده فى بنائه سيدنا اسمٰعيل عليه السلام ثم هو بجوار بيت الله الحرام قبلة العالمين. فلذلك البناء وهذا الجوار العالى نال من الشرف ما جعل الصلاة فيه مائة الف صلاة فيما سواه من المساجد.

و اما مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعظمته لما قدمنا ثم هو بجوار بيته صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يشك مؤمن فى ان بيته صلى الله تعالى عليه وسلم مهما على شرفه و عظم قدره لايصل ابدا الى شرف بيت رب العالمين. لهذا كانت الصلاة فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بالف صلاة فيما سواه ليشير التفاوت فى عظم الثواب الى التفاوت فى شرف الجوار.

و لان المسجد الاقصى بناه سيدنا يعقوب عليه السلام بعد ان بنى المسجد الحرام جده سيدنا ابراهيم عليه السلام باربعين سنة كما جاء فى حديث ورد ان الذى ابتدأ بنائه سيدنا دواد عليه السلام و اتمه سيدنا سليمان عليه السلام وهو غير معقول بالنسبة للمسافة

التى بينهما. و الحديث بها متفق عليه و يمكن ان يكون الذى كان منهما عليه السلام تجديداً. ثم كان هذا المسجد مصلى انبياء بنى اسرائيل عليهم السلام و كان بجوار بيوتهم و بجوار روضاتهم التى هم بها بعد انتقالهم الى الرفيق الاعلى عليهم السلام و لايخفى ان جوار الانبياء و ان كان رفيع القدر عظيما لايصل الى درجة كرم جواره صلى الله تعالى عليه وسلم. لهذا كانت الصلاة فى المسجد الاقصى بخمسمائة صلاة فيما سواه من المساجد كما ورد. هذا التجديد فى الكل بحديث رواه البيهقى فى (شعب الايمان).

هذا ما يستطيع الانسان ان يفهمه من السر فى التفاوت بين هذه المساجد الثلاثة و بين غيرها و فى تفاوت الثواب بينها هى.

و لنعد الى الكلام مع المانعين زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم فنقول لو فهمنا ان النهى عن شد الرحال فى الحديث المذكور عام فى كل سفر الا السفر الى هذه المساجد للزم انه صلى الله تعالى عليه وسلم و هو الذى نطق بهذا الحديث و عليه انزل ما كان فاهما له او كان يفهمه و لكنه ما عمل بمقتضاه و بقى غير معمول به او غير مفهوم حتى جاء هؤلاء و فهموه و عملوا به. ذلك انه صلى الله عليه و سلم كان يسافر للجهاد و يأمر بالسفر له و بالسفر لتعليم العلم و تبليغ الشريعة و بالسفر للقضاء بين الناس و اقامة العدل بينهم و هى اسفار لم تكن الى هذه المساجد بل الى غيرها. و كان اصحابه رضى الله عنهم يسافرون للتجارة و الى ما يهمهم من شؤون الدنيا فى اى ناحية من نواحى الارض و هو صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم ذلك و يقره ولا ينكر عليه بل شد الرحال اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو موضوع النزاع كان فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فان الوفود كانت تفد اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من انحاء الارض مسافرين له لم يبعثهم على ذلك الا حب لقائه صلى الله تعالى عليه وسلم يرى هذا و يقره بل و يحرص عليه بما كان يثبت به تلك الوفود من الجوائز التى كان يمنحهم بها وهو الآن فى روضته الشريفة مثله وهو حى تماما كما برهنا على ذلك سابقا فزيارته الآن لا تختلف ابدا عن زيارته قبل ان ينتقل الى الرفيق الاعلى و نبه هو صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك فى قوله (من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكانما زارنى فى حياتى) رواه الدارقطنى فى سننه و البيهقى و ابن عساكر و

الطبرانى فى (معجميه الكبير) و (الاوسط).

و ليس ما تقدم هو الذى يلزم على فهمنا ذلك الحديث كما يفهمه اولئك الناس بل يلزم كذلك ان نحبس انفسنا فى الدوائر التى نحن مقيمون بها حبساً لا مخرج منه ابدا لانا ان خرجنا منها فقد سافرنا الى غير المساجد الثلاثة و يلزم كذلك ان لا يجوز لنا السير فى الارض للاعتبار والعظة وقد امرنا ربنا عز و جل بهذا السير فى كتابه وحرضنا عليه فى غير آية من كتابه فهل يتناقض ربنا العليم الخبير فيامر بالسير فى الارض بكتابه و ينهانا عنه فى سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

و يلزم ايضا ان لانسافر لصلة ارحامنا اذا كانوا بجهات بعيدة وقد امرنا ربنا بهذه الصلة و شدد علينا فيها. و وعد من يقوم بها ان يصله و توعد من اخل بها ان يقطعه.

و يلزم كذلك ان يكون علماء الاسلام من اول هذه الامة الى اليوم فى خطإ عظيم حيث انهم يعقدون فى كتبهم الدينية الابواب و الفصول يذكرون فيها زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم ما يتعلق بها من ترغيب فيها و من آداب ينبغى ان تراعى فى القيام بها. و هل يسمح عاقل ان يلتزم كل تلك اللوازم الشنيعة من اجل كلمة فلتت من رجل عاش فى سخط الامة و مات فى سخطها مبعداً بالسجن عن الناس لئلا يطير شرره عليهم و وصل سخطه علماء عصره عليه الى درجة ان ضللوه و فسقوه و بدّعوه و حكم بعضهم عليه بالكفر و الخروج من الملة الاسلاميّة. بل كفّر بعضهم من يطلق عليه لقب شيخ الاسلام و الف هذا فى ذلك ما ابان به وجهة نظره فهل رجل ذلك حاله يصح ان يلتفت اليه فضلا عن ان يحترم الى درجة ان يقلد فيما يذهب اليه.

ولو رأى القارئ ما اثبته عليه علماء عصره من الكذب و التدليس فى النقول حتى الاحاديث ليؤيد ما يريد ان يذهب اليه. ولو رأى ان بعضهم اثبت عليه عقائد تتعلق بخالق السموات و الارض فى غاية الشفاعة لفرّ هارباً واضعا يده على رأسه مستعيذا بالله تعالى من غضبه و انتقامه هذا هو الرجل الذى افتتن به الناس اليوم لحد انهم عادوا اهل الاسلام من اجله و نبذوا مذاهب ائمة الاسلام و هداة الخلق لمذهبه.

و انی بما احمل من لقب عالم اسلامی آمر و اشدد فی الامر کل مؤمن ان یشتد رحله الی زیارته صلی الله تعالی علیه وسلم ونه علی ذلك ما قاله هو علیه الصلوة و السلام فقد قال صلی الله تعالی علیه وسلم **(من زار قبری وجبت له شفاعتی)** رواه الدارقطنی و البیهقی و غیرهما.

و قال **(من جاءنی زائرا لایعلمه حاجة الا زیارتی کان حقاً عَلَیَّ ان اکون له شفیعاً یوم القیمة)** رواه الطبرانی فی (معجمه الکبیر). و الدارقطنی[١] فی (امالیه) و ابن المقری[٢] فی (معجمه) و غیرهم.

و قال **(من زارنی متعمّداً کان فی جواری یوم القیامة)** رواه العقیلی[٣] و غیره. وهو شیٔ لایسمعه مؤمن و یهدأ له بالٌ حتی یتشرف بالمثول بین یدیه صلی الله تعالی علیه وسلم و هل بی جنون حتی اصدر امری للمؤمنین ان لایزوروا رسولهم و ولی نعمتهم الذی له فی عنق کل مؤمن منة محال ان یقوم بشکرها؟ و من یستطیع ان یکافیٔ من اخرجه من نار ابدیة الی نعیم ابدی. ان من یامر الناس ان لایزوروا سید الوجود وصفوة الخلق لایدری ماذا یفعل انه یحول بین عبادالله و بین رحمة الله فانه صلی الله تعالی علیه وسلم رحمة الله للعالمین فلیعرف ذلك، اولئك المانعون لیعلموا فی ای موقف هم؟

و انی احب ان یعلم القاریٔ المؤمن ان الاجماع علی طلب زیارته صلی الله تعالی علیه وسلم طلبا اکیدا لم یخالف فی ذلك لاعالم ولاجاهل ولا اسود ولاابیض ولارجل ولاامرأة. بل صرح بعض هداة الامة ان هذه الزیارة واجبة فرارا من الجفاء الذی رمی به صلی الله تعالی علیه وسلم من لم یزره فانه قال علیه الصلوة و السلام فیما رواه ابن النجار **(من لم یزرنی فقد جفانی)** قال **(ما من احد من امتی له سعة ثم لم یزرنی فلیس له عذر)** و هذا شیٔ یخیف اهل الایمان.

نعم لم یر الناس و لم یسمعوا من عهده صلی الله تعالی علیه وسلم لهذا العهد الذی نحن فیه الآن احدا یخالف فی طلب هذه الزیارة الکریمة، الا هذا الرجل الذی نشیر

---

(١) علي الدارقطني توفي سنة ٣٨٥ هـ. [٩٩٥ م.]

(٢) ابن المقري احمد المالكي توفي سنة ١٠٤١ هـ. [١٦٣١ م.] في مصر

(٣) محمد العُقيلي محدث الحرمين توفي سنة ٣٢٢ هـ. [٩٣٤ م.]

اليه و من اغتر به من عصره لليوم وهم افراد يعدون على الاصابع بين امة باسرها تعد بمئات الملايين عندهم هذه الزيارة بعد الحج الذى هو احد اركان الاسلام. و ليفهم القارئ معنى هذا اللفظ الضخم بعد الحج و لو كان لهؤلاء المانعين عقل و روية لسكتوا عن الجهر بهذه الشنيعة وهم يرون عباد الله تعالى بالآلاف و الملايين تبعثهم الاشواق المقلقلة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيتركون اوطانهم واحبابهم و اموالهم يتابعون المسير ليلا و نهارا يبتهلون الى ربهم ان يطيل آجالهم حتى يصلوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا وصلوا فلا تسأل عن مبلغ ما يقوم بهم من مسرات ثم مسرات فان ذلك شيء انما يعلمه العليم الخبير. و من قرأ عبارات العشاق لذلك المقام الكريم عرف ان المؤمنين فى عالم و هؤلاء المانعين فى عالم آخر. ولو دنا القارئ ممن تشرف بذلك المقام فى طريق ايابه الى بلاده حيث يلقى الاحباب و الابناء و الاوطان والاموال بسمع انات تتلوها آنات و زفرات تتصاعد اثر زفرات حنينا الى الرجوع ثم الرجوع الى ذلك المقام الرفيع مقام اجل عبد رآه هذا الوجود. مقام الشفيع المشفع احب خلق الله الى الله. و اوجه اهل الوجاهة عنده تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم و رزقنا زيارته مرات ثم مرات فى عفو و عافية اللهم آمين.

تعالى ربّنا ان يكون جسماً

قال الله تعالى وهو اصدق القائلين (... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ * الآية. الشورى : ١١) ذلك قوله تعالى عن نفسه فى كتابه الكريم وهو فى نفى عام ينطق فى صراحة ليس بعدها صراحة انه تعالى لايشبهه شئ ولايشبه هو تعالى شيئا من هذا العالم علوية و سفلية. هكذا وصف ربنا نفسه وهو وحده الذى يعلم حقيقة نفسه فهو وحده الذى يعلم كيف يصفها وليس لاحد كائنا من كان ان يستقل بوصفه علت كلمته ولو كان نبيًّا مرسلا او ملكا مقربا. فان بيننا معشر الخلق، و بينه عز و جل التباين التام هو قديم و نحن حادثون وهو خالق و نحن مخلوقون.فلو كان مثلنا لكان مخلوقا مثلنا او كنا خالقين مثله و هذا باطل اذن لاصلة بيننا و بينه تعالى يمكن معها لاى مخلوق ان يحيط علماً به عز و جل حتى يصفه باى وصف. اذن هو عز و جل منزه عن المادة و كل خصائص المادة. و من هنا اخذ القول المعروف (كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك) اذن العقول معقولة عقلا تاما عن ان

تحوم حول هذا الحمى المقدس باكثر مما وصف تعالى به نفسه الذى منه قوله تعالى (...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ * الشورى :١١) هذا اصل قاطع لا نزاع فيه يرجع اليه كل نص جاء فى شريعتنا يوهم ظاهره خلاف ذلك.

اذن للاستواء فى قوله تعالى (اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى * طه: ٥) معنى ما يناسب ربنا عز و جل خلاف ما يوهمه ظاهرا للفظ وهو مما لاخلاف فيه بين ائمة الهدى من اول هذه الامة الى اليوم.

و هاك امثلة تفهم منها كيف يقول فى هذا اولئك الهداة رضى الله تعالى عنهم عن امنا الجليلة السيدة ام سلمة رضى الله تعالى عنها انها قالت فى هذا الاستواء (الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والاقرار به ايمان، و الجحود به كفر) رواه ابن مردو يه واللالكائى.

و قال فيه سيدنا ربيعة بن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه: (الاستواء غير مجهول و الكيف غير معقول و من الله الرسالة و على الرسول البلاغ و علينا الصدق) رواه اللالكائى.

و قال فيه تلميذه الامام مالك بن انس رضى الله تعالى عنه استوى كما وصف نفسه ولايقال له كيف. و كيف عنه مرفوع و قال للسائل عن ذلك و انت رجل سوء، صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل رواه البيهقى.

و اذا كان سيدنا مالك رضى الله تعالى عنه يرى السّائل عن هذا مبتدعاً ولا يتردد فى الحكم على مجرد سؤاله هذا بانه بدعة من اجلها يهان الرجل و يطرد من مجلس العلم الذى لايطرد منه مسترشد؟

فماذا يظن القارئ به رضى الله تعالى عنه اذا رأى قوماً لايسألون فقط عن كيفية هذا الاستواء؟ بل يتهجمون بكل جرأة على شرحها و بيان معناها ليس ذلك لانفسهم خاصة فكان يرمون الامر بل يتجاوزونها الى غيرهم. ولا يقتصرون فى بيان ذلك الكيف على ألسنتهم تشرح ذلك لكل من يظفرون به من الامة بل تعدوا ذلك الى بيانه باقلامهم

ليبقى بعدهم ما بقيت الدنيا فكتبوا كتبا ملئوا الارض بها كلاما و عينوا فيها هذا الكيف كل التعيين فقالوا ان ربنا عز و جل له العلو من جميع الوجوه فعينوا له تعالى جهة و الذى له جهة له مكان قطعاً و عينوا هذه الجهة و ذلك المكان فقالوا انه على العرش بذاته و لئلا يخطر على البال معنى يؤول هذا تاويلا يليق به عز و جل قالوا ان العرش يئط و يصوت حقيقة به تعالى كما يئط و يصوت الرحل تحت الراكب المستعجل و لم يكفهم كل هذا فى بيان غرضهم بل جنوا و قالوا ان ربنا تعالى يدنى نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيام و يقعده بجانبه على العرش. الى هذا الحد وصل هؤلاء الناس فى شرح كيفية هذا الأستواء الذى اتفق ائمة الهدى انه غير معقول وكيف يعقل هذا الاستواء مع قوله تعالى (...**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴿﴾).

ولو انا نزلنا انفسنا من هؤلاء الناس منزلة سيدنا مالك من سائله ما وجدنا كلمة تؤدى ما فى نفوسنا من ناحيتهم ولولا انا بصدد رد مقالتهم هذه ما استجزنا لانفسنا ان نحكيها وصفا لربنا و ولى نعمتنا فى الدنيا والآخرة و لكنه مقام البيان يخرج الى مثل هذه المضائق.

ولقد الف احد ائمة هؤلاء الناس قصيدة طويلة عريضة تعد بالآلاف احد عناوينها (فصل فى الرد على الجهمية المعطلة القائلين بانه ليس على العرش آله يعبد ولا فوق السموات آله يركع له و يسجد) هذا العنوان فقط من التفت اليه فهم منه ان الرجل فى غضب شديد على معتقدى تنزيه الله تعالى عن حلوله على العرش بذاته. ولا يرى ازاء هذا الا ان يرد عليهم و يفهمهم ان الخالق المعبود فوق العرش بذاته و يابى ان يذكرهم الا بوصفين وصف الجهمية و وصف المعطلة.

اما الجهمية فنسبة الى جهم بن صفوان[1] الذى قال عنه هذا الرجل فى نونيته هذه ما لايقال ولا يعاد وهو تلميذ الجعد بن درهم الذى ضحى به احد الولاة فى آخر دولة بنى امية خطب هذا الوالى يوم العيد الاكبر و بعد ان انتهى من خطبته قال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم و الى مضح بالجعد بن درهم ثم نزل فذبحه متقربا الى الله تعالى بتطهير الارض منه.

---

(١) جَهْم بن صفوان السمرقندي قتل سنة ١٢٨ هـ. [٧٤٥ م.] في خراسان

و اما المعطلة فيعنى بهم من لا يوافقونه فى عقيدة ان ربنا جسم قاعد على العرش بذاته فعطلوه باعتقادهم هذا من هذا الوصف مع انه موصوف به كما يزعمون. هذا حكم هذا الرجل على مخالفيه فى طالعة عنوان واحد من عناو ينه الكثيرة. و معنى هذا ان الامة باسرها جهمية و معطلة فى هذه العقيدة، مع انها عقيدة المسلمين فى كل عصر.

بل غلا هؤلاء الناس ثم غلوا فى حكمهم على من خالفهم حتى حكموا عليهم بالشرك بل جعلوهم شرا من المشركين و لسنا نقول هذا دعاوى مجردة، بل نقولها معها ادلتها التى لا تقبل طعنا و كلها من نونية هذا الرجل و اسمع ما يقول.

شعر:

والفوق وصف ثابت بالذات من * كل الوجوه لفاطر الاكوان
لكن نفاه الفوق ما دافوا به * جحدوا كمال الفوق للديان
بل فسروه بان قدرالله اع * لى لابفوق الذات للرّحمن

واسمع:

ان العلو له بمطلقه على التـ * ..ـعميم و الاطلاق بالبرهان
له العلو من الوجوه جميعها * ذاتا و قهرا مع علو الشان

واسمع:

الله فوق العرش فوق سمائه * سبحان ذى الملكوت و السلطان
ولعرشه منه اطيط مثل ما * قد اط رحل الراكب العجلان

واسمع:

بل عطلوا منه السموات العلى * و العرش اخلوه من الرحمن

و اسمع ما يقوله : لسان المنزه يلوم المجسم على اعتقاده ذلك

و زعمت ان محمدا يوم اللقا * يدنيه رب العرش بالرضوان

حتى يرى المختار حقا قاعدا ★ معه على العرش الرفيع الشان
و زعمت ان لعرشه اطأ به ★ كالرحل اط براكب عجلان

و اسمع ما استحسنه فى كتاب آخر له و انشده وهو:

فلا تنكروا انه قاعد ★ ولا تنكروا انه يقعده.

اى اعترفوا ايها الناس و اعتقدوا اعتقادا لايشربه انكار ان ربنا قاعد على العرش و انه يقعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بجانبه يوم القيمة. و اسمع:

و اعلم بان الشرك و التعطيل مذ ★ كاناهما لاشك مصطحبان
ابدا فكل معطل هو مشرك ★ حتما و هذا واضح التبيان

واسمع ما هو اشد:

لكن اخو التعطيل شر من اخى الـ ★ إشراك بالمعقول و البرهان

و اسمع ما يتضمن ان ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه يوافقه على الحكم بالكفر على كل من ينزه ربه عن ان يكون جسما قاعدا على العرش، قال:

و كذلك النعمان قال و بعده ★ يعقوب والالفاظ للنعمان
من لم يقر بعرشه سبحانه ★ فوق السماء و فوق كل مكان
و يقر ان الله فوق العرش لا ★ يخفى عليه هواجس الاذهان
فهو الذى لاشك فى تكفيره ★ لله درك من امام زمان
هذا الذى فى الفقه الاكبر عندهم ★ وله شروح عدة لبيان

و لقد عجبت و طال عجبى لما رأيت هذا مسندا الى هذا الامام الاعظم فى كتابه الفقه الاكبر و راجعت هذا الكتاب من اوله الى آخره فلم ار فيه اشارة الى هذا القول و الذى وجدته فيه يناقض هذا النقل كل المناقضة و هذا ما يقوله رضى الله تعالى عنه فى ذلك الكتاب عن ربنا عز و جل لاحد له و لاضد له ولاند له و لامثل له له يد و وجه و

نفس فما ذكر فى القرآن من ذكر الوجه و اليد و النفس فهو له صفات بلا كيف. و لايقال ان يده قدرته او نعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف و غضبه ورضاه صفتان من صفات بلا كيف.

هذا كلام الامام فى هذا المقام وهو ناطق بانه رضى الله تعالى عنه كبقية السلف فى الايمان بالمتشابه دون تعيين كيف بل اول كلمة من هذا الكلام ترد على هذا الرجل اكبر ردّ فانه رضى الله عنه يقول لا حدّ له و هذا الرجل يحدده تعالى ثم يحدده و اين هذا من هذا؟ فهذا الرجل رغم دعواه الامامة و الاجتهاد المطلق يروج بدعته هذه بالكذب على الامام ابى حنيفة رضى الله عنه. و هذا الفقه الاكبر بين ايدينا فليراجعه من شاء و غير غريب ان يكذب هذا الرجل فانه مبتدع داعية الى بدعته غال فيها كل الغلو و كل مبتدع هذا شأنه لايتوقى الكذب لينصر بدعته كما قرره العلماء رضى الله عنهم.

تركت متن الفقه الاكبر الذى احالنا عليه و اخذت اقلب فى صحائف شرحه للملا على القارى لَعَلّىَ اعثر على هذه المقالة، و بعد تعب كثير عثرت عليها و معها الحكم عليها بالكذب و لم اعثر عليها الابعد ان انتهى المتن و ما يتعلق به و جدتها فى اوائل المسائل التى الحقها الشارح بشرح الكتاب و هذا ما عثرت عليه.

قال رحمه الله و ما روى عن ابى مطيع البلخى[١] رحمه الله انه سأل ابا حنيفة رحمة الله عليه عمن قال لا اعرف ربى فى السماء هو ام فى الارض فقال قد كفر لان الله تعالى يقول (الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۞ طه :٥) و عرشه فوق سبع سمواته قلت فان قال انه على العرش ولا ادرى العرش فى السماء ام فى الارض؟ قال هو كافر لانه انكر كونه فى السماء فمن انكر كونه فى السماء فقد كفر، لان الله تعالى فى اعلى عليين وهو يدعى من اعلى لامن اسفل انتهى.

و الجواب انه ذكر الشيخ الامام ابن عبد السلام[٢] فى كتابه حل الرموز انه قال الامام ابو حنيفة رحمة الله عليه من قال لا اعرف الله قال:تعالى فى السماء هو ام فى الارض كفر،لان هذا القول يوهم ان للحق مكانا و من توهم ان للحق مكانا فهو مشبّه انتهى. ولاشك ان ابن عبد السلام من اجلّ العلماء و اوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لاعلى ما

(١) حكم ابومطيع البلخي الحنفي توفي سنة ١٩٩ هـ. [٨١٤ م.] في بلخ

(٢) عبد السلام بن محمد بن غانم المقدسي توفي سنة ٩٧٨ هـ. [١١٠٧ م.]

نقله الشارح شارح عقيدة الطحاوى مع ان ابا مطيع رجل و ضاع عند اهل الحديث كما صرح به غير واحد. هذا كلام العلامة ملا على القارى. و منه يعلم امور:

الامر الاول: ان تلك المقالة ليست فى الفقه الاكبر و انما نقلها عن ابى حنيفة رحمة الله عليه ناقل فيكون اسنادها الى الفقه الاكبر كذبا يراد به ترويج البدعة.

الامر الثاني: ان هذا الناقل مطعون فيه بانه وضاع كذاب لايحل الاعتماد عليه فى نقل يبنى عليه حكم فرعى فضلا عن اصلى فالاعتماد عليه. و حاله ما ذكر خيانة يريد الرجل بها ان يروج بدعته.

الامر الثالث: ان هذا النقل صرح امام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن ابى حنيفة رحمة الله عليه بالنقل الذى نقله عن هذا الامام الاعظم رضى الله تعالى عنه فاعتماد الكذاب واغفال الثقة خيانة يراد بها تأييد بدعته وهى جرائم تكفى واحدة منها فقط لان تسقط الرجل من عداد العدول العادلين لا اقول عن عداد العلماء او اكابر العلماء او الائمة المجتهدين و بعلم الامر اذا علمنا ان الخيانات الثلاث فى نقل واحد وهو مما يزعم الناظر فى كلام هذا الرجل على ان لايثق بنقل واحد ينقله. فانه لافرق بين نقل و نقل فاذا ثبتت خيانته فى هذا جاز ان تثبت فى غيره و غيره

اما الامام يعقوب الذى هو ابويوسف رحمة الله عليه صاحب الامام الاعظم رحمة الله عليه فلم اعثر له على كلام كهذا بعد البحث الطويل فلعله كذب آخر غير ما تقدم، بل لاشك فى انه كذب يروج به هذا الرجل بدعته و يجعل ابا يوسف كالامام من اسلافه فى اعتقاد هذا البلاء العظيم.

قد يقول قائل لعل الرجل لا يعلم حال ابى مطيع و لايكون اطلع على التكذيب؟ فاقول أمجتهد مطلق دونه كل مجتهد كما يدّعى هو و شيخه و كل مفتتن بهما ولا يعرف الكذابين الوضاعين ان ذلك ليس بمعقول كما انه ليس من المعقول ان يطالع الرجل شروح الفقه الاكبر دون ان يعرف مذهب الامام فى المتشابه و ذلك فى فاتحة الكتاب فاذا لم يكن رأى تكذيباً لهذا النقل الا ذلك لكفى. زد على ذلك ان العز ابن عبد السلام[1] قبل هذا

(١) عز الدين عبد العزيز عبد السلام الشافعي توفي سنة ٦٦٠ هـ. [١٢٦١ م]

الرجل بزمن و كتبه يتهافت عليها الصغير و الكبير لعلمه و فضله فلعدم اطلاع هذا الرجل على كلام المعز لا يرضاه هو لنفسه. و لا يرضاه له محبوه لانه يكون غفلة عما بين اليدين و هل يرضى لنفسه امام دونه كل امام فى نظر نفسه و نظر المغرورين به. و انا نناقش هؤلاء المساكين مناقشة هادئة ننظر هل يرضى العقل بهذه العقيدة؟ عقيدة ان ربنا عز و جل جالس على العرش بذاته. قديم عندكم ام حادث؟

فان قلتم حادث انقطع الكلام بيننا و بينكم من اول خطوة. فان الذي يعتقد حدوث الخالق لايخاطب و الكلام معه ضائع.

و ان قلتم انه قديم كما هو اعتقاد المسلمين و عليه الشرائع الألٓهية و العقلاء من اول الدنيا. انتقلنا الى سؤال آخر و هو أ قديم هذا العرش الذى فوقه ربنا القديم ام حادث.

فان قلتم انه قديم انتهى الكلام بيننا فى هذه الخطوة الثانية فانه لا خلاف بين الاديان كلها فى ان كل ما عدا ربنا حادث بما فى ذاك العرش.

و ان قلتم انه حادث قلنا لكم أكان ربنا القديم على هذا العرش الحادث قبل ان يوجد ام لا.

فان قلتم كان انتهى الكلام معكم فى هذه الخطوة الثالثة فان الذى لم يوجد تعالى ان يتصور العقل ان يكون محل كون و قرار عليه فان ذلك يقتضى انه موجود و الفرض انه معدوم.

و ان قلتم لا انتقلنا الى سؤال آخر و هو كيف استوى ربنا بذاته على العرش بعد ان وجد هذا العرش؟ هل تغير ربنا عما كان عليه قبل وجود العرش و بهذا التغير صار على العرش ام لم يتغير و مع ذلك صار على العرش؟

فان قلتم تغير حتى صار على العرش قلنا لكم معنى هذا انه تحرك و انتقل عما كان عليه حتى صار على العرش و معروف ان الحركات و السكنات من اخص خواص الاجسام، فعلى هذا يكون ربنا جسماً و اذن يكون حادثاً فان كل جسم حادث بلانزاع و

اذن يكون ليس بآله و المتفق عليه انه آله.

و ان قلتم لم يتغير و مع ذلك صار على العرش. قلنا هذا ليس بمعقول فانه قبل ان يخلق العرش ما كان على العرش قطعاً فاذا كان على ما كان عليه بعد وجود العرش لم يتغير كان معنى هذا انه ليس على العرش قطعاً. كما كان قبل وجود العرش و تناقض ان تقولوا انه على ما كان عليه و مع ذلك صار على العرش و الى هنا سدت جميع المنافذ فى وجوهكم و ظهر لكم انكم تقولون فى ربنا ما لا يقبله نقل و لا عقل.

فان التزمتم ذلك و تماديتم على مقالتكم هذه بالغنا فى بيان فساد ما انتم عليه و قلنا لكم اذا كان ربنا فوق العرش بذاته كما تزعمون فقولوا لنا أبينهما اتصال و تماس كما يتماس الجالس منا بمجلسه ام لا؟ فان قلتم لا كان عجيبا فان عبارتكم صريحة فى الاتصال و التمكن و المماسة فانكم تقولون فوقه بذاته و تقولون فوقه بذاته و تقولون قاعد او جالس او يجلس بجانبه غيره فاذا لم يكن مع هذا تماس و لا اتصال و لا تمكن فلا فوقية حينئذٍ و لا ذات و لا قعود و لا جلوس و لا اجلاس و بهذا تسجلون على انفسكم انكم تقولون ما لا تعقلون.

و ان قلتم نعم اثبتم على انفسكم اثباتا قاطعا انكم تقولون انه تعالى جسم فانه لا يتصل بالمكان و يتمكن من الجلوس عليه الاجسام. و من يقول ان ربنا جسم نقول له و لا نكنى انت تؤمن برب غير رب العالمين فان رب العالمين يصف نفسه بقوله فى كتابه (... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ * الآية. الشورى: ١١) و اذا كان لا مثل له كان غير جسم قطعاً و الذى يؤمن برب جسم يقول ان ربه الذى يؤمن به مثل جميع الاجسام العلوية و السفلية و اين هذا ممن ليس كمثله شئ .

علم هذا الفريق علما ليس بالظن ان الله جسم كالاجسام. فالتزم ان يثبت له مكانا يحل فيه كسائر الاجسام فان محالا ان يكون جسم فى غير محل يحل فيه.

و اما نحن فننزه ربنا عن كل هذا و لا نتردد فى الحكم بان من يؤمن به يؤمن بغير رب العالمين و الذى نقوله ان ربنا كان قبل المكان عرش و غيره و خلق العرش و غيره من

هـذا العالم و هو بعد الخلق على ما كان عليه منزها عن الجسمية و عن لوازم الجسمية. فلا مـكـان لـه لانه كان قبل المكان و لا يحتاج الى المكان و الا فكيف كان مستغنيا عنه قبل خلقه.

يا ربنا لك الحمد على حلمك هذا الذى لا يتناهى على عبيدك الذين يقولون فيك ما لا يناسب قدرك نعم لا احد اصبر منك يا مولاى على اذى تسمعه كما يصفك رسولك صلى الله تعالى عليه و سلم فان بعض عبيدك يقول انك لست بموجود و انت الذى لولاك ما كان موجود فانه ليس بمعقول ان توجد الاشياء انفسها او توجد هى وحدها بلاموجد فان ايجادها انفسها يقتضى انها موجودة معدومة متقدمة متأخرة فاعلة منفعلة فى آن واحد و هو محال و وجودها وحدها بلا موجد فيه حدوث بلا محدث و فعل بلا فاعل و هو محال كذلك.

و يقول بعض عبيدك ان لك شركاء لايحصرون كلهم يستحقون العبادة معك و لو كان الامر كما يقولون لأمكن ان يختلفوا فلا يكون من هذا الوجود شئ و هو مشاهد الوجود.

و يقول بعض عبيدك ان لك اولادا. و بديع السموات و الارض الذى بهذه القدرة الباهرة اى حاجة له بالولد الذى انما يقصد ليكون قوة و عونا للوالد.

و يقول بعض عبيدك ان لك زوجة و الزوجة تتخذ للولد. و قد علم غناك عنه فمحال ان تكون لك زوجة ثم الزوجة تكون من وادى زوجها فلو كانت لكانت الها آخر. فيمكن الاختلاف فيلزم المحال. و كذلك يقال فى الولد.

و يقول بعض عبيدك الذين نتكلم معهم الآن انك جسم جالس على العرش كجلوس احدنا فى مكانه و قد تبين فساده بما سبق.

كل هذا و ما ماثله مما لا يليق بجلالك و عظمتك يا مولاى يقوله من يقوله و انت تسمعه و تحلم على من يقوله بل و ترزقه و تغدق عليه ما تغدق من النعم التى لاتحصى و اذا تنبه لخطئه يوماً و اناب اليك و نزهك عما يقول و اعتقد فيك ما انت اهله بدلت سيئاته حسنات و عفوت عنه و غفرت له و جعلته من احبابك الذين اعددت لهم دار كرامتك

الابدية لهم فيها ما اشتهت انفسهم انك يا مولاى غفور رحيم عفو كريم فلك الحمد حمدا يوافى نعمك و يكافئ مزيدك.

و لنعد الى ما كنا فيه فنقول ان هؤلاء الناس الذين يقولون ان ربنا على العرش بذاته على بدعة من اشنع البدع و اقبحها واجرئها على الله عز و جل و ابعدها عن الحق كما انها برهان من اوضح البراهين على سخافة العقل الذى يقبلها و يصدق ان ربنا كما تقتضى و كل الذى تمسك به هؤلاء الناس و يؤيدون به هذه البدعة. ظواهر آيات و احاديث يجب ان تفهم على غير هذا الظاهر فرارا من المحال الذى يترتب عليه و نحن نعلم و كل مسلم يعلم ان العقل اصل الشرع و اساسه و عليه بنى فلا يمكن بحال من الاحوال ان يكون فى هذا الشرع ما يقف العقل فى وجهه و يعانده و ينابذه.

و الذى اتفقت عليه الائمة انا اذا رأينا فى الكتاب او فى السنة ما ظاهره يصطدم مع العقل وجب صرفه عن هذا الظاهر ليتلائم و يتفق مع العقل و فى الكتاب و السنة كثير من هذا صرف عن ظاهره دون اى توقف فى صرفه ذلك.

ولو انا اخذنا بكل ظاهر من ظواهر الكتاب و السنة دون ان تعمل عقولنا فيه لانتقلنا فى عشية او ضحاها من صفوف المسلمين الخلص الى الكافرين الذين لاريب فى كفرهم.

و بعد: فكل الايات و الاحاديث التى جاءت تدل على ان ربنا استوى على العرش لم تقل آية منها و لا حديث ان ربنا استوى على العرش بذاته و هذا القيد (بذاته) من اختلافات هؤلاء الناس اكاذيبهم على الله و رسوله. و نحن نقول فى هذا كما يقول سلفنا الصالح رضى الله تعالى عنهم فى المتشابهات كلها. ان له معنى لائقا بربنا هو يعلمه و نحن لا نعلمه. و ننزه ربنا عن ظاهره هذا و لا نعتقده فيه ابدا و بهذا نبرأ من التشبيه و التعطيل.

و اذا ابى هؤلاء الناس الا الاخذ بما يقتضيه هذا الظاهر قلنا اذن صار الاخذ بظواهر الشريعة قاعدة لكم فى مثل هذا مما جاء يثبت ظاهره لربنا صفات تشبهه بخلقه،

فانتم اذن تقولون ان ربنا تعالى فى السماء اخذا لظاهر قوله تعالى (ءَ اَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَآءِ اَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْاَرْضَ * الآية. الملك :١٦) فان من يفهم هذا النص على ظاهره يقطع بانه تعالى مظروف فى السماء و السماء ظرف له هو داخلها مع الملائكة و هذا غير كونه تعالى على العرش قطعاً فهل ناخذ بالنصين معاً فنقول انه تعالى على العرش و فى السموات فى آن واحد ام كيف الحال و تقولون انه تعالى فى الارض كما انه فى السماء كما يقول عز و جل (وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَآءِ اِلٰهٌ وَفِي الْاَرْضِ اِلٰهٌ * الآية. الزخرف: ٨٤) و كما يقول تعالى (وَهُوَ اللّٰهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الْاَرْضِ * الآية. الانعام: ٣) فهاتان الايتان تقولان بحسب ظاهرهما ان ربنا تعالى و تقدس فى الارض كما انه فى السماء فكيف يكون ربنا على العرش و فى السماء و فى الارض فى وقت واحد؟ و اذا لاحظنا مذهبكم الذى يقول بذاته قلنا انكم تقولون انه تعالى بذاته فى كل من السموات و الارض و العرش فيكون ربنا على مذهبكم ذوات ثلاثة. و نسلكم تقولون انه فى كل بذاته و هو واحد. و اذا قلتموها وجدتم لكم نظيرا يقول ان الثلاثة واحد. بل و تقولون انه تعالى مع كل انسان كما يقول عز و جل (... مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوٰى ثَلٰثَةٍ اِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ اِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ اَدْنٰى مِنْ ذٰلِكَ وَلَآ اَكْثَرَ اِلَّا هُوَ مَعَهُمْ اَيْنَ مَا كَانُوا * الآية. المجادلة: ٧) و اذا اضفنا الى ذلك انه مع كل انسان بذاته لزم انه تعالى ذوات تعد بالملايين و بملايين الملايين.

و كذلك تقولون انه تعالى فوق صراط مستقيم بذاته كما يقول سبحانه (... اِنَّ رَبِّى عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * هود :٥٦) و هو مثل (اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى * طٰهٰ :٥) تماما فما قيل فيها يقال هنا.

و تقولون كذلك انه تعالى (... يَأْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ * الآية. البقرة: ٢١٠) ان مذهبكم هذا يقول ان ذوات ربنا و امكنته لا تتناهى ابدا و كل هذه و ما ماثلها و هو كثير محالات لا يقول بها احد لكنا لو تقيدنا بالظاهر من النصوص الشرعية صرنا اليها و لابد. اذن لابد من الاستنارة بنور العقل فى مثل هذه النصوص و جناية كبرى على الدين ان يهدر العقل و لا يلتفت الى ارشاده فى فهم كتاب ربنا و سنة رسوله.

كل هذا نقوله توضيحا للمقام فى ذاته و تساهلا مع هؤلاء الناس و لو انا ضيقنا

عليهم و دققنا فى محاسبتهم ما تكلمنا معهم كلمة واحدة و لرايناهم احقر من ان يخاطبوا. و هل يستحق ان يخاطب من يقول ان ربنا يجلس احد خلقه بجانبه على العرش يوم القيامة. و لعل جاهلا محبا للرسول صلى الله تعالى عليه و سلم يقول هذا غاية التعظيم لنبينا صلى الله تعالى عليه و سلم فماذا فيه؟ فاقول و لكنه غاية فى نقص ربنا عز و جل و هل من العقل ان يعظم المؤمن الرسول بما يكون نقصاً فى رب الرسول؟ و هل ذلك الا كما كان من قوم سيدنا عيسى عليه الصلوة و السلام فى تعظيمه؟ و من من العقلاء يرضى ان يصف ربه بانه قاعد على العرش قعودا يشاركه و يقارنه و يجاوره فيه احد خلقه ان هذا القرآن لايرضاه العقل ابدا.

و الذى تصرح به هذه المقالة ان هؤلاء الناس يختارون ان ربنا عز و جل لا يساوى العرش و لا يزيد عنه و انما ينقص عنه. فانه لولا نقصه هذا عندهم ما وجد فيه مكان يجلس فيه النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و انى لارى المناقشة مع هؤلاء الناس بعد نقل هذا النص عنهم لا معنى لها لاثبات انهم يعتقدون الجسمية فى ربنا عز و جل و بهذا النص ايضاً اصبحنا لا نستغرب اعتقادهم ان ربنا تعالى جسم ذاهب فى الكبر و الثقل الى حد لا تتصوره العقول و كيف تتصوّر العقول كبر و ثقل جسم لا يحمله العرش الا بصعوبة و عناء. لدرجة انه يئط به و يصوت حقيقة كما يئط و يصوت رحل الراكب تحته. و العرش معلوم ان السموات و الارض بالنسبة له شئ صغير فان الجميع فى جوفه يحيط بها كما يحيط الظرف الكبير بالمظروف الصغير.

و انى ازيد القارئ بصيرة بعقيدة هؤلاء الناس فاترك هذا التلميذ و اعرج على شيخه الذى لايعجبه حتى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه و لا سيدنا على ابن ابى طالب كرّم الله وجهه و فى نظره ان كل الامة فى نهاية الغباوة و الجهل و البعد عن الحق فليسمع القارئ نقلا عنه فى غاية الضخامة يليق بمشيخته و مركزه العظيم.

قال لاحياه الله و لابياه ان الله اعظم من كل شئ و اكبر من كل خلق و لم يحمله العرش عظما و لا قوة، و لا حملة العرش حملوه بقوتهم، و لا استقلوا بعرشه و لكن حملوه بقدرته و قد بلغنا انهم حين حملوا العرش و فوقه الجبار فى عزته و بهائه ضعفوا عن حمله

واستكانوا و جثوا على ركبهم حتى لقنوا (لاحول ولاقوة الا بالله). فاستقلوا به بقدرة الله و ارادته و لولا ذلك ما استقل به العرش و لا الحملة و لا السموات و لا الارض و لا من فيهن. و لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته و لطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم اكبر من السموات السبع و الارضين السبع؟ انتهى هذا الكلام بعجره و بجره.

و لعل القارئ تعتريه دهشة و يسارع اليه انكار ان هذا النقل صادر عن ذلك الرجل المسكين و انى احول بينه و بين ذلك الانكار و ارجوه ان يراجع المجلد الخامس و العشرين من كتاب (الكواكب الدرارى) لابن ذكنون الحنبلى و هو محفوظ بالخزانة الظاهرية بدمشق. ليراه بعينه هناك بالحرف الواحد ضمن كتاب رد به هذا المسكين على كتاب (اساس التقديس) للفخر الرازى و من ذلك المجلد نقله بحاثة معروف و بخطه الكريم وصل الى. و هذا النص لايبقى معه فى نفس اى انسان ادنى شك فى ان القوم يعتقدون من قرارة نفوسهم ان ربنا جالس على العرش حقيقة بدرجة من الثقل جعلت حملة العرش على قوتهم الهائلة لايقرون على حمل العرش و فوقه ربهم تعالى و لشدة ذلك الثقل وقعوا وقوعاً جثوا فيه على ركبهم و لم يستطيعوا ان يقفوا معتدلين حتى لقنهم فائدة (لا حول و لا قوة الا بالله) فلما لقنوها امكنهم ان يحملوه عز و جل و لولا تلك الفائدة لعجز العالم كله سمواته و ارضه و انسه وجنه و ملائكته ان يحملوه. - تنزه و تقدس - و بينما انت فى غيبوبة لدهشتك من عظم و ثقل هذا الجسم اذ تسمع هذا الرجل يقول انه تعالى لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة. فتستقل به و تحمله بقدرته و لطف ربوبيته.

هكذا يقول هذا الرجل المسكين و هو كلام يصح ان يكون وصفا لمعنى خيالى روائى. لا وصفا لرب العالمين تعالى و تقدس. و انى لاظن ان الوثنى يَسْمُو بصنمه عن هذا الخيال المضحك و لست اتصور استعدادا يصدر عنه مثل هذا التخريف الا استعداد قدماء المصريين و تصوراتهم فى آلهتهم اما استعداد اسلامى فمعاذ الله ثم معاذ الله ان يخطر على فكره مثل هذه السخريات.

و لسنا نترك هذا الكلام على فساده دون ان نناقشه فنقول الانسان اذا ادعى ان

الله يتصف بكذا وجب عليه ان يثبت ذلك بدليل شرعى لا مغمز فيه فهل من هذا الوادى قول هذا الرجل و قد بلغنا الخ. حتى يثبت لا ثبات ما وصف ربه به؟ لقد بحثت ثم بحثت عن اصل يصح ان يرجع اليه كلام هذا الرجل فلم اجد شيئا ابدا لا فى كلام ربنا ولا فى سنة نبيه لكننى رأيت كلمات نقلت عن وهب بن منبه الرجل المعروف بانه اخبارى يكثر من حكاية الاسرائليات التى غالبها لا اصل له تلك الكلمات تحكى عجز الملائكة عن حمل العرش حتى لقنوا الحوقلة و باقى النقل السابق ليس بموجود اصلا مع تلك الكلمات فهى من زيادات هذا الرجل من غير شك ليروج بدعته و مع ذلك لا يحل للرجل العالم ان يحكى مثل هذا الكلام الاسرائيلى سندا لحكم فرعى او عقيدة ما دام لا سند له من كلام الله و لا كلام رسوله. بل كلام الله و كلام رسوله ينكر انه كل الانكار. ثم كيف لو شاء لحملته بعوضة مع تلك المبالغات الهائلة فى وصف ضخامته و عظمه و ثقله تعالى. و مع العلم بان البعوضة من اصغر ما خلق الله عز و جل. هل يتغير ذلك الجسم من تلك الحال الى صغر و خفة يناسبان البعوضة ام يبقى على ما هو عليه و مع ذلك تقله البعوضة و تقوى على حمله و هو عليها.

ان اخترتم الاول لزمكم ان ربنا يتغير و لو قام التغير بربنا كان حادثا بلا نزاع و هو محال. و ان اخترتم الثانى لزم محال ايضاً فان العقل لايستطيع ان يتصور جرما فى نهاية الصغر و الضعف يقوى و يتسع لحمل جرم فى نهاية الكبر و الثقل و كل منهما على ما هو عليه و قد عد ربنا ان دخول الجمل فى سم الخياط محال. و علق على وجوده دخول الكفار الجنة و اذا كان هذا محالا فكيف لا يكون الف الف محال ذلك الذى تختارونه و اذا بطل هذا و ذاك كان هذا الكلام المنقول من هذا الرجل المسكين كاذبا لامحالة لايجوز ان ينسب الى الشرائع السماوية الحكمية. و لا ان يتصف بمضمونه مولانا الذى يجب له كل كمال و يستحيل عليه كل نقص و بهذا النقل الكاذب الخاطئ الجنونى اصبحنا لا نتردد فى ان القوم لا يرون من النقص فى شئ ان يعتقدوا ان ربنا عز و جل جسم محدود و انه قاعد و جالس على العرش قعودنا على امكنتنا و ان العرش يقله بصعوبة و عناء لحد انه يئط و يصوّت من ثقله عليه لا يكنون فى هذا و لا يعنون معنى مجازيا و انه قادر على ان يتشكل

من صغر الى كبر و بالعكس و على ان يثقل و يخف، و يخف و يثقل و هذه صفات لا نعرفها لربنا عز و جل الذى خلق السموات و الارض و ما فيهما و اليه المصير و انما هى صفات لرب آخر يخيله هؤلاء الناس و رضوه رباً لانفسهم. و قد عالجناهم بما تقدم لينبذوا هذا الاله الذى بتلك الصفات الخيالية الخرافية. فان تبعونا فالخير ارادوا لانفسهم والا فليهنؤا به ثم ليهنؤا.

و اما نحن فنكفر بالله هذا وصفه و لا نرضاه رباً لنا ابداً لانا اعقل من ان نرضى لانفسنا فضيحة كهذه لا نظن ان الرجل العاقل يفتضح باكبر منها. نعم نحن نرفع قدر العقل عن ان يلتفت لمثل هذا الا بغاية الاحتقار و الازدراء و المقت و لا نصدق ابداً ان يصغى لمثل هذا وصفا للخالق المعبود الا المجانين و اشباه المجانين و ذلك ما نسجله هنا و تلفّت له نظر قوم افتتنوا بهذا الرجل المسكين و تلميذه ذلك افتتانا اداهم لان يقلدوهما التقليد الاعمى مع الاستماتة فى حبهما و الدفاع عنهما و تقديسهما التقديس الذى يندهش له كل من يعرفه و بينما تراهم مع هذين الرجلين هكذا اذا تراهم يرمون الائمة الاربعة بكل داهية و يرونهم احقر من ان يقلدوا وهم الذين وقع الاجماع من الامة كلها من عهدهم لليوم على انهم جديرون بقيادتها فى دينها. و لذلك اتبعتم بما فيها من اولياء و علماء و ملوك و سواهم من فضلاء العالم. و انما اتبعهم ذلك الاتباع لما كانوا عليه من فرط الورع وسعة العلم و نفوذ البصيرة و قوم هذا حالهم لاينتظر لمقلدهم الماشى وراءهم الا الوصول الى ما يريد من السعادة فى الدنيا و الآخرة.

نعم نرجو ان يلتفت اولئك المفتتنون بهذين الرجلين الى ما نحكى عنهما من سوء عقيدة ما سمع الدهر بمثلها و من يد خائنة تعودت ان تكذب و تدلس و تنقل الحقائق الدينية على غير وجهها و فى غير مواضعها و قد تقدمت عينه من ذلك عن هذا الرجل و عن تلميذه و من رجل خاطئة لايعجبها السير الا فى سبيل من لايوثق بهم من اهل الاهواء والاغراض كما وصف الشيخ بذلك بعض معاصريه، و كما نراه باعيننا فى كتبهما. و كذلك تجدهما اذا استدلا نقلا كل ما هب و دب مما لا حقيقة له تعرف و لا اصل له يوصف. يهيم فى اوديته هذا الرجل و تلميذه و يوردان منه ما يوردان. و هما يعلمان قيمته و

قدره جريا وراء بدعتهما هذه التى استحكمت ثم استحكمت فى نفوسهما حتى افقدتهما العقل و الرشد. نعوذ الله من البدع و آثارها و من قلوب تتأجج و تلتهب غضبا على كل عباد الله خصوصاً احباب ربنا عز و جل. ذلك فوق ما الرجلان عليه من طيش و رعونة لاحد لهما. و من نظر فى كتبهما نظرة بسيطة تيقن ما اقول و اناس هذا حالهم من الظلم الفاحش ان يكونوا ائمة لخير امة اخرجت للناس. و لعله لا يتردد عاقل فى ان من يمشى وراء امثال هؤلاء هالك ثم هالك.

و عجبنا العاجب ان يتعصب هؤلاء الناس لهذه المقالة الجنونية لحد ان يختصوها بقسط عظيم من عنايتهم حتى الفوا فيها المؤلفات التى لا تحصى و لقد بلغت الجرأة باحد هؤلاء المساكين ان يسمى رسالة الفها فى هذا الموضع باسم (اثبات الحد لله عز و جل و انه قاعد و جالس على العرش) هذا العنوان وحده كاف و فوق الكفاية لا ثبات المقصود. فانظر كيف لم يسنح مؤلفها محمود بن ابى القاسم الدشتى من قوله (قاعد و جالس) لا تكفيه مادة الجلوس وحدها ولا مادة القعود وحدها و فى كل منهما غنية و لكنه جمع بينهما بصيغة اسم الفاعل التى تفهم التلبس بالفعل ليفيد غرضه ثم مؤكدا بعد تأكيده كل التأكيد بقوله (اثبات الحد لله عز و جل) فانه تعالى اذا كان محدودا كان جسما فى مكان قاعدا و جالسا او على اى شكل كان لان المحدود هكذا يكون لقد رفع هذا الرجل برفع الحياء عن وجهه و جاهر بما عليه القوم مجاهرة لا تحتمل صرفا ولا تأويلا و اذا كان اسم الرسالة فقط يفيد كل ما ذكرنا فما ذا عسى ان ينتظره القارئ من المعنون له.

و معلوم ان هذه الطائفة اذا كتب احدهم فى مثل هذه المعانى اجلب بخيله و رجله. لايرقب الاً و لاذمة لا فى رب ولا فى مربوب بجولات لاحد لنشاطه فيها لا تخلو الا فى ميادين البدع و المبتدعين.

و انا بعد هذا البيان نجزم ان القارئ صار فى اماكنه ان يقيد هؤلاء الناس بقيد من حديد و يجمع ايديهم الى اعناقهم. ثم يقبض على تلك الاعناق باصابع من فولاذ قبضا لايستطيعون الإفلات منه بحال فليحرص عليه ثم ليحرص فانه مما انفردت به هذه الرسالة و الله تعالى اعلم.

الأجتهاد والمجتهدون

الاجتهاد المطلق مقام رفيع كم حاول الوصول اليه فحول فقضوا وهم فى هذه المحاولة و محبوب شاسع المزار كم سافرت اليه ابطال على نجائب الهمم عشرات السنين قطعوا فيها من شعابه و اوديته و مهامهه الكثير ثم الكثير ثم كلت رواحلهم و انقطعت دون ان يدنوا منه. و ميدان كم هم ان ينزل فيه فرسان، و لكنهم بعد ان رأوا اهل السباق فيه رجعوا مقتنعين انهم ليسوا من رجال هذا الميدان و انما كان الاجتهاد بهذه المنزلة لانه قيادة عامة للامة بأسرها و يزيد فى خطورة هذه القيادة انها مقيدة بسلوك سبيل واحد هو سبيل الله تعالى الذى ارسل لبيانه لنا سيد انبيائه صلى الله عليه و سلم فالقائم فى هذا المقام ينوب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم فى بيان تلك السبيل للناس كافة لا يشتبه على اى سالك منزل من منازلها الا و هو مستعد للارشاد اليه و هذه الطريق بجانبها سبل اخرى لا يحصيها العد ولا يأتى عليها البيان. و ما من سبيل منها الا و على رأسه ما لا يعد و لا يحصى من شياطين الانس و الجن يدعون اليه السالكين مؤكدين كل التأكيد انه سبيل الله تعالى حقاً اما سبيل الله الذى هو سبيله بلا ريب فيقولون فيه بلهجة جازمة انه سبيل مضلة مهلكة لا يلاقى مسالكها الا الردى. و لا ينتهى الا الى الشقاء. و لا يقولون ذلك مطلق قول بل يردفونه ببراهين عدد المطر كل برهان له مقدماته و نتائجه. و المضلون لا يعدمون من الاباطيل ما يسمونه براهين و يدندنون ثم يدندنون حول مقدماتها و نتائجها ليقوموا حق القيام بوظائفهم الاغوائية.

و لا شك ان قيادة ذلك شانها فى منتهى الدقة و الخطر كيف لا؟ و المتصدر لها وراءه امة لم تسر خلفه خطوة الا بعد ان فهمت منه ان الطريق الذى كلف الله عباده بسلوكه هو عين الطريق الذى يسلكه و معنى هذا انه ان ضلّ ضلّت وراءه كل الامة و قد علمت ان المضلات كثيرة ثم كثيرة و اى خطر فوق هذا الخطر؟

و ان شئت فقل فى تحديد هذا القائد ان الامة لم تسر خلفه الا بعد ان سمعت

حكمه بان كل ما يستنبطه من الاحكام التكليفية و يدعو العالم الى العمل به دل عليه الكتاب و السنة جزئية جزئية و هو حكم لايجرؤ على اصداره الا رجل مخصوص رجل عرف من اللغة العربية لغة و نحواً و بياناً ما يكفى لفهم الكتاب و السنة فما يعتمد على الوضع العربى و الذوق العربى فان من لايعرف ذلك من العربية لايؤمن عليه ان يفسر الآية او الحديث بمعنى فى ناحية و المعنى الذى وضع له اللفظ او التركيب فى ناحية اخرى و يحيط مع هذا بآيات و احاديث الاحكام لئلا يفزع الى القياس فى حادثة و فى الكتاب و السنة ما يدل على حكمها.

و معلوم انه لا قياس مع وجود النص، وليس ذلك فقط الذى يعرفه بل يضيف اليه معرفة الناسخ و المنسوخ من الكتاب و السنة لانه اذ لم يعرف ذلك ربما اصدر حكماً تكليفياً يتعب الناس فى امتثاله و هو منسوخ و لا ينتصر على هذا بل يحيط معه علماً بما اجمع عليه العلماء قبله لئلا يقود الناس الى ما يخالف اجماع العلماء و ما الى هذا ينتهى ما يحيط به بل عليه مع ذلك ان يعلم من فن الحديث دراية ما يميز به صحيح الحديث من حسنه،من ضعيفه،من موضوعه لئلا يختلط عليه الامر فيحكم فى الحل و الحرمة مستنداً الى حديث ضعيف او يجيز ان يعمل الناس بالموضوع و كل لا يجوز و لا يقف الامر فى علمه الى هذا الحد بل و عليه ان يعلم من علم الاصول. اصول الفقه ما به يفهم متى يفيد الدليل الوجوب أو الحرمة او الندب او الكراهة او الاباحة. و ماذا يعمل لو تعارض دليلان نص و ظاهر او ظاهر و محكم او محكم و مفسّر او منطوق و مفهوم او عام و خاص او مطلق ومقيد او كانا من واحد و اتفقا قوة وضعفاً او اختلفا. و كيف يتصرف اذا لم يجد فى حادثة كتابا و لا سنة ولا اجماعاً و ما الى ذلك مما لو جهله المتصدر للقيادة لم يدر اين سبيل الله و اين غيرها من السبل المضلة.

كل هذا يجب ان يحيط به علماً من يقول انى مجتهد.

و لهذا كله اساس يجب ان يكون قبل الكل و هو الاعتقاد السليم البعيد عن البدعة و الاستقامة التى تنكسر عندها سهام المطاعن دون ان تخدشها بخدش لان المجتهد قدوة فى عمله و اعتقاده.

فاذا كان مبتدعاً قاد الناس الى بدعته فاوردهم المهالك و اذا كان غير مستقيم شكك الناس فى امانته فنبذوه او مشى وراءه فى اعوجاجه من لايشك فاورد الموارد و على كل لايصلح ان يكون اماماً.

و لما كان الاجتهاد هذا طول سبيله و عورته لم يكن فى عهد النبوة و هو ابرك الاعصار و اجلها من هذا الطراز العالى الا افراد و قد كانوا عربا نزل القران و جاءت السنة بلغتهم مع ماكانوا عليه من الذكاء الفطرى الذى ما سمع الدهر بمثله ثم مع ذلك ما كانوا يحتاجون لعلم كثير ما ذكرنا فانهم كانوا يتلقون الشريعة من مهبطها صلى الله عليه و سلم يسمعونها من لسانه الكريم تخرج من بين شفتيه الكريمتين لا معلم و لا استاذ لهم غيره صلى الله عليه و سلم و هو سيّد المعلمين و استاذ الاساتذة و لا تنس انهم فى اناتهم مغمورون فى بركاته لا تغرب عنهم شمس انواره و لا ينقطع مدد اسراره عنهم لحظة من ليل او نهار، و مع كل هذا لم يصل منهم رضى الله عنهم الى هذا المقام مقام الاجتهاد المطلق الا افراد قليلون كما قلنا لك. و كان باقيهم رضى الله عنهم يرجعون فى معاملهم اليه صلى الله تعالى عليه و سلم او الى اولئك العلماء الذين نشير اليهم. فانهم كانوا يفتون بما تعلموه منه و هو بعد لم ينتقل الى الرفيق الاعلى صلى الله عليه و سلم.

و احب ان يعلم القارئ مع ما تقدم ان الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا فى حفظهم بدرجة نعقلها نحن اليوم. و من يعقل ان رجلا تقرأ عليه قصيدة طويلة مرة واحدة فيحفظها و يعيدها كما سمعها. و يبلغ حفظه لها الى درجة ان يعيدها مرة ثانية من آخر بيت منها راجعا الى اول بيت حتى ينتهى منها كما كان من سيّدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

علم سيدنا و مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم هذه القوة فيهم فكان اذا حدثهم الحديث لا يعيده اكثر من مرتين و تكون قراءته امامهم ثلاث مرات كافية. لان يحفظه اضعفهم حفظا و بذلك يكون قد تأكد كل التأكيد عند الباقين. هذا نقول عن اناس حضروا الاسلام فى عنفوان شبابه و نهاية فتوته و كانوا فى فرح به لايحد فانهم كانوا قبله فى ظلمات بعضها فوق بعض عميا لا يبصرون صما لا يسمعون بكما لايتكلمون

كالانعام بل هم اضل كانوا ينحتون الحجارة بايديهم يزيلون منها ما يزيلون و يبقون ما يبقون و يصورنها كما يشاؤن. ثم يضعونها بايديهم حيث اشتهوا ثم يقبلون بعد ذلك كله على عبادتها كما يعبد المؤمنون رب العالمين.

و قد كانت تنزل بهم اعوام شديدة يجوعون فيها فاذا ألمهم مسّ الجوع بادروا الى آلهة صنعوها من عجوة فتناولوها و اكلوها ثم تبرزوها و قد كانوا قبل ذلك بلحيظات يعبدونها و يعتقدون انها آلهة حقاً تضر و تعطى و تمنع فلما اشرقت عليهم شمس الاسلام تبددت عنهم ظلمات ذلك الكفر الشنيع و انفتحت ابصارهم و بصائرهم و اسماعهم و انفتقت السنتهم فسمعوا الحق و نطقوا به و كما يشاء نظروا و عملوا.

فلو كان هذا المقام مقام الاجتهاد هينا لينا لكان كل هؤلاء الناس على الذروة العليا من الاجتهاد بكل تلك العوامل التى وصفناها لك و حيث كانوا مع الاجتهاد كما ذكرنا دل ذلك على ان مقام الاجتهاد بلغ من الاستعصاء التمنع، اسمى ما يتصوره المتصورون فى مقامات البشر و زاد هذا المعنى وضوحاً ما كان فى القرن الثانى و الثالث بعد ذلك القرن الكريم قرن الصحابة رضى الله تعالى عنهم فان السواد الاعظم فى هذين القرنين الجليلين كان فى درجة التقليد الصرف و لم يتجاوز هذه الدرجة الا افراد ايضاً. و تستطيع ان تعلل وصول اولئك الافراد الى هذا المقام بمعنى لايجعله غريباً عند النفس. ذلك المعنى هو قربهم رضى الله تعالى عنه من عهده المبارك صلى الله تعالى عليه و سلم و تشرفهم برؤية اصحابه رضى الله تعالى عنهم او برؤية من رآهم او رأى من رآهم. و قد شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم بان هذه القرون الثلاثة خير القرون و اخبر ان الله تعالى يفتح الجيش فيه واحد من الطبقة الرابعة من اصحابه ببركة ذلك الواحد. فاذا اختصت هذه القرون الثلاثة بقادة الخلق و هداتهم و ائمتهم كان هذا الاختصاص فى غاية الظهور. و انى ارجو و اشدد فى الرجاء ان يكون هذا المعنى على بال القارىء فان به كان اولئك الناس ائمة القرن الثانى و الثالث اعاجيب. و كيف لا و انت تسمع الليث بن سعد رضى الله تعالى عنه يخبر عن نفسه انه لو املى ما يحفظ لوقر مركبا و تسمع الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يخبر انه كتب حمل بعير عن الامام محمد بن الحسن صاحب

الامام ابى حنيفة رضى الله تعالى عنهم فى اول قدمة قدمها عليه وهو بالضرورة لا يكتب الا مايحفظ و اذا كان هذا حفظه عن واحد ممن لقيهم فكيف بحفظه عن الباقين وهم كثيرون و كثيرون.

و تسمع ان الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه كان يحفظ الف الف حديث باسانيدها. و يعرف كيف يقول فى اىّ واحد من اىّ اسناد من كل تلك الاسانيد و يعرف لما ذا قال فيه ما قال. نعم كانت صدورهم سجلات لايمحى ما نقش فيها ما حيوا و لذلك كان احدهم يحدثك اليوم الحديث و تسأله عنه بعد عشرين سنة فيسترده لك دون ان ينقص او يزيد حرفا واحداً. و انت لليوم و بعد اليوم تقرأ ان اصح الأسانيد ما كان عن مالك عن نافع عن ابن عمر لقوة ضبط سيّدنا مالك رضى الله تعالى عنه و حفظه. و ساعد على هذا الحفظ الباهر ان همهم كان واحداًهو هم آخرتهم لم تشتت افكارهم فى اودية الدنيا و لم تتفرق اهواؤهم فى شعابها وسباسبها و ما كان لها فى انفسهم اى مقدار ان اقبلت استخدموها فيما يرضى ربهم. كما تسمع ان سيدنا مالكاً رضى الله تعالى عنه قاسم سيدنا الامام الشافعى ماله مرات.

و كما تسمع ان سيّدنا الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه عاد من اليمن الى مكة بمال جزيل فضرب خيمة جلس فيها قبل دخول البلد و فرق كل ما كان معه. و قام و ليس بيده من كل ذلك المال درهم ولا دينار.

و كما تسمع ان ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه رأى رجلا يتوارى منه فناداه و سأله لماذا هذا التوارى؟ فاخبره انه مدين له بعشرة آلاف درهم من زمن بعيد فقال سبحان الله أ بلغ بك هذا الامر الى هذا الحد؟ جعلتك فى حل فاجعلنى فى حل مما دخل فى قلبك متى كنت تلقانى و كان رضى الله تعالى عنه ينفق مثل ما يصرف على نفسه و اهله اما ما كان يواسى به تلاميذه من المال فهذا كان الذى لا يحصى وسيق الى سيدنا مالك رضى الله تعالى عنه مال كثير و رآه سيدنا الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه و كانه اعجبه فوهبه له كله.

و ان ادبرت عنهم لا تلتفت اليها قلوبهم. و لهذا تسمع ان سيدنا احمد بن حنبل

رضى الله تعالى عنه كان يمكث الايام محبوسا فى بيته لايجد من اللباس ما يصلح لخروجه و مع ذلك كانت تهدى اليه الهدايا الكثيرة فيردها فلاموه على ذلك فقال رضى الله تعالى عنه انها ايام قلائل و تنقضى.

و اناس هذا شانهم فى الاقبال على الآخرة و عدم الاهتمام بالدنيا ليس بغريب ان يصلوا الى ذلك المقام الرفيع. خصوصاً اذا كانوا من الورع كما تسمع عن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه تخرج عن الاستظلال بظل حائط مدينة لئلا يكون ذلك نفعاً جره قرضه.

و من تعظيم العلم الى مثل ما تسمع عن سيدنا مالك من انه كان اذا اراد ان يجلس للتحديث يغتسل و يتعطر و يلبس احسن ثيابه و يسرح لحيته و يتجمل ثم يجلس.

و لدغته يوماً عقرب ست عشرة مرة و هو يحدث فكان يتغير و يتلوى ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما له.

و من الخوف من الله تعالى الى مثل ما تسمع عن سيدنا احمد بن حنبل انه بال فى طستٍ و هو مريض مرض الموت دماً عبيطاً. فرأى ذلك الدم طبيب فقال فى سيدنا احمد رضى الله تعالى عنه هذا رجل فتت الحزن كبده.

و كما تسمع ان الامام ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه دعى للقضاء فامتنع عنه فضرب فى ذلك بالسياط و حبس بل و مات فى الحبس و لما سمع اشفاق المشفقين عليه وهم يقولون ماذا عليه لو ولى واتقى هذه السياط؟ قال سياط الدنيا ولاسياط الآخرة.

و من الاجتهاد فى طاعة الله تعالى كما تسمع ان الامام ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه مكث يصلى الفجر بوضوء العشاء اربعين او خمسين سنة.

و كما تسمع ان الامام احمد كان يصلى فى اليوم و الليلة ثلاثمائة ركعة فلما مَرِض و تقدمت سنه كان يصلى مائة و خمسين ركعةً.

و كما يقول عنه من عاشره ما رأيته افطر الا يوماً واحدا افطر و احتجم.

و كما تسمع ان ابا حنيفة حج اكثر من خمسين حجة.

و من الامانة فى العلم بدرجة لاتخطر على افكارنا اليوم، كما تسمع عن سيدنا مالك رضى الله تعالى عنه يقول انى لافكر فى مسئلة منذ بضع عشرة سنة ما اتفق لى فيها رأى الى الآن. و يقول من احب ان يجيب عن كل مسئلة فليعرض نفسه على الجنة و النار و كيف يكون خلاصه فى الآخرة ثم يجيب و يقول ادركنا اهل العلم ببلدنا و ان احدهم اذا سئل عن المسئلة كانما الموت اشرف عليه و يقول انى اخاف ان يكون لى من المسائل يوم اى يوم.

و من التقلل فى المآكل و المشارب و الزهد فيها الى مثل ما يقول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن و يقسى القلب و يزيل الفطنة و يجلب النوم و يضعف صاحبه عن العبادة.

و كما تسمع سيدنا مالكاً يقول لقد استحييت من ربى من كثرة ما اتردد على بيت الخلاء و كان لايذهب اليه الا كل يومين مرة.

و ليس ما ذكر هو كل ما ساعد اولئك الافراد على وصولهم الى مقام الاجتهاد بل كان هناك مساعد اى مساعد فوق ما ذكر وهو ان الوقت كان وقت تبليغ الشريعة فكان تعلم العلم و تعليمه هو الميدان الذى يتسابق فيه الرّجال اذ ذاك حتى كان الواحد يسافر لاجل التثبت من حديث واحد شهرا كاملا.

و لما ان الوقت كما قلنا كان ادعاء العلم اذ ذاك محفوفا بالخطر. فلا يفتح احد فاه بتلك الدعوى الا و تجد هداة الامة كلهم اتجاه اليه ينظرون. امحق هو فيما يدعى؟ ثقة فيما يقول؟ ضابط لما يسمع؟ يستندُ فى علمه الى ركن شديد اذا استند اليه لاينهار به؟ قدوة حسنة فى عقيدته وعمله فاذا توفرت هذه الشروط تركوه والناس يبلغهم ما يبلغ و امنوا الناس من ناحيته و ان كان غير ذلك اخذوا على يديه وسدوا عليه المسالك ورفعوا اصواتهم اينما كانوا يبينون للناس قدره و يحذرونهم من اخذ دينهم عنه و من لم تصل اليهم اصواتهم لبعدهم او لأنهم لم يجدوا بعد كتبوا اليهم الرّسائل والكتب التى بين ايدينا منها

لليوم السرج المنيرة و الشموس التى تغرب شموس السماء و هى لا تغرب و كم بهذه الكتب افتضح ناس و انفض الناس من حول اناس. و هل ننتظر منهم فوق انهم ربما قالوا فى الرجل انه لايساوى بعرة و لقد وصل تحريهم و مبالغتهم فى وضع كل انسان فى منزلته اللائقة به ان بعضهم ذهب الى ان سيدنا احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه محدث فقط و ليس من فريق الفقهاء المجتهدين. و بين يدينا اليوم كتاب (الانتقاء فى فضل الثلاثة الائمة الفقهاء) المالك و الشافعى و ابى حنيفة رضى الله تعالى عنهم و هو للحافظ ابن عبد البر رضى الله تعالى عنه وهو بالضرورة لم يقل ما قال الا تابعاً لرجال فى ذلك العهد.

هذا قولهم فى احمد بن حنبل و معروف من هو احمد بين الامة الاسلامية من عصره لليوم وهو الذى يقول فيه بعض معاصريه كانه جمع له علم الاولين و الآخرين.

هذه الرقابة العلمية الشديدة على رجال ذلك العصر جعلت اولئك الافراد يبالغون ثم يبالغون فى استيفاء ما به لا تمسهم تلك الرقابة و الرقابة العليا عندهم رقابة ربهم عزّ و جل كما تقدم ما يفهمك ذلك، لهذا وصلوا الى ما ارادوا وفوق ما ارادوا.

و لو اردنا ان ننقل للقارئ ثناء رجال العلم و حملة الشريعة فى ذلك العصر على هؤلاء الائمة لطال بنا الكلام ثم طال فان كل امام من هؤلاء الائمة المشهورين الف فى فضله مؤلفات تعد بالمجلدات فما ذا عسى ان ننقل؟ غربت شمس اولئك الائمة رضى الله عنهم و لم تر الدنيا شمس امام بعدهم لهذا اليوم.

نعم انتهت تلك القرون و انتهى من تسمع وصفهم من رجالها و لم نسمع بعدهم ان رجلا ادعى الاجتهاد المطلق و سمح ان تتبعه الامة كما تتبع اولئك الائمة رضى الله عنهم لم نسمع ذلك و ان كان جاء بعدهم الكثير الطيب من العلماء الذين تطيش عقولنا اليوم لسماع وصفهم حفظا و ديناً و السر فى انهم لم يدعوا تلك الدعوى مع فضلهم ذلك انهم كانوا علماء حقاً، عرفوا قدر انفسهم و قدر اولئك الائمة فرأوا الفرق بينهما كبيرا و البون بعيدا فوقفوا عند حدهم و رحم الله امرأ عرف قدر نفسه و هكذا انت لا تجد انسانا يعرف قدر انسان أخر الا اذا كان من واديه فى علمه فالمرء اذا كان عالماً يعرف قدر العالم. و اذا كان سياسيا يعرف قدر السّياسى. و اذا كان حائكا يعرف قدر الحائك و اذا

كان صائنا يعرف قدر الصائغ. و اذا كان حدادا يعرف قدر الحداد و اذا كان زارعاً يعرف قدر الزارع و هكذا فالجاهل لايعرف قدر العالم و لاالحائك يعرف قدر السياسى و لاالزارع يعرف قدر الحداد ولا الحداد يعرف قدر الصائغ و هكذا و بارك الله فى العلم ولاحرمنا منه فهو ابو كل الفضائل و منه ما نتكلم فيه و لقد حدث الجلال السيوطى نفسه رضي الله تعالى عنه ان يدعى هذه الدعوى دعوى الاجتهاد المطلق فكادت تسمع من فمه حتى قامت عليه قيامة العلماء فى عصره و عرفوه قدره فسكت. و وقف عنه حده و السيوطى من يعلم القارئ حفظا و اتقانا و هذه كتبه تملأ الدنيا فى كل فن من فنون العلم بل اين السيوطى ممن سبقه من علماء الاسلام فى احاطتهم و يقظتهم. و مع ذلك لم تسمح انفسهم ان يدعوا تلك الدعوى كما قلنا لك ولو ادعوها ما قبلت منهم و لكانوا جاهلين بمقدار الامة.

هذا امام الحرمين[١] رضى الله تعالى عنه يقول ما تكلمت فى علم الكلام كلمة حتى حفظت من كلام القاضي ابى بكر[٢] وحده اثنى عشر الف ورقة يعنى اربعا و عشرين الف صحيفة هذا يحفظه فى فن واحد عن رجل واحدٍ من اهل ذلك الفن. و قال يوما لتلميذه الامام الغزالى يا فقيه فتغير وجه الغزالى كأنه يستصغر هذا الوصف على نفسه فقال له افتح هذا البيت ففتح مكانا فوجده مملوءا بالكتب. فقال له ما قيل لى يا فقيه حتى اتيت على هذه الكتب كلها يعنى حفظاً و كان امام الحرمين رضى الله تعالى عنه رجلا شافعيا عاديا يتبع الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه لم يدّع الاجتهاد وهو يحفظ كتبا تملأ بيتا.

و هذا السرخسى رحمة الله عليه [٣] يكتب كتابه المبسوط وهو ثلاثون جزءا و كان اذ ذاك فى السجن ليس له من المراجع الا صدره وهو اذا استدل لمذهبه او لمخالفه نقلا او عقلا يخيل لك ان الجبل يزول و دليله لايزول. ثم يؤيد مذهبه بخدش مذهب مخالفه بما لا تشك معه ان مذهبه هو الحق. و لا تعجب ايها القارئ فان هذا الرجل نقل مترجموه انه كان يحفظ اثنى عشر الف كراس اى اربعين الفا و مائتى الف صحيفة اذا كان الكراس عشر ورقات. هذا حفظ السرخسي الذى مات فى القرن الخامس كامام الحرمين المتقدم و

(١) امام الحرمين عبد الملك الشافعي توفي سنة ٤٧٨ هـ. [١٠٧٩ م.] في نيشابور

(٢) القاضى ابو بكر محمد الباقلاني توفي سنة ٤٠٣ هـ. [١٠١٣ م.] في بغداد

(٣) شمس الائمة ابوبكر محمد بن احمد المتوفى سنة ٤٨٣ هـ. [١٠٩٠ م.]

مع ذلك لم يدع الاجتهاد بل كان رجلا حنفيا يتبع الامام ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه.

و اذا كان ذلك حفظ اولئك المتأخرين فما ظنك بحفظ تلاميذ الائمة كالامام محمد الذى تقدم ان الشافعى رضي الله تعالى عنه كتب عنه حمل بعير فى اول قدمة قدمها عليه. و لايظن ان الشافعى كتب كل ما عنده من العلم. و من راجع طبقات العلماء و اخبارهم وقف من هذا على العجب العجاب و قد يقع ما نحكى غريباً فى نفوس اهل هذه الازمنة نظرا لفشو الجهل وضعف القوة الحافظة.

مات العلماء رضى الله تعالى عنهم و مات معهم علمهم و خلف من بعدهم خلف ليسوا فى العلم هنا ولا هناك رأوا فى انفسهم انهم علماء و انهم ائمة لخلو الزمان عن الائمة و كان اول هؤلاء على ما نعلم رجل رأيناه نحن باعيننا كان عند نفسه فى السماء، و عند غيره من عارفيه لايزيد عن امثاله قدر نقير ان لم ينقص عنهم و بين يدينا لليوم بعضهم هوّن هذا الرجل مقام الاجتهاد و تكلم فى سهولته ثم تكلم حتى اوقع فى نفوس سامعيه ان هذا الاجتهاد فى امكان كل انسان. ثم مات و كلامه يرنّ فى آذان من حضروا دروسه و تغلغل فى قلوبهم ما فقهوه عنه فتقدم اناس منهم الى تلك الدعوى بقلوب كلها جراءة و استهانة بما تقدموا اليه. ثم تبع هؤلاء آخرون ثم سار ورائهم آخرون و صار كل واحد من هؤلاء داعية الى الاجتهاد المطلق حتى غدوا اليوم لايحصرون فاصبحنا وقد امتلأ القطر من هذا الصنف صنف المجتهدين كل مجتهد منهم عند نفسه دونه بمراحل اكبر امام تقدم. و لذلك تراهم ينظرون الى الائمة رضوان الله عليهم بعين الاحتقار والازدراء. و يتكلمون فيهم بما يفهم سامعهم ان اولئك الائمة كانوا السبب الوحيد فى كل بلية نزلت و تنزل بالمسلمين و يصرحون بان هذا الشر لاينقطع مادام من مقلدى هؤلاء الائمة فرد واحد على ظهر الارض.

اما اذا تحققت فكرتهم وهم المصلحون العظماء عند انفسهم بان سلك وراءهم طريق الاجتهاد المطلق كل انسان ولو لم ير مجلس علم طول حياته فحينئذٍ تتغير الحال ينقلب الشر خيراً و البؤس يسارا و الخمول نباهة و الشقاء سعادة و الضعف قوة. و من جالس هؤلاء الناس و قرأ ما يكتبون تعجب كل العجب من حملاتهم المتتالية على كل

من لم يوافقهم على منهجهم وهم يسيرون فى هذا وراء رجلين سبقاه من عصور الى ما كان يدعى. وهما الرجلان اللذان عنهما كتبنا ما كتبنا فى الفصل السابق ولقد كان لسانهما فى هذا الميدان ميدان الطعن على الائمة و رميهم بالدواهى و الطعن على مقلديهم احدّ من السيف و احرّ من الجمر فورث هذا عنهما من اعجباه و وراءهما سار.

ان هذا وحده يدل دلالة قاطعة على ان هذه الطائفة من اولها الى آخرها ليست من الامامة بل ولا من العلم فى شيء. فان كتاب ربنا عز و جل يقول (وَالَّذِينَ جَآءُوا مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الآية. الحشر: ١٠) هذه الاية نقرؤها و نسمعها كل يوم وهى تعلمنا العطف و الرحمة على جميع المؤمنين موجودين او لحقوا بربهم و تطلب منا ان نسأل ربنا عزّ و جل ان يرزقنا الصفاء و المحبة لهم. و تخص من سبقونا بالايمان احياء و امواتا. فتدعونا ان نطلب لهم منه عز و جل المغفرة كما نطلبها لانفسنا و من سبقنا من الائمة و العلماء بعدهم لم يستثنهم الله تعالى ممن سبقونا بالايمان. بل ورد النهى عن سب الاموات لما انهم افضوا الى ربهم. بل ورد ان الساعة لا تقوم حتى يلعن آخر هذه الامة اولها.

و من هذا تعلم ان الطعن على اولئك الائمة و من تبعهم من العلماء ممن سبقونا بالايمان مخالف لصريح القرآن و خروج على وصاياه و آية من آيات القيامة. خفت هذه الدعوى دعوى الاجتهاد على أولئك الناس لانها لا تكلفهم رجوعا الى نتائج ابحاث ائمة هذا الدين من عهد نزوله لليوم فان ذلك التحقيق لايطيقونه و لايصبرون عليه و انما الذى يعشقونه و يموتون فى هواه دعوى الاجتهاد لانها دعوى لذيذة طنانة رنانة فتجد احدهم يقول ما يقول و يعمل ما يعمل. فاذا سألته على اى مذهب ما تقول و تفعل؟ اجابك بكل تبجح بجج. على مذهب الكتاب و السنة وهو جواب يتضمن ان القوم يجزمون ان مذاهب الائمة الاربعة خارجة عن الكتاب و السنة. و ما خرج عنهما ضلال مبين بلا تردد فتكون الامة من صدرها الاول لليوم فى ضلال مبين.

و يتضمن ان الكتاب و السنة بقيا بلا فهم لهذا الزمان القريب من الساعة. فلما تشرف الوجود بحضراتهم انكشفت خفاياهما و تبينت للناس احكامهما و انا لا ادرى ما

قيمة هذا البيان. وقد مضى من الامة شبابها و اطيب حياتها و اصبحت فى دور الهرم و الشيخوخة. ان امة تمكث خمسين و ثلاثمائة و الف سنة تتخبط فى دياجير الجهالات و الضلالات. و كتاب ربها و سنة نبيها بينها لا تفهمهما ولا تعمل بهما لايشك عاقل انها احط امة رآها هذا الوجود. هذا قدر هذه الامة المحمدية عند حضرات مجتهدى زماننا لكنا نرى كتاب ربنا و سنة نبينا يصرحان بخلاف ذلك. يصرحان بان هذه الامة (... خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * الآية. آل عمران : ١١٠) فليقل لنا حضرات مجتهدينا من نصدق؟ انصدقهم هم ؟ ام نصدق ربنا و رسول ربنا ؟ انى اخشى ان يطعن اولئك الناس على ماذكر من الكتاب و السنة. لان مذهبهم فى الحكم على الدليل بالصحة و بالبطلان موافقته لمواهم او مخالفته. فان وافق صح و ان كان موضوعاً. و ان خالف كان باطلا و ان كان فى اعلى درجات الصحة. و الذى يظهر ان هؤلاء الناس لايغضبون ممن يقول لهم يا ابناء الضالين و الضالات لان الذى يحكم على امة باسرها حتى ائمتها و علمائها لا يغضب لذكر افراد آبائه بالضلال و انا نترك هذا لهم.

و هل يدرى القارىء من هم اولئك المجتهدون؟ الجواب انهم طبقات مختلفة من امثال الذين اخبرناك عنهم فيما تقدم من انهم و صلوا الى حد انهم انكروا سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعضهم اضاف الى انكار السنة ما فعله بالكتاب و هو فى حكم انكاره و قد سبق ما يفهمك ذلك و بعضهم يرى الحديث الذى لا مطعن فى صحته فيقول اذا لم يفهمه او خالف هواه هو صحيح السند و لكن معناه غير صحيح.

و بعضهم يرى ان الدين كله ان يكون مع الناس ظريفا لطيفا يوافقهم على كل ما يهوون و لا تغضب احدا منهم و لو بكلمة حق تقولها له. اذا فعلت ذلك كنت لا بأس عليك حتى و لو تركت الايمان.

و بعضهم يرى ان الاجتهاد و الاستنباط هو شتم هذه الامة و طعنا فى الصميم من دينها و عرضها وهذا الوصف و ان كان عاما فى جميع هذه الطوائف له مزيد اختصاص بهذا البعض و بين يدينا اليوم مجتهدة روى لها احد العلماء و هو موجود للآن. حادثة تدل على غيرة سيدنا عمر رضى الله عنه على النساء فكان جوابها على تلك الرواية قولها عمر هذا

الرجل منحط. هذا حكمها الذى اداها اليه اجتهادها. و علة هذا الحكم انه غيور و هذه العلة موجودة عند كل مؤمن. وهى عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد و كذلك ربنا غيور. و لهذا حرم الفواحش كما اخبر عنه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فماذا تقول حضرة المجتهدة؟

و انى اعجب من هذه المجتهدة التى تقول هذا سيدنا عمر الذى لم ير هذا الوجود كثيرا من امثاله بعد النبيين. اتفقت على ذلك كلمة الموافق و المخالف و كيف يكون منحطاً يا حضرة المجتهدة من لو سلك فجا لها به الشيطان و سلك غير فجه كما نطق به الحديث الصحيح.

و من احكام هذه المجتهدة التى استنبطتها و جاهرت بها ان الرجل لايجوز له ان يباشر المرأة بعد ان تحمل لان باقى الحيوانات هكذا، متى حملت الانثى لايقربها الذكر و هو حكم من مواقف العقول فلنتركه لها دون اى خدش.

ولا اكثر على حضرة القارئ من ذكر اصناف هؤلاء المجتهدين و طبقاتهم و اختلاف نحلهم و مذاهبهم و مبلغ ما وصلوا اليه من البعد عن الدين الحق بسبب اجتهادهم ذلك. و لعل القارئ يعجب من ان يكونوا مجتهدين و بعيدين عن الحق لا تعجب ايها المؤمن، فان ذلك نتيجة لازمة لاجتهاد لايعتمد على مقدماته اجتهاد كل مقدماته الدعاوى الطويلة العريضة التى لااساس لها الا الجهل الطويل العريض و الغرور الذى لانهاية له و صفاقة الوجه التى لا تؤثر فيها القوارع مهما قست و هل لاجتهاد هذا قدره الا نتيجة واحدة هى الضلال والاضلال.

و الذى جرأ هؤلاء القوم على تلك الدعوى عدم تقديرهم لمقدماتها او نتائجها. التقدير المناسب لها و قد سبق ان قلنا ان درجات اى طائفة انما يعرفها افراد هذه الطائفة لاالغريبون منها فلجهل اولئك الناس بالاجتهاد و المجتهدين ادعوا ما ادعوا. و كيف يعد من طبقات اهل العلم من لايجيز ان يقلد احد احدا و يوجب على الكافة ان يجتهدوا و ان غضبوا و ابوا الا ان يحسبوا انفسهم من العلماء فليتحملوا اذا الحكم عليهم بانهم ينكرون قول الله عز و جل ﴿و إِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

الـرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْـرِ مِـنْـهُـمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ الآية. النساء :٨٣) و قوله تعالى (... فَاسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ النحل :٤٣).

فـان الآيـة الاولى تخبر ان العقول تتفاوت و هناك امور تخفى على عقول ولا تخفى على عـقـول ولامـت قوماً على مباشرتهم ما يخفى عليهم وجهه. و افهمتهم ان الواجب كان ان يَـرُدوا ذلـك الى مـن لايخـفـى عـلـيـه. فكان يرشدهم الى الحق فيه بعلمه. و هذا غير ما يقولون.

و الآيـة الـثـانـيـة تـقـول فى وضـوح ان من الناس من تعرض له احوال لايعلمها و حينئذٍ عليه ان يسأل من يعلمها. و هذا كذلك غير ما يقولون ثم الحس يشهد لما نقول فانك تـرى فى الـنـاس من تعالجه الايام و الشهور بل وطول حياته على ان يحفظ آية من القرآن بل ان يخرج حرفا واحدا من مخرجه فلا يستطيع. فكيف يكون مثل هذا مجتهدا؟

بيت:

لقد هزلت، حتى بدا من هزالها ٭ كلاها و حتى استامها كل مفلس

كـيـف يعرف من العلم شيئا من ينكر السنة. و هى بيان الكتاب كما يقول عز و جـل (... وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ اِلَيْهِمْ﴾ الآية. النحل :٤٤) و هل عـرفـنـا نحن كثيرا مما كلفنا به الا بالسنة فقد جاء الكتاب بتكاليف الفاظها الدالة عليها تـدل لـغـة على غـيـرهـا. فـلولا ان السنة بينت ان الشرع نقلها من معانيها اللغوية الى تلك المعـانـى الـشـرعـيـة لـكـنا متمثلين التكاليف بمجرد فهمنا تلك المعانى اللغوية و العمل بما تـتـضـمـنـه كـيـف يـعرف من العلم شيئا بل كيف يعقل من ينكر الكتاب مع السنة وهو لايكون مجتهدا الا بالكتاب و السنة؟ بل كيف يكون هذا مؤمنا؟

و ان شـاء الـقـارئ ان يلمس جهل هؤلاء الأدعياء فليقل لاى واحد منهم ارجوك ان تخبرنى عن فلان المحدث ما قيمته بين المحدثين؟ او احب ان اسمع من لفظك المبارك حـديـثـاً نبوياً واحدا بسنده او اكون شاكرا لو افهمتنى من اىّ واد من اودية الدلالة دلالة هـذا الـدليل على هذا الحكم؟ و تذكر له حكماً و دليله او اقبل يدك الكريمة كما علمتنى

كيف اعمل اذا حدثت حادثة و ليس لها فى الكتاب و السنة دليل صريح و لكنى وجدت فيهما اشباها كل شبيه له حكم غير حكم الاشباه الاخرى لو قلت له هذا و ما اشبهه من المسائل التى لا تخفى على طلبة العلم فضلا عن الائمة المجتهدين ما درى ما يقول فضلا عن ان يجيب عنه.

و لقد اردت يوماً ان اسير غور امام كبير من هؤلاء الائمة فسألته عن مسألة ذات وجهين احدهما معتقده فسارع الى الجواب بما يعتقد فرأيت ان اخدش هذا الجواب خدشاً بسيطاً فما كان اسرعه الى الرجوع عن جوابه بمجرد سماعه هذا الخدش فضحكت و قلت هكذا يكون الاجتهاد و هكذا يكون المجتهدون.

كيف يصدق القارئ ان يكون امثال من ذكرنا مجتهدين لا سيما اذا علم انهم من الاعوجاج بحيث ان بعضهم لا يصلى و لا يصوم ولا يزكى و لا يحج و لا يتهيب امورا اخرى لها المكان الاول فى باب الرذيلة، و فى فطنة القارئ ما يغنينا عن تلويث القلم فى تلك القاذورات.

و من الجراءة على الفتوى بدرجة انك لو وجهت الى اجهلهم ادق مسئلة لاجاب عنها فورا بدون تأمّلٍ ولا روية. و ربما لو وجهت هذه المسئلة الى سيدنا جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل و جميع الانبياء و المرسلين و اتباعهم العلماء الراسخين لوقفوا امامها موقف الحيرة و الارتياب.

و من الرغبة فى الدنيا و الشغل بها بحيث لا يتحرك الا لها و ربما كانت صلاته و صيامه لها ان كان يصلى و يصوم.

و من الغفلة عن الله تعالى بدرجة انهم بادروا الى ما نحكى عنهم من التلاعب بدين الله تعالى لما ايقنوا انهم لا يعاقبون على اعتقاد يعتقدونه و لو كان كفرا بالله تعالى و لا على قول يقولونه و لو كان يعتدى على الاديان كلها و لا على فعل يفعلونه و لو بلغ ما بلغ من باب الرذيلة متى غفلت عنهم عين القانون الارضى و كانوا فى مأمن فى يده و تيقنوا مع هذا ان العصر لا يزن كل ما ينتسب الى العلم بميزان النقد الصريح العادل كما كان فى

العصور التى قدمنا لك الكلام عنها و لو شابه هذا العصر تلك العصور فيما نقول لكان حمى العلم اعز من ان يحوم حوله الادعياء و كيف يحومون و فى ذلك تكون فضيحتهم التى تدخل معهم القبور؟

و من سوء الاعتقاد بالحالة التى حكينا لك بعضها فيما مضى و من الخيانة فى العلم و التصرف فى نصوصه بدرجة لا يعلم القارئ مداها الا اذا تناول كتاباً من كتبهم و قرأه من اوله الى آخره و راجع نقوله مراجعة دقيقة لا اقول انهم يتصرفون فى الفاظ النصوص فقط بل اقول ان تصرفهم فى معانى ما ينقلون اشد و اشمل هؤلاء هم مجتهدوا زماننا الذين ملأوا الارض تشنيعاً على من يخالفهم و يحذر الجهلة عن التقليد.

انى اصرح و القى تصريحى هذا بين اظهر الناس جميعاً اليوم انى منضم الى علماء الامة الذين قرروا ان باب الاجتهاد مغلق و أوكد انا انه صفح فى هذه الازمنة بصفائح من فولاذ و كيف لا اصرح بذلك و انا ارى بعينى آثار اعتقاد جواز الاجتهاد تفسد فى الارض فساداً عظيماً ليس معنى ما اقول ان العقل يمنع ان يوجد مجتهد فى هذه الاعصار او فيما بعدها ان هذا لا نقوله و لا نرى من يقوله فى زمرة العقلاء لانه حكم على الله تعالى بانه منع فضله عن الناس و سد عليهم هذا الباب او انه ليس بقادر ان يخلق من فيه استعداد الاجتهاد و الاول حكم يحتاج الى وحى و لا وحى. و الثانى كفر بالله عز و جل و لكنى رأيت فسادا عظيما ينفذ الى الناس فى دينهم و دنياهم فسددت كما سد غيرى ينبوعه و لمحت استعدادات ضعيفة شرحت أثرها، و حكمت ان هذه استعدادات غير استعدادات الاجتهاد. هذا كل ما فعلته و هو ظاهر كل الظهور من كلامى لمن يتأمله و لا يطير بالكلمة يسمعها دون ان يدرى من اين جاءت و الى اى واد ذهبت.

و لست ارى علاجاً لهذه الحالة التى تمثل الفوضى فى العلم اقوى و اظهر تمثيل الآ رقابة دينية فعالة تقف كل انسان عند حده. و ان لم يقف ادبته الادب الرادع الذى يجعله عبرة لغيره بعد ان يفيده هو الفائدة المقصودة. و اما ترك الناس هكذا حبلهم على غاربهم يقول كل امرئ فى دين الله ما يقول و يفعل ما يفعل فهذا ما لايرضاه عقل ولادين. نعم لقد وصلت الفوضى العلمية اليوم الى حالة لا تحتمل و كيف تحتمل وقد وصلت الى حد ان

اكبر عالم دينى لو تكلم بكلمة دينية ينصح بها عباد الله وله عليها ماله من الادلة و البراهين من كتاب ربه و سنة رسوله، لقام عليه ما لا يحصى من الشبان و الشابات فسلقوه بألسنة حداد، و مزقوا عرضه تمزيقا و جعلوه فى الجهل الوحيد الفريد و كثير من هؤلاء يعجز عن قراءة آية واحدة وقد لايكون رأى فى حياته حديثاً و احدا و كثير منهم ثم كثير لم يقف موقف عبودية لربه فى كل حياته و لكنه الجهل و الغرور و عدم الحياء و عدم الرادع و حسبنا الله و نعم الوكيل.

لقد ازرى هؤلاء الجهلة بالمجتهدين وفضحوا العلماء وهوّنوا الدين و صغروا من شانه و جعلوا الاجتهاد العوبه من الاعيب و أُضحوكة من الاضاحيك و ما كنت اظن ان تصل الجراءة على الاجتهاد فى دين الله الى هذا الحد ولولا انى ارى هؤلاء الناس بعينى ما صدقت ما يقال عنهم، و كيف اصدق ان يكون فى طبقات المجتهدين الذين نتيجة اجتهادهم دين تدين به الامة. انسان ربما لم ير بعينه كتابا فى الشريعة ولاجلس طول حياته بين يدى عالم دينى جلسة واحدة و كل الذى عنده من المؤهلات وجه صفيق لايعرف الحياء ولايعرفه الحياء وكلما كان اقوى فى هذه الصفة يكون الامام الاكبر الاشهر و ان شئت ان ترى و تلمس الفرق بين مجتهدينا و اهل الاجتهاد الصحيح فقل مجتهدنا ربما لم يركع لله تعالى ركعة واحدة لافرضاً ولانفلا و ابو حنيفة رحمة الله عليه يصلى الفجر بوضوء العشاء اربعين او خمسين سنة و كل ليله ركوع و سجود.

مجتهدنا قد لايكون صام يوماً واحداً حتى ولا فى رمضان و ابن حنبل يصوم الدهر كله لايفطر الا يوماً واحداً احتجم فيه.

مجتهدنا لايقف عند سؤال مهما دق واستصعى و مالك بن انس يقف فى مسالة واحدة بضع عشرة سنة لم يتفق له فيها رأى قاطع. و يسئل عن ثمان و اربعين مسالة فيقول لا ادرى فى اثنتين و ثلاثين منها و يبكى من الفتاوى و المسائل و يقول انى اخاف ان يكون لى من المسائل يوم اى يوم.

مجتهدنا قد لا يكون راى حديثا واحدا و يغضب كل الغضب ممن يتردد فى الاعتراف باجتهاده و ابن حنبل يحفظ الف الف حديث كما يقول ابو زرعة[١] و لم يكتب

(١) ابو زرعه احمد الرازي توفي سنة ٣٧٥ هـ. [٩٨٥ م.] في مكة المكرمة

سوادا فى بياض الاحفظه كما قال ابنه عبد الله. و مع ذلك لايتفق معاصروه على انه من الفقهاء المجتهدين.

مجتهدنا لو حفظ حديثا فى الصباح ينساه فى المساء لغلبة النسيان على الاذهان فى هذا العصر غلبة لا تكاد تتصور. و ما كان يعرف هذا النسيان فى علماء السلف فضلا عن مجتهديهم بل كانت صدورهم سجلات لاتمتد يد المحوالى ما بها بحال و لذلك حفظ الله بهم الدين ولو كانوا مثلنا ما وصل الينا من دين الله كلمة و قد سبق التنبيه على ذلك.

مجتهدنا يقبل قدميك لو عرفته بعظيم اى عظيم من عظماء الدنيا ولو وهما ولو كان من اكفر الكفار و يرى صحبة هذا و التردد اليه شرفا لا يقاربه شرف. و اهل الاجتهاد الحق يفرون من خلفاء المسلمين و يخطبون لتلك الصحبة فيأبون كل الاباء بل يكرهون اكراها عليها و يهانون رجاء ان يقدموا عليها فيتحملون ما يهددون به وهو اليم. ولا يسمحون ان يصحبوا اولئك الخلفاء و قد سبق ما يدل على ذلك.

مجتهدنا يتهالك على المال ولا يبالى من اىّ وادٍ وصل اليه ولو من الربا او من مال يتيم. و ابو حنيفة يتحرج من ظل حائط مدينه.

مجتهدنا ربما اقتحم اخطر موبقة وهو يضحك لجراءته على الله بل ربما كفر بالله العظيم و خلع ربقة الاسلام من عنقه فاهما انه بذلك وصل الى ذروة مقام الاجتهاد، و ائمة المسلمين فى بكاء و عويل و انتحاب خوفاً و وجلا على انفسهم ان يكونوا مغضوباً عليهم من ربهم مع انهم فى طاعته ليلا و نهارا طول حياتهم لا تستثنى واحداً منهم.

سمع الشافعى رحمة الله عليه حديثاً فى الرقائق فاغمى عليه حتى قيل مات. و سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى (هٰذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ۞ وَلاَيُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ۞ المرسلات: ٣٥ - ٣٦) فتغير لونه و اقشعر جلده و اضطرب اضطرابا شديدا و خرّ مغشيا عليه. فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكاذبين و اعراض الغافلين. اللهم خضعت لك قلوب العارفين و ذلت لك رقاب المشتاقين. الهى هب لى جودك و جللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك.

و كان ابوحنيفة يصلى بالليل و يبكى من خشية ربه حتى يرحمه جيرانه من كثرة بكائه.

و تقدم ان سيدنا مالكاً كان يبكى و يقول انى اخاف ان يكون لى من المسائل يوم اىّ يوم.

و تقدم ان سيدنا احمد بلغ به الخوف من الله تعالى الى انه كان يبول الدم.

مجتهدنا اذا ذكر عنده ائمة الاسلام، لسانه السيف البتار فى اعراضهم يمزقها تمزيقاً و تراه عند ذكر اولئك الهداة كان حمى اخذته فاذهبت عقله وجعلته يهذى بما لايعى وما كان ائمة الاسلام هكذا فهذا الامام الشافعى رحمه الله تعالى لما زار ابا حنيفة فى قبره ترك القنوت فى صلاة الصبح ادباً معه و لم يرمن المناسب ان يجاهر هذا الامام الاعظم بالخلاف على مراى منه و مسمع. وكان يتوسل به الى الله تعالى اعتقاداً منه انه جدير بذلك و قال فيه الناس كلهم عيال على ابى حنيفة فى الفقه و قال فى سيدنا مالك رضى الله تعالى عنه اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب. و قال فى سيدنا احمد بن حنبل تلميذه خرجت من بغداد و ما خلفت بها افقه ولا اورع ولا ازهد ولا اعلم من احمد وقال فيه ايضاً.

شعر:

قالوا يزورك احمد و تزوره ٭ قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارنى فبفضله او زرته ٭ فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقال لمن معه قميص احمد اما القميص فلا افجعك فيه. و لكن بله و ارفع الى الماء لا تبرك به.

و يقول مالك يخاطب الشافعى رحمة الله عليه لما ساله عن ابى حنيفة رحمة الله عليه رأيت رجلا لو ناظرك فى هذه السارية ان تكون ذهباً لقام بحجته.

و قاسم الشافعى ماله غيرمرة اعترافا بفضله. و استحسن الشافعى مالا عظيما

اهدى اليه فاهداه له كله فكلمه ان يبقى له دابة يركبها فابى. و استعظم ان يركب تربة على دابة وطئها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدميه.

و قال احمد رحمه الله تعالى فى الامام الشافعى رحمه الله تعالى كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فهل لهذين من خلف؟

مجتهدنا ربما كان لم يحفظ القرآن من آية واحدة. و اذا كان يحفظه كله فقد لايكون تجاوز عدد الاصابع فى ختمه. و ابو حنيفة رحمة الله عليه يحصى ما قرأه من ختمات القرآن فيكون سبعة آلف ختمة.

هذه مقارنات ذكرناها مرغمين و فى النفس ما فيها من ذكرها و انما ذكرناها لينفذ منها القارئ الى حيث يرى اين ائمة زماننا من ائمة الاسلام حقا ولو لا مقام البيان ما سمحت نفسى بهذه المقارنة ابدا و من يرضى ان تقرن الملائكة بالكلاب؟

ثم ارجو ان يفهم المطلع الكريم انى انما كتبت هذا الفصل أبين به مقام الاجتهاد لمن لعله لايعرف قدره. و رجاء ان يراه بعض اولئك المجتهدين المساكين. و يكون به بقية من الشعور الحى. فيحس بانه ترك الجادة وركب الصعب وحاد عن سبيل الامان الى سبيل الخطر المحقق و كى يطلع عليه اناس ربما وقع فى نفوسهم استحسان ما يقوله (اولئك المفتونون*) و قياما بما يجب على العلماء من محاربة البدع اذا رفعت رأسها و من القضاء على الباطل اذا حاول ان يلبس ثوب الحق. و اى قيمة للعالم اذا لم يقف فى وجه المعاندين حدود الله اللاعبين بدينه الخارجين على اوليائه واحبابه. ان العالم جندى من جنود الله عز و جل بل هو القائد الاعلى لجنود الله فان كل مؤمن جندى من جنود الله ولعله لا يخالفنى احد فى ان من العار العظيم و الفضيحة التى لا تدانيها فضيحة ان يؤتى الاسلام فى صميمه و قادة حراسه ينظرون مكتوفة ايديهم مقيدة ارجلهم خرسا السنتهم لا يبدون ولا يعيدون ان الجهاد باللسان و القلم فى هذا العصر ليس بأقل من الجهاد بالسنان فى زمن الجهاد. و انى لارى واجبا على العلماء خصوصاً فى هذا الزمن الذى تموج فيه الفتن كموج البحر ان يبينوا للناس ما يرضاه ربنا من اعمالهم و ما لايرضاه حتى لايبقى لاحد عذر فى جهل ما هو عليه من بلايا و رزايا دينية و دنيوية.

و انى اعود فاقول لاولئك الزاعمين انهم مجتهدون اذا لم تعلموا ايها الناس ما تفعلون فاعلموا انكم تلعبون بالنار او تمزحون مع البحر و هو غضبان فان كان لكم طاقة بالنار او بالبحر فتمادوا على ما انتم عليه و الا فالفرار الفرار من هذا الموقف المذهل والله تعالى اعلم.

الشفاعة

نحن فى زمن اتسع فيه الخرق على الراقع. فانك لا تلتفت الى طائفة لتفهمها قدر بعدها عن الجادة الا و تبدو لك طائفة اخرى اشد بعدا عن المنهج القويم و الكل فى حاجة قصوى لان تعالجهم حتى تقتلع من انفسهم شجرة الزيغ التى اضلتهم. و تغرس مكانها شجرة الرشاد والارشاد. نعم لقد اصبحنا فى زمن سادت فيه الفوضى فى العقائد لدرجة ان يجهر بالكفر الصريح من كان بالامس يتظاهر بالايمان الصادق دون ان يجد من يلتفت اليه التفات استغراب و انكار. و سادت فيه الفوضى فى العلم لخذان اصبحت دفة الارشاد بايدى شبان و شابات لو سالت احدهم عن ربه لحار كيف يقول. و مع هذا لو تكلم اكبر رأس من هداة الخلق العلماء بكلمة ينفر بها عن رذيلة او يحرض على فضيلة لقام عليه اولئك الاولاد كالكلاب الضارية فنهشوا عرضه نهشا و رموه بالدواهى مما جعل العلماء اليوم فى انكماش. حطموا اقلامهم و خزنوا السنتهم فى افواههم وتركوا الامر لاولئك المفسدين يفتحون كل يوم من ابواب جهنم ما يفتحون و يدعون الناس الى ولوجها و اقتحامها و يتهافت الناس تهافتا الى ما يدعونهم اليه حتى اصبح العمل كالعلم والاعتقاد فوضى لايميز صحيحه من فاسده ولا يكفر احد فى ايقاف هذا الامر عند حد وحسبنا الله و نعم الوكيل.

نقول بهذه المناسبة انا بصدد ان نتكلم مع كثير من الناس انكروا حتى الشفاعة يوم القيامة و هى ثابتة بكتاب الله تعالى و سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانكارها عجيب ثم عجيب اذا صدر من رجل يؤمن بالله و اليوم الآخر.

اما ما يثبتها من كتاب الله تعالى فآيات كثيرة. منها قوله تعالى (... مَنْ ذَالَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُٓ اِلَّا بِاِذْنِه۞ الآية. البقرة :٢٥٥).

و منها قوله عز و جل (... **وَلاَ يَشْفَعُونَ اِلاَّ لِمَنِ ارْتَضٰى﴿ الآية. الانبياء :٢٨**) و منها قوله تعالى (**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً اِلاَّ مِنْ بَعْدِ اَنْ يَأْذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضٰى﴿ النجم :٢٦**).

فان الآية الاولى تثبت الشفاعة باذنه عز و جل و الآية الثانية تثبت الشفاعة لمن ارتضى ربنا ان يشفع. والآية الثالثة كالاولى تثبت شافعين باذنه عز و جل و قيد هذا الاذن يفهم ان الشفاعات كرامات يكرم الله تعالى بها من يشاء من عباده ليرى الخلق فضله عنده لانها كشفاعاتنا هنا يصمم احدنا على الامر ينقذه من العقوبات فيكلمه شفيع من ارباب الوجاهة ان ينقض ما ابرم فيكون ذلك فى الحال يحمله على ذلك رهبة منه او رغبة فيه ان الشفاعات التى بهذا المعنى مستحيلةٌ على ربنا عز و جل لانه اذا اراد شيئا نفذه. ولو عارض فيه جميع العالمين و ارادوا ان لاينفذ و الرغبة و الرهبة لايتصف بهما لانه رب كل شيء القادر القهار.

و اما ما يثبت الشفاعة من السنة الصحيحة فكثير، من ذلك حديث الشفاعة المشهور الذى اتفق على روايته البخارى و مسلم ورواه غيرهما و فيه ثم يقال يا محمد ارفع رأسك، سل تعط و اشفع تُشَفَّعْ و من ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**شفاعتى لاهل الكبائر من امتى**) رواه الترمذى عن سيدنا جابر. و قال سيدنا جابر من لم يكن من اهل الكبائر فما له و للشفاعة؟ و كذلك روى هذا الحديث النسائى و ابو داود و احمد و ابن حبان و الحاكم.

و من ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء و العلماء والشهداء**) رواه ابن ماجة.

و من ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**يشفع الشهيد فى سبعين من اهل بيته**)

و من ذلك ما رواه الشيخان و غيرهما من حديث طويل (**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ**) قيل يا رسول الله و ما الجسر قال (**دحض مزلّة فيه خطاطيف و كلاليب و حَسَكٌ.**) تشبيه ظاهر (**تكون بنجد فيها شويكةٌ يقال لها**

السّعدان فيمرُّ المؤمنون كطرف العين و كالبرق وكالريح و كالطير و كأجاويد الخيل والركاب. فناج مسلم ومخدوش مُرْسَلٌ ومكدوس مدفوع فى نارجهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويُصلُّون و يحجون، فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربّنا ما بقى فيها احدٌ ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيراً ثم يقولون ربّنا لم نذر فيها ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه. فيخرجون خلقا كثيرا. ثم يقولون ربنا لم نذر فيها مما امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً).

و كان ابو سعيد راوى هذا الحديث يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا ان شئتم (إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ اَجْراً عَظِيماً* النساء : ٤٠) فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون و شَفَعَ المؤمنون و لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها اقواما لم يعملوا خيرا قط. يعنى غير الايمان قد عادوا حَمَماً فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة بذور البقل فى حميل السيل ما يحمله السيل من الطين. الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس أُصيفر و اخيضر. و ما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك ترعى بالبادية، قال (فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه) ثم يقول ادخلوا الجنة فما التمسوه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا مالم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا. فيقولون يا رب و ما افضل من هذا فيقول احل عليكم رضائى فلا اسخط عليكم بعده ابدا.

هذا بعض ما ورد من كتاب ربنا و سنة نبينا يدل على ان الشفاعة واقعة يوم

القيمة فمن لم يؤمن بها مع كل هذا فاني ابشره بما بشره به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابن منيع وهو قوله عليه الصلوة و السلام (**شفاعتى يوم القيمة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من اهلها**) وقد عد العلماء هذا الحديث من المتواتر. فمن احب ان لا تناله الشفاعة من المؤمنين فليتماد على انكاره الشفاعة و من احب ان تناله فليصدق ربه و نبيه و يوافق اهل السنة و الجماعة فى الاعتراف بها ليكون معهم من الناجين.

و لعل كل ما قدمنا من الموضوعات وضح كل الوضوح بما اوردنا عليه من دلائل قاطعة و براهين ساطعة لايمكن لمن اوتى نصيبا من الفهم ان ينكر شيئا منها الا اذا كان لايبالى بضحك الناس عليه اذا انكر الشمس و هى فى كبد السماء.

و انى تعمدت ان اوضحه كما رأى القارى ليعرفه اناس لايعرفون و ليصحح به اناس آخرون عقائد فى نفوسهم تنافيه، وليراه اناس غير هؤلاء و هؤلاء غلاظ شداد على المؤمنين فيتبين لهم ان لاحق لهم فى تلك الغلظة و الشدة، فيخففوا من وطأتهم الثقيلة. وليزداد به الذين امنوا ايمانا. فانه ان شاء الله نور (**يَهْدِى بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**۞ المائدة :١٦) و الله تعالى اعلم

شهادة العلماء الاعلام لكتاب غوث العباد ببيان الرشاد

اختصرناها من تفريظ الطبعة الاولى نظرا لضيق المقام

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد ربنا عز و جل على جزيل آلائه و نشهد ان لآاله الاالله شهادة من عرف الحق فعمل به و علّمه فان ذلك هو الذى يدعى فى ملكوت السموات عظيماً. و نشهد ان سيدنا و مولانا محمدا عبده و رسوله ذو الجاه العظيم و المقام الاسمى. اللهم صلّ و سلم و بارك عليه و على اخوانه الانبياء و على من تبعهم حريصاً على سلوك نهجهم، فانهم بركة الامم فى كل زمان.

اما بعد فقد اجلنا جياد الافكار فى ميادين هذه العجالة الكريمة التى سميت بحق (غوث العباد ببيان الرشاد) فاذا هى حق صراح. و ماذا بعد الحق الاالضلال. تؤيده حجة دامغة. و هل يقف فى وجه دامغ الحجج الا مبطل مكابر. تعبر عنه عبارة ما ارقها و ما ادقها. و من يستطيع ان يخدش بيان ملك البيان يذود عن احباب الله انبياء و اولياء فوق ما يذود الاسد عن عرينه فى غضبة لهم على من يستخف بشانهم. انما تشبهها غضبة البحر اذا هاج. و من فى قلبه ذرة من الايمان ثم لايغضب لاحباب ربنا اذا استخف بشانهم تحرى عقائد معينة فشرح الصدور بشرح ما عليه فيها الامة المحمدية فى مشارق الارض و مغاربها فى هذا العصر. و فى جميع عصور الاسلام المتقدمة لانعرف فيها سوى ماشرح. و هل اذا تكلم الحق يعرف المؤمنون سوى ما يتكلم به؟ و نحن لايقع منا موقع الغرابة ان تكون هذه العجالة بهذا المقدار و مؤلفها حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى ابو سيف الحمامى احد علماء الازهر و خطيب المسجد الزينبى الذى ما رأيناه وقف موقفا الا رأينا الحق بجانبه يحوطه من كل نواحيه حفظه الله و زاده توفيقاً ليرينا كل يوم آية من آياته يؤيد بها الحق و يخذل الباطل.

و انا فى هذا المقام لايسعنا الا ان ندعو الامة باسرها الى اعتقاد ما تضمنته هذه العجالة و نبذ ما عداه والله الهادى الى سواء السبيل.

يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء ختم
محمد البيلاوى خطيب المسجد الحسينى و نقيب
الاشراف بالديار المصرية

حرر فى ٥ محرم سنـــة ١٣٥٠ ﻫ .
السيد محمد بن محمد زباره اليمنى امير القصر السعيد
بصنعاء اليمن

محمود ابو دقيقه مدرس بتخصيص الازهر
محمد عبد الفتاح العنانى المدرس
بكلية الشريعة الاسلامية

محمد محمد البحيرى
من علماء الازهر الشافعية
بالقسم الثانوى

محمد حبيب الله الشنقيطى خادم العلم بالحرمين الشريفين وفقه الله دسوقى عبدالله العربى من هيئة كبار العلماء محمد زاهد[1] الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية بالآستانة سابقاً محمد حفنى بلال وكيل الحرم الزينبى واحد علماء المالكية.

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى وفقنا لطبع كتاب غوث العباد فانه لما كان فى كتاب البصائر بيان احوال ابن تيمية و بعد ما طبع الكتاب المذكور وصل الى كتاب غوث العباد فيه تاكيد ما اقول و مزيد تفصيل و تحقيق فى بعض المسائل فان صاحب البيت ادرى بمافيه. اردت ان الحقها بكتاب البصائر تأييداً و من الله التأييد و به الاعتصام و صلى الله على خير خلقه محمد و آله و صحبه اجمعين.

العبد الاواه محمد حمدالله الداجوى

٢٠ رمضان المبارك سـنة ١٣٨٥ هـ.

---

(١) محمد زاهد الكوثري توفي سنة ١٣٧٠ هـ. [١٩٥١ م.] في مصر

فهرست غوث العباد ببيان الرشاد



کتب انزلنه الیک مبرک لیدبروا ایته و لیتذکر اولوا الالباب

ربط الرکوعات والسور

من

افادات حضرت العلامة الفهامة شیخ القرآن

والحدیث مولانا حمد الله جان الداجوی مدظله

مرتب

خادم العلماء والاولیاء والطلباء مولوی عبدالقدوس "المظهری"

المدرس بدار العلوم مظہر العلوم ڈاگئ

د ملاویدو پته دا دے :-

مظهری کتب خانه

نزد دار العلوم مظهر

العلوم یار حسین روڈ

ڈاگئ صوابی :-